السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب
الحميري المعافري البصري
المتوفى ٢١٣هـ - ٨٢٨م

الجزء الأول

حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدماتها
وضبط ألفاظها ووضع فهارسها
طه عبد الرؤوف سعد
غفر الله له

دار الجيل
بيروت

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

الحمدُ لله الذي أرسل رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه ولو كره الكافرون، والصلاةُ والسلامُ عليك سيدي يا رسولَ اللهِ، يا مَنْ بلَّغتَ الرِّسالةَ وأدَّيْتَ الأمانةَ ونصحتَ الأمةَ وتركتنا على المحجَّةِ البيضاءِ.

سيدي يا رسولَ الله، كلما ادْلهمَّت ظُلماتُ الأنفُسِ، واضطربت سكينةُ الأفئدة، وضاقت فجاجُ الأرض بما رحُبتْ.. تتطلَّعُ القلوبُ المؤمنةُ إلى رحمةِ اللهِ، وتترقْرقُ في العيونِ دموعُ الرجاءِ، وتختلجُ في الصدورِ زَفراتُ الندمِ، وإذا بشُعاعِ الأملِ يشرقُ بِسَنا طلعتِك فيهدي الحيارَى مثلما اهتدتِ البشريةُ من قبلُ، عندما نظرت الدنيا ترقُب الأملَ المشرقَ في سمائِها، فتهادتْ أضواؤُه تهادي الرجاءِ في القلوبِ الحائرةِ، وشع لألاؤه فارتسمتْ على صفحةِ الكونِ صورةُ الجلالِ، وسُطِّر في أُفقِ الحياة اسمُ محمدِ بنِ عبد الله، وأقبلَ الروحُ الأمين بهديَّة السماءِ إلى العالمين ﴿ **لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عنتمْ حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ** ﴾

سيدي يا رسولَ الله.. إن العالمَ اليومَ أحوجُ ما يكونُ إلى النظرِ في سيرتِك، وما أشد حاجة المسلمين اليومَ إلى الأسوةِ الحسنةِ في روعةِ شخصيتِك.. والاقتداءِ بما تركته بين أيدينا، حتى لا تجرفَنا تياراتُ الضلالِ ونزغاتُ الهوَى.

فهل تأذنُ، لي سيدي يا رسولَ الله، يا خيرَ مُرْسَلٍ ويا أفضلَ الخلقِ، أن أقفَ ببابِك وأجولَ بنظري وفكري في جنباتِ سيرتِك ومغازيك، أبغي الهدايةَ والعبرَةَ والموعظَةَ الحسنةَ، وأُهدي هذه الطبعةَ من (**السيرة النبوية لابن هشام**) إليكَ سيدي أبا القاسِم، يا علمَ الهدَى ونبيَّ الرحمةِ، لعلها تكونُ يومَ الحسابِ نوراً يهديني إلى الصراطِ المستقيمِ.

المحقق
طه عبد الرءوف سعد

مقدمات
و
دراسة



فهرسة المقدمات والدراسة للمحقق

ترجمة المؤلفين : ابن إسحاق وابن هشام

أولاً : ترجمة الإمام ابن إسحاق الكاتب الأصلي للسيرة

ثانياً : ترجمة ابن هشام الذي اشتهرت باسمه السيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بقلم المحقق

ما هو التاريخ : التاريخ هو رصد حركة الإنسان على هذه الأرض، وهذه الحركة تُسمى « الصراع ». وأنواع الصراعات كثيرةٌ أهمها وأقدمُها « الصراع البشري » أي صراع الإنسان مع أخيه الإنسان، وذلك منذ هبوط آدم ــ عليه السلام ــ على الأرض، قال تعالى﴿ **اهبطَا منها جميعاً بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ** ﴾ ومنذ أن هبط ممثلا البشرية على الأرض آدمُ وحواءُ عليهما السلام، ومع أول صدام بين الإنسان وأخيه متمثل في حادثة قتل قابيل لشقيقه هابيل، وبعدها وإلى الآن، سجل لنا التاريخُ عبر الأزمنة الكثيرَ من هذه الصراعات المتزايدة بين البشر مع اختلاف الحوادث وتطور الأحداث، بين أن يكون صراعا لإحقاق الحق أو صراعا لإثبات باطل.

وبما أن التاريخَ هو الذاكرةُ البشرية، تلك الذاكرةُ التي تميز بها الإنسانُ على سائرِ المخلوقات، فإن الإنسانَ هو الكائنُ الوحيد على هذه الأرض، الذي له تاريخ يحفظه ويستفيد من عِبره لحاضره ومستقبله، ودليل ذلك التطورُ المذهلُ في حفظ تاريخه.

فقد كان الإنسانُ البدائيُّ يستخدم الذاكرةَ في قصِّ القَصصِ الممتزج

بهالةٍ من الأساطير والخرافات، التي تُبرز موضوع قصته، وخاصة عن أسلافه، ثم تطور إلى تدوين هذا القصص وخاصة المفاخر والأمجاد.

وكلمة تدوين تشمل العديد من الأساليب منها النقش والرسم، وبعدها الكتابة بمفهومها العام، ولغاتها المتعددة، وطرقها المختلفة، وأساليبها المتميزة.

وبما أن التاريخ عبارة عن خزانة الشعوب والأمم التي تحفظ بها أخبارها وحضارتها عن طريق التدوين ؛ فإن العربَ أيامَ الجاهلية لم يلتفتوا إلى أهميةِ التاريخ بمفهومهِ الآن ؛ بخلاف بعض المخلفات التاريخية التي وردت لنا من خلال رواياتِ الأنسابِ التي حفظت لنا بعضَ أحداثٍ وقع ذكرُها في ثنايا حديث النسَّابين، وكان هذا في الفترة التي سبقت مطلع الفجر الإسلاميِّ، وإن كانت قد تجلت بصورة أوضح في مبدأ الدعوة.

ورغم أن المسلمين الأوائلَ كانوا يعرفون مميزات التاريخِ في حفظ أمجادِهم، إلا أنهم انشغلوا بصنعِ هذا المجد عن تدوينه، وتناسوا تاريخ جاهليتهم الذي نظروا إليه نظرةَ عار وانحطاط أخلاقي وديني لا يستحق التدوين كالسلب والنهب ووأد البنات وما إلى ذلك. وإن كان للعرب في الجاهلية مكارم لا تُنسى كالكرم والشجاعة في محلها، والعفة والفروسية.

أيضاً كان انشغال الصحابةِ بالجهاد والفتوح عن جمع الأخبارِ وكان لا بد من أن يقوم بهذه المهمة، خاصة بعد أن رسخت القاعدةُ وبدأ البنيانُ الحقيقيُّ للهيكل الإسلامي، وانتشار الدعوة، ووضع الأسس والقوانين السماوية، وأصبح وضع المسلمين في حالة تمكنهم من التروِّي والاستقرار، فالتفت إلى هذا فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون في

جمع مادتهم على سؤال مَنْ شاهدوا الغزوات من الصحابة ومَنْ صاحب الأحداثَ التي وقعت للمسلمين في عهدِ صاحبِ الرسالةِ ـــ ﷺ.

الشكل التقليدي للتأريخ عند المسلمين الأوائل : ولكنَّ الشكلَ التقليديَّ للتأريخ في أبسطِ صورِه ظهر على تلك الصورةِ في العصر الأمويِّ، غير أن مؤرخي بني أمية لم يعنهم من التأريخ إلا ما دعتهم إليه أسبابُ المحافظةِ على أركانِ الدولةِ : من ثناءٍ وإطراءٍ بمن اشتهر منهم، أو تحقيق لرواية نسب من الأنساب يكونُ فيها صالحٌ لدولتهم، وإن كان الدافع إلى ذلك في أغلب الأحيان هو الرغبة في العطاء..

ومما يُؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التاريخِ شيءٌ إلا ما تناثر في بطونِ بعضِ كتب الأدب، نقلا عن الرواة، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن في عصرِ بني أمية.

ولعل العباسيين قد تعمدوا إزالةَ آثار الأمويين، أو لعل الناسَ قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملةً لرأي بني العباس.

على أن التاريخَ الإسلاميَّ في حقيقة أمره، لم يتمهد له السبيل إلا في العصر العباسيِّ، حيث ظهرت بوادر التآليف في التواريخ العامة والخاصة.

وإن كان الواقعُ يهيب بنا أن نشيرَ إلا أن أولَ كتابٍ ظهر وفيه لمحاتٌ تاريخيةٌ هو « **القرآن الكريم** » وقد تجلى ذلك في استخراجِ العبرةِ من بعضِ الحوادثِ التي وَردتْ في آياتِ الله البيناتِ.

مفهوم السيرة :

ويرادُ بسيرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : التعرفُ على حياته، من ظهور الإرهاصات التي مهدت لرسالته، وما سبق مولدُه من

سمات تُلقي أضواءً رحمانيةً على طريقِ الدعوةِ المحمدية، ومولده ونشأته حتى مبعثَه.

وما جاء بعد ذلك من دعوةِ الناسِ الى الدينِ الحنيفِ ، وما لقي في سبيلِ نشرِ الإسلامِ من معارضةٍ، وما جرى بينه عليه الصلاةُ والسلام وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيف، وذكر من استجاب له حتى علت رايةُ الحقِّ وأضاءت شُعلةُ الإيمان.

وقد عُرفت تلك الحروب بالغزوات والسرايا، وإن غلب عليها لفظ المغازي « أي الحروب التي اشترك فيها الرسولُ ـ ﷺ ـ بالقتال »، ولكن هذا الاسم تطور مع الزمنِ ، حتى شمل معناه تاريخَ حياةِ النبيِّ ﷺ والصحابة، رضوان الله عليهم، ومن الأرجح أن كلمة « مغازي » كانت تشير إلى حياة النبي في المدينة المشرفة فقط، وذلك لأن المدينة هي التي شهدت فترة الغزوات والقتال بين المسلمين وغيرهم من أهل الشرك. ثم اتسع نطاقُ هذا اللفظ ليشمل سيرةَ النبي ـ ﷺ ـ بأكملها.

الدواعي إلى جمع السيرة :

عندما أخذ علماءُ الإسلام في جمع القرآن الكريم وتفسيره، وجمع الأحاديث ووجدوا أنفسهم في حاجةٍ إلى تحقيق أماكنِ نزولِ الآيات، وإيضاح حقائق الأحداث التي جرت، وكذلك بالنسبةِ لجمعِ الأحاديث، والتشريع بالحلال والحرام في أقوالِ وأعمالِ الرسولِ ـ ﷺ ـ وأيضاً أقواله في التشريعِ والتفسيرِ والمواعظ، فكان لا بُدَّ من الرجوعِ إلى جمعِ السيرةِ النبوية أولا ؛ لأنها المنبت الخصبُ لذلك كله، والمرجعُ الصادقُ في هذا الشأنِ.

القرآن الكريم والسيرة :

جاء الإسلام ليمحي الجهلَ والتخلفَ، فقد كان العرب قبلَ الإسلامِ غارقين في جاهليتهم، فأحدث القرآنُ الكريمُ بنزوله هزةً في أعماق جهلهم، واستمر في هزِّ سباتهم وجهلهم، حتى قَلَبَ الأمرَ رأساً على عقب، ليضيء نورَ الغلم والمعرفة.

وكما نعرف جميعاً أن أول ما نزل الوحيُ على النبيّ الأميّ أمره : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ويحثه على العلم والمعرفةِ بقوله : ﴿ **الذي علَّم بالقلم** ﴾ إشارة إلى محو الجهل بنور العلم والقراءة والكتابة.

لذلك كان النبي ﷺ يشجع المسلمين على محو أميتهم فنجده في غزوة بدر يفدي بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلموا عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

وكان القرآنُ الكريم وبجواره السنةُ النبوية الشريفة مصدرين أساسيين للتاريخ الإسلامي، خاصة ما اتصل بالسيرة النبوية، وبجوار السيرة كان القرآن يرصد لنا للعبرةِ بعض القَصَصِ البشري بصفة عامة، أي أن التاريخ القرآني يعد تاريخا لكل البشر والبشرية.

وقد رصد لنا القرآن تاريخ النبي بصفة خاصة من خلال بعض الآيات القرآنية، وأحياناً كان يشتمل على سورة بأكملها كسورة الأنفال. تشير إلى سيرة النبي ــ ﷺ ــ وأصحابه.

ومثالاً على التأريخ القرآني للسيرة تلك الآيات التي تحكي تاريخ الدعوة. فقد أمر الله تعالى نبيه ــ بعدَ نزول الوحي ــ الأمرَ الأولَ بالدعوةِ بقوله تعالى : ﴿ **يأيها المدثِّر. قمْ فأنذرْ** ﴾ ثم أمره بعلانية

الدعوة بقوله : ﴿ **وأنذرْ عشيرتَك الأقربين * واخفض جناحَك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ ﴿ **فاصدعْ بما تُؤْمرُ وأعرضْ عن المشركين** ﴾ ونجد في سورة « عبس » تصف لنا الآيات رد فعل المشركين تجاه ما يدعو إليه النبي وتجسد لنا ما تعرض له محمد وأصحابه من الأذى وتعنت الكفر. والآيات تحثُّ النبي وأصحابه على التحلي بالصبر.

ويستمر القرآن الكريم بِعرض سيرة النبي : من هجرة المسلمين معه إلى المدينة، والإذن لهم بالقتال، ووعدهم بالنصر على المشركين بقوله تعالى : ﴿ **أُذِنَ للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرِهم لقدير. الذين أُخرجوا من ديارِهم بغير حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله** ... ﴾ وهنا نجد الآية تحمل لنا خلفية تاريخية توضح لنا حال المسلمين.

ثم نزلت الآيات ترصد الغزوات ففـي غزوة بدر نزلت سورة « الأنفال » وفيها نُصح للمسلمين بألا يختلفوا بشأن الغنائم، وتشرح للمسلمين كيف تقسم هذه الأنفال، وتحذرهم من الخلاف عليها، وأكثر من ذلك حيث عرضت لنا صورة حية لحال المسلمين والأسرى.

ونزلت مواضع من سورة « آل عمران » أيضاً لغزوة بدر وغزوة أحد حيث خففت على المسلمين، ووبخت مَنْ عَصَى أمر الرسول، وتشد من أمر المناضلين، وتُوعد الشهداء بأنهم أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون، وأن لهم الجنة.

وفي غزوة الأحزاب تنزل سورة « الأحزاب » صورة كاملة حية لهذه الغزوة حيث صَوَّرت ما دار في فترة الحصارِ، وحال الأحزاب، وموقف اليهود والمنافقين.

وفي مراحل الغزو الأخيرة في آخر حياته الشريفة ﷺ، تنزل سورة « براءة ».

وفي سورة « النصر » أيضا : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ حيث بُشر المسلمون بالنصر وفتح مكة، وحلولِ عصرِ الفتوحاتِ الإسلامية المتوالية.

إن هذا العرض المبسط محاولةٌ لإلقاء الضوء على أهمية القرآن الكريم كمصدرٍ أساسي لتأريخ سيرة الرسول ـ ﷺ ـ والمسلمين من الصحابة سواء في مكة أو المدينة، أو المغازي والمواقف الذي اصطدم فيها المسلمون مع المشركين أو اليهودِ والمنافقين، وأيضاً المواقف التي تُهم المسلمين خاصةً، وأرشدهم للطريق القويمِ وموقف الرسول ـ ﷺ ـ من ذلك وذاك.

أهمية السيرة النبوية لكل البشر :

إن سيرة النبيِّ ـ ﷺ ـ تمتاز بصفاتٍ تجعلها تنصبُّ في المكان الأول بين سير التاريخ، ومن أهم تلك الصفات أنها سيرةٌ تاريخية بمفهومها العام ؛ ومن كونها موثَّقةً بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وكون سيرةُ محمد ـ ﷺ ـ تاريخيةً يُقويها لدى مريديها، أن السيرة الخرافية الأُسطورية لا تلقى أيَّ اهتمام لدى السامع أو القارئ.

أما سيرةُ النبيِّ ـ ﷺ ـ فسيرةٌ يشهد لها المحققون والثقات من الرواة، لذلك نجد الناس يهتمون بها اهتماماً ليس فيه رعونة أو ضياعٌ لوقت فراغهم، بل يشغفون بها لكونها حقيقةً ثابتة راسخة في وجدان التاريخ.

ومن أغراض الاهتمام بالسيرة النبوية أن يتصور المسلمُ من خلالها

الحقيقةَ الإسلامية الكاملة المتمثلة في حياةِ النبيِّ ـ ﷺ ـ لأنها سيرةُ أعظمِ البشرِ وأصلحهم خاتمِ النبيين، فهو مُنذرٌ ومبشّرٌ وداعٍ وسراجٌ منير، وهو أيضاً جامعٌ لكلِّ الصفاتِ الحميدة، التي جعلت سيرته تمتازُ عن غيرها، وأن تكون مثلاً أعلى للبشر كافة، وإلى جانب تلك الصفات، أنه أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة الأخيرة التي بعثه الله عزّ وجلّ بها إلى العاملين، فجاء بالشريعةِ التي لا يحتاج الفرد إلى غيرها لذلك فإن سيرتَه ـ ﷺ ـ عطرة خالدة حتى يومَ القيامة.

وإن شخصية محمد ـ ﷺ ـ بما لها من صفاتٍ جامعةٍ وعادات نبيلة عالية فقد بُعث لِيتمم مكارمَ الأخلاق، لذلك تعلق المسلمون بسيرةِ نبيِّهم لما فيها من أسوة حسنة ومثلا أعلى قال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر** ﴾.

ولن نخوض في ذلك المجال أكثر من ذلك لأن أهمية السيرة لها جوانب عدة تحتاج إلى دراسة خاصة واسعة النطاق تتناسب وشخصية ومكانة صاحب السيرة ـ ﷺ ـ

محمد نبي الإسلام:

الشاهدُ على تعاليم الله وهدايته، ومبشر الصالحين بالجنة، ومُنذر الكافرين الغافلين، ومحذّر المذنبين، وداعي الضالين عن الحقِّ والعدلِ، نور ومصباحٌ يُستضاء به في الظلمات للسائرين والقلوب الغافلة. قال تعالى: ﴿ **يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنهِ وسراجاً منيراً** ﴾ إن شواهد القرآن الكريم على الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ كثيرة ولا يغفلُ واحدٌ منها أن يشير إلى مكانةِ محمد ـ ﷺ ـ بينَ الرسلِ يقول

تعالى : ﴿ **تلك الرسلُ فضّلنا بعضَهم على بعضٍ** ﴾ ولأخلاقِ النبي إشارة قرآنية كريمة أيضاً قال تعالى : ﴿ **وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خُلقٍ عظيم** ﴾

ومن خصائله رقةُ القلبِ والرأفةُ والكرمُ قال تعالى : ﴿ **فبما رحمةٍ من اللهِ لنتَ لهم، ولو كنت فَظّاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولِك** ﴾.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حرص النبي ـ ﷺ ـ على نشر الدعوة،وخوفه على قومه،ورأفته عليهم ورحمته بقوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عنتمْ حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم** ﴾

هذه بعض الآيات التي شهدت على مكارم أخلاق النبي وفضله وخصائله.

وهناك أيضاً وجهٌ آخر من غير المسلمين وصلته السيرة النبوية فأبهرته شخصيةُ محمد ـ ﷺ ـ فلم يلتفت إلى التعصب المذموم بل حايد وقال ما يشعر به في مدح النبي ـ ﷺ ـ ومن هؤلاء على سبيل المثال : « الفونس لامارتين » الذي أشار إلى عظمة النبي ـ ﷺ ـ في مقدمة « تاريخ تركيا » ولا يسعني هنا أن أنقل كل ما كتب لكني ألقي الضوء على بعضها قال لامارتين :

« أبداً لم يبدأ إنسان بمثل هذه الوسائل الضعيفة عملاً فوق طاقةِ البشرِ، لأنه لم يجدْ في تصميم هذا المقصود ولا في تنفيذه آلةً غيرَ نفسِهِ الوحيدةِ، ولا أنصارا غير بضعةٍ من البدويين في كنفِ الصحراء ».

« أكان هذا الرجل، خَدَّاعا مُدَّعياً كاذباً ؟ لا نظنه هكذا بعدما درسنا حياته وتاريخه. إن ادعاءَ الكذب هو رياءٌ ونفاق بالنسبة إلى المعتقد

الأصلي، والنفاق ليس فيه قوةُ التأمين وإيحاءُ الطمأنينة للغير، كما لا يوجد في قول الزور قوةٌ لحقٍّ الصداقة ».

« فيلسوف، خطيب، رسول، مُشرِّع، مجاهد، فاتح الأفكار، معيد للمعتقدات المعقولة، ولعبادة ليس فيها أصنام، مؤسس لعشرين دولة دنيوية، ودولة واحدة روحانية ــ هذا ما كان محمد ــ ﷺ ــ

مهما كانت المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسان، من يكون أعظم منه ؟؟؟ »

لعل الطاعنين على الإسلام والمحاربين له من أوربا وغيرها يقتدون برجلٍ مفكر من بينهم، حاول فهم الإسلام وقد أفلح. وإن لم يستطع أن يعبر التعبير الصحيح الذي يُختصر في كلمة واحدة « النبوة ».

نسخ وطبعات السيرة

إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة، يوجد أغلبها في معظم مكاتب أوربا، وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية، أما النسخة الأصلية رواية ابن إسحاق فقد كان « كربسيك **Karabacek** » يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردي الخاصة بالأرشيدوق « رينر **Rainer** » والمحفوظة في مكتبة مدرسة كوبريلي بإستانبول « دفتر ١١٤٠ » ولكن ظهر أنها نسخة من كتاب ابن هشام. ولا يزال كتاب المغازي باقيا حتى اليوم في بطون الكتب مثل ما جاء في كتاب الماوردي « الأحكام السلطانية » وفي الفقرات التي أوردها الطبري في تاريخه.

وأخيراً وَصَلَنا قسمٌ من سيرةِ ابنِ إسحاق بهيكلها الأصليِّ دونَ حذفٍ أو تعديلٍ أو تهذيبٍ كما فعل ابنُ هشام، وتوجد قطعتان من هذا

الكتابِ في مكتبة القرويين من رواية يونسَ بن بكير، وأيضاً توجد قطعة في دمشق من رواية ابن سلمة عن ابن إسحاق، وهذه المخطوطات اعتمد عليها الأستاذ محمد حميد الله في تحقيق سيرة ابن إسحاق.

وقد أكد ذلك أيضاً بحث الأستاذ عبد العزيز الدوري عن السيرة وابن إسحاق، فقد قال : « وصلنا أخيرا قسم من سيرة ابن إسحاق بصورتها الأصلية قبل تهذيب ابن هشام ».

وذكر الاستاذ محمد حميد الله : ان الأصلين الفاسي والدمشقي قديمان : والقطعة الأولى في فاس ناقصة الأول، وكان الناقص هو الورقة الأولى فقط وفي آخره ما نصه :

« آخر الجزء الأول من كتاب المغازي لابن إسحاق يتلوه في الثامن ــ إن شاء الله ــ حديث بَحِيرا الراهب ».

والقطعة الثانية مختلفة من الأول، ولكن تبتدئ بحديث بحيرا. فهي تكمل الأولى. وفيها من الصفحة ٣٩ إلى ٤٤ سماعات بعضها مؤرخة من سنة ٤٥٦ هـ.

وتنتهي القطعة الثانية في حديث **المعراج والإسراء**.

أما القطعة الدمشقية فتبتدئ في أثناءِ قصة غزوة بدر، وتنتهي في أثناء قصة أُحد.

وعلى عنوان المخطوطة : « يتلوه غزوة السويق، غزوة ذي إمَر إلى نجد سنة ثلاث ».

وفي آخر القطعة : « كتبه طاهر بن بركات الخشوعي في شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربع مائة ».

ثم هناك ثبت السماع من الخطيب البغدادي « وذلك بمدينة دمشق من الجامع، في العشر الأُول من ذي الحجة سنة ٤٥٤ هـ ».

وقد طبعت سيرة ابن هشام عدة مرات :

١ ــ طبعة جوتنجن ــ وهي أصحها ــ بألمانيا سنة ١٨٦٠ م : بعناية وستنفيلد المستشرق الألماني في مجلدين، مضبوطة بالشكل اللازم، وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس، وفي صدره ترجمة ابن إسحاق نقلا عن ابن قُتيبة وابن خِلّكان وابن النجار. ونقل عن كتب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعفُري من أهل القرن الثامن للهجرة : ما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن. وغير ذلك من الفوائد الكثيرة.

٢ ــ وطُبعت السيرة أيضاً في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ هـ.

٣ ــ وطُبعت بالمطبعة الخيرية في مصر في ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩ هـ.

٤ ــ طُبعت بليبزج سنة ١٩٠٠ م.

٥ ــ طبعت على هامش كتاب « الروض الأنف » بمطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م.

٦ ــ وهناك طبعة على هامش زاد المعاد في هَدْي خير العباد سنة ١٣٣٣ هـ.

٧ ــ طُبعت في شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده طبعتين : الأولى سنة ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦م، والثانية سنة ١٣٧٥ هـ /١٩٥٥ م. من تحقيق الدكتور مصطفى السقا وزملائه.

٨ ــ طبعت في مطبعة حجازي للمكتبة التجارية في أربعة أجزاء سنة

١٣٥٦ هـ/١٩٣٧ م، من تحقيق الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

غير طبعات أخرى كثيرة لن يسع الوقت للحديث عنها.

وها هي طبعتنا الجديدة والتي امتازت ــ بعون الله ــ وأرجو منه تعالى ألا نكون قد سُبقنا إليها.

فهي فوق الشرح الكامل والتعليقات المفيدة جاءت مقدما لها بمقدمات مفيدة في دراسة هامة عن السيرة ومؤلفيها وأشهر شارحيها مع التحقيقات المهمة والفهارس المستوفاة، فإن كنت قد أحسنت فبفضل من الله ونعمة، وإن كانت الأخرى فبضعفي البشري الذي لا يسلم منه أحد.

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾.

الرواد من كتاب السيرة

إن سيرة النبي ــ ﷺ ــ شغلت الكثير من المسلمين والمؤرخين فأول ما اهتم بها فريق من التابعين فقد كانت تعقد مجالس خاصة يتحدثون فيها عن مغازي رسول الله ــ ﷺ ــ يسألون العلماء والحفاظ من آبائهم أو ممن سمع منهم عنهم، مثلا عن غزوة من الغزوات كيف كانت ؟ ومن شهدها ؟ وكم عدد المشتركين بها ؟... فكان يحدثهم العالم بذلك بطريقة علمية دقيقة لرصد الوقائع وتمييز الصحيح منها.

وهذه الطريقة وهي طريقة الإسناد، قامت بحفظ الحقائق صحيحة لا يدخل عليها تشويه أو افتراء، وربما انفردوا بذلك لعلمهم بأهميةِ سيرة النبيِّ ـ ﷺ ـ فنجدهم تحملوا مسئولية الصدقِ في الرواية واختبار الصحيح منها، عن طريق الجُرحِ والتعديل.

ومن أغراض جمعهم للسيرة أيضاً محاولة تفسير بعض الآيات التي أشارت إلى وقائع غزوات النبي ـ ﷺ ـ

ومن ذلك وذاك وَجد جيل التابعين ومن تلاهم أهميةً كبرى في جمعِ سيرة النبي فأخذوا يجمعون روايات وأقوالَ وأفعالَ النبيِّ ـ ﷺ ـ حتى شملت سيرته وحياته.

وأول من روى سيرة النبي جماعة من التابعين هم :

١ ـ أبان بن عثمان :

هو أبان ابن الخليفة عثمان، وُلد قبل سنة ٢٠ هجرية لا بعدها، لأنه كان في عام ٣٦ من الهجرة قد بلغ من العمر ما مكنه من الاشتراك في خروج عائشة وطلحة والزبير للطلب بثأر عثمان الذي [تُوفي سنة ٣٥ هجرية]. عيَّنه الخليفة عبد الملك والياً على المدينة عام ٧٥ هـ.

واستمر أبان في ولايته عليها سبع سنوات، حتى عام ٨٣ هـ، وفي أثناء ولايته كان الخليفةُ يعهد إليه كل عام بإمارة الحج. ولما لم يأت إليه أمر الخليفة في عام ٨١ هـ بسبب انشغاله بالحرب، تطلع والي مكة للتشرف بإمارة الحج، إلا أن أبان تمسك بأولويته بالإمارة، لنسبه وقرابته.

وقد اختلفت الروايات في تاريخ وفاته، فذكر البخاري أنه تُوفي في عهد الوليد [٨٦ ـ ٩٦ هـ]، وذكر ابن سعد أن وفاته في أيام يزيد الثاني [١٠١ ـ ١٠٥ هـ].

وتذهب بعضُ الروايات أن وفاتَه نهاية عهد يزيد الثاني [١٠٥ هـ].

وكان أبان من فقهاء المدينة، فيروى أنه كان يحفظ فتاوى أبيه، وبعض الروايات تنفي سماعه الأحاديث عن أبيه.

أخذ عنه الحديث أبو الزناد والزُّهْرِيُّ وابنه عبد الرحمن، ورغم شهرته في كتب الأحاديث، إلا أن ابن إسحاق والواقدي وابن سعد لم يذكروه.

روى عنه أيضاً المغازي : المغيرةُ بنُ عبد الرحمن. وقد ذكر ابن سعد في ذلك الموضع : « كان ثقةً قليلَ الحديث، إلا مغازي رسول الله ــ ﷺ ــ أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيرا ما تُقرأ عليه، ويأمرنا بتعلمها ».

٢ ــ عروة بن الزبير

أحدُ الأشرافِ السابقين إلى الإسلام، كان العوّام جد عروة أخاً لخديجة، وكان أبوه الزبير من السابقين الأولين إلى الإسلام، وأخوه عبد الله هو قائد أبناء المهاجرين والأنصار الذين لم يرضوا خلافة يزيد، وحكم في مكة من عام ٦٤ ــ ٧٣ هـ. وعبد الله يكبر أخاه عُروة بكثير من السنين، حتى نجده يتلقى خبرَ أخيه الأصغر عندما رجع عام ٢٦ هـ إلى المدينة، ولصغر سنه لم يُسمح له بالاشتراك في معركة الجمل [سنة ٣٦ هـ] التي مات أبوه بها.

كان عروةُ يجتمع كلَّ ليلةٍ في نظامٍ ببعض أصدقائه في مسجد المدينة في الأعوام الأخيرة من عهد معاوية [٤١ ــ ٦٠ هـ]، وأصبح فيما بعد موضعَ ثقةِ الخليفةِ عبد الملك، وعن تلك الاجتماعاتِ يروي لنا ابنُ خِلكان رواية تحكي عن زهده في الدنيا فقال : « إن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان، وعبد الله بن الزبير، وأخويه مصعب

وعروة المذكور، أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان. فقال بعضهم : هلمّ فلنَتَمَنَّه. فقال عبد الله بن الزبير : أمنيتي أن أملكَ الحرمين وأنال الخلافةَ : وقال مصعبُ : أمنيتي أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قُرَيْش : سُكَيْنة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة. وقال عبدُ الملك ابن مروان : أمنيتي أن أملك الأرض كلَّها، وأخلف معاوية. فقال عروة : لستُ في شيء مما أنتم فيه، أُمْنيتي الزّهدُ في الدنيا، والفوزُ بالجنةِ في الآخرة، وأن أكونَ ممن يُروى عنه العلم. قال : فصرف الدهر من صرفه، إلى أن بلغَ كلُّ واحد منهم إلى أمله، وكان عبد الملك لذلك يقول : « من سَرَّهُ أن ينظر إلى رجلٍ من أهلِ الجنةِ، فلينظر إلى عُرْوَةَ بنِ الزُّبير ».

وقد ترك عروةُ المدينةَ ورحل إلى مصرَ وأقَام بها سبعَ سنين، ذكر البلَاذُرِي عن عروة قوله : « أقمت بمصر سبع سنين، وتزوجت بها، فرأيت أهلَها مجاهيدَ، قد حُمل عليهم فوقَ طاقتهم ؛ وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد، وشيء مفروض عليهم ».

وقد حكت لنا الروايات خبر قطع رجل عُروة وموت ابنه محمد، منها رواية هشام بن عروة قال : « ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شكت رجله، فقيل له : اقطعها. قال : إني لأكره أن أقطع مني طابقاً. فارتفست إلى الركبة، فقيل له : إنها إن وقعت في الركبة قتلتك. فقُطعت ولم يُقبض وجهه. وقيل له قبل أن يقطعها : نُسقيك دواءً لا تجد معه ألماً، فقال : ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها...

وسقط محمد بن عروة بن الزبير، وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية، من سطح في إصطبل دواب الوليد بن عبد الملك، فضربته بقوائمها حتى قتلته، فأتى عروة رجل يعزيه فقال عُروة : إن كنت تعزيني برجلي

فقد احتسبتها. فقال : بل أعزيك بمحمد. قال : وما له ؟ فخبَّره بشأنه، فقال :

وكنتُ إذا الأيامُ أحدثن هالكاً أقول شوى، ما لم يُصبن حميمي

اللهم، أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت، وإن كنت ابتليتَ لقد عافيت.

ورواية أخرى في نفس الموضوع تقول : « إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك، وقد قُطعت رجله، فقال عروة لبعض بنيه : اكشف عن رجلي ينظر إليها. فقال له عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أبا عبد الله، ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك : رأيك وعلمَك. فقال عروةُ : ما عزاني أحد عن رجلي مثلك ».

وليس لدينا خبر يقيني عن سنة وفاة عُروة ؛ ولكن تؤكد روايات الثقات أنه توفي سنة ٩٤ هـ.

وكان عروة أحد فقهاء المدينة السبعة، وكما نعرف أن مقامه بالمدينة تلك الإقامة مكنته من جمع أخبار عن الأيام الأولى من الإسلام، عرفها من أبيه وأمه ومن عائشة أكثر من غيرها، وكان لا يقطع زيارتها وسؤالها، وكان يشتهر بمعرفته للحديث.

ونجده بجوار تدريسه إلى تلاميذه، يدون المعلومات عن حوادث الصدر الأول من الإسلام وقد وصلتنا عن طريق كتب ابن إسحاق والواقدي والطبري. وهي عبارةٌ عن رسائل إلى الخليفة عبد الملك كما ظن « هوروفتس » وبعضها يخاطب بها ابن أبي هُنيْدة، الذي عاش في كنف الخليفة الوليد، وما دوَّنه عروة يعتبر أقدم المدوَّنات التي حكت لنا

حوادث النبيِّ الخاصة بحياته، وأيضاً يرجع أهميتها من كونها أقدم نثر تاريخي عربي، رغم عدم عثورنا على أي كتاب مؤلَّف له في المغازي، إلا أنه كان له فضل كبير في جمع وإخراج أهم الأحاديث عن المغازي والسِّير، وكان عروةُ شغوفاً بالحديث، ويخبرنا ابنه هشام : أن عروة لم يقلْ في شيء قط برأيه، وإنما كان يعَوِّل على الحديث وكان أيضاً مُحبّاً للشعرِ، يقول هوروفتس : « إن عروة أدخل أشعار المشركين في الحوادث، حتى في الأحاديث الخاصة بسيرة النبيِّ ـ ﷺ ـ التي رواها لتلاميذه كما فعل ابن إسحاق فيما بعد ».

٣ ـ شُرَحْبيل بن سعد

هو شُرَحبيل بن سعد، مولى بني خطمة المدنيين، ويقال إنه عرف عليًّا [المتوفَّى سنة ٤٠ هـ] ويقال إنه مات عام ١٢٣ هـ وقد نيف على المائة، وأخذ الحديث عن زيد بن ثابت، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، ولم يقف ابن إسحاق على روايته، وحين سُئل عنه : « وأَحدٌ يُحدث عن شرحبيل ؟! » ورغم ذلك ذكره ابن حبان في الثقات، ولا يروي عنه بجانب ابن إسحاق الواقدي، ونجد ابن سعد يأخذ عنه خبرا عن هجرة النبي من قباء إلى المدينة، ولا يذكر شُرحبيل في هذا الخبر أيَّ إسناد.

٤ ـ وَهبُ بنُ مُنبه

كان وهب بن منبه من أصلٍ فارسيٍّ، من إحدى الأسرات الفارسية التي استقرت في جنوب بلادِ العربِ في الجاهلية، ويُلقَّب جدُّه الأكبر بالإسوار، ويذكر الواقدي أنه اعتنق الإسلام سنة ١٠ هـ وهذا خطأ لأن

وهباً وُلد بعد الهجرة وليس قبلها، والأصح أنه وُلد مسلماً، وربما يقصد الواقديُّ إسلامَ أبيه لأن وهباً وُلد عام ٣٤ هـ.

وكان وهب يعيش عيشةً زاهدةً ؛ فيقال « لبث وهب بن منبه عشرين سنة ولم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً... ولبث أربعين سنة لم يرقد على فراش ».

ويُعرف وهب في المصادر بأنه ثقة، ويقال إنه رَوَى عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة وغيرهم ؛ ولكن لم يقبل الرواة على الأخذ عنه إلا في النادر، وربما يرجع ذلك لأنه كان يعنى عنايةً خاصة بأحاديث أهلِ الكتاب، وأنه كان يعرف ما تحويه كتب اليهود والمسيحيين المقدَّسة، عن طريق صلاته باليمنيين من أهل الكتاب ويُعتبر وهبٌ من الثقاتِ المعتمدين في قصص الأنبياء خاصة. ولكنه تطرق إلى تاريخ العُباد، أي الأولياء.

إن كتابات وهب تعتبر مدخلاً إلى سيرة النبي حيث إنها ترتبط بالرسالات السماوية قبل نبينا محمدٍ ـــ ﷺ ـــ وكان وهبٌ من آخر جيلِ التابعين حيث بدأ جيل تابعي التابعين وهو جيل شيوخ ابن إسحاق، من بينهم عبدالله بن أبي بكر بن محمد، وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن مسلم الزهري.

٥ ـــ عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن حزم

هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد، وُلد بالمدينة، كان أبوه أبو بكر قاضياً في المدينةِ من عام ٨٦ هـ وكان عالماً بالفقْهِ : قال ابنُ وهبٍ عن مالكٍ : « لم يكن أحدٌ بالمدينة عنده من علمِ القضاءِ ما كان عندَ أبي بكرِ بنِ حَزْمٍ » وكان قد أخذ الفقه عن أبان بن عثمان، وتقلد ولاية المدينة وتوفي عام ١٢٠ هـ تقريباً.

وقد تنصب ابنه محمد للقضاء في المدينة مثل أبيه.

هكذا نشأ عبد الله بين أسرة رفيعَة المقام والعلم، ولكنه لا يميل إلى المناصب خاصة وقد كان أبوه حيا. وقد ذكر ابن حجر عن مالك أخبرني ابن عنزابة قال : قال لي ابن شهاب : من بالمدينة ؟ فقال ابن شهاب : ما ثَمَّ مثل عبد الله بن أبي بكر، ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه وهو حي.

وكان عبد الله يأذن لابن إسحاق أن يسمع من عمرة زوجته، وكان عبد الله لا يفصح لابن إسحاق على بعض الأمور التي ربما قد تسيء إلى بعض الصحابةِ، فلم يذكر له مثلا أسماء المدنيين اللَّذَيْن خالفا أوامر النبي أثناء نزول عسكره بجوار الحجر (حِجر ثمود).

قال ابن إسحاق في ذلك : « حدثني عبد الله بن أبي بكر أن قد قد سمى له العباس الرجلين، ولكنه استودعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسميهما لي ».

ويعتبر عبد الله هذا هو أول من استعمل الترتيبَ السنويَّ، لذلك نجده يجمع الغزوات مرتبة حسب السنوات، وقد اقتبسها ابن إسحاق في السيرة، وقد نقل عنه أيضاً الرسالة التي كتبها النبيُّ إلى ملوك حِمْير، والوثيقةَ التي أعطاها النبيُّ جدَّه الأكبر عمرو بن حزم ليأخذها معه إلى أهل نجران، حيث كان يفقههم في الدين.

وكان عبد الله مثل من سبقه يذكر الأشعار بين الحوادث.

وتوفي عبد الله ما بين ١٣٠ أو ١٣٥ هـ، فقد اختلفت الروايات منهم من قال سنة ١٣٠ هـ، ومنهم من قال ١٣٥ هـ ولكنه توفي وهو ابن سبعين سنة.

٦ ـ عاصم بن عمر بن قتادة

كان عاصم بن عمر بن قتادة من المدينة أيضاً، وكانت أسرتهُ من السابقين إلى الإسلام. وجَدُّه قتادةُ أحدُ الأنصار الذين حاربوا في بدرٍ مع النبيِّ ـ ﷺ ـ وهو أيضاً حاملُ لواءِ قبيلته في حُنين.

وكان عاصم من أهل العلم بالمغازي، ذكر ابن سعد قدومَ عاصم إلى دمشق فقال: « وفد على عُمر بن عبد العزيز فقضى دينَه، وأمره أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناسَ بالمغازي ومناقب الصحابة؛ ففعل، ثم رجع الى المدينة »

وعاصم بن عمر من بين الثقاتِ في رواية الحديث، وقد روى عنه ابن إسحاق والواقدي: المغازي، وكان أيضاً يجمع أخبار شباب النبي ـ ﷺ ـ في مكة.

وهو دائمُ التصريحِ بالإسنادِ، وأيضاً يُدخل الشعرَ بينَ الأحداث، وكان كثيراً ما يحلل تلك الحوادث بالرأي الخاص به. وتُوفي رحمهُ اللهُ حوالي عام ١١٩ هـ.

٧ ـ الزُّهْرِيُّ = محمد بن مسلم

هو محمدُ بن مسلم بن عبيد الله، بن عبد الله بن شهاب، يُكنى أبا بكر، من بني زُهرة بمكة، وقد اختلفت الرواياتُ في مولده بين سنة ٥٠ أو ٥١ هجرية وقيل سنة ٥٦ أو ٥٧ أو ٥٨.

كان الزهري وثيق الصلة بعبد الملك وكان يفتي في أيام عمرَ بنِ عبدِ العزيز في بعض المسائِل الفقهية.

اشتهر الزهريُّ بالكرم، قال عنه قُرة بن عبد الرحمن: « ما رأيت أحداً، الدينارُ والدرهمُ أهونُ عليه منه، كأنها عنده بمنزلة البعْرِ ».

وكان الزهري يحضر مجالس هشام بن عبد الملك، ذكر ابنُ خلكان : « وحضر الزهريُّ يوما مجلس هشام بن عبد الملك، وعنده أبو الزناد وعبدُ الله بن ذكوان، فقال له هشام : أي شهر كان يخرج العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهري : لا أدري. فسأل أبا الزناد، فقال : في المحرم. فقال هشامٌ للزهريِّ : يا أبا بكر، هذا علم استفدته اليومَ. فقال : مجلس أمير المؤمنين أهلٌ أن يُستفاد منه العلمُ ». وقد درس الزهري بالمدينة ثم رحل بهذا العلم إلى عاصمة الخلافة حتى أنه سُمي « بفقيه القصر العلامة » لاقترابه من الخليفة.

وقد درس بالمدينة أنساب قومه على يد عبيد الله بن ثعلبة، وبعدها اتصل بسعيد بن المسيَّب، وكان وقتها هو المستفتي والغالب على علم المدينة وله قدرٌ كبير عند الناس.

وذكر الذهبيُّ : « وكنا نجالس ابن المسيَّب لا نسأله حتى يأتي إنسانٌ فيسأله، فيهيجه ذلك، فيحدث، أو يبتدئ هو فيحدث »

ومن شيوخ الزهري كما قيل عن معمر قال سمعت الزهريَّ يقول : أدركت من قريش أربعةَ بحورٍ : سعيدَ بنَ المسيب، وعروَةَ بن الزبير، وأبا سلمة بنَ عبد الرحمن، وعبيدَ الله بن عبد الله بن عُتبة ».

يقول عنه عراك بن مالك : إنه أعلم أهل المدينة، لأنه جمع علمَ عروةَ وسعيد وعبيد الله، ولكنه عاب عليه صلته الوثيقة بالخلفاء الأمويين. يقول مكحول : « أي رجل الزهري، لولا أنه أفسد نفسه بصحبةِ الملوك » وكان يفخر لتلاميذه بعلمه فيقول : « ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري، ولا بذله بذلي ».

وكان واسع المعرفة حتى اشتهر بها، يقول الليث : « ما رأيت عالماً

قطّ أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه، لو سمعته يحدث في الترغيب لقلت : لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن الأنساب لقلت : لا يعرف إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعاً جامعاً ».

وكانت ذاكرته قوية كثير الحفظ والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما رواه صالح بن كيسان : « كنت أطلب العلم أنا والزهريُّ فقال : تعالَ نكتب السنينَ. قال : فكتبنا ما جاء عن النبيِّ ــ ﷺ. ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة. قال : فكتب ولم أكتب، فأنجح وضُيِّعْتُ ».

وكانت مكتبة الأمويين بدمشق تحمل الكثير من المجلدات التي أوضع فيها الزهريُّ ما جمعه من العلوم، وعن ذلك ذكر لنا ابنُ سعد رواية عن معمر تلميذ الزهري قال : « كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهريِّ حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه، يقول ــ معمر ــ : من علم الزهري »

ولم يصل إلينا كتاب مستقل من مؤلفاته، ولكن جمعت بعض مادته عن طريق كتب السيرة وتاريخ الإسلام، واعتمد الزهري في ذلك على مقتبسات ابن سعد وخاصة في المادة التي تحوي تاريخ حياة النبي ﷺ الشاملة.

ووفاة الزهري فيها خلاف أيضاً ذكر الذهبي : « قال ضميرة بن ربيعة وغيره : مات سنة ثلاث وعشرين (أي ومائة)، وهذا وهم، وقال إبراهيم بن سعد وطائفة : سنة أربع وعشرين. وقال الزبير بن بكار وغيره : سنة أربع (أي وعشرين ومائة) في سابع عشر رمضان. وشذ ابن يونس الصدفي فقال : في رمضان سنة خمس وعشرين ومائة، والصحيح سنة أربع.

ولقد مات الزهري ولم يمت علمه فقد تتلمذ على علمه ثلاثة ألفوا

في المغازي، ويُعد هؤلاء الثلاثة قاعدةً راسخة في تأليف السير، وجميعهم من الموالي وهم : موسى بن عقبة، ومَعْمر بن راشد، ومحمد ابن إسحاق.

وسوف نترجم باختصار لكل من موسى ومعمر هنا ونترك ابن إسحاق في مجال خاص به باعتباره صاحب هذا الكتاب الأصلي.

٨ ــ مُوسَى بن عُقْبة

هو موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى بني الزبير بن العوام، وبالأخص مولى زوج الزبير أم خالد، كما ذكر ابن حجر والذهبي. وكانت أسرته من موالي آل الزبير. ولا يُعرف له تاريخ ميلاد، ولكنه رأى بعضَ الصحابة، قال في ذلك : « حججت وابن عمر بمكة، عام حج نجدة الحروريُّ[١] » وكان ذلك عام ٦٨ هـ، لذلك رجَّح هوروفتس أنه وُلد قبل عام ٥٥ هـ.

وموسى بن عقبة أحد رواد المغازي والعالمين بها، قال مالك بن أنس : « عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة ». وكتاب موسى لم يصل إلينا ولا نعرف شيئاً عنه، سوى أنه لم يقتصر على المغازي بالمعنى الخاص، بل حوى الهجرة أيضاً. وكان موسى يروي عن الزهريِّ كثيراً. قال حكم بن معين : « كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب »

وكتاب موسى بن عقبة يُعد من أهمِّ كتبِ السيرةِ لما له من صفةِ علمِ التاريخ. قال هورفتس في استنتاجاته : « إن كتاب موسى كان يحتوي على قوائم المهاجرين إلى الحبشَة، والمشتركين في بيعتي العقبة،

---

(١) أحد قواد الخوارج.

وأهم من كلِّ ذلك، المحاربين في بدر ؛ قوائم مثل التي أعدها شُرَحْبيل ابنُ سعد. قال مالك في ذلك : « من كان في كتاب موسى قد شهد بدرا فقد شهدها، ومن لم يكن فيه لم يشهدها ».

وكتابات موسى تُعدُّ من أَهمِّ الكتابات حتى اقتبس منها ابن سعد عن طريق الواقدي، وأخذ عنه أيضاً الطبريُّ، واعتنى موسى بتاريخ ما قبل الإسلام واتبع طريقة السنين في تأريخ الوقائع.

ومن مميزات مؤلِفه نظامُ الإسناد فقد اعتنى به عنايةً خاصة. وتُوفي موسى بن عقبة حوالي سنة ١٤١ هـ.

٩ ــ معمر بن راشد

هو معمر بن راشد مولى بني حُرَّان من قبيلة الأزد، المولود في البَصْرة حوالي عام ٩٦ هـ درس في البصرةِ منذ شبابِه على قتادة بن دعامة [المتوفي عام ١١٤ هـ]، وكان كثير التجوالِ في البلاد طلباً للعلمِ، وقد تزوج من أهلِ اليمن، فعاش هناك في صنعاءَ، ويرتحلُ إلى البصرةِ في بعضِ الأوقات.

وكان مَعْمر بنُ راشد من علماءِ الحديث، قال ابن جُريج عنه : « عليكم بهذا الرجل، فإنه لم يبق أحد من أهل زمانه أعلم منه ». روى عنه الواقديُّ وعبدُ الرزَّاق بن همام تلميذه الذي نقل عنه ابن سعد. ويذكر لنا الفهرست عن مصنفاته : « كتاب المغازي ».

وتُوفي رحمه الله باليمن عام ١٥٤ هـ، وقد بلغ من العمر الثامنةَ والخمسين.

جيل الواقدي وما بعد ابن إسحاق

بقي لنا أن نقف عند جيل كان بمثابة حلقة وصل، فقد حفظوا لنا روايات المعلمين الأوائل وعاصروا ابن إسحاق، ومن هذا الجيل أبو معشر السِّنْدي، ومحمد بن عُمر الواقديُّ، ومحمدُ بنُ سعد، ولا ننكر هنا أهمية كل منهم، ولكننا نترجم هنا باختصارٍ للواقديِّ باعتبار أهمية كتاباته في السيرة.

١٠ ـ الواقدي

هو محمدُ بنُ عمر الواقديُّ يُلقبُ بالواقدي لأن جدَّه كان يُسمى واقداً، وقد لُقب أيضاً الأسلميَّ لأنه كان من موالي عبد الله بن بُرَيْدة من بني أسلم ويكنى أبا عبد الله.

وُلد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ كما قال تلميذه ابن سعد. ودرس وسمع الواقديُّ الحديثَ على علماءٍ أجلاءٍ في المدينةِ. وكان له صلة مع العباسيين حين ذهب إلى بغدادَ سنة ١٨٠ هـ أيام الخليفة هارون الرشيد، وقد ذكر ابن سعد نماذج لهذه الصلات رواها الواقديُّ، وقيل : إن هارون الرشيد عين الواقديَّ قاضياً على الجانب الشرقي من بغداد، وهذه الرواية لا نعرف راويها، وخبر آخر يقول : إنه كان قاضيا في عام ١٨٧ هـ في عهد هارون الرشيد، وروايات أخرى تذكر أن المأمون عينه قاضي عسكر المهدي.

ويروي الفهرستُ أن الواقديَّ كان محباً للمعرفةِ لذلك نجده ينقلُ كلَّ ما وقع عليه من الكتبِ، ويُحكى عنه أنه اشترى كتاباً بألفيْ دينار، وكان له مؤلفاتٌ كثيرة ذكرها صاحب الفهرست وهي ٢٨ كتاباً، وكذلك ذكرها ياقوت تقريباً.

ومؤلفاتُ الواقديِّ تناولت الفقه، والقرآن، والحديث وأيضاً كتبَ التاريخ.

ويهمنا هنا، أن نشير إلى كتابه « التاريخ والمغازي والبعث » وكتاب « التاريخ الكبير »، و« أخبار مكة » و« أزواج النبي ﷺ » و« وفاة النبيِّ ﷺ » و« السقيفة وبيعة أبي بكر » و« سيرة أبي بكر ووفاته » و« الردة والدار » و« السيرة »... الخ.

ونجد هنا أنه اعتنى بتفصيل الأحداثِ وخاصة في التاريخ الإسلامي وسيرة الصحابة. بخلاف الاختصاص بالمغازي والسير.

وقد حفظت لنا كتبُ المؤرخين روايات متناثرة من مؤلفات الواقدي، والكلام عن كتب ومؤلفات الواقدي قد يحتاج إلى متسع من الفصول والشرح. ولكن نرجع لأهم تلك الكتب وهو كتاب موضوعنا « كتاب المغازي » وهو الوحيد بين كتب الواقديِّ الذي وصلنا كاملاً، وقد نشر الفريد فون كريمر Alfred Von Kremer الثلث الأول منه في « المكتبة الهندية » وكانت مخطوطته غير كاملة، والمخطوطة الكاملة لهذا الكتاب في المتحف البريطاني. وقد ذكر لنا الواقديُّ في بداية « كتاب المغازي » قائمة بمن أكثر عنهم الرواية، وعددهم خمسة وعشرون اسماً، جميعهم من أهل المدينة أو سكنوا بها.

وكان الواقديُّ كما ذكر الطبريُّ يكنُّ كلَّ التقدير لابن إسحاق يقول: « وكان من أهلِ العلم بالمغازي وبأيامِ العربِ وأخبارهم وأنسابِهم، راويةً لأشعارِهم، وكثيرَ الحديث، غزيرَ العلمِ، طلابة له، مقدماً في العلم بكلِّ ذلك ثقة »

ولا يراودنا الشكُّ في أن الواقديَّ قد اقتبس من كتاب ابنِ إسحاق الكثير، وأكثر من أي شخص آخر ورغم ذلك لم يذكر اسمه في القائمة التي ذكرها.

وكتاب الواقدي « كتاب المغازي » أشمل من كتاب ابن إسحاق في الفترة المدنية ويعتبر هذا الكتاب حديثياً فقهياً وليس تاريخياً، لأن ذكر الحديث فيه غالب على الرواية التاريخية.

وذكر هوروفتس : والواقديُّ يمتاز عمن سبقه في تحديد تواريخ الحوادث، وليس تاريخُه مجردَ تكرارٍ لحقائق معروفةٍ من قبل، إنما ثمرة بحثٍ مستقلٍّ. أضف الى ذلك أن الواقديَّ دوَّن ملاحظاتِه الخاصةَ على أصولِ الأحاديثِ.

وكان لا يعلم كثيراً عن فترة ما قبل الإسلام، قال إبراهيمُ الحربيُّ في ذلك : « كان الواقديُّ أعلمَ الناسِ بأمرِ الإسلامِ، وأما الجاهليةُ فلم يعلمْ منها شيئاً ».

عاش الواقديُّ ٧٨ عاما، وتُوفي في خلافة المأمون بعد أن عهد إليه (الواقدي) في تنفيذ وصيته في أواخر سنة ٢٠٧ هـ ودُفن في مقابر الخيزران أم هارون الرشيد، وبعده كان تلميذه ابن سعد.

* * *

وإذا نسينا فلن ننسى هذا العَلم الفرد والنجم الوقاد، أستاذ شارحي السيرة الذي فذ من سبقوه، ولم يلحق به من جاء بعده، ألا وهو عبد الرحمن السهيلي.

١١ ــ السُّهَيْلي ــ أحد شراح السيرة[١]

هو أبو القاسم وأبو زيد، عبدُ الرحمن بنُ الخطيب، أبو محمد بن

---

(١) وقد قمنا بترجمته هذه عرفانا منا بيده البيضاء التي لا تنكر على سيرة ابن هشام، فقد شرحها في أربعة أجزاء كبيرة شرحاً يفوق الوصف، في كتابه (الروض الأنف) انظره من تحقيقنا.

عبد الله بن الخطيب، أبو عُمر أحمد بن أبي الحسن، أصْبَغ بن حُسين، ابن سعدون، بن رضوان، بن فتُّوح وهو الداخل إلى الأندلس.

قال الحافظُ أبو الخطاب بن دِحْية : هكذا أُملَيَ عليَّ نسبته ــ الخثعمي السُّهيلي الإمام المشهور. وزاد القفطي : في « إنباه الرواة ». الأندلسيّ، النحويّ اللغوي الإخباري.

وذكره الزركلي في الأعلام قال : عبد الرحمن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي.

والخثعمي نسبة إلى خثعم بن أنمار، وهي قبيلة كبيرة وهو رأي مختلف فيه.

والسهيلي نسبة إلى سُهَيْل وهي قرية بالقرب من مالقة « مدينة كبيرة بالأندلس » سميت باسم الكوكب « سُهيل » لأنه لا يُرى في جميع بلاد الأندلس إلا من جبلٍ مطلٍّ عليها.

ومما يعرف عن السهيلي أنه كان مالكي المذهب مثله مثل أغلبية أهل المغرب.

مولده ونشأته :

وُلد عبد الرحمن السهيلي كما تشير المراجع سنة ٥٠٨ هـ الموافقة لسنة ١١١٤م، وفي إحدى قرى سُهيل بمراكش نشأ السهيلي يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف، وطلب العلمَ واستحسنه، ونهل منه الكثيرَ في شتى مجالاتِه وكُف بصرُه وعمره سبعة عشرَ عاماً، ولم يكن ذلك بعائقٍ، فقد زاد في نهله للعلم والمعارِف، حتى أصبحت له مكانةٌ عاليةٌ،

يسعى إليه الناسُ في طلبِ العلم، فذاع صيتُه بصاحب مراكش[1] فطلبه — حوالي سنة ٧٨ هـ — إليها وأكرمه وأحسن إليه وأقبل بوجهِه غايةَ الإقبالِ عليه، وولاة قضاءَ الجماعةِ، وحَسُنت سيرته فأقام بمراكش نحوَ ثلاثةِ أعوامٍ يُصنف كتبه إلا أن تُوفي بها.

السُّهَيْلي والعلم :

وهو مشهور في علمِ النحوِ وفنونِ الأدبِ، وحافظٌ عالمٌ باللغةِ والسِّير، وأشعارُه كثيرةٌ وتصانيفُه ممتعةٌ. ونتناول هنا بعضاً من أشعاره التي تظهر بها بلاغته وعلمه في اللغة والأدب دليلا على شاعرية السهيليِّ. قال ابن دحية : أنشدني السُّهيلي وقال : إنه ما سأل الله تعالى « بهذه الأبيات » حاجةً إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادَها « وهي من بحر الكامل » ومطلعُها :

يا من يَرى ما في الضميرِ ويَسمعُ	أنتَ المُعَدُّ لكلِّ ما يُتَوَقَّعُ
يا مَن يُرَجَّى للشَّدائِد كلِّها	يا مَن إليه المُشْتَكى والمَفْزَعُ
يا من خزائنُ رزقِه في قولِ كُنْ	امننْ فإنَّ الخيرَ عندَك أجمَعُ
ما لي سوى قرعي لبابِك حيلةٌ	فلئن رُدِدْتُ فأي بابٍ أقْرعُ
ومن الذي أدعو وأهتف باسمِه	إن كان فضلُك عن فقيرِكَ يُمنع؟!
حاشا لمجدِك أن تُقنِّطَ عاصياً	الفضلُ أجذلُ والمواهبُ أوْسَعُ
ثم الصلاة على النبيِّ وآلِه	خيرِ الأنامِ، ومن به يُستشْفَعُ

ويقول الصفدي في كتابه « نَكت الهيمان في نُكت العميان »، ومن شعره « السهيلي » يرثي بلده، وكان الفرنج قد ضربته وقتلت رجالَه ونساءَه. وقتلوا أهلَه وأقاربه وكان غائباً عنهم، فاستأجر من أركبه دابةً،

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد الله الذي تولى إمرة الموحِّدين في المغرب سنة ٥٥٨ هـ.

وأتى به إليه، فوقف إزاءَه وقال :

يا دارُ أيــن البــيضُ والآرامُ ... أم أين جيرانٌ علــيَّ كرام!
رابَ المحب من المنازل أنه ... حيًّا، فلم يرجعْ إليه سلامُ!
أخْرَسْنَ أم بَعُدَ المدَى، فنسِينه ... أم غالَ من كان المجيب حِمَامُ!
دمعي شهيدي أنني لم أنْسَهُـمْ ... إن السُّلُوَّ على المحبِّ حرامُ
لما أجابني الصَّدى عنهم، ولم ... يلج المسامِعَ للحبــيب كلامُ
طارحتُ وُرْقَ حَمامِها مُترنِّماً ... بمقالِ صَبٍّ، والدموعُ سجامُ
يا دارُ ما صنعتْ بك الأيامُ ... ضامــتْك والأيــامُ ليس تُضامُ

وله أشعار[1] كثيرة أخرى، وإن دلت فإنها تدل على علم وفير وإحساس مُرهَف وعقلية متأمِّلة لها مذاقُها الخاص.

كتب ومؤلفات السهيلي :

السهيلي صاحب كتاب « الروض الأُنف » أشهر كتاب في شرح سيرة رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو كتاب شامل بمناحٍ مختلفة من اللغة والأدب والنحو والأخبار التاريخية وأنساب وعلم القراءات ومن فقه وتفسير وحديث... الخ « ويعتبر بحق موسوعة في السيرة النبوية » ؛ قال الصفدي عنه في (نكت الهميان في نكت العميان) : « وهو كتاب جليل جَوَّد فيه ما شاء، وذكر في أوّله أنه استخرجه من نَيِّفٍ وعشرين ومائة ديوان سوى ما أنتجه من صدره ونفحه من فكره... » وقد ألف السهيلي هذا الكتاب قبل رحيله إلى مراكش، إذ كان بدء إملائه[2]

(١) إن هذه الأشعار السابقة قد تجدها مخالفة لبعض المصادر فآرجع إلى ما ذكره ابن العماد، والصفدي « في نكت الهميان » والمقري في « نفح الطيب »..

(٢) قال في مقدمة كتابه « إملائي » لأنه كان كفيف البصر. وإن كان الكثير من المبصرين كانوا يملون أيضا لأسباب ليس هنا موضع ذكرها.

« الروض الأنف » في شهر المحرم عام ٥٦٩ هـ، وكان الفراغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام.

وللسهيلي غير هذا الكتاب كتب كثيرة منها :

١ ــ التعريف والإعلام فيما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام.
٢ ــ نتائج الفكر أو « نتائج النظر »
٣ ــ الإيضاح والتبيين لما أُبهم من تفسير القرآن الكريم.
٤ ــ مسألة رؤية الله عز وجل في المنام، ورؤية النبي ــ ﷺ ــ
٥ ــ مسألة السر في عَوَر الدجال.
٦ ــ شرح آية الوصية « من الفرائض »
٧ ــ شرح الجُمل ــ ولم يتم ــ

ومسائل غير هذه كثيرة مفيدة لم يصرح لنا المترجمون بأسمائها ولكن يكفينا في معرفة سعة علمه ما بين أيدينا من كتابه « الروض الأنف ». (انظره من تحقيقنا)

السهيلي وأئمة عصره :

روى السهيلي عن أئمة عصره وكبار رجالات العلم بالأندلس منهم أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وعن أبي مروان عبد الملك بن سعيد بن بونة القرشيّ العبدري، وأبي بكر محمد بن طاهر الإشبيليّ، وسمع أبا عبدِ الله بن مَعْمر.

وأخذ القراءات عن جماعة منهم : أبو داود سليمان بن يحيى بن سعيد، وبعضها عن أبي علي الفراوي، وممن أخذ منه اللغة والأدب ابن الطَّراوة، وقد ناظره في كتاب سيبويه.

وفاته :

قال ابن خلكان : « وتوفي بحضرةِ مراكش يومَ الخميس، ودُفن وقتَ الظهر، وهو يوم السادس والعشريـن من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة »

وأيد ذلك صاحب النجوم الزاهرة.

وقال صاحب الديباج المذهب: « وتوفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وكان ــ رحمه الله ــ مكفوفاً، وعاش اثنتين وسبعين سنة »

وقد ذكره أيضاً بما سبق ابن العماد الحنبلي صاحب كتاب « شذرات الذهب » وهنا نجد إجماعاً من أصحاب التراجم على سنة وفاته ــ رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته ونفعنا بعلمهم، وحشرنا في زمرة العلماء العاملين المخلصين الذين لا يطلبون بعلمهم مماراة السفهاء، أو مجادلة الجهلة البلهاء.

ترجمة المؤلِّفيْن : ابن إسحاق وابن هشام

أولا : الإمام ابن إسحاق كاتب السيرة

نسبه ونشأته :

محمدُ بنُ إسحاق بنِ يسار بنِ خيار، وقيل : ابن يسار بن كوتان المدني ــ وقيل كونان، وأيضاً كوثان

واختلف العلماءُ في كُنيته، فقال الإمام البخاريُّ[1] : إن ابنَ إسحاق كنيته : أبو بكر، وقال ابن سعد[2] : يكنى أبا عبد الله. وهذا الخلافُ أورده الخطيبُ البغداديُّ[3] ولكنه لم يحسم الأمر ويقف على كنية منهما.

فاقت شهرةُ محمد بن إسحاق كلَّ من سبقه وعاصره، في كتابة السير والمغازي لرسول الله ــ ﷺ ــ وبذلك ارتبط اسمُه باسم أعظمِ سيرةٍ لأعظم إنسانٍ، وهي حياة محمد الرسول ــ ﷺ ــ

وكان محمدُ بنُ إسحاق أحدَ ثلاثةِ إخوة.

---

(١) البخاري : التاريخ الكبير، وانظر بإسناده في « تاريخ بغداد جـ١/٢١٦ ».

(٢) ابن سعد : « الطبقات » و« الفهرست ص ٩٣ ».

(٣) الخطيب البغدادي « تاريخ بغداد ١/٢١٦ ».

قال الخطيب البغدادي : وله أخوان هما أبو بكر وعمر ابنا إسحاق.

وزاد الجماعيليُّ في كتابه « الكمال في معرفة الرجال » : أن محمد ابن إسحاق أعلاهم، وأن عمر أخاه مات بعده بسنة أو سنتين، وكان أبوه إسحاق قد تزوج من بنت صبيح مولى حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى[1].

قال ابن سعد[2] : « إن جده يسار من سبي عين التمر[3] »

وزاد ابن قتيبة : « من سبي عين التمر الذين بعث بهم خالد بن الوليد إلى أبي بكر بالمدينة »

وانفرد الخطيب البغدادي بقوله : وكان « خيار » لقيْس بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي[4] ــ وهنا ذكر خيار أبا يسار جد محمد ابن إسحاق ــ رواه عن الهيثم بن عدي وأبو الحسن المدائني. وربما هذا هو الصواب، وذلك عندما أسلم « كوتان » سماه مولاه « خياراً » وبما أن (حرب عين التمر)، قريب البصرة، حدثت سنة ١٢ هـ/٦٣٣ م في خلافة أبي بكر الصديق، ويومها كان خيار شاباً. فوُلد له ابنه يسار والد مؤلفنا حوالي سنة ٢٠ هـ إذن فكيف يكون أُسر في ذلك الزمان.

ووُلد إسحاق أبو مؤلفنا حوالي سنة ٥٣ هـ ومحمد بن إسحاق مؤلفنا حوالي سنة ٨٣ هـ ونستنتج هذا كما أشار أوجست فيشر «August Fischer» من أن جميع الرواة الذين أخذ عنهم ابن إسحاق مباشرة توفوا بعد عام ١٠٠ هـ، وأنه لم يُذكر بين رواته جماعةمن أشهر المحدثين المدنيين الذين توفوا من العام التسعين من الهجرة.

---

(١) القسطلاني (٣٢٨/٤).

(٢) الطبقات ٢/٧ ص : ٦٢.

(٣) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بالعراق (معجم البلدان) لياقوت.

(٤) ومن ثم فيقال : يسار المطلبي بالولاء المدني بالمقام.

وروى الواقدي خبرا يتفق مع هذا التاريخ قال : « كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساء في مؤخر المسجد، فيروى عنه أنه كان يسامر النساء فرفع إلى هشام وهو أمير المدينة وكانت له شعرة حسنة فرقق رأسه، وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوس هنالك » وهذه الرواية لا تصح لأن هشام ولي المدينة من ٨٢ هـ إلى ٨٦ وولد ابن إسحاق في سنة ٨٥ هـ، إلا أن يكون أراد إسماعيل بن هشام الذي ولي المدينة من ١٠٥ إلى ١١٤ هـ وقتها كان ابن إسحاق ما بين العشرين والثلاثين من عمره.

ويذكر الطبري والبلاذري أن جده كان مسيحياً.

وينفرد الخطيب البغدادي ويروي : عن عبدالله بن جعفر بن درستويه، عن يعقوب بن سفيان قال : ابن إسحاق بن يسار صاحب السيرة مولى فارسي[1].

ويخالف البغدادي في ذلك البكري في (معجم ما استعجم. مادة عين التمر) فروى : « وبكنيسة عين التمر وَجد خالد بن الوليد الغلمة من العرب الذين كانوا رهناً في يد كسرى. وهم متفرقون بالشام والعراق منهم جد الكلبي العالم النسَّابة.. وجد محمد بن إسحاق صاحب المغازي وبسبب تلك الرواية يرجع اعتقاد بعض المستشرقين إلى أن جد ابن إسحاق كان نصرانياً[2]..

ومهما يكن من الأمر فإن علم ابن إسحاق للنصرانيات ــ كما ظهر في السيرة ــ لم يقتبسه عن طريق أجداده بل عن طريق علماء عصره.

---

(١) وهذا لا يصح لان جده كان أسيراً في يدي كسرى « ملك الفرس ».

(٢) وأصبح بعدها من موالي قبيلة عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي.

ولقد نشأ محمد بن إسحاق بينَ أسرةٍ من الموالي. وقد كان أبوه قبله شغوفاً بجمع الأحاديث، وكثيراً ما يَرْوي عنه في كتاباته، وأيضاً كان يَرْوي عن عَمَّيْه موسى وعبد الرحمٰن ابنَيْ يسار. فلا بد لذلك أن يكون محمد بن إسحاق قد اشتغل منذ حداثته برواية الحديث مثل كثيرين من أبناء جيله.

ومن هنا فقد اهتم بدراسة الحديث وجمع كثيراً من الأحاديث فيما بعد بزيارة أشهر العلماء من أمثال عاصم بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر، والزُّهري.

ويذكر الطبري اهتمامه الخاص بجمع الأحاديث والمغازي بقوله: « وكان من أهل العلم بالمغازي — مغازي رسولِ الله — ﷺ — وبأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم، راوية لأشعارهم، كثير الحديث، غزير العِلم طلَّابة له، مُقدَّما في العلم بكلِّ ذلك ثقة ». ووصل اهتمامُ محمدِ بنِ إسحاق بالرواية إلى حدٍّ أنه يذكر قرابة مائة راوٍ من المدينة وحدها.

رحلاته العلمية:

عندما اصطدم ابن إسحاق بأئمة الحديث أصحاب الرأي السائد في المدينة حينذاك وعلى الأخصِّ بمالكِ بن أنس كما سنذكر بعدُ — ترك ابن إسحاق المدينةَ وطنَه ورحل إلى مصرَ، وكان قد أتمَّ الثلاثين من عمره سنة ١١٠ هـ ثم عاد إلى المدينة، وبعدها رحل إلى العراقِ بعد انتصار العباسيين سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩ م.

ولما كان مع العباس بن محمد أميراً على الجزيرة ذهب إليها سنة [١٤٢ هـ — ٧٦٠ م] وفيها يرد أولُ ذكرٍ لسماعِ مغازيه عنه في العراقِ.

وبعدها أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة في الفترة بين [١٤٢ هـ ــ ٧٦٠ م / ١٤٦ هـ ــ ٧٦٣ م] فكتب إليه المغازي، فسمع منه أهلُ الكوفة بذلك السبب، ومن المحتمل أن يكونَ فعل ذلك بأمرٍ من الخليفةِ فقد أمره من قبل أن يصنِّفَ كتاباً من بدءِ الخليقة إلى يومهم، وكان حريصاً على أن يدرس ابنه مغازي ابن إسحاق، وأتى الريَّ فسمع منه أهلُها كذلك، فرواتُه من هذه البلدان أكثرُ ممن روى عنه من أهلِ المدينة، وأتى بغداد فأقام بها حتى لقي ربَّه.

أساتذته :

وُلد محمد بن إسحاق في المدينة المنورة، ومن الواضح أنه بدأ دراسته فيها في وقت مبكر، وعاش فيها هناك مدة ثلاثين سنة تقريباً، جمع خلالها أحاديثه ورواياته عن طريق علماء أجلاء ذكرهم الخطيبُ البغدادي بقوله : « إن محمد بنَ إسحاق رأى أنسَ بنَ مالك ــ رضي الله عنه ــ وسعيد بن المسيَّب، وسمع القاسمَ بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأبانَ بن عثمان بن عفان ومحمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، وأبا سَلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبدَ الرحمن بن هُرْمز الأعرج، ونافعاً مولى عبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري وغيرهم ».

وزاد عليهم يوحنا فوك : « أنه تعلم أيضا من عاصم بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر « المتوفي سنة ١٣٠ أو ١٣٥ هـ » وأيضاً تعلم من يزيد بن رومان تلميذ ومولى عروة بن الزبير.

ويدين ابنُ إسحاق بالكثير لموالي بني الزبير، ولأقارب تلك الأسرة كذلك، مثل هشام ويحيى ابنَيْ عروة ؛ وعُمَر بن عبدالله ابن أخي عروة،

ومحمدِ بن جعفر ابن أخي عروة، ثم ليحيى بن عباد بن عبدالله ابن أخي عروة الكبير.

ودرس التفسير على يد أستاذه في هذا المجال محمد بن أبي محمد، من الموالي.

وكان ابن إسحاق يلجأ إلى غير المسلمين حين كان يريد أخباراً عن الحوادث اليهودية والمسيحية، والفارسية. فيذكر بين رواته « بعضَ أهلِ العلم من أهل الكتاب الأولِ » أو « أهل التوراةِ » أو « من يسوق الأحاديث عن العجم » وكان يستعين في ذلك بالمغيرة بن أبي زبيد — وقيل لبيد — الذي روى أقوال وهب بن منبه عن الإسرائيليات.

ويبدو أن ابن إسحاق فيما عدا وَهْباً، أولُ مُؤلفٍ عربيٌّ يعطينا فقراتٍ من العهدين : القديم والجديد مترجمة ترجمة حرفية.

ومن كل هؤلاء وغيرهم كان الزهريُّ أكبرَ أساتذةِ ابن إسحاق ؛ وغالبا ما يُعبر عن العلاقة التي كانت بينهما في صورة الإسناد ؛ فيقول مثلاً : « حدثني محمدُ بنُ مسلم الزهريُّ » أو « سألتُ ابنَ شهابٍ الزهريَّ » أو يقول : « حدثني الزهريُّ... ».

ومن مظاهر هذه العلاقة أيضاً : بعث ابن إسحاق إلى الزهريِّ وثيقةً رواها له يزيد بن أبي حبيب « المتوفي عام ١٢٨ هـ » في مصر عن سفارات النبي — ﷺ — إلى الأمراء المختلفين، كي يتحقق من صحتها. وكان ذلك عندما وفد ابنُ إسحاق عام ١١٥ هـ على الإسكندرية، وهناك سمع من يزيد بن أبي حبيب الذي يعد أول من أدخل دراسة الحديث في مصر. وسمع أيضاً من عبيد الله بن المُغيرة، وثُمامة بن شُفَيّ، وعبيد الله بن أبي جعفر، والقاسم بن قُزمان، والسكن ابن أبي كريمة.

ومن الأرجح أن ابنَ إسحاقَ رجع من مصرَ إلى زيارة المدينة[1] وذلك قبل رحيله إلى العراق. كما رجح « فيك » ؛ وربما كان في إحدى هذه الزيارات إبراز أستاذه الزهري له للحاضرين في عام ١٢٣ هـ.

تلامذته ومن حدث عنه :

لابنِ إسحاق شهرةٌ واسعةٌ بين المحدِّثين والمؤرخين والمستشرقين، فقد استمد تلك الشهرة من أعظم أعمالٍ خلفها لنا عبر التاريخ وهي السيرة النبوية العطرة، فقد وصلت إلينا السيرة النبوية الشريفة من خلال عدة طرق، منها : المخطوطات التي عُثر عليها مؤخراً منسوبة لابن إسحاق مباشرةً، وتُعد هذه المخطوطات الآن بمثابة البرهان والإثبات على صحة ما خلفه لنا تلاميذُ ابنِ إسحاق لروايتهم عنه السيرة، وتكمن قيمةُ هذه القطع المخطوطة من كونها إثباتاً لما طرأ على السيرة من تغيرات كلمية أو تقديمية أو تأخيرية، أو تهذيبية، وأيضاً الإضافات الشرحية التي لحقت بسيرة ابن إسحاق على أيدي بعض من تلاميذه.

وفي بداية حديثنا عن تلاميذ ابن إسحاق نوضح، أن الذين طلبوا علمه لم ينحصروا في مكانٍ بعينه، بل كانوا منتشرين بين عدة مدن هي المدينةُ المنورة، والكوفةُ وبغدادُ والبصرة والري.

ويعد إبراهيم بن سعد [١١٠ ــ ١٨٤ هـ] تلميذه الوحيد في المدينة ؛ قال ابن حجر في « تهذيب التهذيب ٤١/٩ ــ ٤٢ » : « وقال البخاري.. قال، قال لي إبراهيم بن حمزة : كان عندَ إبراهيم بن سعد عن

---

(١) ويوجد احتمال أنه لم يرجع إلى المدينة بل سافر من مصر إلى العراق وإيران، ومن الصعب أن نعرف إلى أين سافر أولا؛ لأنه لا يوجد إجماع من المؤرخين أو الثقات يثبت ذلك.

ابن إسحاق نحوٌ من سبعةَ عشرَ ألفَ حديث في الأحكام، سوى المغازي. وإبراهيم بن سعد من أكثرِ أهلِ المدينة حديثاً في زمانِه.

ومن أشهر النسخ المروية عن تلاميذ ابن إسحاق، نسخة زياد بن عبدالله البكائي « المتوفي سنة ١٨٣ هـ » التي اعتمد عليها ابن هشام، والتي يرى السخاوي أنها أوثقُ من رواية يونس بن بكير الشيباني.

وروى عنه عبدالله بن إدريس الأوديّ « ١١٠ ـــ ١٩٢ هـ » ويونس ابن بكير « المتوفى سنة ١٩٩ في الكوفة » الذي اعتمد عليه السهيلي كثيراً في نقله للسيرة ضمن كتابه « الروض الأنف »[١] وممن استفاد من نسخة يونس بن بكير الشيباني أيضاً العلامة ابن الأثير في كتابه « أُسْد الغابة ».

ومن تلاميذه أيضاً عبدةُ بنُ سليمان « توفي سنة ١٨٧ هـ » وعبدُالله ابن نُمير « ١١٥ ـــ ١٩٩ هـ ».

وممن سمع منه ببغداد يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي الحافظ ؛ ولقبه الجمل « ١١٤ ـــ ١٩٤ هـ ».

وكان ابن إسحاق أستاذ جرير بن خازم « ٨٥ ـــ ١٧٠ هـ » بالبصرة، وكريم بن أبي عيسى وأيضاً سلمة بن الفضل « المتوفي سنة ١٩١ هـ بالري » وقد اعتمد الطبري نسخته، قال الخطيب البغدادي : « إن رواية مسلمة بن الفضل لكتاب السيرة لابن إسحاق أفضل من غيرها ».

وتتلمذ على علمه أئمةٌ أجلاء روى عنه، منهم : علي بن مجاهد « توفي حوالي سنة ١٨٠ هـ في الري » وإبراهيم بن المختار، وسعيد بن

---

(١) انظره من تحقيقنا.

بزيع، وعثمان بن ساج، ومحمد بن سلمة الحراني « توفي سنة ١٩١ هـ في الري » وسفيان الثوري، وابن جُريج، وشعبة، والحمادان، وشريك بن عبدالله النخعي، وسفيان بن عيينة ومن بعدهم.

وأشهر من كل هؤلاء في المغازي بالذات هو ابن هشام الذي روى السيرة النبوية واشتهر بها عن غيره وحتى عن مؤلفها ابن إسحاق.

ويجب أن نعلم أن ابن هشام رواها بواسطة زياد بن عبدالله البكائي. وفاقت سعة انتشار ملخص ابن هشام حتى غطت على الكتاب الأصلي منذ عهد بعيد. فاليعقوبي مثلا « المتوفى حوالى سنة ٣٠٠ هـ » يستخدم ما هذبه ابن هشام من السيرة، ولم يذكر ابن إسحاق

مطاعن على ابن إسحاق والرد عليها

تعرض ابن إسحاق في مسيرة حياته لألوان شتى من الاستياء والطعن سواء لعلمه أو سيرته الذاتية. منها ما يشكك في علمه وإسناده وخاصة بالمغازي، ومنها ما هي إلا عصبية مثل موقف هشام بن عروة منه، ومنها من يرجعُ مكمن الغضب فيها ذلك الصراع العلمي مثل خلافه مع مالك رضي الله عنه. ومنها أن بعض الروايات التي ذكرت هذا الطعن ليس لها أساس من الصحة كي يقويها ويستند عليها بحرفية عادلة ومُوثقة يمكن الاعتماد عليها.

وسوف نعرض لهذا وذاك والرد على تلك المطاعن بالوثائق والأقاويل التاريخية، حتى يحكم التاريخ ويقول كلمته التي تعلو فوق كلِّ الوشايا والأهواءِ ويجلو عن تلك الدعاوى غبارَ الزمن.

أُولَى هذه الدعاوى ما ذكرها الشَّاذُكانيُّ : « كان محمد بن إسحاق ابن يسار يتشيع، وكان قدرياً ».

وقال أحمد بن يونس : « أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبي معشر... ».

وقال أيضاً ياقوت « في معجم الأدباء » عن يحيى بن سعيد بن القطان، يقول : كان محمد بن إسحاق والحسن بن ضمرة، وإبراهيم بن محمد كل هؤلاء يتشيعون ويقدمون عليًّا على عثمان.

ويرد على ذلك « ابن سيد الناس » في « عيون الأثر » بقوله : « أما ما رُمي به ابن إسحاق من التدليس والقدر والتشيع، فلا يوجب ردَّ روايته، ولا يُوقع فيها كبيرَ وهنٍ. أما التدليس فمنه القادحُ في العدالة وغيره، ولا يحمل ما وقع ها هنا من مطلق التدليس، على التدليسِ المقيد بالقادح في العدالة، وكذلك القدر والتشيع لا يقتضي الردَّ إلا بضميمةٍ أخرى ولم نجدْها ها هنا ».

وهذا أيضاً متعلق بالفرق بين الحديث والتاريخ، فالحديث لا يطلب فيه قصة مربوطة، بل شهادة كل شاهد للواقعة، وأما التاريخ فهو يحتاج إلى الحديث بغرض الإخبار عن القصة التاريخية بدون أسانيد غالباً.

وقال مكيُّ بنُ إبراهيم : جلست إلى محمد بن إسحاق وكان يخضُب بالسواد فذكر أحاديث في الصفةِ فنفرت منها فلم أعدْ إليه، وقال مرة : تركت حديثه.

ويرد على ذلك أيضاً « ابن سيد الناس » بقوله : وليس في ذلك كبيرُ أمرٍ فقد ترخص قومٌ من السلف في رواية المشكل من ذلك وما يُحتاج إلى تأويله، لا سيما إذا تضمن الحديث حكماً أو أمراً آخر وقد تكون هذه الأحاديث من هذا القبيل.

وروى الساجيُّ عن المفضَّلِ بن غسان : حضرت يزيد بن هارون وهو

يحدث بالبقيع وعنده ناس من أهل المدينة يسمعون منه حتى حدثهم عن محمدِ بنِ إسحاق فأمسكوا، وقالوا : لا تحدثنا عنه نحنُ أعلم به، فذهب يزيد يحاولهم فلم يقبلوا فأمسك يزيد.

ويحللُ ذلك الموقف أيضاً « ابن سيد الناس » بقوله : فليس فيه ذكر لمقتضى الإمساك، وإذا لم يُذكر لم يبق إلا أن يحول الظن فيه، وليس لنا أن نعارض عدالةً مقبولة بما قد نظنه جُرحاً.

وقال أبو موسى محمد بن المثنَّى : ما سمعت يحيى القطان يحدث عن ابن إسحاق شيئاً قطُّ.

قال « ابن سيد الناس » ردًّا على ذلك : فقد ذكرنا السبب في ذلك وتكذيبه إياه رواية عن وهيبِ بنِ خالد عن مالك عن هشام، فهو ومن فوقه في هذا الإسناد تبع لهشام، وليس ببعيد من أن يكون ذلك هو المنفر لأهلِ المدينةِ عنه في الخبر السابق عن يزيد بن هارون وسوف نذكر بعد قليل ما كان بينه وبين هشام بن عروة.

وعن يعقوب بن شيبة قال : سمعت محمد بن عبدالله بن نمير ذكر ابن إسحاق فقال : إذ حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسنُ الحديثِ صدوقٌ وإنما أُتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديثَ باطلةً.

يقول صاحبُ الفضل الأكبرِ في الرد على مطاعن ابن إسحاق « ابنُ سيد الناس » : فلو لم يُنقل توثيقُه وتعديلُه لتردد الأمرُ في التهمةِ بها بينَه وبينَ من نقلها عنه، وأما مع التوثيق والتعديلِ، فالحملُ فيها على المجهولين المشارُ إليهم لا عليه.

وأما الطعن على العالم بروايته عن المجهولين فغريب وقد حكى ذلك عن سفيان الثوري وغيره، وأكثر ما فيه التفرقة بين بعض حديثه وبعض،

فيرُدُّ ما رواه عن المجهولين، ويقبل ما حمله على المعروفين.

وقيل لناصر السنة أحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله، إذا تفرّد ــ يقصد ابن إسحاق ــ بحديثٍ تقبله ؟ قال : لا، والله إني رأيتُه يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلَام ذا من كلام ذا.

وقد رد ابن سيد الناس على ذلك بقوله : وقد تتحد ألفاظ الجماعة وإن تعددت أشخاصُهم، وعلى تقدير أن لا يتحد اللفظُ فقد يتحد المعنى، روينا عن واثلة بن الأسقع قال : إذا حدثتكم على المعنى فحسبكم.

وروينا عن محمد بن سيرين قال: كنتُ أسمع الحديث من عشرةٍ، اللفظ مختلف والمعنى واحد.

وقد ذكر ابن المديني أن حديثه ليتبين فيه الصدق، يروى مرة حدثني أبو الزناد، ومرة ذكر أبو الزناد إلى آخره، وما يصلح لمعارضة هذا الكلام، واختصاص ابن المديني سفيان معلوم كما عُلم اختصاص سفيان بمحمد بن إسحاق.

ومن المطاعنِ التي لصقت بابنِ إسحاق قول أبي داود سمعت أحمد ابن حنبل ذكره فقال : كان رجلا يشتهي الحديث فيأخذ كتبَ الناس فيضعها في كتبه.

ويستمر « ابن سيد الناس » في الدفاع فيقول : فلا يتم الجرح بذلك حتى نتيقن أنها مسموعة له، ويثبت أن يكون حدَّث بها، ثم ينظر بعد ذلك في كيفيةِ الإخبار ؛ فإن كان بألفاظٍ لا تقتضي السماع تصريحاً، فحكمه حكم المدلِّسين، ولا يحسن الكلام معه إلا بعد النظر في مدلول تلك الألفاظ، إن كان يَرْوي ذلك عنهم مصرحاً بالسَّماع ولم يسمع،

فهذا كذب صراح، واختلاق محض لا يحسن الحمل عليه، إلا إذا لم يجد للكلام مخرجاً غيره.

وقال أبو عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه : قدم محمدُ بن إسحق إلى بغداد فكان لا يبالي عمن حكى عن الكلبي وغيره.

ويدافع أيضاً ابن سيد الناس فقال : فهو أيضاً إشارة إلى الطعن بالرواية عن الضعفاء، لمحل ابنِ الكلبيِّ من التضعيف، والراوي عن الضعفاء لا يخلو حالُه من أحدِ أمرين : إما أن يصرحَ باسم الضعيف، أو يدلِّسه، فإن صرح به فليس فيه كبير أمر روى شخص ولم يعلم حاله، أو علم وصرح به ليبرأ من العهدة، وإن دلَّسه فإما أن يكونَ عالماً بضعفِه أو لا، فإن لم يعلم فالأمرُ في ذلك قريبٌ، وإن علم به وقصد بذلك التدليس فهذه جُرحة من فاعلها، وكبيرةٌ من مرتكبها، وليس في أخبار أحمد عن ابن اسحاق ما يقتضي روايته عن الضعيف وتدليسه إياه مع العلم وكثرة الحفظ، فقد يميز من حديث الكلبي وغيره مما يجري مجراه ما يُقبل مما يُرد، فيكتب ما يرضاه ويترك ما لا يرضاه

وقد قال يعلَى بن عبيد : قال لنا سفيان الثوري : اتقوا الكلبي، فقيل له فإنك تروي عنه فقال أنا أعرف صدقه من كذبه، ثم غالب ما يروى عن الكلبي أنسابٌ وأخبارٌ من أحوال الناس وأيام العرب، وسيرهم وما يجري مجرى ذلك مما سمح كثير من الناس في حمله عمن لا تحمل عنه الأحكام، وممن حُكي عنه الترخص في ذلك الإمام أحمد، وممن حكي عنه التسوية في ذلك بين الأحكام وغيرها يحيى بن معين.

واتهام آخر قيل : إنه لم يكن يحتج به في السنن.

قال ابن سيد الناس في الرد على ذلك : فقد يكون لما أنس من التسامح في غير السنن، التي هي جلُّ علمه من المغازي والسير، طرَّد

الباب فيه وقاس مروياته من السنن على غيرها، واطِّراد الباب في ذلك يعارضه تعديل من عدله.

وقال يحيى : إن ابن إسحاق ثقة وليس بحجة.

رد ابن سبيد الناس عليه فقال : فيكفينا التوثيق

وما ذكره ياقوت عن الواقدي، واللفظ لياقوت : « كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساءِ في مؤخرِ المسجدِ. فيروى عنه أنه كان يسامرُ ــ وعند ابن النديم : يغازلُ ــ النساءَ. فرُفع إلى هشام[1] وهو أميرُ المدينة. وكانت له شعرةٌ حسنة فرقق رأسَه وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوسِ هناك، وكان حسنَ الوجه ».

وهنا سؤال يطرح نفسه : هل رجلٌ مثل ابن إسحاق له شهرتهُ وعلمه يجمع الحديثَ والسيرة العطرة يظهر بين الناس بمظهر منافي لآداب الإسلام وتعاليمه ؟! وهل يجهل الرجل قدسية وحرمة المساجد والأماكن المقدسة ؟!

الإجابة على هذا السؤال يدركه العقلُ لأولِ وهلةٍ وهو النفي. وإذا صحت هذه الرواية فربما كان ذلك في شبابه ومجونه، وإن لم تصح فيدل ذلك على غلط الحديث من المعاصرين له بالطعن عليه بالحجج الضعيفة.

ومما يزيد من ضعف هذه الرواية ما قاله الخطيب البغدادي عن ابن أبي حازمٍ : « كنا قُعوداً في المسجد معنا محمد بن إسحاق » وفي رواية أخرى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي : قال « كنا في مجلس محمد بن إسحاق نتعلم »

---

(١) يقصد إسماعيل بن هشام.. كما وضَّحنا سلفاً. لأن هشاماً مات مبكرا عن ذلك.

وأما ما أطبق عليه بعض المؤرخين والمستشرقين خاصة، من أن هناك عداوة بين ابن إسحاق وكلٍّ من هشامِ بن عروة بن الزبير، ومالك بن أنس. فأولا لا بد وأن نمحي لفظ « عداوة » لأن مدلول هذا اللفظ لا يتفق وقدر علماء الإسلام الأعاظم، وربما كان هناك ما يطلق عليه تنافس العلماء وليست العداوة بمفهومها المشين ــ وكما يحدث دائماً مع أبناء المهنة الواحدة.

ونبدأ بإنكار هشام بن عروة بن الزبير رواية ابن إسحاق عن زوجته وابنة عمه فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر، فقد ذكرت لنا المصادرُ عدة روايات منها قولُ ابنِ قتيبة : « وكان ابن إسحاق يروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير، وهي امرأةُ هشام بن عُروة. فبلغ ذلك هشاماً فأنكره، وقال : أهو كان يدخل على امرأتي ؟ » وتشابهت في ذلك جميع الروايات، منها رواية صاحب الفهرست : « متى دخل إليها ومتى سمع منها ؟ » وفي المعجم « هو كان يدخل على امرأتي ؟ كأنه أنكر ذلك » أما في رواية الخطيب « ألعدوّ لله الكذابُ يروي عن امرأتي ؟ من أين رآها ؟ » روى ابن سيد الناس : أن هشاما قال : « دخلت بها وهي بنت تسع وما رآها مخلوق حتى لحقت بالله عز وجل »[1].

كأن الرواية في ظن هشام لا بد وأن تصحبها الرؤية.

وقد دافع عن ابن إسحاق بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل فقد روي عنه أنه قال : « وما ينكر هشامٌ ؟ لعله جاء فاستأذن عليها فأذنت له وهو لم يعلم ».

---

(١) وهذه الرؤية غلط انظر « أعلام النساء : ١٤٦/٤ » فإن فاطمة بنت المنذر ولدت سنة ٤٨ هـ وهشام ولد سنة ٦١ هـ فهي أسن من هشام بثلاث عشرة سنة.

وكان ذلك طبيعياً في رواية الحديث، ومن ذلك أمثلة كثيرة عن التابعين كالأسود وعلقمة سمعا من عائشة ــ رضي الله عنها ــ من غير أن ينظرا إليها، بل سمعا صوتَها. وأيضاً في أيام ابن إسحاق كان ذلك معمولاً به، مثال ذلك ؛ كان عبدالله بن أبي بكر يروي عن امرأته فاطمة ابن عمار، ويدعوها لأن تقص على ابن إسحاق خبراً. وكان ذلك يتم من وراء حجاب أو ستار، أو كان معهما مُحرم، وهي محجَّبة أو أن يكون ابنُ إسحاق قد حمل عنها صغيراً.

وقال يوسف هوروفتس: « ومن المحتمل أن هشاما أيضاً لم يعترض أي اعتراض على زوجته، التي كانت أكبر كثيراً من زوجها، وأكبر من ابن إسحاق نفسه بما يقربُ من ٣٠ أو ٤٠ عاماً[1]، بل لم يكن هشام عارفاً بأية زيارة من ابن إسحاق لبيته أخذ فيها الأحاديث عن فاطمة، ولذلك شك في صحة أقوال ابن إسحاق »

ويوجد احتمالٌ آخر أنه قد سألها عن طريق أمه أو أخته أو زوجته.

وهنا نطرحُ سؤالاً : لماذا لم يسأل هشامٌ زوجتَه عن صحةِ ادعاء ابن إسحاق ؟ وأية فعلة شنعاء قام بها ابن اسحاق، كل ذلك لأنه روى حديثاً نبوياً عن فاطمة.

وقد ذكر ابن سيد الناس « محمد بن إسحاق عن فاطمة بنتِ المنذر عن أسماءَ بنتِ أبي بكر، قالت : سمعت امرأةً وهي تسأل النبيَّ ــ ﷺ ــ فقالت : إن لي ضُرة، وأني أتشبع من زوجي بما لم يعطنيه لأغيظها بذلك قال : « المتشبعُ بما لم يُعْطَ كلابس ثوبَيْ زورٍ »

وقال أبو الحسن بن القطان : الحديث الذي من أجله وقع الكلام في ابن إسحاق من روايته عن فاطمة حتى قال إنه كذاب، وتبعه في ذلك

(١) ولدت سنة ٤٨ هـ فهي أسنّ منه بنحو ٣٧ عاماً.

مالكٌ، وتبعه يحيى بن سعيد وتابعوهم من بعدهم تقليداً لهم : حديث « فلتقرصه ولتنضح ولتصل فيه »[1] وقد روينا من حديثه عنها غير ذلك.

وذكر الذهبي « عن يعقوب بن شيبة سألت ابن المديني عن ابن إسحاق قال حديثه عندي صحيح، ... قلت : فهشام بن عروة قد تكلم فيه. قال : الذي قال هشام ليس بحجة. لعله دخل على امرأته وهو غلام، فسمع منها، إن حديثه ليتبين فيه الصدق ».

ورغم ما قاله هشام بن عروة عن ابن إسحاق، نجد الأخير في السير يروي عن هشام مراراً، وعن آلِ عروة بن الزبير. وهذا يدل أولاً على أن العلمَ عند ابن إسحاق كان قبل أيِّ شيءٍ وفوقَ كلِّ عداوة.

وإنما طعن مالك فيه ـــ وإذا كان ذلك مرة واحدة، ثم عاد له إلى ما يجب ـــ بين العلماء فلأن ابن إسحاق ـــ وكان أعلم من بالحجاز بنسب الناس ـــ يزعم أن مالكاً من موالي ذي أصبح، وكان مالك يزعم أنه من أنفُسها. فوقع بينهما لذلك مفاوضة، فلما صنَّف مالكٌ « الموطأ » قال ابن إسحاق : « آتوني به فأنا بيطارُه، أي « طبيب بعلله »، فنُقل ذلك إلى مالك فقال : دَجَّال من الدَّجاجلة[2] يروي عن اليهودِ. وكان بينهما ما يكون بين الناس، حتى عزم ابنُ إسحاق على الخروج إلى العراق. فتصالحا حينئذ وأعطاه مالكٌ عندَ الوداع خمسين ديناراً ونصفَ ثمرته تلك السنة.

---

(١) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه « كتاب الحيض باب ٩، وكتاب الوضوء باب ٦٣ » وقال : « عن مالك، عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء ». ورواه أيضا أبو داود في سننه « كتاب الطهارة باب ١٣ » بالإسناد السابق مرة و« عن ابن إسحق، عن فاطمة، عن أسماء »، مرة أخرى. إذن الخلاف ليس في الحديث، بل في الذي سمع منه ابن إسحاق: هل من فاطمة مباشرة، أو عن طريق هشام أو غيره ؟ انظر فهارس فتح الباري من تحقيقنا.

(٢) قال الراوي : « وما رأيت أحداً جمع الدَّجَّال قبله ».

ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ــ ﷺ ــ من أولادِ اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصةَ خيبر وقريظةَ والنضير، إلى غير ذلك من الغرائب من أسلافِهم.

وما كان ابن إسحاق في تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتج برأيهم.

ويبدو أن هذا كان سبباً رئيسياً، في ذلك الخلاف الذي يُعدُّ خلافاً علمياً يحدث دائماً بين العلماءِ. خاصةً إذا كان هذا العالم قد استحدث شيئاً جديداً.

فابن إسحاق نهج نهجاً جديداً في وضع السيرة، خالف بها الطريقةَ التقليديةَ للمحدثين في المدينة، ويوضح ذلك موقف أهل المدينة السلبي من مغازي ابن إسحاق، الذي لم يروها في المدينة عنه سوى إبراهيم بن سعد، مع العلم أنها وجدت انتشاراً واسعاً في العراقِ وإيران.

... ومن روايات تلك القصة ما ذكره الخطيب البغدادي، عن ابن إدريس « قال : قلت لمالك بن أنس ــ وذكر المغازي ــ فقلت : قال ابن إسحاق أنا بيطارها. فقال : قال لك أنا بيطارها ؟ نحن نفيناه عن المدينة، يلمح إلى حديث أن المدينة لا يدخلها المسيح الدجال ».

وذكر أيضاً الخطيب : « وكان ابنُ أبي ذئب، وعبد العزيز بن الماجشون، وابن أبي حازم، ومحمدُ بن إسحاق يتكلمون في مالك بن أنس، وكان أشدهم كلاماً محمد بن إسحاق، وكان يقول : ائتوني ببعض كتبه حتى أبين عيوبه أنا بيطارُ كتبه ».

ولم يذكر أصحابُ التراجمِ تواريخَ لهذه القصةِ، فما ذكره ابن سيد

الناس من مصالحتهما يدل على أن هذا وقع قبل أن يغادر ابن إسحاق المدينة.

وأما رواية الخطيب، قول مالك : « نحن نفيناه عن المدينة » لو صح ذلك القول سيدل على أن هذا حدث بعد سفر ابن إسحاق، أو أنه ربما قد كرر ذلك القول.

وعن آثارِ قصة مالك وقصة هشام قال ابن حجر : « وكذبه سليمان التيمي، ويحيى القطان، ووهيب بن خالد ؛ فأما وهيب والقطان فقلدا فيه هشام بن عروة ومالكاً، وأما سليمان التيمي فلم يتبين لأيِّ شيء تكلم فيه، والظاهر أنه لأمر غير الحديث، لأن سليمان ليس من أهل الجرح والتعديل » ولكنه غار لِمَا غار له هشام بن عروة بن الزبير، لأن سليمانَ من أقارِبهم.

.. وأما عدا ذلك من الطعن فأمور غير مفسرة ومعارضة في الأكثر من قائلها بما يقتضي التعديل

وممن يصحح حديثه ويحتج به في الأحكام أبو عيسى الترمذي ـــ وباقي أصحاب الصحاح الستة[1] ـــ رحمهم الله ـــ وأبو حاتم بن حبان، ولم نتكلف الرد عن طعن الطاعنين فيه إلا لما عارضه من تعديل العلماء له وثنائِهم عليه، ولولا ذلك لكان اليسير من هذا الجرح كافيا في رد أخباره، إذ اليسير من الجرح المفسر منه وغير المفسر كافٍ في رد من جُهلت حاله قبله، ولم يعدله معدلٌ.

---

(١) أصحاب الصحاح الستة على رأي هم : البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. كلهم رووا عن إبن إسحاق. فقد أخرج له مسلم في المبايعات، واستشهد به البخاري في مواضع يسيرة، وروى له أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه رحم الله الجميع.

مكانته عند العلماء :

محمدُ بنُ إسحاق ثَبْتٌ في الحديث عند أكثر العلماء ؛ ولا تُجهل إمامتُه في المغازي والسِّيَر.

.. قال ابن شهاب الزهري : من أراد المغازي، فعليه بابن إسحاق.

.. وذكر البخاري في تاريخه، وروى عن الشافعي ـــ رضي الله عنه ـــ أنه قال : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق.

.. وقال شُعبة بن الحجاج : ابنُ إسحاق أميرُ المؤمنين[1] « يعني في الحديث ».

.. وذكر الساجي : أن أصحاب الزهري كانوا يلجئون إلى محمد بن إسحاق فيما شكُّوا فيه من حديث الزهري، ثقة منهم بحفظه.

.. روى الخطيب البغدادي : كان ابن إسحاق من أحفظ الناس.

.. قال علي بن المديني : مدارُ حديث رسول الله ـــ ﷺ ـــ على ستة، فذكرهم، ثم قال : فصار علم الستة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحاق. هذا لفظ حديث الأصبهاني وحديث الشروطي بمعناه، غير أنه قال : ثلاثة عشر أحدهم ابن إسحاق.

.. قال سفيان بن عُيينة قال قال الزهري : لا يزال بالمدينة علم ما بقي ـــ يعني ابن إسحاق ـــ أمير المحدثين، وقيل له لِمَ ؟ قال : لحفظه.

.. وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارونُ بن معروف، قال : سمعت أبا معاوية يقول كان ابن إسحاق من أحفظِ الناسِ ، فكان إذا كان عند

---

(١) هو لقب يطلق على نوع من التوثيق لرواة الحديث. راجع مقدماتي لفتح الباري.

الرجل خمسةُ أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق، فقال : احفظها عليَّ فإن نسيتُها كنت قد حفظتها عليَّ.

.. وقال أبو سعيد الجعفي : كان ابن إدريس معجباً بابن إسحاق كثير الذكر له ينسبه إلى العلم والمعرفة والحفظ.

.. روى الخطيب بإسناد له إلى ابن نفيل : حدثنا عبدالله بن قائد قال : كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم قضى مجلسه في ذلك الفن.

.. قال ابن أبي خيثمة : حدثنا ابنُ المنذر عن ابن عُيينة أنه قال : ما يقول أصحابك في محمد بن إسحاق ؟ قال قلت : يقولون إنه كذاب، قال : لا تقل ذلك.

.. قال ابن المديني : سمعتُ سُفيان بن عيينة سُئل عن محمدِ بن إسحاق فقيل له : ولم يرو أهل المدينة عنه ؟ قال : جالسته منذ بضع وسعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقولون فيه شيئاً.

.. وسُئل أبو زُرعة عنه فقال من تكلم في محمد بن إسحاق ؟ هو صدوق

.. قال أبو حاتم : يُكتب حديثه.

.. وسُئل ابن شهاب عن المغازي فقال : هذا أعلمُ الناس بها يعني ابن إسحاق.

.. قال أحمدُ بن زُهير : سألت يحيى بن معين عنه، فقال : قال عاصم بن عمر بن قتادة : لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق.

.. قال ابن عيينة: قال أبو بكر الهذلي : سمعت الزهريَّ يقول : لا يزال بالمدينة علم جَمٌّ ما كان فيهم ابنُ إسحاق.

.. وقال سفيان بن عيينة : رأيت الزهري أتاه محمدُ بنُ إسحاق فاستبطأه. فقال : أين كنت ؟ فقال له محمد بن إسحاق : وهل يصل إليك أحد مع حاجبك ؟ قال : فدعا حاجبه فقال له : لا تحجبه إذا جاء.

.. وحُكي عن يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن سعيد القطان، أنهم وثَّقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه.

.. وقال المرْزُبانيُّ : ومحمد بن إسحاق أول من جمع من مغازي رسول الله ـ ﷺ ـ وألفها.

وقال البخاريُّ : ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها لا يشاركه فيها أحد.

.. قال أبو زُرعة : محمد بن إسحاق قد أجمع الكبراء من أهل العلمِ على الأخذِ عنه، منهم : سُفيان، وشعبة، وابن عيينة، والحمادان، وابن المبارك، وإبراهيم بن سعد، وروى عنه من الأكابر: يزيدُ بن أبي حبيب. وقد آختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً، مع مِدْحة ابن شهاب له.

.. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : الناس يشتهون حديثه.

.. وقال ابن نُمير : كان يُرمى بالقدر وكان أبعدَ الناس منه.

.. وقال علي بن المديني عن سفيان : ما رأيتُ أحداً يتهم محمدَ بنَ إسحاق.

.. وقال إبراهيمُ الحربيُّ : حدثني مصعب قال : كانوا يطعنون عليه بشيء ومن غير جنس الحديث.

.. وقال يزيد بن هارون : ولو سُوِّد أحد في الحديث لسُوِّد محمدُ بنُ إسحاق.

.. وروى يحيى بن آدم : حدثنا أبو شهاب : قال لي شعبة بن الحجاج : عليك بالحجاج بن أرطاة وبمحمد بن إسحاق.

.. وقال ابن عُلية : قال شعبة : أما محمد بن إسحاق وجابر الجعفي فصدوقان.

.. قال يعقوب بن شيبة : سألت ابن المديني : كيف حديث محمد ابن إسحاق صحيح؟ قال : نعم حديثه عندي صحيح. قلت له : فكلام مالك فيه ؟ قال لم يجالسه ولم يعرفه.. الخ.

.. وروى ابن أبي خيثمة عن يحيى : ليس به بأس.

.. قال العجلي : ثقة.

.. وروى المفضَّل بن غسان عن يحيى بن معين : ثَبْت في الحديث

.. وقال يعقوبُ بن شَيْبَةَ سألت يحيى بن معين عنه : في نفسك شيء من صدقه ؟ قال : لا، هو صدوق.

.. وقال البخاري : رأيت علي بن عبدالله « المديني » يحتج بحديثه ــ أي ابن إسحاق ــ وقال لي : نظرت في كتابه فما وجدت عليه إلا حديثين، ويمكن أن يكونا صحيحين.

.. قال ابن عدي : « ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيءٌ، للاشتغال بمغازي رسول الله ــ ﷺ ــ، ومبعثه، ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سَبق بها ابنُ إسحاق، وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد فيها ما يُقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتُّهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئُ غيرُه. وجلَّ من لا يسهو.

مؤلفاته :

تذكر المصادرُ أن ابن إسحاق كتب في المبتدأ، وفي السيرة، والمغازي، وفي تاريخ الخلفاء حتى أيام المنصور ؛ قال الخطيب البغدادي : « وكان عالما بالسير وبالمغازي وأيام الناس وأخبار المبتدأ وقَصص الأنبياء ».

ويوضح ذلك كثرة مقتبسات كتاباته داخل كتب التاريخ والطبقات والسير، وأهمية هذه المقتبسات كبيرة لمعرفة منهاجه التاريخي. وهل ألف كتاباً في ثلاثة أقسام ـــ المبتدأ (أو مبتدأ الخلق) والمبعث، والمغازي ـــ أو أنه ألف أكثر من كتاب اعتمدها ابن هشام في تهذيبه للسيرة.. ؟

ومن الصعب أن نجزمَ بأنه ألَّف كتابَه في ثلاثةِ أقسامٍ : المبتدأ، والمبعث والمغازي.

وقد انفرد الخطيبُ البغداديُّ بقوله : « دخل محمدُ بنُ إسحاق على المنصورِ وبين يديه ابنُه فقال : اذهبْ فصنف له كتاباً مُنذ خلق اللهُ آدمَ إلى يومِك هذا، قال : فذهب فصنف له هذا الكتاب. فقال : لقد طولته يا ابن إسحاق فاختصرْه. قال فذهب فاختصره، فهو هذا الكتاب المختصر. وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين. وقال.. صنف محمدُ بنُ إسحاق هذا الكتاب في القراطيس ثم صيَّر القراطيس لسلمة، يعني « سلمة بن الفضل »، فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس ».

ومن الروايات التي تثبت أن ابن إسحاق ألف كتاباً واحداً في ثلاثة أقسام ما قاله ابن النديم أيضاً : « وله من الكتب كتاب الخلفاء، رواه عنه

الأمويُّ. وكتاب السيرة والمبتدأ والمغازي. ورواه عنه إبراهيم بن سعد، والنفيلي[1] ».

وتوجد روايات تثبت أنه كتاب واحد أيضاً مثل رواية ابن سعد ذكر أنه كتاب « المغازي والمبتدأ » والمقدسي ذكره « كتاب المبتدأ والمغازي » أيضاً ياقوت ذكره « السير والمغازي » والمسعودي « المغازي والسير » وابن النديم ذكره « السيرة والمبتدأ والمغازي » والمسعودي أيضاً ذكر هذا الكتاب بأنه « المغازي والسير وأخبار المبتدأ »، كل هذه الروايات توضح أنه كتاب واحد.

ولكن توجد أيضاً روايات توضح أنه ألف أكثر من كتاب منها ما قاله السخاوي : « وأما قصص الأنبياء ففي المبتدأ لمحمد بن إسحاق.. صاحب السيرة النبوية » وهنا نجد أنه فصل صراحة بين كتابين وهما المبتدأ، والسيرة ويقول ابن العماد أيضاً : « ومن كتب ابن إسحاق أخذ عبد الملك بن هشام » ولفظ كتب صريح هنا.

وأشار المقدسي إلى كتاب المبتدأ بقوله : « وهو أول كتاب عُمل في بدء الخلق ».

وذكر ياقوت « له من الكتب : كتاب السير والمغازي، وكتاب المبتدأ رواه عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبدالله بن نمير النفيلي » ونجده هنا قد فسر لنا أكثر بين الكتابين.

ومما سبق يتبين لنا أن الروايات قد انقسمت، منها ما يقول إنه ألف كتاباً واحداً في ثلاثة أقسام ــ المبتدأ والسير والمغازي ــ ومنها ما

---

(١) هو : محمد بن عبد الله بن نمير النفيلي «المتوفي سنة ٢٣٤ هـ » وربما أخطأ ابن النديم في كلمه كتاب التي تسبق السيرة والمبتدأ والمغازي، لأن كل كتاب على حدة: وإبراهيم ابن سعد والنفيلي قد رويا عنه كتاباً واحداً فقط وهو كتاب المبتدأ.

يوضح أنه ألف كتابين أحدهما في المبتدأ والثاني في المغازي « أي حياة النبي عامة »

ومما يزيد هذا الخلاف أن كتب التاريخ قد اقتبست[1] من كتب ابن إسحاق الكثير، فعمل هذا على تمزيق الكيان الكامل لكل كتاب، ويدل على ذلك أن البكائي ــ وهو تلميذ ابن إسحاق ــ قد روى المغازي والمبتدأ معا. وربما فعل ذلك ابن هشام في السيرة حيث إنه اقتبس من المبتدأ وأضاف إلى المغازي.

ونحن نميل إلى الرأي القائل بأن ابن إسحاق قد ألف كتابين.

والدليل الآخر على ذلك أن أستاذه الزهري وهو الذي نهج نهجه ابن إسحاق في تأليف المغازي والسير قد ألف ذلك في كتب منفصلة.

وكما ذكرت لنا كتب المناقب كتاباً آخر لكن دون خلاف وهو « كتاب الخلفاء » وهذا الكتاب المميز كان برواية الأموي، وقد كان لظهور كتاب المغازي أثره على شهرة هذا الكتاب، فيبدو أنه قد قلل من شأنه واطفأ من بريقه.

منهج ابن إسحاق في كتبه :

استعان ابن إسحاق بالزهري « أستاذه » وبوهب بن منبه، في وضع الشكل المفصل والقاعدة الأساسية للسيرة ؛ حيث نهج ابن إسحاق نَهْجَ الزهري في ترتيب وتسلسل الأحداث الزمنية، وكذلك منهج وهب بن

---

(١) وهذه الاقتباسات موجودة في: تاريخ الطبري، وتفسير الطبري، والاستيعاب لابن عبد البر، وفي فتوح مصر للواقدي، والأغاني للأصبهاني، ودلائل النبوة لأبي نُعَيم، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر، ومرآة الجنان لليافعي، والروض الأنف للسهيلي... الخ.

منبه في كتاب « المبتدأ »، وبين وهب والزهري تكوَّن لدى ابنِ إسحاق هيكلُ كتابهِ في « السيرة النبوية ».

وقد استعان أيضاً ابنُ إسحاق في جمع مادته في المبعث والمغازي والمبتدأ إلى المصادر المدينية كثيراً، وقليل من المصادر المصرية، ولم يستعن بالمصادر الشرقية مثل العراق أو إيران.

وقد عارضته مدرسة المدينة لأنه خرج عن المألوف في دراسته للسيرةِ حيث خالفها ولم يلتزم بأسلوبِها في جمع موادِ السيرة، فنجده يقتبس من مختلفِ الاتجاهات دونَ حرَج، وخاصة الجزء الخاص « بالمبتدأ » فكان يستعين بما كتبه الأدباء اليهود والمسيحيون من قَصص، ورجع إلى الكتاب المقدس نفسه في بعض الأحيان، وذلك بالجزء الخاص بتاريخ الرسالات ما قبل الإسلام.

واستعان أيضاً بالشعر والحديث الشريف والآيات القرآنية لغرضِ توثيق مادته التاريخية.

وقد عارض ابنُ هشام بعض ما كتب ابن إسحاق خاصة في أول السيرة الذي يعد أضعف ما كتب ابن إسحاق، واقتبس في هذا القسم روايات وهب بن منبه، وابن عباس والإسرائيليات، فنجده يذكر قصص العرب قبل الإسلام. مثل طسم وجديس وأيضاً قصة الكاهنين شق وسطيح، ويذكر روايات تحكي انتشار الوثنية عن كعبِ بن مالكٍ القُرَظي، ويتناول تاريخ اليمن في عصر ما قبل الإسلام، ويظهر فيها تأثره بالقَصص الشعبي لأهل الكتاب، وأيضاً نجده يتأثر بالقصص القرآني الذي يَحكي تاريخ المسيحية واليهودية في شبه الجزيرة العربية وخاصة الجنوب، مثل قصة ذي نُواس الملك اليهودي « وأصحاب الفيل » أبرهة الأشرم الحبشي في غزوه للكعبة، وقصة سد مأرب، وذي القرنين ونجده

في كل هذا يستعين بالقَصص الشعبيِّ والقرآن الكريم والشعر العربي.. ويقتبس من وهب قصة انتشار المسيحية بنجران على يد فيميون الراهب. وعندما ذكر قصة ذي القرنين قال : فحدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه... »

وكانت طريقته في تأريخ هذه القصص أقرب ما يكون إلى طريقة أيام العرب الجاهلية الأسطورية، والإسرائيليات.

ويذكر الأستاذ عبد العزيز الدوري في بحثه القيّم : ومع أن أكثر أخباره دون إسناد إلا أنه يعطي أسانيدَ لبعض رواياته. ففي قصة انتشار النصرانية بنجران مثلا يورد رواية عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم. وفي كلامِه عن حفر بئر زمزم يأخذ عن يزيد بن أبي حبيب المصري. وفي معلوماته عن الحج والكعبة يورد بعضَ الأسانيد، وفي كلامه عن إنذار يهود بظهور النبي يورد رواية عن عاصم بن عمر، وفي حديثه عن شعائر الحج يورد روايةً عن هشامِ بن عروة وفي كلامه على الحمس يورد رواية هشام بن عروة، كما أنه يحاول الاستشهاد بآيات قرآنية في بعض ما أورده. ولكن بعض أسانيده ضعيفة، كما أنه لجأ إلى الشعر كوسيلة للتوثيق، على طريقة رواة الأيام، وأكثر منه دون تمييزٍ، فكان ذلك ثغرةً خطيرة في كتاباته. ولقد بدأ اهتمام ابن إسحاق بالإسناد عند وضع قسم المبعث، وذلك لأن بين يديه مادةً تاريخية خِصبةً من الأحاديث والمصادر والوثائق، وقد انفرد ببعض الوثائق مثل وثيقة معاهدة النبيّ ـــ ﷺ ـــ مع القبائل، وأيضاً مجموعات قوائم بأسماء المؤمنين الأولين، وقائمة بالمسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية، وأول من أسلم من الأنصارِ، وقائمة بالمشتركين في بَيْعَتَيِ العقبةِ ؛ وقائمة بالمهاجرين والأنصارِ الذين تلقوهم في المدينة، وقائمة

بالمهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم النبي ــ ﷺ ــ وبخلاف القوائم كانت أحاديثه أيضاً لا تتفق مع أسلوب أهل المدينة

يقول الأستاذ عبد العزيز الدوري : فحين يذكر بدء الوحي يأخذ عن عُروة، ولكنه يذهب إلى إيراد روايات مأخوذة عن بعض أهلِ العلم، ونرى القَصص الشعبي يتداخل مع الحديثِ، وهنا يبتعد كثيراً عن أسلوب الزهريِّ مثلا، وحين يتحدث عن وضع المسلمين عند بدءِ الدعوة يرجع إلى قَصص مجالس السمرِ فيقول « وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ــ ﷺ ــ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة... الخ » ويورد قصصاً محلية عن موقف المشركين من الرسول، دون إسناد، ثم يرجع ويستشهد بالآيات، ولعله أراد أن يُسند ما ذكر بها، وحين روى قصة وفدِ قريشٍ الذي فيه أن عتبةَ بن ربيعة استمع إلى تلاوة القرآن بصورة سرية، نجدها خالية من الإسناد وبشكل قصصي، ومثله عن فشو الإسلام في قريش ونجده يستهله بـ« حدثني بعضُ أهلِ العلم » وفي كلامه صدى للقرآن والتفسير، وأثر للشعر ولا بد لنا أن نلاحظ أن التأكيد على الإسناد لم يكن في عصر ابن إسحاق كما أصبح فيما بعد، وأن كثيراً من المعلومات عن المغازي كانت تنقل دون إسناد لأنها معروفةٌ لدى جماعات أو أسر.

أما الجزء الخاص « بالمغازي » ــ تاريخ النبي الحربي في المدينة ــ فقد أبرز ابن إسحاق تمكنه الحقيقي في هذا الجزء، حيث كانت القاعدةُ الأساسية هنا الإسناد، وقد راعى الدقةَ في تناوله لمرض النبي ــ ﷺ ــ ووفاته، واستعان ابن إسحاق بما رواه أساتذته المدينيون، وأهمهم الزهري واضع هيكل السيرة ودراسة المغازي، وعاصم بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر، الذي اقتبس منه ابن إسحاق التأريخ بالسنين، وأخذ كثيراً عن الزبيريين وأكثر عن يزيد بن رومان، وهشام بن عروة، وعروة بن الزبير،

ولكنه لم يكتف بما جمع من هؤلاءِ جميعاً، بل كان يجمع أقوال أقارب الرجال والنساء الذين اشتركوا في الوقائع.

ويذكر هوروفتس: ويستخدم ابن إسحاق منهجاً محدداً لعرض الغزوات الفعلية؛ ويقدم ملخصاً حاوياً للمحتويات في المقدمةِ، ويتبعه خبراً جماعياً مؤلفاً من أقوالِ أوثق أساتيذه، ثم يكمل هذا الخبر الرئيسي بالأخبار الفردية التي جمعها من المراجع الأخرى.

والقوائم كثيرة في المغازي أيضاً؛ فهو يدون قائمةً بأولئك الذين حاربوا في بدرٍ؛ وأخرى بالقتلى والأسرى؛ وثالثة بقتلى أُحد، وكذلك قتلى الخندق، وخيبر، ومُؤْتة، والطائف.. الخ.

ويقول الأستاذ عبد العزيز الدوري: «إن ابن إسحاق حاول أن يتحفظ في رواياته وأخبارِه حتى قبل المبعث، كأن يقول «فيما يزعمون»، أو مثل قوله حين يذكر قولا ينسب للرسول عن ذي القرنين «فالله أعلم أي ذلك كان أقال ذلك رسولُ الله ـ ﷺ ـ أم لا فإن قاله فالحق ما قال» أو كقوله: «وزعم الناس فيما يتحدثون والله أعلم» أو قوله: «فكان فيما بلغنا من حديث الأحبار والرهبان عن رسول الله ـ ﷺ ـ قوله»، أو مثل قوله «وحدثني ثَوْر بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا خالد بن معدان الكلاعي، أن نفراً من أصحاب رسول الله... الخ» ويورد أحياناً ما يُشعر برأيه، فهو يذكر قصة الطير الأبابيل ثم يضيف «حدثني يعقوب بن عتبة أنه حُدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام».

وقد أتقن ابن إسحاق أسلوب القصة في رواية الأحداث وخاصة في الفترة المكية حيث قلة الإسناد، ونجده رغم اعتماده على الإسناد في الفترة المدنية حيث كثرة المصادر والوثائق والمعلومات يؤجل الأشعار

عادة إلى آخر الحدث، مما يؤكد تأثره بأسلوب القصاص ـــ والله أعلم.

وفاته :

اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاة ابن إسحاق، ويدور هذا الخلاف بين سنة ١٥٠ ـــ ١٥٤ هـ. فيحدد أقدم المؤرخين وهم « البخاري وابن سعد وابن النديم » سنة ١٥١ هـ، أما الروايات الأخرى فتضطرب فنجدُ الذهبيَّ في تذكرة الحفاظ يورد سنة ١٥١ هـ ويضعف سنة ١٥٢ هـ. وابن خلكان يذكر سنة ١٥٠ هـ.و١٥٣ هـ.ويرجح سنة ١٥١ هـ، وياقوت يذكر سنة ١٥١ هـ. ١٥٢ هـ.

وروى الطبري : « قال ابن سعد، أخبرني ابن محمد بن أسحاق قال : مات أبي ببغداد سنة ١٥٠ هـ. ودُفِنَ في مقابر الخيزران »، وروى الخطيب البغدادي عن المديني سنة ١٥٢ هـ، وعن الخليفة بن خياط سنة ١٥٣ هـ وتوجد بعض الروايات ترجح سنة ١٤٤ هـ.

ورغم كل هذا الخلاف نجدهم يرجحون تلك السنة ـــ « ١٥١ هـ ـــ ٧٦٨ م » لوفاته

واتفقوا على أن وفاته كانت ببغداد. وقال ياقوت في « معجم الأدباء » : إنه دُفن بمقابر الخيزران عند قبر أبي حنيفة الإمام الأعظم صاحب المذهب المتبوع. وقبر أبي حنيفة معروف بالأعظمية.

وزاد ابن خلكان « ودفن في مقبرة الخيزران بالجانب الشرقي. وهي منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد، وإنما نسبت إليها لأنها مدفونة بها. وهذه المقبرة أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي، من دجلة في بغداد ».

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين عامة وعشاق كتابه (المغازي) خاصة خير الجزاء.

ثانياً : ابن هشام الذي اشتهرت باسمه السيرة

اسمه ونسبه :

هو : أبو محمدٍ عبدُ الملك بن هشام بن أيوب الحمْيَري[1] المعافري[2] البصري.

المعافري نسبه إلى المعافر بن يعفر، قبيلٌ كبير يُنسب إليه خلق كثير بعضهم باليمن وعامتهم بمصر.

وقد اختُلف في نسبته فقيل : قحطاني، وقيل : عدناني، وقيل : ذُهَلِيٌّ[3]، ولكن شهرته بالحميرية تجعلنا نرجح أنه حِمْيري من قحطان.

ولادته ونشأته :

ولد ابن هشام بالبصرة ــ وتاريخ ولادته مجهول ــ وتلقى العلم في نشأته الأولى بها ثم نزل مصر. ولا يذكر الرواةُ عن حياته أنه عاش في

---

(١) نسبته إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وفي حمير بطون وأفخاذ كثيرة

(٢) هو معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن الهميسع بن عمرو بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

وفي معافر بطون كثيرة نزح بعضهم إلى مصر « الإنباه ص ١١٨ ».

(٣) ومنهم من يَردُّ نسبه إلى ذهل، وآخرون يردونه إلى سدوس. والذهلي، بضم الذال وسكون الهاء، منسوب إلى ذهل بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع، وهو بطن من كندة.

غيرهما ؛ وربما نزل أكثر من بلد، دون أن يشير إليها الرواة ؛ ذلك لأن طالب الحديث بطبيعته جوَّالٌ، يطوف البلاد في طلبه وسماعه.

منزلته :

قال أبو القاسم السُّهَيْلي عنه في كتاب الروض الأنف ــ شرح سيرة رسول الله ــ ﷺ ــ[1] : إنه مشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر، وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حِمْير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعارِ السيرة من الغريب.

وقال ابن خلكان : ابنُ هشام هو الذي جمع سيرةَ رسول الله ــ ﷺ ــ من المغازي والسير لابن إسحاق، وهذبها ولخصها وشرحها... وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفةُ بسيرة ابن هشام.

ويقول القفطي صاحب « إنباه الرواة » عن ابن هشام : « وهذه السيرة التي يرويها عن ابن إسحاق قد هذَّب منها أماكن : مرة بالزيادة، ومرة بالنقصان، وصارت لا تُعرف إلا « بسيرة ابن هشام » وللمصريين بها فرط غَرام وكثرة رواية، وعن المصريين نُقلت إلى سائر الآفاق.

من اشتهر بابن هشام من المؤلفين :

قال السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : « إن الملقبين بابن هشام خلقٌ وجماعة كثيرةٌ، أشهرهم ثمانية، وربما سقط منه لقب لأنه ذكرهم سبعة فقط هم حسب ترتيبه :

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد البصري النحوي نزيل مصر، مُهذب السيرة النبوية لابن إسحاق... الخ

---

(١) انظره ــ بتحقيقنا.

وتلاه محمدُ بنُ يحيى بن هشام اللخمي النحوي اللغوي السبتي، أبو عبدالله أدَّب بالعربية، وله تآليف مفيدة « وقيل توفي سنة ٥٧٠ هـ ».

أما الثالث فهو : محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي، العلامة أبو عبدالله الأنصاري الخزرجي الأندلسي، من أهل الجزيرة الخضراء، كان رأساً في العربية، أخذها عن ابن خروف وغيره، وأخذها عن الشلوبين، وصنف التآليف المفيدة، وتوفي سنة ٦٤٦ هـ.

الرابع هو : الشيخ جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام صاحب المغني وغيره.

خامسهم : محمد بن عبدالله بن يوسف بن هشام. العلامة محب الدين ابن الشيخ جمال الدين النحوي ابن النحوي، كان أوحد عصره في تحقيق النحو ويقال فيه : هو أنحى من أبيه توفي سنة ٧٧٩ هـ.

سادس المشهورين هو : أحمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن هشام شهاب الدين، النحوي حفيدُ النحوي، فاق في العربية وغيرها توفي سنة ٨٨٥ هـ.

آخرهم : محمد بن عبد الواحد العجيمي، الشيخ شمس الدين النحوي المتفنن، سبط الشيخ جمال الدين بن هشام، كان فائقاً في معرفة العربية، أخذ عن خاله الشيخ محب الدين، وعنه أخذ الإمام تقي الدين الشمني، وتوفي سنة ٨٢٢ هـ

كل هؤلاء وغيرهم ممن اشتهر بلقب ابن هشام كان ابن هشام صاحب السيرة أشهرهم.

وإنما ذكرناهم لئلا يختلط مؤلفنا بأحدهم، كما يقع في ذلك الكثيرون.

منهج ابن هشام في تهذيبه سيرة ابن إسحاق

إن ابن هشام قد أوضح لنا في مقدمته ما أحدثه من التغييرات المنهجية في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق. فنجده يترك تاريخَ أهل الكتاب من آدم إلى إبراهيم، ولم يذكر من سلالة إسماعيل غير أجداد النبيِّ المباشرين، وذلك للاختصار. ونجده بعد ذلك يترك بعض ما ذكره ابنُ اسحاق من الروايات التي لا يرد فيها ذكرُ النبي — ﷺ — أو التي لا يشير إليها نَصُّ القرآن بشيء، ولا تحتوي على مناسبة أو شرح أو تأكيد أي أمر آخر مرويّ في كتاب ابن إسحاق.. ولا يوجد أي مبرر لهذا الحذف سوى الاختصار.

.. ولم يقف ابن هشام في تهذيب السيرة على سبب الاختصار بل كانت هناك أسباب أخرى منها كما ذكر في مقدمة كتابه : « ...وأشعاراً لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها... » وهنا نرجع إلى بحث الأستاذ عبد العزيز الدوري حيث قارن بين سيرة ابن هشام رواية عن البكائي ومخطوطة برواية يونس بن بكير[1] ذكر : « ليظهر أن ابن هشام حذف كثيرا من السيرة » في المخطوطة مثل قصائد لأبي طالب في مسيره برسول الله — ﷺ — إلى الشام. وقطعتان شعريتان للزبير وقصيدة لورقة بن نوفل يستبطئ فيها بعث النبي — ﷺ — وقصيدتين لورقة بن نَوْفل.. الخ

أما ما حذفه ابن هشام من الروايات فقد عبر عنه في مقدمته أيضاً بقوله : « وأشياء بعضها يشنع الحديثُ به وبعض يسوء بعضِ الناس ذكره.. » ومثال لذلك حذفه مجموعة من الروايات عن علم أهل الكتاب بظهور النبيِّ، وأن زمانه قد أطل.. الخ.

---

(١) انظر الدراسة التي قدمها لدورة مجمع اللغة العربية المنعقد ببغداد في رجب١٣٨٥، فهي دراسة قيمة مفيدة — شكر الله له.

ويعلق عبد العزيز الدوري على هذا بقوله : « إن الكثير من المعلومات الواردة فيها قصصية أو أسطورية ولعله حذفها لهذا السبب، ولكن القليل منها يرد بأسانيد أفضل من كثير من الروايات التي أثبتها ابن هشام « مثلا (ص ١٩) رواية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة حول طواف القرشيين، ورواية أخرى (ص ٢٠) عن هشام بن عروة عن أبيه حول السعي بين الصفا والمروة » وحذف روايات عن ورقة بن نوفل (ص ٤٠ ــ ٤١، ص ٤٦) كما حذف روايات مختلفة عن الرسول ــ ﷺ ــ قبل البعث (ص ٤٠، ص ٤١) منها رواية عن محمد بن عبدالله بن قيس بن مَخْرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال : « سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : ما هممت بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يلهون به إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما » ثم يسرد محاولتين للهو البريء وهو التفرج على حفلة عُرس (٧ــ٨) (المخطوطة).

أيضا كما قلنا فقد حذف ابن هشام حقائق علق بحذفه لها بقوله : « .. وبعض يسوء بعض الناس ذكره.. » ومثالا على ذلك النوع من الحذف ذكر يوسف هوروفتس[1] خبراً عن أسر العباس في بدر، ذلك الخبر الذي تركه ابن هشام خوفاً من إساءته إلى بعض الناس. وأيضاً خبر عن سرقة كنز الكعبة.

ويوضح لنا ابن هشام أيضاً جزءاً من منهجه في تهذيبه للسيرة أكثر بقوله : « ... وبعض لم يقر لنا البكّائي بروايته، ومستقصى إن شاء الله ما سوى ذلك بمبلغ الرواية له والعلم به ».

---

(١) المغازي الأولى ومؤلفوها ــ ترجمة الأستاذ حسين نصار.

نجد هنا أن ابن هشام كان معتمداً وملتزماً برواية البكائي وحذف ما عدا ذلك.

وقد ذكر الأستاذ : محمد حميد الله منهج ابن هشام في هامش مقدمة كتاب ابن إسحاق سبباً آخر من الأسباب التي دعت ابن هشام لتهذيب السيرة وهي تكرار بعض أسماء وردت في سيرة ابن إسحاق. فمثلا هناك أسماء من هاجر إلى الحبشة، ذكرها ابن إسحاق مرتين في بابين مختلفين، وحتى في داخل الباب الواحد يذكر الأسماء أحياناً مرتين.

ومن منهج ابن هشام في شرحه للسيرة اتخاذُه القرآن الكريم وتفسيره أساساً لإثبات صحة الروايات.

شهرة سيرة ابن هشام بين العرب والمستشرقين :

يمكن القول بأن صيت ابن هشام علا منذ فترة مبكرة لتهذيبه للسيرة النبوية، ويتجلى ذلك في موقف اليعقوبي الذي « توفي حوالي سنة ٣٠٠ هـ » أي بعد وفاة ابن هشام بحوالي ٨٧ سنة فقط نجده قد اعتمد على ما هذبه ابن هشام في روايته للسيرة.

وهذا الصيت المبكر أدى إلى انتشار سيرة ابن هشام مما قلل الحاجة إلى معرفة سيرة ابن إسحاق « وهي الأصل ».

وتمتد شهرة ابن هشام إلى مراكش فقد اعتمد عليها السهيلي صاحب « الروض الأنف » في شرحه للسيرة ولم يقف الأمر هكذا فقد تناوله أئمة علماء كانوا متفردين بين علماء عصرهم نذكر منهم أبا ذر الخشني الذي شرح ألفاظ سيرة ابن هشام. ولم تقف شهرة سيرة ابن هشام على العلماء العرب فقط فقد تناولها كثير من المستشرقين والمسلمين في كل مكان

منهم الأستاذ غليوم الذي لخص سيرة ابن هشام بالإنجليزية، ويبدو أنه كان يبحث عما كتبه ابن إسحاق، لذلك نجده يحذف ويزيد عن طريق مصادر متعددة مثل الطبري وغيره، محاولةً منه لتكملة ما حذفه ابن هشام. وأيضاً قام الأستاذ : شاطاري بترجمة سيرة ابن هشام ونشرتها الجامعة العثمانية في حيدر أباد.

وبعدها وإلى الآن ظلت باقية يتعاقبها المؤرخون والمحققون بالشرح، ويُستخلص منها بعض الأحكام الشرعية والفقهية « فيما يُسمى بفقه السيرة » ومن هنا نقول إن كثيرا من العلماء يدينون لابن هشام برواية السيرة وتهذيبها وحفظها.

وفاته :

اجتمع الرأي في وفاة ابن هشام على المكان وهو الفسطاط بمصر، ولكن انقسم الرأي في تاريخ وفاته إلى فريقين، فريق قال سنة ٢١٣ هـ. وفريق آخر « على رأسهم عبد الرحمن بن أحمد بن يونس أبو سعيد صاحب « تاريخ مصر » الذي جعله للغرباء القادمين على مصر قال فيه « إن عبد الملك بن هشام توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة « ٢١٨ هـ ـــ مايو ٨٣٤ م » والله أعلم بالصواب.

آثاره :

ولابن هشام أكثر من مؤلف في أكثر من علم فمثلا بخلاف تهذيب سيرة ابن إسحاق وشرحها، نجده عالما في النسب وله كتاب في أنساب حمير وملوكها أسماه كتاب « التيجان لمعرفة ملوك الزمان » وهو يرويه بسنده عن وهب بن منبه، وقد طبع في حيدر أباد بالهند سنة ١٣٤٧ هـ.

وله أيضاً مؤلف في النحو ــ وبذلك كان يطلق عليه النحوي ــ ويذكر أيضاً من تآليفه شرح أخبار الغريب في السيرة.

رحم الله مؤلفنا ابن هشام وأكرمه على جميل صنعه.

وكتبه محققه

طه عبد الرءوف سعد

المراجع والمصادر

هذه بعض المراجع التي اعتمدنا عليها، فبعد القرآن الكريم وتفاسيره، وكتب السنة المطهرة وشروحها ــ رجعنا إلى الكتب الآتية :

ــ الأعلام : قاموس تراجم لخير الدين الزركلي
ــ إنباه الرواة: **القفطي**
ــ أنساب الأشراف : **البلاذري**
ــ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء : **ياقوت الحموي**
ــ البداية والنهاية في التاريخ : **ابن كثير**
ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : **السيوطي**
ــ بغية الملتمس : **الضبي**
ــ تاريخ آداب اللغة العربية : **جورجي زيدان**
ــ تاريخ الأدب العربي : **كارل بروكلمان**
ــ تاريخ الرسل والملوك : **الطبري**
ــ تاريخ بغداد أو مدينة السلام : **أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي [ت ٤٦٣ هـ]**
ــ تراث الإنسانية (سلسلة) : **المجلد الأول العدد العاشر**

ـ تذكرة الحفاظ : **الحافظ الذهبي**
ـ تهذيب التهذيب : **ابن حجر العسقلاني**
ـ دائرة المعارف الإسلامية
ـ دائرة المعارف النظامية : (**ط**) **٢، ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤ هـ**
ـ الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب : **ابن فرحون**
ـ تاريخ أبي الفدا : **أبو الفدا**
ـ دراسة في سيرة النبي ـ ﷺ ـ ومؤلفها ابن إسحاق : **عبد العزيز الدوري**
ـ الروض الأنف : **السهيلي** (من تحقيقنا)
ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة : **محمد بن جعفر الكتاني**
ـ سيرة ابن إسحاق : **جمع وتحقيق محمد حميد الله**
ـ شذرات الذهب : **ابن العماد**
ـ ضحى الإسلام : **أحمد أمين**
ـ طبقات الشعراء : **ابن سلام**
ـ طبقات المدلسين : **ابن حجر** (من تحقيقنا)
ـ طبقات ابن قاضي شهبة : **ابن قاضي شهبة**
ـ غاية النهاية في طبقات القراء : **لابن الجزري**
ـ الفهرست : **ابن النديم**
ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير : **ابن سيد الناس**
ـ العبر في خبر من غبر : **الحافظ الذهبي**
ـ المعارف : **ابن قتيبة**
ـ فتح القريب في سيرة الحبيب : **فتح الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد**
ـ فتوح البلدان : **البلاذري**

ـ كشف الظنون : **حاجي خليفة**

ـ كشف اللثام في شرح سيرة ابن هشام : **بدر الدين محمد بن أحمد العيني الحنفي ت ٨٥٥ هـ.**

ـ الطبقات الكبرى : **ابن سعد**

ـ الكمال في معرفة الرجال : **الجماعيلي**

ـ مختصر سيرة ابن هشام : **للبرهان إبراهيم بن محمد بن المرحل**

ـ المورد العذب الهني في كلام على سيرة عبد الغني : **عبد الكريم بن محمد الجماعيلي الحنبلي**

ـ مشاهير علماء الأمصار : **البستي**

ـ ميزان الاعتدال في تراجم الرجال : **الذهبي**

ـ مروج الذهب : **المسعودي**

ـ معجم البلدان : **ياقوت**

ـ نكت الهميان : **الصفدي**

ـ نفح الطيب : **المقري**

ـ وفيات الأعيان : **ابن خلكان**

ـ الوافي بالوفيات : **الصفدي**

مصادر أجنبية

«J. Horowitz - the Earliest biographies of the Prophet and their Authors. Islamic culture 1927 - I p. 535 - 9, II pp. 22 - 50; pp. 164 - 182, pp. 415 - 520»

« هوروفتس »، وقد عربه الدكتور حسين نصار بعنوان « المغازي الأولى ومؤلفوها القاهرة ١٩٤٦ » من أشمل الدراسات الأجنبية.

كتب « فوك » رسالة جامعية عن ابن إسحاق — أول دراسة علمية (أجنبية)

«J. Fück - Muhammad Ibn Ishaq - Frankfurt um Main 1923»

والحمد لله على حسن الختام.

المحقق

طه عبد الرءوف سعد



الجزء الأول



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وبه نستعين ﴾

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكي
من محمد صلى الله عليه وآله وسلم
إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبدُ الملك بنُ هشام : هذا كتابُ سيرة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ محمد بن عبد الله[1] بن عبد المطلب. واسم عبد المطلب : شَيْبَة[2]، بن هاشم .

---

(١) عبد الله : معناه الخاضع الذليل له تعالى، وقد جاء « أحب أسمائكم، وفي رواية : أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » وجاء « أحب الأسماء إلى الله ما تُعبد به »
وقد سُمي ﷺ بعبد الله في القرآن، قال الله تعالى : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه** ﴾ الآية ١٩ من سورة الجن.

(٢) يدعى شيبة الحمد : لكثرة حمد الناس له : أي لأنه كان مفزَع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور، فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعالاً من غير مدافع ولا منازع.
وقيل : قيل له شيبة الحمد ؛ لأنه وُلد وفي رأسه شَيْبة : أي كان وسط رأسه أبيض، أو سمي بذلك تفاؤلا بأنه سيبلغ سن الشيب كما سموا بهرم وكبير، وقيل اسمه عامر، =

= وعاش مائة وأربعين سنة : وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وكان مُجاب الدعوة، وكان يقال له الفيَّاض لجوده، ومُطعم طير السماء، لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال.

وكان من حلماء قريش وحكمائها، وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان، وكان في جوار عبد المطلب يهودي فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة، فأغرى عليه حرب من قتله، فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب، ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفاظا لجواره، ثم نادم عبد الله بن جُدعان.

وقيل له عبد المطلب، لأن عمه المطلب لما جاء به صغيراً من المدينة أردفه خلفه : وكان بهيئة رثة : فصار كل من يسأل عنه ويقول من هذا ؟ يقول عبدي أي حياء أن يقول ابن أخي، فلما دخل مكة أحسن من حاله وأظهر انه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب : ويحكم إنما هو شَيْبة ابن أخي هاشم، لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب .

وقيل لأنه تربَّى في حجر عمه المطلب، وكان عادة العرب أن تقول لليتيم الذي تربى في حجر أحد هو عبده.

وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيئات الأمور.

وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار داراً يُجزى فيها المحسن بإحسانه، ويُعاقب المسيء بإساءته : أي فالمظلوم شأنه في الدنيا ذلك، حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي مُعَدَّة له في الآخرة، ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام. وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها : منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان، وكان لِدَة عُبيد بن الأبرص الشاعر، غير أن عبيدا مات قبله بعشرين سنة، قتله المنذر. ويقال : إن عبد المطلب أول من خَضَب بالسواد من العرب، والله أعلم. والمطلب مفتعل من الطلب.

ويقال : قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما لما مر بالمدينة في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خراش بن خندف بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري وكان سيد قومه فأعجبته ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها عنده، وقيل بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة. فلما رجع من الشام بنى بها =

واسم هاشم[1] : عَمرو بن عبد

= وأخذها معه إلى مكة، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى، فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ووضعت سلمى ولدها فسمته شيبة فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين، ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذه خفية عن أمه فذهب به إلى مكة. فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا من هذا معك ؟ فقال عبدي ثم جاءوا فهنئوه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغلب عليه.

وساد في قريش سيادة عظيمة وذهب بشرفهم ورآستهم. فكان جماع أمرهم عليه وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب،

وهو الذي جدد حفر زمزم بعد ما كانت مطمومة من عهد جرهم، وهو أول من طلى الكعبة بذهب في أبوابها من الغزالتين من ذهب اللتين وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القلعية.

(١) أما هاشم فاسمه عمرو، كما ذكر. وهو اسم منقول من أحد أربعة أشياء : من العمر الذي الذي هو العُمر أو العَمر الذي هو من عمور الأسنان، وقاله القتبي، أو العَمر الذي هو طرف الكم، يقال سجد على عَمريه أي على كميه أو العَمر الذي هو القُرط كما قال التنوخي :

وعمــــرو هنــــــد كأن الله صوَّره عمـرو بن هنـد يسود النـاس تعنيتـا

يقصد بعمرو الأولى في البيت السابق : القرط، وبعمرو الثانية : عمرو بن هند أحد ملوك العرب المستبدين.

وزاد أبو حنيفة الدينوري في كتابه « النبات » ــ وجها خامسا فقال في العمر الذي هو اسم لنخل السكر : ويقال عَمر أيضاً، قال : يجوز أن يكون أحد الوجوه التي بها سمي الرجل عَمراً وقال : كان ابن أبي ليلى يستاك بعسيب العَمر.

وإنما سمي هاشما لأنه أول من هشم الثريد بعد جده إبراهيم، فإن إبراهيم أول من فعل ذلك. أي ثرد الثريد وأطعمه للمساكين، وفيه أن أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة بعد إبراهيم جد هاشم « قصي ».

ففي الإمتاع : وقصي أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة. وفيه أيضا هاشم عمرو العلا، أول من أطعم الثريد بمكة، ويقال : إن أول من فعل ذلك عمرو بن لحيّ.

وقد يقال : لا منافاة لأن الأولية إضافية، فأولية قصي لكونه من قريش، وأولية عمرو بن لحيّ لكونه من خزاعة، وأولية هاشم باعتبار شدة مجاعة حصلت لقريش وإلى ذلك يشير الشاعر بقوله :

وأطعـم في المحْـل عمــرو العــلا فللمسنتيــــــــــن به خصب عام =

= وقال أيضاً :

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابي للوفود إذا لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد مُلئت قوتا لحاضره منهم وباديه

وقد قيل فيه :

قل للذي طلب السماحة والندى هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلمّ للأضياف

وعن بعض الصحابة قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله تعالى عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول :

يا أيها الرجل المحوّل رحله ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك، لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقتار

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق، ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : هكذا سمعت الرواة ينشدونه، كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته وقيل للزبعرى والد عبد الله :

عمرو الذي هَشَم الثريد لقومه ورجالُ مكةَ مُسْنِتون عجافُ
سُنَّتْ إليه الرحلتان كلاهما سَفَرُ الشتاء ورحلةُ الأصياف

وذلك لأنه أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، وكان أكبر ولد أبيه.

وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة، فكان يعمل الطعام للحجاج، يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد، ويقال لذلك الرفادة.

واتفق أنه أصاب الناس جدب شديد فخرج هاشم إلى الشام، وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام، فاشترى دقيقاً وكعكاً وقدم به مكة في الموسم، فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا، وأطعم الناس حتى أشبعهم ؛ فسمي بذلك هاشما. وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء.

قال بعضهم : لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء. قال ابن الصلاح : روينا عن الإمام سهل الصعلوكي أنه قال في قوله ﷺ « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أراد فضل ثريد عمرو العلا، الذي عظم نفعه وقدره، وعم خيره =

= وبره، وبقي له ولعقبه ذكره.

قال : وقد ذكر أنه كان إذا هل هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها يخطب ويقول في خطبته : يا معشر قريش إنكم سادة العرب، أحسنها وجوها، وأعظمها أحلاما أي عقولا، وأوسط العرب : أي أشرفها أنسابا، وأقرب العرب بالعرب أرحاما. يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله تعالى، أكرمكم الله تعالى بولايته، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل، وإنه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم، فأكرموا ضيفه وزواره، فإنهم يأتون شُعْثا غُبْرا من كل بلد على ضوامر كالقداح، فأكرموا ضيفه وزوار بيته، فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه، وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يُقطع فيه رحم، ولم يُؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام ؛ فمن شاء منكم أن يفعل مثلي فعل، وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيبا ؛ لم يُؤخذ ظلما، ولم يُقطع فيه رحم، ولم يُؤخذ غصبا، فكانوا يجتهدون في ذلك، ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة.

لكل ما تقدم يقال لهاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار : أي الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب.

وحكى ابن جرير عن « هاشم » : أنه كان توأم أخيه عبد شمس وأن هاشما خرج ورجله أي [إصبعها] ملتصقة برأس عبد شمس، ولم يمكن نزعها إلا بسيلان دم، فما تخلصت حتى سال بينهما دم، فقال الناس بذلك يكون بين أولادهما حروب، أو يقولون سيكون بينهما دم، فكان بين ولديهما أي بين بني العباس، وبين بني أمية بن عبد شمس سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة.

وكان إخوة هاشم : عبد شمس والمطلب ـــ كان أصغر ولد أبيه وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال ـــ وأيضاً نوفل من أم أخرى وهي واقدة بنت عمرو المازنية ولهم أخ ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد، وأصل اسمه عبد قصي. وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم وصارت لهم الرياسة وكان يقال لهم المجيرون، وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا في التجارات إلى بلادهم، فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر ملك الحبشة، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة، وأخذ لهم المطلب أمانا من ملوك حمير.

قال بعضهم : ولا يعرف بنو أب تباينوا في محالّ موتهم مثلهم ؛ فإن هاشم مات بغزة، وعبد شمس مات بمكة، وقبره بأجياد، ونوفلا مات بالعراق، والمطلب مات ببرعاء من أرض اليمن.

مناف، واسم عبد مناف[1] : المُغيرة بن قُصي[2]،

---

(١) مناف أصل اسمه مناة اسم لصنم عظيم لهم، وكان سُمي به عبد مناة، ثم نظر قصي فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة، فحوله : عبد مناف. وكانت أمه جعلته خادماً لذلك الصنم. وقيل وهبته له لأنه كان أول ولد لقصي على ما قيل، وعبد مناف اسمه المغيرة : وهو منقول من الوصف، والهاء فيه للمبالغة، أي أنه مُغير على الأعداء، أو مغير من : أغار الحبل إذا أحكمه، ودخلته الهاء كما دخلت في علّامة ونسّابة، لأنهم قصدوا الغاية، وأجروه مجرى الطامة والداهية. وكانت الهاء أولى بهذا المعنى ؛ لأن مخرجها غاية الصوت ومنتهاه، ومن ثم لم يكسَّر ما كانت فيه هذه الهاء، فلا يقال في علامة، علاليم، وفي نسابة : نساسيب ؛ كي لا يذهب اللفظ الدال على المبالغة، كما لم يكسَّر الاسم المصغر كي لا نذهب بنية التصغير وعلامته.

ويجوز أن تكون الهاء في مغيرة للتأنيث، ويكون منقولا من وصف كتيبة، أو خيل مغيرة، كما سموا بعسكر.

وعبد مناف هذا كان يلقب : قمر البطحاء ــ لحسنه وجماله ــ فيما ذكر الطبري. ويروى عن أبي نعيم قال : قلت لمالك : ما كان اسم عبد المطلب ؟ قال : شيبة، قلت : فهاشم، قال : عمرو، قلت : فعبد مناف، قال : لا أدري !! وكان عبد مناف أخو عبد الدار الذي كان أكبر ولد أبيه وإليه أوصى بالمناصب وعبد العزى وعبد وبرة وتخمر، وأمهم كلهم حُبَّى بنت حليل بن حبشي بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي، وأبوها آخر ملوك خزاعة وولاة البيت منهم وكلهم أولاد قصي.

وعبد مناف الجد الثالث لرسول الله ﷺ، وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان، والجد التاسع للإمام الشافعي رضي الله تعالى عنهما.

(٢) وقُصي اسمه زيد، ويدعى مجمعاً أيضاً وهو تصغير قَصِي أي بعيد، لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قُضاعة، حين احتملته أمه فاطمة مع ربيعة بن حزام. وصغر على فُعَيْل وهو تصغير فَعيل. وقيل له قصي لأنه ــ كما سبق ــ بعد مع أمه إلى الشام، لأن أمه تزوجت بعد موت أبيه، وهو فطيم، بشخص يقال له ربيعة بن حزام. وقيل حزام بن ربيعة العذري، فرحل بها إلى الشام، وكان قصي لا يعرف له أبا إلا زوج أمه المذكور. فلما كبر وقع بينه وبين آل زوج أمه شر، فغضب ذلك الرجل وعير قصيا بالغربة، وقال له : ألا تلحق بقومك وببلادك فإنك لست منا.

وفي لفظ : لما قيل له ذلك، قال ممن أنا ؟ قيل له سلْ أمك فشكا ذلك إلى أمه، فقالت له : بلادك خير من بلادهم، وقومك خير من قومهم، أنت أكرم أباً منهم، أنت ابن كلاب بن مرة، وقومك بمكة عند البيت الحرام تفد إليه العرب =

= فلما أراد الخروج إلى مكة قالت له أمه : لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة، فإني أخاف عليك، فشخص مع الحجاج، فقدم قصي مكة على قومه مع حجاج قضاعة، فعرفوا له فضله وشرفه، فأكرموه وقدموه عليهم، فساد فيهم ثم تزوج بنت حُليل الخزاعي وكان أمر مكة والبيت إليه، وهو آخر من ولي أمر البيت والحكم بمكة من خزاعة، فجاء منها بأولاده، فلما انتشر ولده وكثر ماله وعلم شرفه مات حُليل، فرأى قصي أنه أولى بأمر مكة من خزاعة، لأن قريشا أقرب إلى إسماعيل من خزاعة، فدعا قريشا وبني كنانة إلى إخراج خزاعة من مكة فأجابوه إلى ذلك وانضم له قضاعة، جاء بهم أخو قصي لأمه فأزاح قصي يد خزاعة وولي أمر مكة.

وقيل إن حُليلا جعل أمر البيت لقصي. ولا منافاة لجواز أن تكون خزاعة لم ترض بما فعله حُليل من أن يكون أمر البيت لقصي فحاربهم وأخرجهم من مكة.

وقيل إن حُليلا أوصى بذلك لأبي غُبشان بعد أن أوصى بذلك لابنته زوج قصي، وقالت له لا قدرة لي على فتح البيت وإغلاقه، وأن قصيا أخذ ذلك منه بزق خمر، فقالت العرب : أخسر صفقة من أبي غُبشان.

وقيل إن أبا غبشان أعطى ذلك لبنت حُليل زوج قصي، وأعطاه أثوابا وأبعرة، فكان أبو غبشان آخر من ملك أمر مكة والبيت من خزاعة.

ولا يخالف ذلك ما تقدم من أن حُليلا آخر من ولي أمر البيت والحكم بمكة، لجواز أن يكون المراد آخر من ولي ذلك، واستمر كذلك إلى أن مات. قال بعضهم : وكان أبو غُبشان خالا لقصي، وكان في عقله شيء، فخدعه قصي فاشترى منه أمر مكة والبيت بأذواد من الإبل. والجمع بين هذه الروايات من أن قصيا أخذه من أبي غُبشان بزق خمر، وبين أنه أخذ ذلك بأثواب وأبعرة، وبين أنه أخذ ذلك بأذواد من الإبل ممكن، لجواز أن يكون جمع بين الخمر والأثواب والإبل فوقع الاقتصار على بعضها من بعض الرواة.

ثم جمع قصي قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثنتي عشرة قبيلة، ومن ثم قيل له مجمع. وإلى ذلك يشير قول الشاعر :

قصي لعمري كان يُدْعَى مجمعـا ... به جمـع الله القبائـل في فهـر

وصار قصي رئيسا لقريش على الإطلاق حين أزاح يد خزاعة عن البيت، وأجلاهم عن مكة بعد أن لم يسلموا لقصي في ولاية أمر البيت، ولم يجيزوا ما فعل حُليل وأبو غُبشان على ما تقدم، وذلك بعد أن اقتتلوا آخر أيام منى بعد أن حذرتهم قريش الظلم والبغي، وذكرتهم ما صارت إليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم، فأبت خزاعة، فاقتتلوا قتلا شديدا، وكثر القتل والجراح في الفريقين إلا أنه في خزاعة أكثر، ثم تداعوا للصلح واتفقوا =

= على أن يحكِّموا بينهم رجلا من العرب، فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا، فقال لهم : موعدكم فناء الكعبة غدا، فلما اجتمعوا قام يعمر، فقال : ألا إني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدميَّ هاتين، فلا تباعة لأحد على أحد في دم. وقيل قضى بأن كل دم أصابته قريش من خزاعة موضوع، وأن ما أصابته خزاعة من قريش فيه الدية، وقضى لقُصيّ بأنه أولى بولاية مكة، فتولاها.

وكانت خزاعة قد أزالت يد جرهم عن ولاية البيت، فإن مضاض بن عمرو الجرهمي الأكبر ولي أمر البيت بعد نابت بن إسماعيل عليه الصلاة والسلام، فإنه كان جدا لنابت وغيره من أولاد إسماعيل لأمهم، واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخئولتهم، وإعظاما لأن يكون بمكة بغي.

ثم إن جرهما بغوا بمكة، وظلموا من يدخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها، فأجمعت خزاعة لحربهم وإخراجهم من مكة، ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله تعالى على جرهم دواب تشبه النغف، فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب. وذهب من بقي إلى اليمن مع عمرو بن الحارث الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من جرهم، وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو أبياتا منها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت	نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا	صروف الليالي والدهور البواتر

وصارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم. وكان كبير خزاعة عمرو بن لحي، وهو ابن بنت عمرو بن الحارث الجرهمي آخر ملوك جرهم المتقدم ذكره.

وقد بلغ عمرو بن لحي في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده في الجاهلية. وهو أول من أطعم الحج بمكة سدائف الإبل ولحمانها على الثريد.

وفي كلام بعضهم : صار عمرو للعرب ربا، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شِرْعةً، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم، وربما نحر لهم في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة.

وهو أول من غير دين إبراهيم : فقد قال بعضهم : تضافرت نصوص العلماء على أن العرب من عهد إبراهيم استمرت على دينه : أي من رفض عبادة الأصنام إلى زمن عمرو ابن لحي، فهو أول من غير دين إبراهيم، وشرع للعرب الضلالات، فعبد الأصنام، وسيَّب السائبة وبحَّر البحيرة. =

= وعمرو أول من وصل الوصيلة، وحمى الحامي، ونصب الأصنام حول الكعبة وأتى بهُبل من أرض الجزيرة ونصبه في بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالأزلام.

وأول من أدخل الشرك في التلبية، فإنه كان يلبي بتلبية إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وهي « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك » فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك، قال له ذلك الشيخ : « إلا شريكا هو لك »، فأنكر عمرو ذلك، فقال، فقال له ذلك الشيخ : « تملكه وما ملك »، وهذا لا بأس به، فقال ذلك عمرو، فتبعته العرب ذلك : أي فيوحِّدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده، قال تعالى توبيخا لهم ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾

وهو أول من أحل أيضا أكل الميتة، فإن كل القبائل من ولد إسماعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحي فزعم أن الله تعالى لا يرض تحريم أكل الميتة، قال : كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون ما قتلتم ؟

وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قُصبه في النار » وفي رواية (أمعاءه) أي وهي المراد بالقُصب بضم القاف. وفي رواية « رأيته يؤذي أهل النار بريح قُصبه ».

وقال ﷺ لأكثم بن الجون الخزاعي واسمه عبد العزى وأكثم بالثاء المثلثة : وهو في اللغة واسع البطن « يا أكثم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبه من رجل منك به ولا بك منه، فقال أكثم : فعسى أن يضرني شبهه يا رسول الله، قال لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان »

فإن العرب من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام استمرت على دينه لم يغيره أحد إلى عهد عمرو بن لحي.

ويقال إن عمرو بن لحي هو الذي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد، وكانت الأزد يحجون إليه ويعظمونه، وكذلك الأوس والخزرج وغسان.

وكان عمرو يخبر قومه بأن الرب يشتي بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى، فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون إلى العُزى كما يهدون إلى الكعبة. وقُصيّ هو الذي أمر قريشا أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم إن فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم، فبنوا حول البيت من جهاته الأربع وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب إليه، كباب بني شيبة، وباب بني سهم، وباب بني مخزوم، وباب بني جمح، وتركوا قدر المطاف بالبيت فبنى قُصَيّ دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة، =

= واستمر الأمر على أنه ليس حول الكعبة إلا قدر المطاف، وليس حوله جدار زمنه ﷺ وزمن ولاية الصديق رضي الله عنه، فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها، ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله تعالى عنه اشترى دورا أخرى وغالى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد، ثم إن ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في المسجد زيادة كثيرة، ثم إن عبد الملك ابن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيئا، ثم الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل إليه أعمدة الرخام، ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين.

وكانت قريش قبل ذلك : أي قبل بناء منازلهم في الحرم يحترمون الحرم ولا يبيتون فيه ليلا، وإذا أراد أحدهم قضاء حاجة الإنسان خرج إلى الحل.

وقد جاء أنه ﷺ لما كان بمكة إذا أراد حاجة الإنسان خرج الى المغمش وهو على ثلثي فرسخ من مكة.

ومما يؤثر عن قُصَيّ : من أكرم لئيما أشركه في لؤمه. ومن استحسن قبيحا نزل إلى قبحه. ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان. ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان. ولما احتضر قال لأولاده : اجتنبوا الخمر، فإنها تفسد الأذهان.

وحاز قُصَيّ شرف مكة كله، فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة.

وكان عبد الدار أكبر أولاد قُصَيّ وعبد مناف أشرفهم : أي لأنه شرف في زمان أبيه قُصَيّ، وذهب شرفه كل مذهب، كذلك كان أخوه المطلب، كان يقال لهما البدران، وكانت قريش تسمي عبد مناف الفياض لكثرة جوده، فأعطى قُصَيّ ولده عبد الدار جميع تلك الوظائف التي هي السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة.

(١) واسمه حكيم، وقيل عروة، ولقب بكلاب لأنه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب، وهو الجد الثالث لآمنة أمه ﷺ، ففي كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه.

ولفظ « كلاب » : وهو منقول إما من المصدر الذي هو معنى المكالبة، وإما من الكلاب جمع كلب. لأنهم يريدون الكثرة. وقد قيل لأبي الرقيش الأعرابي : لم تسمون أبناؤكم بشر الأسماء نحو : كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : مرزوق ورباح، فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا. يريد أن الأبناء عدة الأعداء وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء.

ابن مُرَّة[1]، بن كَعب[2] بن لُؤَيّ[3]،

---

(١) مرة منقول من وصف الحنظلة والعلقمة، وكثيرا ما تسمي العرب بحنظلة وعلقمة. ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة ؛ فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة، ويقوي هذا قولهم : تميم بن مر وهو من المسمين بالنبات ؛ لأن أبا حنيفة الدينوري ذكر في كتاب : النبات : أن المرة بقلة تقلع فتؤكل بالخل والزيت، يشبه ورقها ورق الهندباء. وأبناء « مرة » ثلاثة

هم كلاب ، وتيم ويقظة أبو مخزوم

ومرة أخو عدي وهصيص.

ومرة هو الجد السادس لأبي بكر رضي الله عنه، والإمام مالك رضي الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد.

(٢) وأما كعب فمنقول إما من الكعب الذي هو قطعة من السمن، أو من كعب القدم، وهو أشبه لقولهم : ثبت ثبوت الكعب. وجاء في خبر ابن الزبير : أنه كان يصلي عند الكعبة يوم قُتل، وحجارة المنجنيق تمر بأذنيه، وهو لا يلتفت كأنه كعب راتب أي ــ ثابت ــ

وكعب بن لؤيّ هذا أول من جمع يوم العروبة، ولم تسم العروبة الجمعة إلا منذ جاء الإسلام في قول بعضهم. وقيل : هو أول من سماه الجمعة ؛ لاجتماع قريش فيه إليه فيخطبهم، ويذكرهم بمبعث النبي ــ ﷺ ــ ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، ويقول : سيأتي لحرمكم نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم، وينشد أبياتا آخرها :

على غفلة يأتــي النبــي محمــد ‌ ‌ ‌ ‌ فيخبــر أخبــاراً صدوق خبيرُهــــا

وينشد أيضاً :

يا ليتني شاهــد فحـــواء دعوتـــه ‌ ‌ ‌ ‌ حيـن العشيرة تُبغى الحق خذلانـا

وكان بينه وبين مبعثه ﷺ خمسمائة سنة وستون سنة. وفي الإمتاع : وعشرون سنة، لأن الحق أن الخمسمائة والستين إنما هي بين موت كعب والفيل الذي هو مولده ﷺ كما ذكره أبو نُعَيْم في الدلائل النبوية.

وقيل إن كعب أول من قال (أما بعد) فكان يقول : أما بعد فاسمعوا وافهموا، وتعلموا واعلموا، ليل داج. وفي رواية : ليل ساج، ونهار صاح، والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأولون كالآخرين، فصِلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم، وثمِّروا أموالكم، الدار أمامكم، والظن غير ما تقولون.

وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه، لأن كل شيء علا وارتفع فهو كعب. وهو الجد الثامن لعمر رضي الله تعالى عنه.

(٣) قال ابن الأنباري : هو تصغير اللأى وهو الثور الوحشي وأنشد : =

= يعتاد أُدْحية بقين بقفرة ميثاء يسكنها اللأيُ والفرقد
ولؤي : بالهمزة أكثر من عدمها : وفي سبب تصغيره خلاف قال أبو حنيفة الدينوري : اللأى هي البقرة، وأنشد في وصف فلاة :
كظهر اللأى لو يبتغي ريّة بها نهاراً لأعيت في بطون الشواجن
وهو أيضاً تصغير لأي، لأن اللأي : البطء، كأنهم يريدون معنى الأناة وترك العجلة، وذلك أنه وُجد في أشعار بدر مكبراً على هذا اللفظ في شعر أبي أسامة حيث يقول :
فدونكم بني لأي أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو
مع ما جاء في بيت الحُطيئة :
أتت آل شماس بن لأي وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العِدُّ
وقوله أيضا :
فماتت أمُّ جارة آل لأي. ولكن يضمنون لها قراها
وفي الحديث من قول أبي هريرة : « أحبُّ إليَّ من شاء ولاء » فاللاء ههنا جمع اللائي، وهو الثور، مثل الباقر والجامل. وتوهم ابن قتيبة أن قوله لاء مثل ماء فخطأ الرواية. وقال إنما هو « ألْآء » مثل ألعاع جمع لأي.
وكعب وعامر وسامة وخزيمة وسعد والحارث وعوف سبعتهم أبناء لؤي أخي تَيْم الأدرم.

(١) وأبناء غالب هم لؤي وتَيْم الأدرم وغالب أخي الحارث ومحارب.

(٢) [فهر] : قيل : إنه لقب، والفهر من الحجارة الطويل، واسمه قريش، وقيل بل اسمه فهر، وقريش لقب له : إنما سمي قريشا لأنه كان يقرش : أي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم، فسموا بذلك قريشا. قال بعضهم : وهو جماع قريش عند الأكثر، قال الزبير بن بكار : أجمع النسابون من قريش وغيرهم على أن قريشا إنما تفرقت عن فهر، وفهر هذا هو الجد السادس لأبي عبيدة بن الجراح. ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لأخذ أحجار الكعبة إلى اليمن ليبني بها بيتا، ويجعل حج الناس إليه ونزل بنخلة، خرج فهر إلى مقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب، فقاتله وأسره، وانهزمت حمير ومن انضم إليهم واستمر حسان في الأسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير، وخرج فمات بين مكة واليمن، فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا أمره. =

ابن مالك[١] بن النَّضْر[٢]، بن كِنانة[٣] بن خُزَيمة[٤]، بن مُدْرِكة[٥]، واسم مدركة :

= ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب : قليل ما في يديك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك.

وأبناء فهر هم غالب والحارث ومحارب، وفهر أخو الحارث وكلاهما ابن مالك. وقد روي عن نسابي العرب أنهم قالوا : من جاوز فهرا فليس من قريش وإليه تنسب القبيلة « قريش ».

(١) قيل له ذلك لأنه ملك العرب، وهو أخو الصلت ويخلد.

(٢) ولقب به لنضارته وحسنه وجماله، واسمه قيس، وهو جماع قريش عند الفقهاء، فلا يقال لأحد من أولاد من فوقه قرشي ويقال لكل من أولاده الذين منهم مالك وأولاده قرشي، فقد سُئل رسول الله ﷺ، « من قريش ؟ فقال من ولد النضر » أي وعلى أن جماع قريش « فهر » كما تقدم، فمالك وأولاده والنضر جده وأولاده ليسوا من قريش — ولكن ابن كثير في البداية والنهاية يرجح أن « النضر » الذي إليه جماع قريش.

وأمه برة بنت أد بن طابخة.

(٣) قيل له كنانة، لأنه لم يزل في كنّ من قومه. وقيل لستره على قومه وحفظه لأسرارهم، وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج إليه العرب لعلمه وفضله. وكان يقول : قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا إلى عزكم، ولا تعتدوا — أي تكذِّبوا — ما جاء به فهو الحق.

قال ابن دحية رحمه الله : كان كنانة يأنف أن يأكل وحده ؛ فإذا لم يجد أحداً أكل لقمة ورمى لقمة إلى صخرة ينصبها بين يديه أنفة من أن يأكل وحده.

ومما يؤثر عنه : رب صورة تخالف المخبرة، قد غرَّت بجمالها، واختبر قبح فعالها، فاحذر الصور واطلب الخبر.

(٤) وخزيمة والد كنانة، تصغير خزمة، وهي واحدة الخزم، وهو موجود في أسماء الأنصار وغيرهم، وهي المرة الواحدة من الخزم، وهو شد الشيء وإصلاحه. وقال أبو حنيفة الدينوري في كتابه « النبات » : الخزم مثل الدوم تتخذ من سعفه الحبال، ويصنع من أسافله خلايا للنحل، وله ثمر لا يأكله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه.

(٥) والصحيح عند الجمهور أن اسمه : عمرو، وقيل له مدركة لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه، وكان فيه نور رسول الله ﷺ : ولعل المراد ظهوره فيه.

عامر، بن إلْياس [1]، بن مُضر [2]،

---

(١) قال فيه ابن الأنباري إلياس بكسر الهمزة وقيل مفتوحة أيضاً، وقيل همزة وصل، وجعله موافقا لاسم إلياس النبي ـــ ﷺ ـــ وقال في اشتقاقه أقوالا منها : أن يكون فعيالاً من الألس وهي الخديعة وأنشد :

من فهَّة الجهل والألسة

ومنها : أن الألس اختلاط العقل وأنشدوا :

إني لضعيف العقل مألوس

ومنها : أنه إفعال من قولهم رجل ألْيس وهو الشجاع الذي لا يفر. قال العجاج :

أَلْيس عن حوبائه سخي

وقال آخر :

أَلْيس كالنشوان وهو صاح

والذي قاله غير ابن الأنباري أصح وهو أنه « الياس » ـــ سُمي بضد الرجاء، واللام فيه للتعريف، والهمزة همزة وصل وقاله قاسم بن ثابت في الدلائل، وأنشد أبياتا شواهد منها قول قصي :

إني لدى الحرب رخى اللبب أُمَّهتي خندف والياس أبي

وقيل : سمي بذلك، لأن أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد، فولد له هذا الولد فسماه الياس، وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته، وكانت لا تقضي أمراً دونه.

وهو أول من أهدى البدن إلى البيت، وأول من ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت كذا من حياة الحيوان فليتأمل، وجاء في حديث « لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا ».

قيل : وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه. ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حُزنا شديدا، لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت. ومن ثم قيل : أحزن من خندف. وقيل وأم الياس الرباب بنت حُمير بن معد بن عدنان، قاله الطبري، وهو خلاف ما قاله ابن هشام.

(٢) وأما مضر فقد قال القتبي : هو من المضيرة، أو من اللبن الماضر، والمضيرة شيء يصنع من اللبن ؛ فسُمي مضر لبياضه، والعرب تسمي الأبيض أحمر، فلذلك قيل مضر الحمراء.

ابن نزار[١]، بن مَعَدّ[٢] بن عدنان[٣]، بن أدٌّ[٤].

وقيل : بل أوصى له بقبة حمراء، وأوصى لأخيه ربيعة بفرس، فقيل مضر الحمراء وربيعة الفرس. وقيل : لأنه اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما أغنى نزارا أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء. وجاء في حديث « لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين » وفي رواية « لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة إبراهيم » وفي حديث غريب « لا تسبوا مضر فإنه كان على دين إسماعيل » .

ومما حفظ عنه : من يزرع شرا يحصد ندامة. وكان مضر من أحسن الناس صوتا، وهو أول من حدا من العرب للإبل.

(١) بكسر النون وهو من النزر وهو القليل، وكان أبوه حين وُلد له ونظر إلى النور بين عينيه ـــ وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب إلى محمد ـــ ﷺ ـــ فرح فرحاً شديداً به، ونحر وأطعم، وقال : إن هذا كله نزر لحق هذا المولود ؛ فسمي نزار لذلك.

(٢) وأما مَعَد فقال ابن الأنباري : فيه ثلاثة أقوال ـــ أحدها : أن يكون مفعلا من العد. والثاني : أن يكون فَعَلا من مَعَد في الأرض أي أفسد، كما قال :

وخـــار بيـــن خربـــا فمعَـــدا ما يحسبـــان الله إلا رقـــدا

وإن كان ليس في الإسماء ما هو على وزن فعل بفتح الفاء إلا مع التضعيف، فإن التضعيف يدخل في الأوزان ما ليس فيها، كما قالوا : شمَّر وقُشْعريرة، ولولا التضعيف ما وجد مثل هذا ونحو ذلك. الثالث : أن يكون من المعدّيْن وهما موضع عقبي الفارس من الفرس، وأصله على القولين الأخيرين من المعْد بسكون العين وهو القوة، ومنه اشتقاق المعدة. وقيل له معد لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل، ولم يحارب أحدا إلا رجع بالنصر والظفر.

(٣) فعلان من عدنان إذا أقام. ولعدنان أخوان : نبت وعمرو فيما ذكر الطبري. وقد قيل في عدنان : هو ابن مبدعة، وقيل : ابن يحشم قاله القتبي.

(٤) ويقال أدد : قال ابن السراج : هو من الود وانصرف.

ويقال أُدَد، بن مُقَوِّم[1]، بن ناحور[2]، بن تَيْرَح[3]، بن يَعْرُب، بن يَشْجُب[4]، بن نابت، بن إسماعيل[5]، بن إبراهيم[6] — خليل الرحمن — ابن تارح — وهو آزر[7] — بن ناحور، بن ساروغ، بن داعو، بن فالخ[8]، بن عَيْبر[9]، بن شالخ[10]، بن أَرْفَخْشَذ[11]، بن سام، بن

---

(١) مقوِّم بكسر الواو، وأبو أدد.

(٢) ناحور : من النحر.

(٣) وتيرح فيعل من الترحة إن كان عربيا.

(٤) ويشجب من الشجب، وإن كان المعروف أن يقال : شجب بكسر الجيم يشجب بفتحها، ولكن قد يقال في المغالبة : شاجبته فشجبته أشجبه، بضم الجيم من المضارع، وفتحها من الماضي ؛ كما يقال من العلم : عالمته فعلّمته بفتح اللام أعلُمه بضمها. وقد ذكرهم أبو العباس الناشئ في قصيدته المنظومة في نسب النبي — ﷺ — إلى آدم، كما ذكرها ابن إسحاق.

(٥) تفسيره : مطيع الله.

(٦) معناه : أب راحم. وما بعد إبراهيم أسماء سريانية فسر أكثرها بالعربية ابن هشام.

(٧) قيل معناه : يا أعوج، وقيل : هو اسم صنم، وانتصب على إضمار الفعل في التلاوة، وقيل : هو اسم لأبيه ؛ كان يسمى تارح وآزر، وهذا هو الصحيح لمجيئه في الحديث منسوبا إلى آزر، وأمه : نونا، ويقال في اسمها : ليوثى.

(٨) وقيل فيه فالغ ومعناها : القسام.

(٩) ويقال فيه عابر.

(١٠) معناها : الرسول، أو الوكيل.

(١١) تفسيره : مصباح مضيء، وشاذ مخفف بالسريانية : الضياء ومنه « حم شاذ » بالسريانية، وهو رابع الملوك، بعد « جيومرث » وهو الذي قتله الضحاك، واسمه « بيوراسب بن إندراسب » والضحاك مغير من : إزدهاق.

قال أبو تمام الشاعر المشهور :

كأنــه الضحــــاك في فتكاتـــــه ... بالعالميــــــن وأنت أفريــــــدون

لأن أفريدون هو الذي قتل الضحاك، بعد أن عاش ألف سنة في جور وعتو وطغيان عظيم ؛ وذلك مذكور على التفصيل في تاريخ الطبري.

نوح [1]، بن لَمَك [2]، بن مَتوُّشَلَخ [3]، بن أخنوخ [4] وهو إدريس [5] النبي ـــ فيما يزعمون ـــ والله أعلم. وكان أول بني آدم أُعطي النبوة، وخَطَّ بالقلم ـــ ابن يَرْد [6]، بن مَهْليل [7] بن قَيْنَن [8]، بن يانِش [9]، بن

---

(١) واسمه عبد الغفار ؛ وسمّي نوحاً لنوحه على ذنبه وأخوه : صابئ بن لامك ؛ إليه ينسب دين الصابئين ـــ عبدة الكواكب والملائكة، ومن يخرجون من دين إلى دين، ويزعم الصابئون أنهم على دين نوح عليه السلام ـــ فيما ذكروا والله أعلم.

(٢) ويقال لامك والد نوح عليه السلام. ولامك أول من اتخذ العود للغناء بسبب يطول ذكره، واتخذ مصانع الماء.

(٣) وذكره الناشئ في قصيدته فقال : :

ومن قبل لمك لم يزل متوشلـــخ يذود العـــدا بالزائـــدات الشوائب

فمتوشلخ هنا معناها : مات الرسول ؛ لأن أباه كان رسولا وهو خنوخ. أو أخنوخ.

(٤) قال ابن إسحاق وغيره : هو إدريس النبي ـــ عليه السلام ـــ وروى ابن إسحاق عن شهر ابن حوشب عن أبي ذر عن النبي ـــ ﷺ ـــ أنه قال : « أول من كتب بالقلم إدريس » وعنه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ إنه قال : « أول من كتب بالعربية إسماعيل » وقال أبو عمر : وهذه الرواية أصح من رواية من روى : أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل، والخلاف كثير في أول من تكلم بالعربية. وفي أول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز ؛ فقيل : حرب بن أمية. قاله الشعبي ـــ وقيل : هو سفيان بن أمية. وقيل : عبد ابن قصيّ، تعلمه بالحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار.

(٥) قيل : إنه إلياس، وإنه ليس بجد لنوح. ولا هو في عمود هذا النسب. قال الشيخ ـــ ويستدل بحديث الإسراء ـــ فإن النبي ـــ ﷺ ـــ كلما لقي نبيا من الأنبياء الذين لقيهم ليلة الإسراء، قال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح. وقال له آدم : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، وكذلك قال له إبراهيم. وقال له إدريس : والأخ الصالح، فلو كان في عمود نسبه، لقال له كما قال له أبوه إبراهيم، وأبوه آدم، ولخاطبه بالنبوة، ولم يخاطبه بالإخوة.

(٦) وتفسيره : الضابط.

(٧) وقيل مهلائيل : وتفسيره : الممدَّح، وفي زمنه كان بدء عبادة الأصنام.

(٨) وقيل : ابن قينان، وتفسيره المستوي.

(٩) وقيل : أنوش، وتفسيره الصادق، وهو بالعربية : أنش ؛ وهو أول من غرس النخلة، وبوب الكعبة، وبذر الحبة فيما ذكروا.

شيث[1]، بن آدم[2]، ﷺ.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائي[3]، عن محمد بن إسحاق المطلبي[4]، بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره.

قال ابن هشام : وحدثني خلاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسي، عن شَيْبان ابن زُهَيْر بن شقيق بن ثَوْر، عن قتادة بن دِعامة، أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم ــ خليل الرحمن ــ ابن تارِح ــ وهو آزر ــ ابن ناحور بن أسرغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرْفَخْشَذ بن

---

(١) وهو بالسريانية : شاث. وبالعبرانية : شيث. وتفسيره : عطية الله.

(٢) وفيه ثلاثة أقوال : قيل : هو اسم سرياني وقيل : هو أفعل من الأُدْمة ؛ ــ السمرة ــ وقيل : أخذ من لفظ الأديم ؛ وهو ما ظهر من أي شيء ــ لأنه خُلق من أديم الأرض. وروي ذلك عن ابن عباس. وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل عن محمد بن المستنير، وهو : قطرب أنه قال : لو كان من أديم الأرض لكان على وزن فاعل، وكانت الهمزة أصلية، فلم يكن يمنعه من الصرف مانع، وإنما هو على وزن أفعل من الأدمة. ولذلك جاء غير مصروف.

وهذا القول ليس بشيء ؛ لأنه لا يمتنع أن يكون من الأديم ويكون على وزن أفعل. تدخل الهمزة الزائدة على الهمزة الأصلية كما تدخل على همزة الأدمة. فأول الأدمة همزة أصلية. وكذلك أول الأديم همزة أصلية، فلا يمتنع أن يبنى منها أفعل. كما يقال : رجل أعين وأرأس من العين والرأس. وأسوق وأعنق من الساق والعنق. مع ما في هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منه لسانا، وأذكى جنانا.

(٣) هو : أبو محمد زياد بن عبد الله البكائي الكوفي وهو محدث مشهور.

(٤) هو : أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار من المحدثين خاصة في المغازي والسير، توفي ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة هجرية ــ انظر تاريخه مفصلا هو وابن هشام في مقدمة الكتاب.

سام بن نوح بن لَمْك بن متُّوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهْلَائيل بن قَاين ابن أَنُوش بن شيث بن آدم ــ ﷺ ــ[1].

---

(١) ومما تقدم في ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدنان لا خلاف فيه بين العلماء، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون الى هذا النسب، ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : ﴿ **قل لا أسألُكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم ــ وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي إليه بالآباء وكثير منهم بالأمهات أيضاً، كما ذكره محمد بن إسحاق في أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم.

.. واضطرب النسابون قبل عدنان وفيما يلي هذا الخلاف :

ما بعد عدنان من الأسماء مضطرب فيه، فالذي صح عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه، بل قد روي من طريق ابن عباس، أنه لما بلغ عدنان قال : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثا ». والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود.

قالت عائشة رضي الله عنها : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً أي كذبا.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه « أن النبي ــ ﷺ ــ انتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال : « فمن قال غير ذلك » أي مما زاد على ذلك « فقد كذب ».

ولعل إطلاق الكذب على من زاد على كنانة إلى عدنان يخالف ما سبق من إن المجمع عليه إلى عدنان، إلا أن يقال : لا مخالفة، لأنه يجوز أن يكون عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد على النضر بن كنانة إلى عدنان مع ذكره ﷺ له الذي سمعه غيره.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما « أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد ابن عدنان بن أدّ، ثم يمسك ويقول : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثا ». وهذه الجملة الصحيح أنها من قول ابن مسعود والدليل على ذلك ما جاء : كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى : ﴿ **ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله** ﴾ قال : كذب النسابون، يعني الذين يدعون علم الأنساب، ونفى الله تعالى علمها عن العباد.

وقد يقال : هذه الرواية تقتضي إما الزيادة على المجمع عليه، وإما النقص عنه : أي زيادة « أدد » أو نقص « عدنان »، فهي مخالفة لما قبلها.

وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض. =

= وأصح شيء روي فيما بعد عدنان، ما ذكره الدولابي أبو بشر، من طريق موسى بن يعقوب، عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعي، عن عمته، عن أم سلمة، عن النبي ﷺ أنه قال : « معد بن عدنان، بن أدد، بن زند ــ بالنون ــ بن اليَرى، بن أعراق الثرى ». قالت أم سلمة : فزند : هو الهميسع، واليرى : هو نبت، وأعراق الثرى هو : إسماعيل ؛ لأنه ابن إبراهيم، وإبراهيم لم تأكله النار، كما أن النار لا تأكل الثرى. وقد قال الدارقطني : لا نعرف زنداً إلا في هذا الحديث، وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر.

وهذا الحديث ليس بمعارض لما تقدم من قوله : « كذب النسابون » ولا لقول عمر رضي الله عنه، لأنه حديث متأول يحتمل أن يكون قوله : ابن اليرى بن أعراق الثرى، كما قال : « كلكم بنو آدم وآدم من تراب ». لا يريد أن الهميسع ومن دونه ابن لإسماعيل لصلبه، ولا بد من هذا التأويل أو غيره، لأن أصحاب الأخبار لا يختلفون في بُعد المدة ما بين عدنان وإبراهيم، ويستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو سبعة كما ذكر ابن إسحاق، أو عشرة أو عشرون ؛ فإن المدة أطول من ذلك كله، وذلك أن معد بن عدنان كان في مدة بختنصر ابن اثنتي عشرة سنة. قاله الطبري.

وقد ذكر الطبري نسب عدنان إلى إسماعيل من وجوه ذكر في أكثرها نحواً من أربعين أبا، ولكن باختلاف في الألفاظ، لأنها نقلت من كتب عبرانية. وذكر من وجه قوي في الرواية عن نُساب العرب أن نسب عدنان يرجع إلى قيذر بن إسماعيل، وأن قيذر كان الملك في زمانه، وأن معنى قيذر : الملك.

[**التكلم في الأنساب بين المجوزين والمانعين**] : وقد تُكلم في رفع هذا النسب على مذهب من رأى ذلك من العلماء، ولم يكرهه، كابن إسحاق والطبري والبخاري وغيرهم من العلماء. وأما مالك ــ رحمه الله ــ فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، قيل له : فإلى إسماعيل، فأنكر ذلك أيضا ؛ وقال : ومن يخبره به ؟! وكره أيضا أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال : إبراهيم ابن فلان ابن فلان، قال : ومن يخبره به ؟! وقول مالك هذا نحو مما روي عن عروة بن الزبير أنه قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل. وعن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ قال : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون.

تنبيه : قال القاضي عياض ــ في كتابه الشفاء ــ وأما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك. وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد. فسمي قوم قليل من =

منهج ابن هشام في عرضه للسيرة : قال ابن هشام : وأنا ــ إن شاء الله ــ مبتدئٌ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومَن وَلد رسولَ الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من ولدِه، وأولادِهم لأصلابهم، الأولَ فالأولَ، من إسماعيل إلى رسول الله ــ ﷺ ــ وما يَعْرِض من حديثهم، وتاركٌ ذكْرَ غيرهم مِن ولد إسماعيل على هذه الجهة، للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابنُ إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضُها يَشْنُعُ الحديث به، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكْره، وبعضٌ لم يُقِرّ لنا البَكَّائي بروايته، ومستقصٍ ــ إن شاء الله تعالى ــ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به.

= العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو « والله أعلم حيث يجعل رسالاته » وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي. ومحمد بن سلمة الأنصاري. ومحمد بن البراء الكندي. ومحمد بن سفيان بن مجاشع. ومحمد بن حمران الجعفي. ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم.

ويقال إن أول من سمِّي محمداً محمد بن سفيان بن مجاشع. واليمن تقول بل محمد ابن ليحمد من الأزد. ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدَّعي النبوة أو يدعيها له أحد، أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت الشيمتان له ــ ﷺ ــ لم ينازع فيهما.

سياقةُ النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل عليه السلام : قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البَكّائي، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبي قال :

ولدَ إسماعيلُ بنُ إبراهيم[1] ــ عليهما السلام ــ اثني عشر رجلا : نابتا ــ وكان أكبرهم ــ وقَيْذَر وأَذْبُل، ومنْشا ومِسْمَعا، وماشي، ودِمًّا، وأذر، وطيما، ويَطُورا، ونَبِش، وقَيْذُما[2]، وأمهم : بنت مُضاض بن عمر الجُرْهُمي.

---

(١) وقد كان لإبراهيم ــ عليه السلام ــ بنون سوى إسحاق وإسماعيل منهم ستة من قطورا بنت يقطر وهم : مديان وزَمران وسرج بالجيم ونقشان ــ ومن ولد نِقشان البربر في أحد الأقوال ــ وأمهم رغوة. ومنهم : لشق، وله بنون آخرون من حَجُون بنت أهين، وهم : كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس. هؤلاء بنو إبراهيم.

(٢) وقد ذكر ابن إسحاق: أسماء بني إسماعيل، ولم يذكر بنته، وهي نسمة بنت إسماعيل، وهي امرأة عيصون بن إسحاق وولدت له الروم وفارس ــ فيما ذكر الطبري ــ وقال : أشك في الأشبان هل هي أمهم، أم لا ؟ وهم من ولد عيصو، ويقال فيه أيضاً : عيصا، وذكر في ولد إسماعيل : طيما، وقيده الدارقطني : ظميا بظاء منقوطة بعدها ميم، كأنها تأنيث أظمى، والظمى مقصور : سمرة في الشفتين. وذكر دِمًّا، ورأيت للبكري أن دومة الجندل عرفت بدوما بن إسماعيل وكان نزلها، فلعل دِمًّا مغيَّر منه.

قال ابن هشام : ويقال : مضاض، وجُرهم بن قحطان ـــ وقحطان أبو اليمن كلها، وإليه يجتمع نسبها ـــ ابن عامر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح.

قال ابن إسحاق : جُرْهُم بن يَقْطن بن شالخ، ويَقْطَن هو : قحطان ابن عَيْبر بن شالخ.

عمر إسماعيل وموطن أمه ووفاته : قال ابن إسحاق : وكان عمر إسماعيل ـــ فيما يذكرون ـــ مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات ـــ رحمة الله وبركاته عليه ـــ ودفن في الحِجْر[1] مع أمه هاجر[2] ـــ رحمهم الله تعالى.

قال ابن هشام : تقول العرب : هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا : هراق الماء، وأراق الماء، وغيره. وهاجر من أهل مصر.

---

(١) الحجر : هو حجر الكعبة وهو ما تركته قريش في بنائها من أساس إبراهيم حينما ضاقت بهم النفقة وحجَّرت على الموضع ليعرف أنه من الكعبة.

(٢) وكانت سرية لإبراهيم، وهبتها له سارة ابنة عمه، وهي سارة بنت تُوبيل بن ناحور، وقيل : بنت هاران بن ناحور، وقيل : هاران بنت تارح.

وكانت هاجر قبل ذلك لملك الأردن، واسمه صادوق ـــ فيما ذكر القتبي ـــ دفعها إلى سارة حين أخذها من إبراهيم عجبا منه بجمالها، فصُرِع مكانه، فقال : ادعى الله أن يطلقني. الحديث، وهو مشهور في الصحاح، فأرسلها، وأخذ معها هاجر، وكانت هاجر قبل ذلك الملك، بنت ملك من ملوك القبط بمصر ذكره الطبري من حديث سيف بن عمر وغيره : أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر، قال لأهلها : إن نبينا عليه السلام قد وعدنا بفتحها، وقد أمرنا أن نستوصي بأهلها خيراً، فإن لهم نسباً وصهراً، فقالوا له : هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي، والنسب أن أم إسماعيل « هاجر » مصرية. والصهر : أن مارية سرية الرسول أم ابنه إبراهيم مصرية أيضا.

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها : قال ابن هشام : حدثنا عبدالله بن وهب عن عبدالله بن لَهيعَة، عن عُمر مولى غَفْرَة[1] أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال :

« اللهَ اللهَ في أهل الذمةِ. أهل المدَرَة السوداء، السُّحْم الجِعاد[2]، فإن لهم نسباً وصهراً ».

قال عمر مولى غُفْرَة : نسبُهم : أن أمَّ إسماعيل النبي ــ ﷺ ــ منهم. وصهرُهم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تسرَّر فيهم[3].

قال ابن لَهِيعَة : أم إسماعيل : هاجر، من « أم العَرَب » قرية كانت أمام الفَرَما[4] من مصر.

---

(١) غَفْرة : أخت أو بنت بلال رضي الله عنه.

(٢) المدرة : البلدة. والسُّحم : السود. والجعاد : يقال فلان جعد الشعر إذا كان فيه تكسير.

(٣) تسرر الرجل : اتخذ أمة لفراشه.

(٤) الفرما : مدينة كانت تنسب إلى صاحبها الذي بناها، وهو الفرما بن قبلقوس، ويقال فيه : ابن قليس، ومعناه : محب الغرس، ويقال فيه : ابن بليس. ذكره المسعودي. والأول قول الطبري، وهو أخو الإسكندر بن قليس اليوناني. وذكر الطبري أن الإسكندر حين بنى مدينة الإسكندرية قال : أبني مدينة فقيرة إلى الله، غنية عن الناس. وقال الفرما : أبني مدينة فقيرة إلى الناس، غنية عن الله ؛ فسلط الله على مدينة الفرما الخراب سريعا، فذهب رسمها وعفا أثرها، وبقيت مدينة الإسكندر إلى الآن.

وذكر الطبري أن عمرو بن العاص حين افتتح مصر وقف على آثار مدينة الفرما، فسأل عنها، فحُدثَ بهذا الحديث، والله أعلم.

وأم إبراهيم[1] : مارية[2] سُرِّيَّة النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ التي أهداها له المقوقس من حفن[3]، من كورة أنْصِنا[4].

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عُبَيْد الله بن شهاب الزهري : أن عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري، ثم السُّلَمي، حدثه : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « إذا فتحتم مصر[5]، فاستوصُوا بأهلها خيراً ؛ فإن لهم ذِمةً ورحما ». فقلت لمحمد بن مسلم الزهري : ما الرحم التي ذَكر رسول الله ــ ﷺ ــ لهم ؟ فقال : كانت هاجَر أم إسماعيل منهم.

---

(١) هو إبراهيم ابن رسول الله ــ ﷺ ــ.

(٢) مارية ومعناها : البقرة الفتية إذا كان اللفظ مخففا، والملساء إذا كان اللفظ مشدداً واسمها مارية بنت شمعون وأهداها إليه ــ ﷺ ــ المقوقس، واسمه : جُرَيج بن ميناء وكان رسول الله ــ ﷺ ــ قد أرسل إليه حاطب بن أبي بلتعة وجبراً مولى أبي رُهْم الغفاري، فقارب الإسلام وأهدى معهما إلى النبي ــ ﷺ ــ بغلته التي يقال لها دُلْدُل، والدلدل ــ القنفذ العظيم ــ وأهدى إليه أيضاً قدحاً من قوارير، فكان رسول الله ــ ﷺ ــ يشرب فيها. رواه ابن عباس.

(٣) حفن : وأما حفن التي ذكر أنها قرية أم إبراهيم ابن النبي ــ ﷺ ــ فقرية بالصعيد معروفة وهي التي كلم الحسن بن علي ــ رضي الله عنهما ــ معاوية أن يضع الخراج عن أهلها، ففعل معاوية ذلك حفظا لوصية رسول الله ــ ﷺ ــ بهم، ورعاية لحرمة الصهر، ذكره أبو عُبَيْد في كتاب الأموال.

(٤) أنصنا : وهي قرية بالصعيد بمصر يقال : إنها كانت مدينة السَّحَرَة، قال أبو حنيفة الدينوري : ولا ينبت اللبخ إلا بأنصنا، وهي عود تنشر منه ألواح للسفن، وكان يباع اللوح منها بخمسين ديناراً، أو نحوها، وإذا شد لوح منها بلوح، وطرح في الماء سنة التأما، وصارا لوحاً واحداً.

(٥) وقد سميت بمصر بن النبيط، ويقال : ابن قبط بن النبيط من ولد : كوش بن كنعان.

أصل العرب : قال ابن هشام : فالعرب كلُّها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها.

قال ابن إسحاق : عاد بن عَوْص بن إِرَم بن سام بن نوح، وثمود وجَديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وطَسْم[1] وعِمْلاق وأُمَيم[2] بنو لاوِذ بن سام بن نوح. عربٌ كلُّهم. فولد نابتُ بنُ إسماعيلَ : يشْجُبَ بن نابت، فَوَلَدَ يشجبُ : يعرُبَ بن يشجب : فولَدَ يعرب : تَيْرح بن يعرب، فولد تيرحُ : ناحورَ بن تيرح، فولَدَ ناحور : مُقَوّم بن ناحور، فولد مقوم : أُدَدَ بنَ مقوم، فولد أددُ : عدنانَ بن أُدَد.

قال ابنُ هشامٍ : ويقالُ : عدنانُ بن أُدّ.

---

(١) طسم وجديس : فأما طَسْم وجَديس فأفنى بعضهم بعضاً. قتلت طسم جديساً لسوء ملكتهم إياهم، وجورهم فيهما، فأفلت منهم رجل اسمه : رباح بن مرة، فاستصرخ بتبع، وهو حسان بن تُبان أسعد، وكانت أخته اليمامة، واسمها عنز متزوجة في طسم، وكان هواها معهم، فأنذرتهم، فلم يقبلوا، فصبحتهم جنود تبع فأفنوهم قتلا، وصلبوا اليمامة الزرقاء بباب جوّ، وهي المدينة، فسميت جو باليمامة وذلك في أيام ملوك الطوائف، وبقيت بعد طسم ــ خرابا ــ لا يأكل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع، حتى وقع عليها عبيد بن ثعلبة الحنفي، وكان رائداً لقومه في البلاد، فلما أكل الثمر قال : إن هذا لطعام، وحجَّر بعصاه على موضع قصبة اليمامة، فسميت : حجراً، وهي منازل حنيفة.

(٢) وأميم بفتح الهمزة وتشديد الميم مكسورة، ولا نظير له في الكلام، والعرب تضطرب في هذه الأسماء القديمة. قال المعري :

يراه بنو الدهر الأخير بحاله ... كما قد رأته جرهم وأميم

فجاء به على وزن فعيل، وهو الأكثر.

وأميم ــ فيما ذكروا ــ أول من سقف البيوت بالخشب المنشور، وكان ملكا، وكان يسمى : آدم، وهو عند الفرُس : آدم الصغير، وولده : وبار، وهم أمة هلكت في الرمل، هالت الرياح الرمل على فجاجهم ومناهلهم فهلكوا. قال الشاعر :

وكر دهر على وبار ... فأَهْلكت عَنْوَة وبارُ

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم ــ عليهما السلام ــ فولد عدنان رجلين : معدّ بن عدنان، وعَكّ ابن عدنان[1].

قال ابن هشام : فصارت عكّ في دار اليمن، وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين، فأقام فيهم ؛ فصارت الدار واللغة واحدة. والأشعريون : بنو أشعر بن نَبْت بن أُدَد بن زيد بن هَمَيْسع بن عمرو بن عريب بن يَشْجُب ابن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قحطان[2]. ويقال:

(١) وبعض أهل اليمن يقول فيه : عَكُّ بن عبد الله، بن عُدْثان بالثاء المثلثة، ولا خلاف في الأول أنه بنونين، كما لم يختلف في دَوس بن عدثان، أنه بالثاء، وهي قبيلة من الأزد أيضا، واسم عك : عامر. والديث الذي ذكره هو بالثاء، وقال الزبير : الذيب بالذال والياء، ولعدنان أيضا ابن اسمه : الحارث، وآخر يقال له المَذْهَب، ولذلك قيل في المثل : أجمل من المذهب. وقد ذكر أيضا في بنيه الضحاك، وقيل في الضحاك : إنه ابن معد، لا ابن عدنان، وقيل إن عدنان الذي تعرف به مدينة عدن، وكذلك أبين هما : ابنا عدنان، قاله الطبري. ولعدنان بن أدد أخوان : نبت بن أدد، وعمرو بن أدد. قاله الطبري أيضا.

(٢) أما قحطان فاسمه مِهزم ــ فيما ذكر ابن ماكولا ــ وكانوا أربعة إخوة فيما روي عن ابن منبِّه ؛ قحطان وقاحط ومقحَط وفالغ. وقحطان أول من قيل له : أبيت اللعن وأول من قيل له : عم صباحا واختلف فيه، فقيل : هو ابن عابر بن شالخ، وقيل : هو ابن عبد الله أخو هود، وقيل : هو هود نفسه، فهو على هذا القول من إرم بن سام، ومن جعل العرب كلها من إسماعيل قالوا فيه : هو ابن تَيْمَنَ بن قيذر بن إسماعيل. ويقال، هو ابن الهميسع بن يَمن، وبيمن سميت به اليمن في قول، وقيل : بل سميت بذلك لأنها عن يمين الكعبة. وتفسير الهميسع : الصَّرّاع.

وقال ابن هشام : يمن هو : يعرب بن قحطان، سمي بذلك ؛ لأن هودا عليه السلام قال له أنت أيمن ولدى نقيبة في خبر ذكره. قال. وهو أول من قال القريض والرجز. وهو الذي أجلى بني حام إلى بلاد المغرب بعد أن كانوا يأخذون الجزية من ولد قُوطَة بن يافث، قال : وهي أول جزية وخراج أُخذت في بني آدم. وقد احتجوا لهذا القول، أعني : أن قحطان من ولد إسماعيل عليه السلام بقول النبي ــ ﷺ ــ « ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا » قال هذا القول لقوم من أسلم بن أفصى، وأسلم أخو خزاعة وهم =

أشعرُ : نَبْت بن أُدَد. ويقال : أشعر : بنُ مالك، ومالك : مَذْحج بن أُدَد ابن زيد بن هَمَيْسع. ويقال : أشعر : بن سبأ[1] بن يشجُب.

وأنشدني أبو مُحْرِز خَلفُ الأحمر، وأبو عُبَيْدة، لعباس بن مِرْداس، أحد بني سُلَيْم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، يفخر بعك :

وعك بن عدنان الذين تلقَّبوا   بغسان حتى طُرِّدوا كلَّ مَطْرِدِ

وهذا البيت في قصيدة له. وغسان : ماء بسد مأرب باليمن، كان شِرْباً لولد مازن بن الأسْد[2] بن الغَوْث، فسُموا به. ويقال : غسان : ماء[3] بالمُشَلَّل قريب من الجُحْفَة، والذين شربوا منه تحزبوا فسُموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد، بن الغَوْث، بن نَبْت، بن مالك، بن زَيْد، ابن كَهْلان، بن سبأ، بن يَشْجُب، بن يَعْرُب، بن قَحْطان.

= بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ولا حجة في هذا الحديث لأهل هذا القول، لأن اليمن لو كانت من إسماعيل ــ مع أن عدنان كلها من إسماعيل بلا شك ــ لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسبة إلى إسماعيل معنى ؛ لأن غيرهم من العرب أيضا أبوهم إسماعيل، ولكن في الحديث دليل ــ والله أعلم ــ على أن خزاعة من بني قَمعة أخي مدركة بن إلياس بن مضر، وكذلك قول أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ « هي أمكم يا بني ماء السماء » يعني : هاجر، يحتمل أن يكون تأول في قحطان ما تأوله غيره، ويحتمل أن يكون نسبهم إلى : ماء السماء على زعمهم، فإنهم ينتسبون إليه، كما ينتسب كثير من قبائل العرب إلى حاضنتهم وإلى رابِّهم، أي : زوج أمهم.

(١) وسبأ اسمه : عبد شمس ــ كما ذكر ــ وكان أول من تزوج من ملوك العرب، وأول من سَبى فسمي سبأ، ولست من هذا الاشتقاق على يقين ؛ لأن سبأ مهموز والسبي غير مهموز (عن الروض الأنف. للسهيلي ــ من تحقيقنا).

(٢) ويقال فيه الأزد أيضاً.

(٣) واشتقاق غسان ــ اسم ذلك الماء ــ من الغس وهو الضعيف وبعد هذا البيت :

يا أخت آل فراس إنني رجل   من معشر لهم في المجد بنيان

ذكرُ نسب الأنصار

قال حسانُ بن ثابت الأنصاري، والأنصار بنو الأوس والخزرج[1]، ابنَيْ حارثة، بن ثَعْلبة، بن عمرو[2]، بن عامر[3]، بن حارثة، بن امرئ القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأسْد[4]، بن الغوث :

إمَّا سألْتِ فإنا مَعْشرٌ نُجُبٌ الأُسْدُ نسبتُنا والماءُ غسانُ[5]

وهذا البيت في أبيات له.

---

(١) الأوس والخزرج : والأوس : الذئب والعطية أيضاً، والخزرج : الريح الباردة، ولا أحسب الأوس في اللغة إلا العطية خاصة، وهي مصدر أُسته، وأما « أوس » الذي هو الذئب فعلم كاسم الرجل، وهو كقولك : أسامة في اسم الأسد، وليس أوس إذا أردت الذئب، كقولك : ذئب وأسد، ولو كان كذلك يجمع وعُرِّف. قال : كما يفعل بأسماء الأجناس، وقيل في الأنثى : أوْسة كما يقال : ذئبة.

وفي الحديث ما يقوي هذا، وهو قوله عليه السلام : « هذا أُوَيْس يسألكم من أموالكم » فقالوا : « لا تطيب له أنفسنا بشيء » ولم يقل : هذا الأوس فتأمله. وليس أوس على هذا من المسمين بالسباع، ولا منقولا من الأجناس إلا من العطية خاصة. (انظر الروض الأُنف ـــ من تحقيقنا).

(٢) وهو مُزَيْقياء، لأنه ـــ فيما ذكروا ـــ كان يمزق كل يوم حُلة.

(٣) وهو : ماء السماء، بن حارثة الغطريف، بن امرئ القيس، وهو : البُهْلول، بن ثعلبة الصنم، ابن مازن السِّراج، ابن الأسد، ويقال لثعلبة أبيه : الصنم، وكان يقال لثعلبة بن عمرو جد الأوس والخزرج : ثعلبة العَنْقاء، وكأنهم ملوك متوجون، ومات حارثة بن ثعلبة العنقاء والد الأوس والخزرج بالمدينة بعد ظهورهم على الروم بالشام، ومصالحة غسان لملك الروم، وبعد موت حارثة كان ما كان من نكث يهود العهود، حتى ظهرت الأوس والخزرج عليهم بمن استنصروا به من ملوك جَفْنة.

(٤) ويقال في الأسْد : الأزْد ؛ بالسين والزاي، واسمه : الازدراء بن الغوث. قاله وثيمة بن موسى بن الفرات. وقال غيره : سمي أسْداً لكثرة ما أسْدى إلى الناس من الأيادي. ورُفع في النسب إلى كهلان بن سبأ، وكهلان كان ملكاً بعد حمير، وعاش ـــ فيما ذكروا ـــ ثلاثمائة سنة، ثم تحول الملك إلى أخيه حِمْيَر، ثم في بنيهم وهم : وائل ومالك وعمرو وعامر وسعد وعوف.

(٥) وبعد هذا البيت : =

فقالت اليمن، وبعض عك، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عدنان بن عبدالله بن الأسد بن الغوث. ويقال : عُدْثَان بن الديث بن عبدالله بن الأسْد بن الغَوْث.

قال ابنُ إسحاق : فوَلَدَ معدٌّ بن عدنان أربعةَ نفر[1] : نزار بن معد، وقضاعة، بن معد، وكان قضاعة بِكْر معد الذي به يُكْنَى ــ فيما يزعمون ــ وقُنُص بن معد، وإياد بن معد.

فأما قُضاعة فتيامنت إلى حِمْير بن سبأ ــ وكان اسم سبأ : عبد شمس ــ وإنما سُمِّيَ سبأً ؛ لأنه أول من سَبَى في العرب ــ ابن يشجب ابن يَعْرُب بن قحطان.

قال ابن هشام : فقالت اليمن وقضاعة : قضاعة بن مالك بن حِمْير. وقال عمرو بن مرة الجهني، وجُهَينة بن زيد[2]، بن لَيْث، بن سَوْد، بن

= إمَّـــا سألتِ فإنـــا مَعشرٌ أنـــفٌ   الأسْدُ نسبتُنـــــا، والمـــــاءُ غسانُ
يا أختَ آلِ فراسٍ إننـــي رجـــلٌ   من معشرٍ لهـم في المجدِ بُنيـــان
واشتقاق غسان اسم ذلك الماء من الغس، وهو الضعيف كما قال :
غَس الأمانة صُنبور فصنبور
ويروى غُس، ويقال للهر إذا زُجر : غِسْ بتخفيف السين قاله صاحب العين. والغسيسة من الرطب : التي يبدأها الإرطاب من قِبَل مِعْلاقها، ولا تكون إلا ضعيفة ساقطة.

(١) أما نزار فمتفق على أنه ابن معد، وسائر ولد معد فمختلف فيه، فمنهم جُشَم بن معد، وسِلْهِم بن معد، وجُنادة بن معد، وقُناصة بن معد، وقَنَص بن معد، وسنام بن معد، وعوف وقد انقرض عقبه، وحَيْدانُ، وهم الآن في قضاعة، وأوْد، وهم في مَذْحِج، ومنهم عُبيد الرِّماح، وحَيدة وحيادة، وجُنيد وقحْم، فأما قضاعة فأكثر النسابين يذهبون إلى أن قضاعة هو: ابن معد، وهو مذهب ابن هشام، وقد روي من طريق هشام بن عروة بن عائشة عن النبي ــ ﷺ ــ أنه سئل عن قضاعة، فقال : هو ابن معد، وكان بِكْره. قال أبو عمر : وليس دون هشام بن عروة من يحتج به في هذا الحديث.

(٢) وجهينة : هو ابن زيد بن ليث بن سَوَد بن أسلُم ــ بضم اللام ــ ابن الحاف، بن قضاعة، =

أسلم، بن الحاف، بن قُضاعة :

نحن بنو الشيخ الهِجان الأزْهَرَ ... قضاعة بن مالك بن حِمْيَرِ
النسب المعروف غير المنْكَر ... في الحَجَر المنقوش تحتَ المِنْبرِ[1]

قُنُص بن معد ونسب النعمان بن المنذر : قال ابنُ إسحاق : وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم[2] ـــ فيما يزعمُ نُسَّاب معد ـــ وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عُبَيدالله بن شهاب الزُّهْري : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معد.

قال ابن هشام : ويُقال : قَنَص.

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنَس، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيْق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب ـــ

= قال عمرو بن مرة : يا رسول الله، لمن نحن ؟ فقال : أنتم بنو مالك بن حِمْير. وعمرو ابن مُرة، من أصحاب رسول الله ـــ ﷺ ـــ وله عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ حديثان. أحدهما : في أعلام النبوة، والآخر : « من ولي أمر الناس، فسدَّ بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة، سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة » انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٣.

(١) الهجان الكريم. الأزهر : المشهور ويقال : إن هذا الشعر لأفلح بن اليعبوب. ويقال : إن أول هذا الرجز قوله :

يأيها الداعي ادعنا وأبشرْ ... وكن قضاعيا ولا تنزَّرْ
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهرْ ... قضاعة بن مالك بن حِمْيَرْ

(٢) وكان قُنُص بن معد قد انتشر ولده بالحجاز، فوقعت بينهم وبين أبيهم حرب، وتضايقوا في البلاد، وأجدبت لهم الأرض، فساروا نحو سواد العراق، وذلك أيام ملوك الطوائف، فقاتلهم بعض ملوك الطوائف، وأجلوهم عن السواد، وقتلوهم إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب، ودخلوا فيهم وانتسبوا إليهم.

رضي الله عنه ـــ حين أُتي بسيف النعمان، بن المنذر[1]، دعا جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِي بن نَوْفَل بن عبد مناف بن قُصَي ـــ وكان جُبَيْر من أنسب قريش لقريش، وللعرب قاطبة، وكان يقول : إنما أخذت النسبَ من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب ـــ فسلحه إياه، ثم قال : ممن كان، يا جُبَيْر النعمان بن المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قُنُص بن معدّ.

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعُمون أنه كان رجلا من لَخْم، من ولد ربيعة بن نصر ـــ فالله أعلم أي ذلك كان.

لخم بن عدي : قال ابنُ هشام : لَخْم : بن عدي بن الحارث بن مرة بن أُدد بن زيد بن هَمَيْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن يَشْجُب بن زيد ابن كهلان بن سبأ. ويقال : لَخْم : بن عدي بن عمرو بن سبأ. ويقال :

---

(١) وكان جبير أنسب الناس ـــ

وذكر الطبري أن سيف النعمان بن المنذر إنما أُتيَ به عُمر حين افتتحت المدائن، وكانت بها خزائن كسرى وذخائره، فلما غُلب عليها فرّ إلى إصطخر ـــ بلد بفارس ـــ فأخذت أمواله ونفائس عُدده، وأخذ له خمسة أسياف لم ير مثلها. أحدها : سيف كسرى أبرويز، وسيف كسرى أنو شروان، وسيف النعمان بن المنذر كان استلبه منه، حين قتله غضباً عليه، وألقاه إلى الفيلة فخبطته بأيديها، حتى مات. وقال الطبري : إنه مات في سجنه في الطاعون الذي كان في الفرس، وسيف خاقان ملك الترك، وسيف هرقل، وكان تصّير إلى كسرى أيام غلبته على الروم في المدة التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿ **ألم. غُلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ الآية. فهذا كان سبب تَصَيُّر سيف النعمان إلى كسرى أبرويز، ثم إلى كسرى يزدجرد، ثم إلى عمر ـــ رضي الله عنه ـــ

وزاد الطبري في حديث جبير حين سأله عمر عن نسب النعمان قال : كانت العرب تقول إنه من أشلاء قنص بن معد، وهو ولد عُجم بن قنص، إلا أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لخماً : فقالوا : هو من لخم، ونسبوا إليه. وأبرويز وهو الذي كتب إليه النبي ـــ ﷺ ـــ فمزق كتابه، فدعا عليهم النبي ـــ ﷺ ـــ أن يُمَزَّقوا كل ممزق.

لَخْم : بن عدي بن عمرو بن سبأ. ويقال : ربيعة بن نصر[1] بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

أَمْر عَمْرو بن عامر في خروجه من اليمن

وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن، فيما حدثني أبو زَيْد الأنصاري، أنه رأى جُرَذاً يحفر في سد مأْرِب الذين كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاءَ للسد على ذلك، فاعتزم على النُّقْلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغرُ ولدي، وعرض أموالَه، فقال أشرافٌ من إشراف اليمن : اغتنموا غضبةَ عَمرو، فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده. وقال الأزد : لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالَهم، وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عَكٍّ مجتازين يرتادون البلدان. فحاربتهم عَك، فكانت حربهم سِجالاً، ففي ذلك قال عباس بن مرداس

---

(١) وبعضهم يقول فيه : نصر بن ربيعة، وهو في قول نُسَّاب اليمن : ربيعة بن نصر، بن الحارث، بن نمارة بن لخم.

وقال الزبير في هذا النسب : نصر بن مالك بن شَعوذ بن مالك بن عُجْم بن عمرو بن نمارة بن لخم، ولخم أخو جذام، وسمي لخما لأنه لخم أخاه، أي : لطمه، فعضه الآخر في يده فجذمها، فسمي جذاماً.

وقال قطرب : اللخم سمكة في البحر بها سمي الرجل لخما، وأكثر المؤرخين يقولون فيه : نصر بن ربيعة، وهو من ولد ربيعة، وأن لخماً في نسبه تصحيف من عُجم بن قَنص.

البيت الذي كتبنا[1]. ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا في البلدان، فنزل آل جفنة ابن عمرو بن عامر : الشامَ، ونزلت الأوس والخزرج : يثرب، ونزلت خزاعة : مَرّاً، ونزلت أزدُ السراةَ، السراة، ونزلت أزدُ عُمان : عمان. ثم أرسل الله تعالى على السدِّ السيلَ فهدمه، ففيه أنزل الله ـــ تبارك وتعالى ـــ على رسوله محمد ـــ ﷺ ـــ : ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آيةٌ جنتان عن يمينٍ وشمالٍ، كلوا من رزقِ ربِّكم، واشكروا له : بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ** ﴾.

والعَرِم : السد، واحدته : عَرِمَة، فيما حدثني أبو عُبَيْدة.

قال الأعشى : أعشى بني قيس، ابن ثعلبة، بن عُكابة، بن صَعْب، بن علي، بن بكر، بن وائل بن هِنْب، بن أفْصَى، بن جَديلة، بن أسَد، بن ربيعة، بن نِزار، بن مَعَدّ.

قال ابن هشام : ويقال : أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة، واسم الأعشى : ميمون بن قَيْس، بن جندل، بن شراحيل، بن عوف، بن سعد، بن ضُبَيْعة، بن قيس، بن ثعلبة :

وفــي ذاك للمــــؤتسي أُسوةٌ ومـأربُ عفَّى عليهـا العَـرِمْ
رُخــامٌ بنتــه لهــم حميــرٌ إذا جاء مَوَّارُه لم يَرِمْ
فأروى الـــزروعَ وأعنابَهـــا على سَعــةٍ ماؤهــم إذ قُسِمْ
فصاروا أيــادِيَ ما يقـــدِرو نَ منه على شُرْبِ طفلٍ فُطِمْ

وهذه الأبيات في قصيدة له.

وقال أميةُ بنُ أبي الصلت الثَّقَفي ـــ واسم ثَقيف : قَسِيُّ بنُ مُنَبِّه، بن

---

(١) وهو قوله :

وعكُّ بنُ عدنــانَ الذيــن تقلَّبــوا بغسانَ حتــى طُرِّدوا كل مطـــرَدِ

بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكرمة، بن خَصَفة، بن قيس، بن عَيْلان، بن مُضَر، بن نِزَار، بن مَعَدّ، بن عدنان :

مِن سبأ الحاضرين مأرب إذ يَبْنون من دونِ سَيْله العَرِمَا[1]

---

(١) والعرب تضرب المثل بقولها : تفرقوا أيدي سباً وأيادي سباً، نصباً على الحال، وإن كان معرفة في الظاهر لأن معناه : مثل أيدي سبا والباء ساكنة فيه في موضع النصب، لأنه صار بمنزلة اسمين جُعلا اسما واحداً مثل : معدي كرب، ولم يسكنوها في ثمانِيَ عشرة، لأنها متحركة في ثمانية عشر.

وفي العرم أقوال : قيل : هو المُسنّاةُ أي : السد وهو قول قتادة، وقيل : هو اسم للوادي، وهو قول عطاء، وقيل : هو الجُرَذُ الذي خرق السد، وقيل : هو صفة للسيل من العرامة، وهو معنى رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وقال البخاري : « العرم : ماء أحمر حفر في الأرض حتى ارتفعت عنه الجنتان، فلم يسقهما، حتى يبست، وليس الماء الأحمر من السد، ولكنه كان عذابا أُرسل عليهم » انتهى كلام البخاري.

والعرب تضيف الاسم إلى وصفه، لأنهما اسمان، فتعرف أحدهما بالآخر. وحقيقة إضافة المسمى إلى الاسم الثاني، أي : صاحب هذا الاسم، كما تقول، ذو زيد أي : المسمى بزيد، ومنه سعد ناشِرَة، وعمرو بطة. وقول الأعشى :

ومأرب عفّى عليها العرم

يقوى أنه السيل. ومأرب بسكون الهمزة : اسم لقصر كان لهم، وقيل : هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ، كما أن تُبّعاً اسم لكل من ولي اليمن، وحضر موت والسِّحْر. قاله المسعودي. وكان هذا السد من بناء سبإ بن يشجب بن يعرب، وكان ساق إليه سبعين واديا، ومات قبل أن يستتمه. فأتمته ملوك حمير بعده.

وقال المسعودي : بناه لقمان بن عاد، وجعله فرسخا، وجعل له ثلاثين مثقبا.

وقول الأعشى :

إذا جاء مَوَّارهُ لم يرَمْ

من قوله تعالى : ﴿ **يوم تمور السماء موراً** ﴾فهو مفتوح الميم، وبعضهم يرويه مضموم الميم، والفتح : أصح. ومنه قولهم : دم مائر أي : سائل. وفي الحديث : « أَمِرَّ الدم بما شئت » أي أرسله، ورواه أبو عبيد أَمْر بسكون الميم، جعله من مريت الضرع.

وقوله : « لم يرم »، أي : يمسكه السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون إليه. وقوله : « فأروى الزروع وأعنابها » أي : أعناب تلك البلاد، لأن الزروع لا عنب لها. =

وهذا البيت في قصيدة له، وتروى للنابغة الجَعْدي، واسمه : قيس بن عبدالله، أحد بني جَعْدة، بن كعب، بن ربيعة، بن عامر، بن صَعْصَعة، بن معاوية، بن بكر، بن هَوَازن.

وهو حديث طويل، منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار.

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه وخبر شق وسطيح الكاهنين

رؤيا ربيعة : قال ابنُ إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضْعَاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته، وفظع بها، فلم يَدَعْ كاهناً، ولا ساحراً، ولا عائفاً[1]، ولا منجِّما من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتني، وفَظِعْت بها ؛ فأخْبروني بها وبتأويلها، قالوا له : اقصصها علينا نخبْرك بتأويلها، قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبرِكم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطيحٍ[2] وشِقٍّ[3]، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

= وأنشد لأمية بن أبي الصلت :

من سبــأ الحاضريــــن مأرب إذ ... يبنــون من دون سيلــه العرمـــا

وهذا أبين شاهد على أن العرم هو السد.

(١) العائف : من يزجر الطير.

(٢) وسُمي سطيحاً ؛ لأنه كان جسما ملقى لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس، إلا إذا غضب انتفخ فجلس. ويذكر أن وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق، ويذكر عن وهب بن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنَّى لك هذا العلم ؟ فقال : لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى ــ عليه السلام ــ فهو يؤدي إليّ من ذلك ما يؤديه. =

واسم سطيح : ربيع بن ربيعة، بن مسعود، بن مازن، بن ذئب، بن عدي، بن مازن غسان، وشق : بن صَعْب، بن يَشْكُر، بن رُهْم، بن أفْرَك، ابن قَسْر، بن عَقْبَر، بن أنمار، بن نزار. وأنمار أبو بجيلة وخثعم.

نسب بجيلة : قال ابن هشام : وقالت اليمن : وبجيلة بنو أنمار، ابن إراش، بن لَحْيان، بن عمرو، بن الغَوْث، بن نَبْت، بن مالك، بن زيد، ابن كهلان، بن سبأ. ويقال : إراش بن عمرو، بن لحْيان، بن الغَوْث. ودار بجيلة وخثعم يمانية.

قال ابن إسحاق: فبعث إليهما، فقدم عليه سَطيح قبلَ شِقٍّ[1]، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني، وفظِعْت بها، فأخبرْني بها، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلَها.

قال : أفعلُ. « رأيتَ حُمَمَة، خرجت من ظُلُمة، فوقعت بأرض تَهَمة، فأكلت منها كلُّ ذاتِ جُمْجُمة »[2].

---

(١) وسمي بذلك : لأنه كان شِقَّ إنسان ؛ له يد واحدة، ورجل واحدة وعين واحدة.

 وولد سطيح وشق في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة، امرأة عمرو بن عامر، وهي بنت الخير الحميرية، ودعت بسطيح قبل أن تموت ؛ فأُتيت به، فتفلت في فيه، وأخبرت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها. ودعت بشق ؛ ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح ؛ ثم ماتت، وقبرها « بالْجُحْفَه » ــ كانت الميقات لإحرام أهل مصر والشام قبل أن تهجر، وهي قريبة من رابغ الميقات الحالي.

(٢) نصْب « كُل » أصح في الرواية، وفي المعنى ؛ لأن الحُمة نار، فهي تأكل، ولا تُؤكل، على أن في رواية الشيخ برفع كل، ولها وجه، لكن في حاشية الكتاب كما قال السهيلي : أن في نسخة البرقي التي قرأها على ابن هشام : كلَّ ذات، بنصب اللام.

وقوله : « خرجت من ظُلُمة » أي من ظُلْمة، وذلك أن الحممة قطعة من نار، وخروجها من ظُلُمة يشبه خروج عسكر الحبشة من أرض السودان، والْحُمَمَة : الفحمة، وقد تكون جمرة محرقة، كما في هذا الحديث، فيكون لفظها من الحميم، ومن الحمى أيضاً لحرارتها، وقد تكون منطفئة، فيكون لفظها من الْحُمَّة، وهي السواد، يقال : حَمَّمْتُ =

فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئا يا سطيحُ ؛ فما عندَك في تأويلها ؟

فقال : أحلف بما بين الحَرَّتَيْن من حَنَش، ليهبِطنَّ أرضَكم الحبش، فليملكن ما بين أبْيَن إلى جُرَش[1]،

فقال له الملك : وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن، أفي زماني هذا. أم بعده ؟

قال:لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين.

قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين.

= وجهه إذا سودته، وكلا المعنيين حاصل في لفظ الحممة هنا.

وقوله : بين روضة وأكمة ؛ لأنها وقعت بين صنعاء وأحوازها.

وقوله : في أرض تَهِمَة أي : منخفضة، ومنه سُميت تهامة.

وقوله : أكلتْ منها كل ذات جُمْجُمة، ولم يقل كل ذي جمجمة، وهو من باب قوله سبحانه : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى.. وإن تدع مُثْقَلَةٌ إلى حملها لا يُحْمَلْ منه شيء** ﴾. الآية. لأن القصد إلى النفس والنسمة، فهو أعم، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح، ولو جاء بالتذكير، لكان إما خاصا بالإنسان، أو عاماً في كل شيء حي أو جماد، ومنه قوله ـــ ﷺ ـــ « كل بائلة تفيخ »، أي : يكون منها إفاخة، وهي الحدث. وقال النحاس : هو تأنيث الصفة والخلفة.

(١) وقوله : ليهبطن أرضكم الحبش، هم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح، وبه سميت الحبشة.

وقوله : ما بين أبْين إلى جُرَش، ذكره سيبويه بكسر الهمزة على مثل إصبع، وجوَّز فيه الفتح، وكذلك تقيد في هذا الكتاب، وقال ابن ماكولا : هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهمَيْسَع من حمير، أو من ابن حمير. سميت به البلدة، وقد تقدم قول الطبري أن أبين وعدن ابنا عدنان. سميت بهما البلدتان وجرش : مدينة باليمن.

قال : ومن يلي ذلك من قتْلِهم وإخراجهم ؟

قال : يليه إرَمُ ذي يَزن[1]، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه، أم يقطع ؟

قال : لا، بل ينقطع.

قال : ومن يقطعه ؟

قال : نبيٌّ زكيّ، يأتيه الوحي، من قِبَلِ العلي.

قال : وممن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهْر بن مالك ابن النَّضْر، يكون المُلك في قومه إلى آخر الدهر. قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم، يومٌ يُجْمَع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال : أحق ما تخبرني ؟

قال : نعم. والشَّفق والغَسق، والفَلَق إذا اتَّسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شِقٌّ، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان.

فقال : نعم، رأيت حُمُمة، خرجت من ظُلُمة، فوقعت بين رَوْضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال : فلما قال له ذلك، عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد.

---

(١) ذي يزن : المعروف أن اسمه : سيف بن ذي يزن، ولكن جعله «إرما» إما لأن الإرم هو العلم فمدحه بذلك، وإما شبهه بعاد إرم في عظم الخلقة، قال الله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد** ﴾.

إلا أن سطيحاً قال : « وقعت بأرض تَهَمة، فأكلت منها كل ذات جُمْجُمة ».

وقال شِق : « وقعت بينَ روضة وأكمة، فأكلتْ منها كلُّ ذات نسمة ».

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً، فما عندك في تأويلها ؟

قال : أحلف بما بين الحَرَّتين من إنسان، لينزلن أرضَكم السودان، فليغلبن على كل طَفْلة البنان[1]، وليملكُن ما بين أَبْيَن إلى نَجْران.

فقال له الملك : وأبيك يا شِقُّ، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن ؟ أفي زماني، أم بعده ؟

قال : لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، ويذيقهم أشد الهوان.

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام، ليس بدَنِيّ، ولا مُدَنّ[2]، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع برسول مُرْسَل يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يومٌ تُجْزَى فيه الولاةُ ويُدْعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويُجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوزُ والخيرات.

---

(١) الطفلة : الناعمة الرخصة. والبنان الإصبع.

(٢) المدن : الذي جمع الضعف مع الدناءة. قاله صاحب العين.

قال : أحق ما تقول ؟

قال : إي وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْعٍ وخَفض، إن ما أنبأتك به لحق، ما فيه أمْض.[1]

قال ابن هشام : أمض. يعني شكّاً : هذا بلغة حمير. وقال أبو عمرو: أمض أي : باطل. فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا، فجهز بنيه، وأهل

---

(١) « لحق ما فيه أمْضٌ » : أي : ما فيه شك ولا مستراب، وقد عُمِّر سطيح زماناً طويلا بعد هذا الحديث، حتى أدرك مولد النبي ـ ﷺ ـ فرأى كسرى أنو شروان بن قُباذ بن فيروز ما رأى من ارتجاس الإيوان وخمود النيران، ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام، سقطت من قصره أربع عشرة شرفة، وأخبره الْمُوبَذان، ومعناه : القاضي، أو المفتي بلغتهم ـ أنه رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عِرابا، فانتشرت في بلادهم، وغارت بحيرة ساوة ؛ فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نُفَيْلة الغساني إلى سطيح، وكان سطيح من أخوال عبد المسيح، ولذلك أرسله كسرى ـ فيما ذكر الطبري ـ إلى سطيح يستخبره علم ذلك، ويستعبره رؤيا الموبذان، فقدم عليه وقد أشفى على الموت، فسلم عليه فلم يحر إليه سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصَمّ أم ليسمع غطريف اليمن ... أم فاد فازْلَمَّ به شأو العَنَنْ

يا فاصل الخُطَّه أعيت مَن ومن ... أتاك شيخ الحي من آل سَنَن

وأمه من آل ذئب بن حَجَنْ ... أبيض فَضْفاض الرداء والبدن

رسول قَيْل العُجم يسري للوسن ... لا يرهب الرعد، ولا ريب الزمن

تجوب بي الأرْض عَلَنْدَةٌ شزن ... ترفعني وَجْناً وتهوي بي وجن

حتى أتى عاري الجآجي والْقَطَن ... تلفه في الريح بوغاء الدِّمن

كأنما حُثحث من حِضْنَى ثكن

ثكن : اسم جبل، فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه، فقال : عبد المسيح على جمل مشيح جاء إلى سطيح، حين أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها. يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وخمدت نار فارس، وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي السَّماوة فليست الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت. ثم قضى سطيح مكانه.

بيته إلى العراق بما يصلهم، وكتب لخم إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خُرَّزاد فأسكنهم الحيرة[1].

رأي آخر في نسب النعمان بن المنذر : فمن بقية ولد ربيعة ابن نصر : النعمان بن المنذر، فهو في نسب اليمن وعِلْمِهم : النعمانُ بنُ المنذر بن عَمرو بن عَدِي بن ربيعة بن نَصْر، ذلك الملك.

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر، بن المنذر، فيما أخبرني خلف الأحمر[2].

---

(١) وقول ابن إسحاق في خبر ربيعة بن نصر، فجهز أهله وبنيه إلى الحيرة، وكتب لهم إلى ملك يقال له : سابور بن خُرزاد.

وأول من ملك الحيرة من الساسانية : سابور بن أزدشير، وهو الذي خرب الحضر. وكانت ملوك الطوائف متعادين، يغير بعضهم على بعض، وقد تحصن كل واحد منهم في حصن، وتحوَّز إلى حيز منهم عرب. ومنهم أشغانيون على دين الفرس، وأكثرهم ينتسبون إلى الفرس من ذرية دارا بن دارا، وكان الذي فرقهم وشتت شملهم، وأدخل بعضهم بين بعض ــ لئلا يستوثق لهم مُلك، ولا يقوم لهم سلطان ــ الإسكندر بن فيلبس اليوناني، حين ظهر على دارا، واستولى على بلاد مملكته، وتزوج بنته روشنك. بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مثخناً في المعركة، ولم يكن الإسكندر أراد قتله ؛ لأنه كان أخاه لأمه ــ فيما زعموا ــ فوضع الإسكندر رأسه على فخذه ــ فيما ذكروا ــ وقال يا سيد الناس لم أرد قتلك، ولا رضيته، فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم : تزوج ابنتي روشنك، وتقتل من قتلني، ثم قضى دارا، ففعل ذلك الإسكندر، وفرق الفرس، وأدخل بينهم العرب فتحاجزوا، وسُمُّوا : ملوك الطوائف ؛ لأن كل واحد منهم على طائفة من الأرض.

(٢) وربيعة بن نصر : هو أحد ملوك الحيرة، وهم آل المنذر، والمنذر هو : ابن ماء السماء، وهي : أمه، عرف بها، وهي من النَّمِر بن قاسط، وابنه عمرو ابن هند عرف بأمه أيضاً، وهي بنت الحارث آكل المرار جد امرئ القيس الشاعر، ويعرف عمرو بمحرّق لأنه حرَّق مدينة يقال لها : مَلْهَم، وهي عند اليمامة. وقال المبرد والْقُتُبي : سمي محرقاً، لأنه حَرَق مائة من بني تميم، وذكر خبرهم. وولدُ نصر بن ربيعة هو : عدي، وكان كاتبا لجذيمة الأبرش، وابنه : عمرو، وهو ابن أخت جذيمة، ويكنى جذيمة : أبا مالك في قول المسعودي، وهو منادم الفرقدين، واسم أخت جذيمة : رقاش بنت مالك، بن فهم، بن =

استيلاء أبي كرب تبان أسعد على مُلك اليمن

وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر، رجع مُلك اليمن كلِّه إلى حسان بن تُبان أسعد[1] أبي كرب ـــ وتُبان أسعد هو : تُبَّع الآخر، ابن كَلْكي كَرَب بن زيد[2]، وزيد هو تُبَّع الأول بن عمرو ذي الأَذعار[3] ابن أبرهة ذي المنار[4] ابن الرَّيْش ـــ

= غنم، بن دَوس، وهو الذي اختطفته الجن، وفيه جرى المثل : شب عمرو عن الطوق، وهو قاتل الزَّبَّاء بنت عمرو، واسمها : نائلة في قول الطبري ويعقوب بن السكيت، وميسون في قول دريد.

وأخو عمرو بن هند : النعمان بن المنذر، وهو ابن مامة، وكان ملكه بعد عمرو، وفي مُلك عمرو وُلد رسول الله ـــ ﷺ ـــ وفي زمن كسرى أنو شروان بن قباذ.

وأسقط ابن إسحاق من هذا النسب رجلين، وهما : النعمان بن امرئ القيس، وملك بعده.

(١) وقوله في نسب حسان : بن تبان أسعد : هو تبان أسعد. اسمان جعلا اسماً واحداً، وإن شئت أضفت كما تضيف معدي كرب، وإن شئت جعلت الإعراب في الاسم الآخر، وتبان من التبانة، وهي : الذكاء والفطنة. يقال : رجل تبن وطبن.

(٢) وكَلْكي كرب : اسم مركب أيضاً، كان مُلك كلكى كرب خمساً وثلاثين سنة.

(٣) وعمرو ذو الأذعار كان على عهد سليمان ـــ عليه السلام ـــ أو قبله بقليل، وكان أوغر في ديار المغرب، وسبا أُمَّة وجوهها في صدورها، فذعر الناس منهم، فسمي : ذا الأذعار. وبعده ملكت بلقيس بنت هُداهد بن شرحبيل صاحبة سليمان ـــ عليه السلام.

(٤) وذو المنار بن الصعب : سمي بذلك لأنه رفع نيرانا في جبال ليهتدي بها في إحدى غزواته. ومعنى تبع في لغة اليمن : الملك المتبوع، وقال المسعودي : لا يقال للملك : تبع حتى يغلب اليمن والسِّحْر وحضرموت. وأول التبابعة : الحارث الرائش، وهو ابن همال بن ذي شدد، وسمي : الرائش، لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء، وقسم من الغنائم، وكان أول من غنم، فيما ذكروا.

قال ابن هشام : ويقال : الرائش.[1]

قال ابن إسحاق : ابن عدي بن صيفي بن سبأ الأصغر، بن كَعْب، كَهْف الظُّلم، ابن زَيْد بن سَهْل، بن عَمرو، بن قَيْس، بن معاوية، بن جُشَم، بن عبد شمس، بن وائل، بن الغَوْث، بن قَطَن، بن عَرِيب، بن زهير، بن أيمن، بن الهَمَيْسَع، بن العَرَنْجَج. والعَرَنْجَج[2] : حِمْيَر بن سبأ الأكبر بن يَعْرُب، بن يَشْجُب، بن قحطان.

قال ابن هشام : يَشْجُب : بن يَعْرُب بن قَحْطان.

قال ابن إسحاق : وتُبان أسعد : أبو كَرِب الذي قدم المدينة، وساق الحَبْرَيْن من يهود المدينة إلى اليمن، وعمَّر البيت الحرام وكساه، وكان مُلكه قبل مُلك ربيعة بن نصر.

قال ابن هشام : وهو الذي يُقال له :

ليت حظي من أبي كَرِب أن يسدَّ خيـــرُه خبلَــــهْ[3]

تُبان يغضب على أهل المدينة : **قال ابن إسحاق** : وكان قد جعل طريقه ــ حين أقبل من المشرق ــ على المدينة وكان قد مَرَّ بها في بدأته، فلم يهج أهلَها، وخلف بين أظهرهم ابناً له، فقُتل غِيلةً، فقدمها،

---

(١) او معنى تبع في لغة اليمن: الملك المتبوع، وقال المسعودي: لا يقال للملك: تبع حتى يغلب اليمن والسِّحْر وحضرموت. وأول التبابعة: الحارث الرائش، وهو ابن همال بن ذي شرد، وسمي: الرائش، لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء، وقسم من الغنائم، وكان أول من غنم، كما ذكر قريباً.

(٢) والعَرَنْجَجُ الذي ذكره أنه حمير بن سبأ، فمعناه بالحميرية : العتيق، قاله ابن هشام. وهو

(٣) في عهد زمن تبع الأوسط.

و« خبله » ــ التي ذكر في البيت ــ؛ من الخبل وهو الفساد. وقد نسب هذا البيت إلى الأعشى ولكن البرقي نسبه إلى عجوز من بني سالم، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع. فدخل سراً ؛ فقال لقومه : قد جاء تبع فقالت العجوز البيت.

وهو مُجمع لإخرابها، واستئصال أهلها، وقطع نخلها[1]، فجمع له هذا الحيُّ من الأنصار، ورئيسهم عمرو ابن طَلَّة أخو بني النجار، ثم أحد بني عمرو بن مبذول، واسم مبذول : عامر، بن مالك بن النجار. واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، ابن عمرو، بن عامر.

عمرو ابن طلة ونسبه : قال ابن هشام : عمرو ابن طَلَّة : عمرو بن معاوية، بن عمرو بن عامر، بن مالك بن النجار، وطَلَّة : أمه : وهي بنت عامر بن زُرَيق، بن عامر بن زُرَيق، بن عبد حارثة بن مالك، بن غَضْب، ابن جُشَم، بن الخزرج.

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة : قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له : أحمر، عدا على رجال من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله. وذلك أنه وجده في عَذْق له يَجُدُّه[2] فضربه بمنجله فقتله، وقال : إنما التمر لمن أَبَّره[3]، فزاد ذلك تُبعاً حنقا عليهم، قال : فاقتتلوا، فتزعُم الأنْصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويقرونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم، ويقول : والله إن قومَنا لكرام !!.

فبينا تُبع على ذلك من قتالهم ؛ إذا جاءه حَبران من أحبار اليهود، من

---

(١) ذكر القتبي أنه لم يقصد غزوها، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوا معهم، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم، فلم يف لهم بذلك يهود واستضاموهم، فاستغاثوا بتبع ؛ فعند ذلك قدمها.

وقد قيل : بل كان هذا الخبر لأبي جبيلة الغساني، وهو الذي استصرخته الأوس والخزرج على يهود. فالله أعلم.

(٢) العذق بفتح العين : النخلة، والعِذق بالكسر : الكباسة بما عليها من التمر. ويَجُدُّه : يقطعه

(٣) أبر النخل : لقحه وأصلحه.

بني قُرَيظة ــ وقريظة والنضير والنَّحَّام وعمرو ــ وهو هَدَل[1] ــ بنو الخزرج بن الصريح بن التَّوْمان[2]، بن السِّبط[3] بن اليسع، بن سعد، بن لاوي، بن خير، بن النحام، بن تنحوم، بن عازر، عِزرى، بن هارون بن عمران، بن يصهر، بن قاهث، بن لَاويّ بن يعقوب ــ وهو إسرائيل ــ ابن إسحاق ــ بن إبراهيم خليل الرحمن ــ صلى الله عليهم ــ عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له : أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عَليك عاجلَ العقوبة، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا: هي مهاجَر نبيٍّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون دارَه وقرارَه، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علما، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتبعهما على دينهما، فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو بن عبد بن عوف بن غُنْم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو ابن طَلَّة :

أصحا أم قد نهى ذُكَرَهْ ... أم قضى من لذةٍ وطرَهْ[4]

---

(١) هَدَل : بفتح الدال والهاء، كأنه مصدر هَدَل هدلا إذا استرخت شفته، وذكره الأمير بن ماكولا عن أبي عبدة النسابة فقال فيه : هَدْل بسكون الدال .

(٢) التومان : على وزن فعلان، كأنه من لفظ التُّوم، وهو الدُّرُّ أو نحوه.

(٣) ابن السبط : بكسر السين، وابن تنحوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهمله، وهو عبراني، وكذلك عازر وعزرى بكسر العين من عزرى. وقاهت، بالتاء المنقوطة باثنتين. وهكذا وقع في نسخة الشيخ أبي بحر. وفي غيرها بالثاء المثلثة، وكلها عبرانية. وكذلك إسرائيل، ومعناه بالعربية ؛ سَرِي الله.

(٤) الذُّكَر : جمع ذكرة. كما تقول : بُكْرة وبُكَر، والمستعمل في هذا المعنى ذكرى بالألف، وقلما يجمع فُعْلَى على فُعَل، وإنما يجمع على فعال، فإن كان أراد في هذا جمع ذكرى، وشبه ألف التأنيث بهاء التأنيث، فله وجه: قد يحملون الشيء على الشيء إذ كان في معناه.

أم تذكَرْتَ الشبابَ، وما	ذِكْرُك الشباب أو عُصُرَهْ[1]
إنها حربٌ رَباعِيةٌ	مثلُها آتى الفتى عِبَره[2]
فاسألا عمرانَ أو أسدا	إذ أتت عَدْواً مع الزُّهَرَهْ[3]
فَيْلَقٌ فيها أبو كَرِبٍ	سُبَّغٌ أبدانُها ذَفِرَهْ[4]
ثم قالوا : من نؤم بها	أبني عوف، أم النَّجَرَه ؟[5]
بل بني النجار إنَّ لنا	فيهم قتلى، وإنَّ تِرَهْ[6]

(١) أو عُصُرَه، أراد : أو عَصْره، وفي العصُر لغتان. وحرك الصاد بالضم قال ابن جني : ليس شيء على وزن فَعْل بسكون العين، يمتنع فيه فُعُل.

(٢) إنها حرب رباعية. مَثَل، أي : ليست بصغيرة ولا جذعة، بل هي فوق ذلك، وضُرب سن الرباعية مثلا، كما يقال : حرب عوان ؛ لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب.

(٣) عدواً مع الزُّهَرَة : يريد : صبحهم بغلس : أي ظلمة آخر الليل، قبل مغيب الزُّهَرَة : وهو نجم معروف شديد اللمعان.

(٤) سُبَّغ : كاملة. أبدانها ذفرة، يعني : الدروع. وذَفِرة : من الذفر.. وهي سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة، وأما الدَّفْر، بالدال المهملة، فإنما هو فيما كره من الروائح، ومنه قيل للدنيا : أُمُّ دَفْر، وذكره القالي في الأمالي بتحريك الفاء، وغلط في ذلك. والدَّفْرُ بالسكون أيضا : الدفع.

(٥) النَّجَرة : جمع ناجر، والناجر والنجار : بمعنى واحد، وهذا كما قيل المناذرة في بني المنذر والنجار، وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وسمي النجار ؛ لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب.

(٦) فيهم قتلى وإنَّ تره. أظهر إن بعد الواو. أراد : أن لها قتلى وترة، والترة : الوتر، فأظهر المضمر، وهذا البيت شاهد على أن حروف العطف يضمر بعدها العامل المتقدم نحو قولك : إن زيدا وعمراً في الدار، فالتقدير : إن زيدا، وإن عمراً في الدار، ودلت الواو على ما أردت، وإن احتجت إلى الإظهار أظهرت ؛ كما في هذا البيت، إلا أن تكون الواو الجامعة في نحو اختصم زيد وعمرو، فليس ثَمَّ إضمار لقيام الواو مقام صيغة التثنية، كأنك قلت : اختصم هذان، وعلى هذا تقول : طلع الشمس والقمر، فتغلّب المذكر، كأنك قلت : طلع هذان النيران، فإن جعلت الواو هي التي تضمر بعدها الفعل، قلت : طلعت الشمس والقمر، وتقول في نفي المسألة الأولى : ما طلع الشمس والقمر، ونفي المسألة الثانية : ما طلعت الشمس ولا القمر ؛ تعيد حرف النفي ؛ لينتفي به الفعلُ المضمرُ. =

فتلقَّتهم مُسايفة مَدُّها كالغيبة النَّثِرهْ[1]
فيهم عَمْرُو ابنُ طَلَّةَ مَلَّى الإلهُ قومَه عُمُرَهْ[2]
سَيِّدٌ سام الملوكَ ومن رام عَمراً لا يكنْ قَدَرَهْ[3]

وهذا الحي من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تُبَّع على هذا الحي من يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وإنما أراد هلاكهم، فمنعوهم منه، حتى انصرف عنهم، ولذلك قال في شعره :

حَنقا على سِبْطين حلَّا يثربا أَوْلى لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن هشام : الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته[4]

= ويتفرع من هذا الأصل في النحو مسائل كثيرة، لا نطوِّل بذكرها ــ انظر الروض الأنف للسهيلي من تحقيقها.

(١) فتلقتهم مسايفة : بكسر الياء أي كتيبة مسايِفة فهو من باب حذف الموصوف استغناء بصفته. ولو فتحت الياء، فقلت : مسايَفة لكان حالا من المصدر التي تكون أحوالا مثل : كلمته مشافهةً، وفي غير هذه النسخة : فتلقتهم مسابقة بالباء والقاف. والْغَبْيَة الدَّفْعة من المطر.

والنَّثرة أي : المنتثرة، وهي التي لا تمسك ماءً.

(٢) مَلَّى الإله : من قولهم : تمليته حيناً، أي عشت معه حيناً وهو مأخوذ من الملاوة والملَوَيْن وفي القاموس : ملَّاك الله حبيبك تملية : متعك به، تملَّى عمره : استمتع فيه، والملا : الصحراء، والملوان : الليل والنهار.

(٣) لا يكن قَدَرَهْ. دعاء عليه : والهاء عائدة على عمرو. أراد لا يكن قدر عليه. دعَاء عليه : والهاء عائدة على عمرو. أراد : لا يكن قدر عليه. وحذف حرف الجر فتعدى الفعل، فنصب، ولا يجوز حذف الجر في كل فعل، وإنما جاز في هذا، لأنه في معنى : استطاعه، أو أطاعه، فحُمل على ما هو معناه، ونظائره كثيرة.

(٤) والشعر الذي زعم ابن هشام أنه مصنوع قد ذكره في كتاب التيجان، وهو قصيد مطول أوله :

ما بال عينك لا تنام، كأنما كُحِلتْ مآقيها بسمٍّ الأسود
حنقاً على سبطين حلَّا يثربا أولى لهم بعقاب يوم مفسد

تُبَّع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة : قال ابن إسحاق :
وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكّة، وهي طريقهُ إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسْفان، وأَمَج أتاه نفر من هُذيل بن مُدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ؛ فقالوا له : أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائر، أغفلته الملوك قَبْلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى قالوا : بيت بمكة يعبده أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده. فلما أجمع لما قالوا، أرسل إلى الحبرين، فسألهما عن ذلك فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكَك وهلاك جندك. ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه، لتهلكن وليهلكن من معك جميعا، قال : فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت إليه قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرِّمه، وتحلق رأسك عنده وتذِل له، حتى تخرج من عنده، قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك، قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حولَه، وبالدماء التي يُهْرقون عنده، وهم نَجِسٌ أهلُ شرك ـــ أو كما قالا له ـــ فعرف نصحَهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هُذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ـــ فيما يذكرون ـــ ينحر بها للناس ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأُرِيَ في المنام أن يكسو البيت، فكساه الخَصَف[1] ثم أُرِيَ أن يكسوه

(١) الخَصَف : جمع : خَصَفَة، وهي شيء يُنسج من الخوص والليف، والخصف أيضاً الثياب الغليظة. والخصف لغة في الخزف في كتاب العين، والخصف بضم الخاء وسكون الصاد هو : الجَوْز. ويروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأنطاع. انتفض البيت فزال ذلك عنه، وفعل ذلك حين كساه الخصف، فلما كساه الملأ والوصائل قبلها. وممن ذكر هذا الخبر : قاسم في الدلائل.

أحسنَ من ذلك فكساه المَعافِرَ[١]، ثم أُري أن يكسوه أحسنَ من ذلك فكساه المُلاء والوصائل[٢]، فكان تُبع ـــ فيما يزعُمون ـــ أول من كسا البيت[٣]، وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما، ولا ميتة، ولا مئلات ـــ وهي المحايض[٤] ـــ وجعل له باباً ومفتاحاً، وقالت سُبَيْعة بنت الأحَبِّ[٥]، بن زَبينة، بن جذيمة، بن عوف، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكرِمة، بن خَصَفة، بن

---

(١) المعافر : ثياب يمنية.

(٢) الملاء : جمع ملاءة، وهي الملحفة. والوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن.

(٣) قال ابن إسحاق : أول من كسا الكعْبة الديباج، الحجاج، وذكر الدارقطني : أنها نُتَيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب، كانت قد أضلَّت العباس صغيراً، فنذرت : إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته. وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير.

(٤) ولا تقربوه بمئلات، وهي المحائض. لم يرد النساء الحيضى؛ لأن حائضاً لا يجمع على محائض، وإنما هي جمع محيضة، وهي خرقة المحيض، ويقال للخرقة أيضا : مئلاة، وجمعها : المآلي. قال الشاعر :

كأن مصفَّحات في ذُراه ... وأنواحاً عليهن المآلي

وهي هنا خرق تمسكهن النواحات بأيديهن، فكأن المئلات كل خرقة دنسة لحيض كانت أو لغيره، وزنها مِفْعَلة من أَلَوْتُ : إذا قصَّرت وضيعت، وجعلها صاحب العين في باب الإلية والأَلِيَّة، فلامُ الفعل عنده ياء على هذا، والله أعلم.

(٥) بنت الأحَبّ بالحاء المهملة ابن زبينة : بالزاي والباء والنون : فعيلة من الزبن « الدفع »، والنسب إليه زَبَانيٌّ على غير قياس. ولو سمي به رجل لقيل في النسب إليه: زَبَنِيٌّ على غير القياس. قال سيبويه : الأحب بالحاء المهملة. يقوله أهل النسب، وأبو عبيدة بقوله بالجيم، وإنما قالت بنت الأحب هذا الشعر في حرب كانت بين بني السَّبَّاق بن عبد الدار، وبين بني علي بن سعد بن تميم حتى تفانوا. ولحقت طائفة من بني السبَّاق بعك. فهم فيهم. قال : وهو أول بَغْيٍ كان في قريش. وقد قيل : أول بغي كان في قريش بغي الأقايش، وهم بنو أقيش من بني سهم، بغى بعضهم على بعض، فلما كثر بغيهم على الناس أرسل الله عليهم فأرة تَحمل فتيلة، فأحرقت الدار التي كانت فيها مساكنهم، فلم يبق لهم عَقِب ـــ والله أعلم.

قيس، بن عيلان، وكانت عند عبد مناف بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرة، بن كعب، بن لُؤَي، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، لابن لها منه يقال له : خالد : تعظِّم عليه حرمة مكة، تنهاه عن البغي فيها، وتذكر تُبَّعا وتذلله له، وما صنع بها :

أبُنـيَّ : لا تَظْلـم بمكـة لا الصغيـرَ ولا الكبيـرْ

واحفـظْ محارمَهـا بُنَـيَّ ولا يغـرَّنْك الغَـرورْ

أَبُنَـيَّ : من يَظلـم بمـكـةَ يُلـقَ أطـرافَ الشرورْ

أَبُنَـيَّ : يُضْرب وجهُـه وَيلُـحْ بخديْـه السعيـرْ

أُبنـي : قد جربتُهـا فوجـدتُ ظالمهـا يبـورْ[1]

الله أمَّنهـا، ومـا بُنـيت بعرْصَتهـا قصورْ

والله آمـنَ طيرَهـا والـعُصْم تأمـن في ثَبيـرْ[2]

ولقـد غزاهـا تُبَّـعٌ فكسا بنيتَهـا الحبيـرْ[3]

وأذلَّ ربـي مُلكَـهُ فيهـا فأوفـى بالنُّـذورْ

يمشي إليهـا حافيـاً بفنائِهـا ألفَـا بعيـرْ

ويظـل يُطْعِـمُ أهلَهـا لحـمَ المهـاري والجَـزُور[4]

يسقيهـم العسلَ المصـفَّى والرَّحيضَ من الشعيـرْ[5]

والفيـلُ أُهـلك جيشُه يرمـون فيهـا بالصخـورْ

والمـلْكُ في أقصى البـلاد وفـي الأعاجِـم والخَزِيـر[6]

فاسمـعْ إذا حُدِّثت، وافـهمْ كيـف عاقبـةُ الأمـورْ

---

(١) يبور : يهلك.

(٢) العُصم : الوعول تعتصم في الجبال وقوله : ثبير : جبل بمكة.

(٣) بنيتها : الكعبة وقوله الحبير : نوع موشّى من ثياب اليمن.

(٤) المهارى : الإبل النجيبة.

(٥) الرحيض : المنقّى والمصفى.

(٦) الخزير : يريد الخزر وهم أمة من العجم.

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لا تعرب.

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبْرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأَبَوْا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القُرظي، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث : أن تُبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْيَر بينه وبين ذلك وقالوا : لا تدخلها علينا، وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال : « إنه خير من دينكم »، فقالوا : فحاكمنا إلى النار قال : نعم.

قال : وكانت باليمن ــ فيما يزعم أهل اليمن ــ نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون به في دينهم، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذَمَرهم[1] من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرّهما، فأصفقَتْ عند ذلك حمير على دينه، فمن هنالك، وعن ذلك، كان أصل اليهودية باليمن.

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محدِّث أن الحَبْرين، ومن خرج من حمير، إنما اتبعوا النار ليردوها، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق، فدنا

---

(١) ذمرهم : شجعهم وحضهم ليجدّوا.

منها رجال من حِمْير بأوثانهم ليردوها، فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها، ودنا منها الحبران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما، حتى ردَّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفَقَتْ[1] عند ذلك حمير على دينهما. والله أعلم أي ذلك كان.

هدم البيت المسمى رئام[2] : **قال ابن إسحاق** : وكان رئام بيتاً لهم يعظمونه، وينحرون عنده، ويُكَلَّمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتُبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلِّ بيننا وبينه، فاستخرجا منه ـــ فيما يزعم أهل اليمن ـــ كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم ـــ كما ذكر لي ـــ بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه.

مُلك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو

فلما ملك ابنه حسان بن تُبان أسعد أبي كَرِب، سار بأهل اليمن، يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق

ـــ **قال ابن هشام** : بالبحرين، فيما ذكر لي بعض أهل العلم ـــ

---

(١) أصفقت : اجتمعت.

(٢) رئام : وهو فِعال من رَئِمت الأنثى ولدَها تَرْأمه رِئما ورِئاماً : إذا عطفت عليه ورحمته. فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التي كانوا يلتمسون في عبادته، والله أعلم.

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق أن رئاما كان فيه شيطان، وكانوا يملئون له حياضا من دماء القربان، فيخرج فيصيب منها ويكلمهم، وكانوا يعبدونه، فلما جاء الحبران مع تبع نشرا التوراة عنده، وجعلا يقرآنها ؛ فطار ذلك الشيطان حتى وقع في البحر.

كرهت حِمْير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلموا أخاً له يقال له عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له اقتل أخاك حسان، ونُملِّكْكَ علينا، وترجعْ بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَيْن الحِمْيري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه. فقال ذو رُعَيْن[1] :

ألا من يشتري سهراً بنوم ... سعيدٌ من يبيتُ قريرَ عين[2]

فإما حِمْير غدرتْ، وخانت ... فمعذرةُ الإله لذي رُعَيْن

ثم كتبهما في رقعة، وختم عليها، ثم أتى بها عَمراً، فقال له : ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل ثم قَتل عمرو أخاه حسان، ورجع بمن معه إلى اليمن. فقال رجل من حِمْير :

لاهِ عينا الذي رأى مثلي حسان ... قتيلاً في سالف الأحقاب[3]

---

(١) وذو رُعَيْن تصغير رَعْن، والرَّعْنُ : أنف الجبل، ورعين : جبل باليمن قاله صاحب العين، وإليه ينسب ذو رعين.

(٢) أمن يشتري، وحسن حذف ألف الاستفهام ههنا لتقدم همزة ألا. كما حسن في قول امرئ القيس :

أحارِ ترى برقا أريك وميضه

أراد : أترى. وفي البيت حذف تقديره : بل من يبيت قرير عين هو السعيد. فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه. وفي كتاب ابن دريد : سعيد أمْ يبيت، بحذف من، وهذا من باب حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه ؛ لأن « من » هنا نكرة موصوفة.

(٣) « لاه من رأى مثل حسان » أراد لله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل، وهذا حذف كثير. ولكنه جاز في هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة. مثل قول الفراء :

لِهَنَّك من برق عليَّ كريم

أراد : والله إنك. وقال بعضهم : أراد لأنك وأبدل الهمزة هاء. وهذا بعيد، لأن اللام لا تجمع مع إن، إلا أن تؤخر اللام إلى الخبر، لأنهما حرفان مؤكدان، وليس انقلاب الهمزة هاء بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما.

قتلتـه مقـاولٌ خشيـةَ الحـبس غـداةَ قالـوا: لَبَـاب لَبـابِ[1]
ميتُكـم خيرُنـا وحيُّكـم ربٌّ علينـا، وكلُّكـم أربابـي

قال ابن إسحاق : وقوله : لَبَابِ لَبَابِ : لا بأس لا بأس بلغة حِمْير.

قال ابن هشام : ويروى : لِبابِ لِباب.

هلاك عمرو وتفرق حِمير : قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو ابن تُبان اليمن مُنع منه النوم، وسُلط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحُزاة[2] من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه، أو ذا رَحمه بغياً على مثل ما قَتلت أخاك عليه، إلا ذهب نومه، وسُلط عليه السهر، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن، حتى خلص إلى ذي رُعَيْن، فقال له ذو رُعَيْن : إن لي عندك براءة، فقال وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعتُ إليك، فأخرجه فإذا البيتان، فتركه، ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو، فمرج[3] أمْر حمير عند ذلك وتفرقوا.

---

(١) المقاول : يريد الأقيال، وهم الذين دون التبابعة. واحدهم : قيل وأصله قيِّل مثل سيد، ثم خفف واستعمل بالياء في إفراده وجمعه، وإن كان أصله الواو، لأن معناه : الذي يقول يُسمع قوله، ولكنهم كرهوا أن يقولوا : أقوال، فيلتبس بجمع قَوْل : كما قالوا : عيد وأعياد، وإن كان من عاد يعود، لكن أماتوا الواو فيه إماتة، كي لا يشبه جمع العود، وإذا أرادوا إحياء الواو في جمع قيل، قالوا : مَقاول كأنه جمع مِقْول، أو جمع : مقال ومقالة، فلم يبعدوا من معنى القول، وأمنوا اللبس، وقد قالوا : محاسن ومذاكر لا واحد لها من لفظها، وكأنهم ذهبوا أيضاً في مقاول مذهب المرازب، وهم ملوك العجم، والله أعلم.

(٢) الحزاة : أي المنجمين.

(٣) فمرج أي : اختلط.

خبر لَخْنيعة وذي نواس

فوثب عليهم رجل من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له : لَخْنيعة[١] ينوف ذو شنَاتر[٢]، فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حمير للَخْنيعة :

تُقَتِّل أَبنَاها وتنفي سَراتَها وتبني بأيديها لها الذلَّ حميرُ
تُدَمِّر دنياها بطيشِ حلومِها وما ضَيَّعَتْ من دينها فَهْوَ أكثرُ
كذاك القرونُ قبلَ ذاك بظلمِها وإسرافِها تأتي الشرورَ فتخسَرُ

فسوق لخنيعة : وكان لَخْنيعة امرءاً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه في مَشْرَبة له قد صنعها لذلك. لئلا يُمَلَّك بعدَ ذلك، ثم يَطْلُع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده، قد أخذ مِسواكا، فجعله في فيه، أي : فيعلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعث إلى زُرْعة ذي نُواس[٣] بن تُبان أسعد أخي حسان، وكان صبيا صغيرا حين قُتل حسان، ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريد منه، فأخذ سكينا حديداً لطيفاً، فخبأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نُواس، فوجأه[٤] حتى قتله، ثم حزَّ رأسه، فوضعه في الكُوَّة التي كان يُشرف منها، ووضع مسواكه في فيه، ثم خرج على الناس، فقالوا له : ذا نواس

---

(١) وقال فيه ابن دريد : لخنيعة وقال : هو من اللَّخَع، وهو استرخاء في الجسم.

(٢) الشناتر : الأصابع بلغة حمير، واحدها : شُنْتُرة.

(٣) وذو نواس اسمه : زُرْعَه، وهو من قولهم للغلام : زرعك الله، أيَ أنبتك. وسُمي ذا نواس بغديرتين كانتا له تَنُوسان، أي ضفيرتان من شعر، والنَّوْسُ : الحركة والاضطراب فيما كان متعلقاً.

(٤) وجأه : ضربه.

أرطْبٌ أم يَياس[1] فقال : « سَلْ نَحْماس[2] اسْترطُبان ذو نواس اسْترطُبان[3] لا باس ».

قال ابن هشام : هذا كلام حمير. ونحماس : الرأس. فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه، فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

ملك ذي نواس : فملَّكوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير، وهو صاحب الأخدود، وتسمى : يوسف، فأقام في ملكه زماناً.

سبب وجود النصرانية بنجران : وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له : عبدالله بن الثامر.

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أن

---

(١) أرطب أم يباس، واليباس واليبيس : مثل الكبار والكبير.

(٢) فقال لهم : سل نحماس، والنحماس في لغتهم هو الرأس كما ذكر، ووقع في نسخة أبي بحر التي قيدها علي أبو الوليد الوقشي : نخماس بنون وخاء منقوطة، ولعل هذا هو الصحيح إذ يحتمل أن يكون النخماس في لغتهم هو : الرأس، ثم صحف وقيده كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق وبالحاء المهملة.

(٣) استرطُبان إلى آخر الكلام : مشكل يفسره ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني قال : كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة، وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها : وصاحوا به : أرطب أم يباس، فلما خرج ذو نواس من عنده، وركب ناقة له يقال لها : السراب ؛ قالوا : ذا نواس أرطب أم يباس، فقال : « ستعلم الأحراس اسْتَ ذي نواس است رطبان أم يباس » فهذا اللفظ مفهوم. والذي وقع في الأصل هذا معناه، ولفظه قريب من هذا، ولعله تغيير في اللفظ ــ والله أعلم ــ.

رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فَيْمِيون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به.

حديث فَيْمِيون[1]: **قال ابن إسحاق** : حدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس، عن وهب بن مُنَبِّه اليماني أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيْمِيون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا، مُجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل بين القرى، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه، وكان بنَّاء يعمل الطين، وكان يعظم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا. وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي. قال : وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح، فأحبه صالح حُبّاً لم يحبه شيئاً كان قبله. فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فَيْميون، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض ــ كما كان يصنع ــ وقد أتبعه صالح، وفَيْمِيون لا يدري ؛ فجلس صالح منه منظرَ العين مستخفيا منه، لا يحب أن يُعلم بمكانه، وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين ــ الحية ذات الرءوس السبعة[2] ــ فلما رآها فَيْمِيون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه، فَعِيل عَوْلَه ؛ فصرخ : يا فَيْمِيون ! التنين قد أقبل

(١) قال الطبري فيه : قيمئون بالقاف، وشك فيه، وقال القتبي فيه : رجل من آل جفنة من غسان جاءهم من الشام، فحملهم على دين عيسى ــ عليه السلام ــ ولم يسمه. وقال فيه النقاش اسمه يحيى، وكان أبوه ملكا فتوفي، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه، ففر من الملك، ولزم السياحة. وقال عنه السهيلي في الروض الأنف : فيمئون. وقال يحتمل أنهم سموه : يحيى، وهو الاسم الذي تقدم ذكره، وما قاله النقاش والقتيبي.

(٢) الرءوس السبعة : أي القرون السبعة.

نحوك، فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها، وأمسى، فانصرف، وعرف أنه قد عُرف، وعَرف صالح أنه قد رأى مكانه، فقال له : يا فَيْمِيون ! تعلَّم والله ما أحببت شيئاً قطُّ حبَّك وقد أردت صحبتك، والكينونة معك حيث كنت، فقال : ما شئتُ، أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضرُّ دعا له فشفي، وإذا دُعي إلى أحد به ضر لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فَيْمِيون، فقيل له : إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأَجْر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه في حجرته، وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له : يا فيميون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأُشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له : ما تريد أن تعمل في بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا، ثم انتشط الرجلُ الثوبَ عن الصبي[1]، ثم قال له : يا فَيْمِيون، عبدٌ من عباد الله أصابه ما ترى، فادعُ الله له ؛ فدعا له فَيْمِيون ؛ فقام الصبي ليس به بأس.

وعَرف فيميون أنه قد عُرِف، فخرج من القرية، واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال : يا فَيْمِيون ! قال نعم. قال : ما زلت أنظرك، وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرحْ حتى تقوم عليَّ فإني ميت الآن. قال : فمات، وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدُوا عليهما، فاختطفتهما سَيَّارةٌ من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بنجران[2]، وأهل نجران يومئذ على

---

(١) انتشط الثوب : أي رفعه بسرعة.

(٢) ونجران اسم رجل كان أول من نزلها، فسُميت به، وهو نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ؛ قاله البكري.

دين العرب، يعبدون نخلةً طويلة بين أظهرِهم لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحُليَّ النساء، ثم خرجوا إليها، فعكفوا عليها يوماً.

فابتاع فَيْمِيونَ رجلٌ من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخرُ، فكان فَيِمِيون إذا قام من الليل — يتهجد في بيت له أسكنه إياه سيده — يصلي، استسرج له البيتُ نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه فأخبره به، وقال له فيميون : إنما أنتم في باطل، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، قال : فقال له سيده : فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه. قال فقام فَيْمِيون، فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً فَجَعَفَتْها[1] من أصلها فألقتها، فاتَّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن مُنَبِّه عن أهل نجران.

---

(١) جعفتها : أي اسقطتها وذهبت بها.

خبر عبدالله بن الثامر

عبدالله بن الثامر والاسم الأعظم : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران ــ ونجران : القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد ــ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فَيْمِيون ــ ولم يسموه لي باسمه الذي سماه به وهب بن منبِّه، قالوا : رجل نزلها ــ ابتنى خيمة بين نجران، وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، يعلمهم السحر، فبعث إليه الثامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه حتى أسلم، فوحَّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ــ وكان يعْلمُه ــ فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخي ! إنك لن تحملَه، أخشى عليك ضعفَك عنه. والثامر أبو عبدالله لا يظن إلا أن ابنَه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمانُ، فلما رأى عبدُ الله أن صاحبَه قد ضَنَّ به عنه، وتخوَّف ضَعْفَه فيه، عمد إلى قِداح[1] فجمعها، ثم لم يُبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قِدْح، لكـلِّ اسم قِدْح، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحه، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضره شيئاً، فأخذه ثم أتى صاحبه، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع، قال : أي ابنَ

---

(١) القداح : السهام.

أخي ! قد أصبته فأمسكْ على نفسِك، وما أظنُّ أن تفعلَ[1].

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال : يا عبد الله، أتوحِّدُ الله، وتدخل في ديني، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم، فيوحد الله ويُسْلم، ويدعو له فيُشْفَى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضُر إلا أتاه فاتَّبعه على أمره، ودعا له فعوفِيَ، حتى رفع شأنه إلى مَلك نجران، فدعاه فقال له : أفسدت عليَّ أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلنَّ بك. قال : لا تقدر على ذلك. قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل، فيُطرَح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران، بحورٍ لا يقع فيها شيء إلا هلك، فيُلْقَى فيها،

(١) التفاضل بين أسماء الله الحسنى : وذكر فيه الاسم الأعظم، وقول الراهب له : إنك لن تطيقه. أي : لن تطيق شروطه، والانتهاض بما يجب من حقه، وقد قيل في قول الله تعالى : ﴿ **وقال الذي عنده علم من الكتاب** ﴾ إنه أُوتي الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وهو : آصف بن برخيا في قول أكثرهم، وقيل غير ذلك. وأعجب ما قيل فيه : إنه ضبة بن أد بن طابخة قال النقاش، ولا يصح.

وهي مسألة اختلف فيها العلماء، فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى، وقالوا : لا يجوز أن يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الآخر، ومما احتجوا به : أن رسول الله ــ ﷺ ــ لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم، وقد علمه من هو دونه من ليس بنبي ؛ ولم يكن ليدعو حين اجتهد في الدعاء لأمته ألا يجعل بأسهم بينهم، وهو رءوف بهم، عزيز عليه عَنَتهُم إلا بالاسم الأعظم، ليستجاب له فيه، فلما مُنع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو كسائر الأسماء في الحكم والفضيلة، ليستجيب الله إذا دعي ببعضها إن شاء، ويمنع إذا شاء، وقال الله سبحانه : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّامًا تدعو، فله الأسماء الحسنى** ﴾.

وظاهر هذا الكلام : التسوية بين أسمائه الحسنى. وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء إلى أنه ليس شيء من كلام الله تعالى أفضل من شيء، لأنه كلام واحد من رب واحد، فيستحيل التفاضل فيه. انظر هذا الموضوع مفصلا من « الروض الأنف » بتحقيقنا جـ١ ص ٤٧ ــ ٥٢.

فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه، قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنتُ به، فإنك إن فعلت ذلك، سُلِّطْتَ عليَّ فقتلتني، قال : فوحَّد الله تعالى ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا في يده، فشجه شجة غير كبيرة، فقتله ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ــ والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظيّ، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ــ والله أعلم أي ذلك كان.

ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية : فسار إليهم ذو نواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخدَّ لهم الأُخدود[1]، فحرق من حرق بالنار، وقتل من قتل بالسيف، ومثَّل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نُواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ــ ﷺ : ﴿ **قُتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾.

تفسير الأخدود : **قال ابن هشام** : الأخدود : الحَفْر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه، وجمعه : أخاديد. قال ذو الرمة ــ واسمه : غَيْلان بن عُقبة، أحد بني عَدِيٍّ بن عبد مناف بن أد بن

(١) روى ابن سنجر عن جُبَيْر بن نفيل قال : الذين خدوا الأخدود ثلاثة : تُبَّع صاحب اليمن، وقسطنطين ابن هلاني ــ وهي أمه ــ حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب، وبختنصر من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وأصحابه، فألقاهم في النار، فكان برداً وسلاماً عليهم.

طابخة بن إلياس بن مُضر :

من العراقِيَّةِ اللاتـي يُحيـلُ لهـا   بين الفَلَاةِ وبينَ النخلِ أخدودُ

يعني : جدولا. وهذا البيت في قصيدة له. قال : ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد، وأثر السوط ونحوه : أخدود، وجمعه أخاديد.

نهاية عبد الله بن الثامر : قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قَتَلَ ذو نواس، عبدَ الله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو ابن حزم أنه حُدث : أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ حفرَ خَرِبةً من خَرِب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبدَ الله بن الثامر تحت دَفْنٍ منها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه، مُمسكا عليها بيده، فإن أُخِّرت يدَه عنها تنبعث دما، وإذا أُرسلت يده ردَّها عليها، فأمسكت دمَها، وفي يده خاتم مكتوب فيه : « ربي الله » فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبر بأمره فكتب إليهم عمرُ رضي الله عنه : أن أقروه على حاله وردوا عليه الدَّفْن الذي كان عليه، ففعلوا[1].

---

(١) يصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء..** ﴾ وما وُجد من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة، كحمزة بن عبد المطلب ـــ رضي الله عنه ـــ فإنه وُجد حين حفر معاوية العين صحيحاً لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه، فدميت : وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام، وعمرو بن الجموح. وطلحة بن عبيد الله، استخرجته بنته عائشة من قبره حين أمرها في المنام بنقله فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير. وقد قال ـــ عليه السلام ـــ « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ». خرَّجه سليمان بن الأشعث. وفي المسند من طريق أنس ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ « الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم ». وفي الصحيح : أن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال : « مررت بموسى ـــ عليه =

فرار دوس ذي ثعلبان من ذي نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سبأ. يقال له دَوْس[١] ذو ثَعْلبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر[٢] ملك الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له : بعدت بلادك منا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره.

النجاشي ينصر دوسا : فقدم دوسٌ على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له : أرياط ــ ومعه في جنده أَبْرَهة الأشرم ــ فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دَوْس ذو ثَعْلبان.

نهاية ذي نواس : وسار إليه ذو نُواس في حِمْير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه، وجه فرسه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضَحْضَاح[٣] البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرِه[٤]، فأدخله فيه، وكان آخر العهد به. ودخل أرياط اليمن، فملكها[٥].

= السلام ــ وهو يصلي في قبره ــ وحدثني من لا أشك في قوله أنه رأى الكثير من شهداء حرب فلسطين لم يتغيروا بعد السنين الطويلة.

(١) دوس : هو ابن تبع الذي قتله أخوه.

(٢) قيصر : اسم علم لكل من ولي الروم وتفسيره بلسانهم : البقير الذي بقر بطن أمه عنه، وكان أول من تسمى به بُقَيْراً، فلما ملك وعرف به: تسمى به كل من ملك بعده.

(٣) قوله الضحضاح من الماء : الذي يظهر قعره.

(٤) الغمر : الماء الكثير.

(٥) هذا ما ذكره ابن إسحاق، وهنا رواية أخرى : أن ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن، =

فقال رجل من أهل اليمن ـــ وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة :

« لا كَدَوْس ولا كأعلاقِ رَحْله »[1]

قول ذي جدن الحميري في هذه القصة : وقال ذو جدن الحميري :

هونكِ[2] ليس يردُّ الدمعَ ما فاتا　　لا تهلكي أسفاً في إثْر من ماتَا
أبعدَ بَيْنون لا عينٌ ولا أثرٌ　　وبعدَ سَلْحِين يبني الناسُ أبياتَا ؟!

بينون وسلحين وغمدان : من حصون اليمن التي هدمها أرياط، ولم يكن في الناس مثلُها. وقال ذو جدن أيضاً :

= حين رأى أنه لا قبل له بهم، بعد أن استنفر جميع المَقَاوِل، ليكونوا معه يداً واحدة عليهم، فأبوا إلا أن يحمي كل واحد منهم حوزته على حدته، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله، على أن يسالموه ومن معه، ولا يقتلوا أحداً، فكتبوا إلى النجاشي بذلك، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح، وأمرهم أن يقبضوا ما في بلاده من خزائن أمواله، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه : أن اقتلوا كل ثور أسود، فقُتِلَ أكثر الحبشة، فلما بلغ ذلك النجاشي وجه جيشاً إلى أبرهة، وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نواس، ويخرب ثلث بلاده، ويقتل ثلث الرجال، ويسبي ثلث النساء والذرية، ففعل ذلك أبرهة. واقتحم ذو نواس البحر، فهلك، وقام بأمره من بعده ذو جدن، واسمه : عَلَس بن الحارث أخو سبيع بن الحارث، وأن ذا جدن حارب الحبشة بعد ذي نواس فكسروا جنده، وغلبوه على أمره، ففر إلى البحر كما فعل ذو نواس، فهلك فيه، واستبد أبرهة بنفسه فبلغ النجاشي، ولم يرسل إليه من جباية اليمن شيئاً، فوجه أرياطاً إلى خلعه.

(١) الأعلاق : النفائس.

(٢) هونكِ : ترفقي، وقد روي عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام : هونكما لن يرد. وهو من باب قول العرب للواحد : افعلا. كما فعل امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

دعيني ــ لا أبا لكِ ــ لن تطيقي [1] لحاكِ اللهُ! قد أنزفْتِ ريقي [2]

لَدَى عَزفِ القيانِ إذ انتشينا وإذْ نُسقى من الخمرِ الرحيق [3]

وشُرْبُ الخمر ليس عليَّ عاراً إذا لم يَشْكُني فيها رفيقي

فإن الموتَ لا ينهاه ناهٍ ولو شَرِبَ الشفاءَ مع النَّشوقِ [4]

ولا مترهِّب في أُسْطوان يناطحُ جُدره بَيض الأنوق [5]

وغُمْدان [6] الذي حُدِّثت عنه بنوه مُسَمَّكا في رأسِ نِيق [7]

بمَنْهَمَةٍ، وأسفلهُ جُرون وحُر المَوْحَلِ اللثق الزليق [8]

---

(١) أي لن تطيقي صرفي بالعذل عن شأني.

(٢) أي أيبست ريقي في فمي، وقلة الريق من الحصر، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش.

(٣) الرحيق : الخالص.

(٤) أي لو شرب كل دواء يستشفَى به، وتنشَّق كل نشوق يجعل في الأنف للتداوي به، ما نهى ذلك الموت عنه

(٥) ولا مُتَرَهِّبٌ : يجوز أن يكون رفعه عطفاً على (ناه) : أي : لا يرد الموت ناه، ولا مترهب. أي : دعاء مترهب يدعو لك، ويجوز أن يكون مترهب رفعاً، على معنى : ولا ينجو منه مترهب.

والأسْطُوانُ : على وزن أفعوال. والنون أصلية ؛ لأن جمعه : أساطين، وليس في الكلام أفاعين، والأُسطوان جمع أسطوانة، وهي السارية ويقصد هنا المكان الذي يختلي فيه الراهب.

جُدره : جمع جدار، وهو مخفف من جدر، وفي التنزيل ﴿ **أو من وراء جُدر** ﴾ هكذا تقيد بضم الجيم، والجدار أيضا بفتح الجيم : الحائط، ولكن الرواية في الكتاب كما ذكرنا.

والأنوق : الذكر من الرخم وهو لا يبيض، وهذا أشبه بالمعنى ؛ لأن الذكر لا يبيض، فمن أراد بيض الأنوق، فقد أراد المُحال.

(٦) غُمدان : هو الحصن الذي كان لهوذة بن علي ملك اليمامة

(٧) مسمَّكا : مرفَّعاً. من قوله سمك السماء، والنيق : أعلى الجبل.

(٨) بِمَنْهَمَة : هو موضع الرهبان. والراهب يقال له : التَّهامِيّ ويقال للنجار أيضاً : نهامي، فتكون المنهمة أيضاً على هذا موضع نجر.

وأسفله جُرون : جمع جَرون، وهو النقير من جرن الثوب : إذ لان. ورواية أبي الوليد =

مصابيح السَّليطِ تلوح فيه إذا يُمْسي كَتَوْماضِ البُروقِ[1]
ونخلتُه التي غُرِسَت إليه يكاد البُسْرُ يَهْصِر بالعذوق[2]
فأصبح بعد جِدَّته رماداً وغيَّر حسنَه لهبُ الحريقِ
وأسلَمَ ذو نُواس مُسْتَكينا[3] وحذَّر قومَه ضَنْك المضيق

قول ربيعة ابن الذئبة الثقفي في هذه القصة : وقال عبدالله ابن الذئبة[4] الثقفي في ذلك ــ **قال ابن هشام** : الذئبة أمه، واسمه : ربيعة ابن عَبْد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيّ.

لَعَمْرك ما للفتى من مقر مع الموت يلحقه والكِبَرْ
لَعَمرك ما للفتى صُحْرة لعمرك ما إنْ له من وَزَر[5]
أبعْدَ قبائلَ مِنْ حِمْيَرٍ أُبيدوا صباحاً بذات العَبَر[6]

= الوَقْشِي : جروب بالباء، وكذلك ذكره الطبري بالباء أيضاً. وفي حاشية كتاب الوقشي : الجروب : حجارة سود. فإن صح هذا في اللغة وإلا فالْجُروب : جمع جريب على حذف الياء من جريب، فقد يجمع الاسم على حذف الزوائد، كما جمعوا صاحباً على أصحاب.

وحر : الخالص من كل شيء.

والموحل : بفتح الحاء وفسر المرجل، بالحجارة المُلس لينة، والذي أذهب إليه أن الموجل ههنا واحد المواجل، وهي مناهل الماء، وفتحت الجيم، لأن الأصل : مأجل، كذلك قال أبو عُبيد هي : المآجل، وواحدها : مأجل.

واللثق من اللثق هو أن يخلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق، والزليق الذي يزلق فيه. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٥٨.

(١) السليط : الدهن.

(٢) يهصر : يميل. العذوق : جمع عذق بفتح العين وهي النخلة.

(٣) وأسلم ذو نواس مستكينا. أي : خاضعا ذليلا.

(٤) واسمه : ربيعة بن عبد ياليل.

(٥) الصُّحرة : المتسع، أُخذ من لفظ الصحراء. والوزر : الملجأ، ومنه اشتق الوزير لأن الملك يلجأ إلى رأيه. وقد قيل من الوزر ؛ لأنه يحمل عن الملك أثقالا، لأن الوزر : الثقل.

(٦) ذات العَبَر: أي ذات الحزن، يقال: عَبَر الرجل إذا حزن، ويقال: لأمه العبر، كما يقال: لأمه الثُّكل.

بألـــفِ ألـــوفٍ وحُرَّابـــة كمثلِ السمـاء قُبَيْـلِ المطـر[1]
يُصِمُّ صياحُهـم المقْرَبَـــات وينفـون من قاتلـوا بالدَّفـــرْ[2]
سَعَالِيَ مثـلُ عديـد التـرا ب تَيْبس منهم رطابُ الشجرْ[3]

قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي في هذه القصة : وقال عمرو بن مَعْدي كرب الزُّبَيْدي[4] في شيء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرَاديّ[5]، فبلغه أنه يتوعده، فقال يذكر حِمْير وعزها، وما زال من ملكها عنها :

أتُوعِدنـي كأنك ذو رُعَيْـن ــ بأفضل عِيشةٍ ــ أو ذو نُوَاس
وكائـن كان قبلَك من نعيـمٍ ومُلكٍ ثابتٍ في النـاس راسي

---

(١) الحُرَّابة : ذوو الحراب. وقوله كمثل السماء أي كسحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر.

(٢) المقربات. الخيل العتاق التي لا تسرح في المراعي ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو. والدَّفر : الرائحة الشديدة، أي ينفون من قاتلوا بريحهم وأنفاسهم، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة وقيل غير ذلك. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٦٠.

(٣) سعالِيَ : الجن، والمفرد سِعْلاة ويقال : بل هي الساحرة من الجن.

(٤) عمرو بن معدي كرب ــ رضي الله عنه ــ صحابي، يكنى : أبا ثور تُضرب الأمثال بفروسيته وبسالته. ومعدي كرب بالحميرية : وجه الفَلَّاح، المعدي هو : الوجه بلغتهم، والكرب هو : الفلاح.

(٥) قيس بن مكشوح المرادي، إنما هو حليف لها، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج، ونسبُه في بجيلة ثم في بني أحمس، وأبوه مكشوح اسمه : هبيرة بن هلال. ويقال : عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس ابن الغوث بن أنمار، وأنمار هو : والد بجيلة وخثعم، وسُمي أبوه مكشوحا، لأنه ضُرب بسيف على كَشْحه « وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف »، ويكنى قيس : أبا شداد، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب هو وذَادَوَيه وفيروز، وكان قيس بطلا شجاعاً، ــ قُتل مع علي ــ رضي الله عنه ــ يوم صفين، وله في ذلك اليوم مواقف لم يُسمع بمثلها، وكذلك له في حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد.

قديمٍ عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهلُه بادوا، وأمسى يُحوَّل من أناسٍ في أناسِ

نسب زبيد ومراد : قال ابن هشام : زُبَيْد بن سلمة بن مازن بن مُنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة بن مَذْحِج. ويقال : زُبيد بن منبِّه بن صعب بن سعد العشيرة، ويقال : زُبيد بن صعب بن سعد. ومراد : يُحابِر بن مُذْحج.

لماذا قال عمرو بن معدي كرب هذا الشعر : قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة قال : كتب عُمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ إلى سلْمان بن ربيعة الباهلي[1]، وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس ابن عيلان. وهو بأرْمينية يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العِراب على أصحاب الخيل المقارف[2] في العطاء فعرض الخيل، فمر به فرس عمرو ابن معدي كرب، فقال له سلمان : فرسك هذا مُقْرف، فغضب عمرو، وقال : هجين عرف هجيناً مثله، فوثب إليه قيس فتوعده، فقال عمرو هذه الأبيات.

تصديق قول شق وسطيح : قال ابن هشام : فهذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله : « ليهبطن أَرْضَكُم الحبش، فليملُكُنَّ ما بين أَبْيَن إلى جُرَش » والذي عنى شق الكاهن بقوله: « لينزلن أرضكم السودان، فليغلُبنَّ على كل طَفلة البنان وليملُكن ما بين أَبْيَن إلى نجران ».

---

(١) ونسبه إلى باهلة بن أعْصَر، وكذلك هو عند أهل النسب : باهلي، ثم أحد بني قُتَيبة بن مَعْن، وباهلة : أمهم وهي بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وأبوهم يعصُر وهو : منبه بن سعد بن قيس بن عيلان، ويقال له : أعصر ويعصر.

(٢) المقارف : جمع مقرف الذي داني الهجنة، وهو الذي أمه عربية وأبوه ليس بعربي فالإقراف من جهة الأب والهجنة من جهة الأم. انظر ذلك مفصلا في الصحاح للجوهري مادة قرف.

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرْيَاط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كلٍّ واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدُهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهةُ إلى أرياطَ : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئاً، فابرز إليَّ، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبَه انصرف إليه جندُه، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ ؛ فخرج إليه أبرهة ــ وكان رجلا قصيراً لحيما، وكان ذا دين في النصرانية ــ وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا، وفي يده حربة له وخلف أبرهة غلام له، يقال له : عَتْودَة[1]، يمنع ظهره، فرفع أرياطُ الحربة، فضرب أبرهة يريد يأفوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته[2]، فبذلك سُمي : أبرهة الأشرم، وحمل عَتْوَدة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جندُ أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وَوَدَى[3] أبرهةُ أرياطَ.

غضب النجاشي على أبرهة : فلما بلغ النجاشي غضب غضباً شديداً وقال : عدا على أميري فقتله بغير أمري، ثم حلف : لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده، ويجزّ ناصيته. فحلق أبرهة رأسَه وملأ جراباً من تراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشي، ثم كتب إليه :

« أيها الملك، إنما كان أَرْياطُ عبدَك، وأنا عبدُك، فاختلفنا في أمرِك،

---

(١) العتودة : الشدة في الحرب.

(٢) شرم أنفه وشفته أي : شقهما.

(٣) وداه : تحمل ديته.

وكلُّ طاعتُه لك، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضبط لها، وأسوس منه، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي، ليضعه تحت قدميه، فيبرّ قسمَه فيَّ ».

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه، وكتب إليه : أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري، فأقام أبرهة باليمن.

« **القُلَّيْس** » **أو كنيسة أبرهة** : ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْسَ[1] بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُر مثلُها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي : أني قد بنيت لك أيها الملك كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرفَ إليها حج العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجل من النَّسأة، أحد بني فُقَيْم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر.

---

(١) وهي الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا الاسم لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس، ويقال : تقلنس الرجل إذا لبس القلنسوة، وقلس طعاماً أي : ارتفع من معدته إلى فيه، وكان أبرهة قد استذلّ أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشّمهم أنواعاً من السخر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان ــ عليه السلام ــ وكان من موضع الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار مُلكها، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يَشْرُف منها على عدن، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس. وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده، فنام رجل منهم ذات يوم، حتى طلعت الشمس، فجاءت معه أمه، وهي امرأة عجوز، فتضرعت إليه تستشفع لابنها، فأبى إلا أن يقطع يده، فقالت : اضرب بمعولك اليوم، فاليوم لك، وغداً لغيرك. انظر قصة هذه الكنيسة مفصلة في الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٦٣.

النساة : والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرمون مكانَه الشهرَ من أشهرِ الحل، ليواطئوا عدةَ ما حرَّم اللهُ. ويؤخرون ذلك الشهر، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **إنما النسيء زيادةٌ في الكفرِ يُضَلُّ به الذين كفروا يحلُّونه عاما، ويحرمونه عاما، ليواطئوا عدَّة ما حرم اللهُ** ﴾.

قال ابن هشام : ليوافقوا، والمواطأة : الموافقة، تقول العرب : واطأتُك على هذا الأمر، أي وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر : الموافقة، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد، نحو قول العَجَّاج ــ واسم العَجَّاج[١] : عبد الله بن رُؤبة أحد بني سعد بن زيد مَناة بن تميم ابن مُر بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار ــ :

في أُثْعبــان المَنْجَنــون المــرسَل[٢]

ثم قال : مدّ الخليـجِ في الخليـجِ[٣] المـرْسَل

وهذان البيتان في أرجوزة له.

أول من ابتدع النسيء : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلَّت منها ما أحلّ، وحرمت منها ما حرم القَلَمَّس[٤]، وهو حُذَيفة بن عبد بن فُقَيْم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد

---

(١) وكنيته : أبو الشعثاء وسُمي العجاج بقوله : * حتى يعج عندها من عججا *

(٢) الأثعبان : ما يندفع من الماء من مثعبه، والمثعب : المجرى. والمنجنون : أداة السانية ــ الدلو العظيمة وأداتها ــ والميم في المنجنون أصلية في قول سيبويه، وكذلك النون، لأنه يقال فيه : منجنين مثل عرطليل ــ الضخم ــ وقد ذكر سيبويه أيضا في موضع آخر من كتابه أن النون زائدة، وقيل مَنْحنون بالحاء. والمنجنون : الدولاب التي يستقى عليها.

(٣) مد الخليج : الخليج : الجبل، والخليج أيضاً : خليج الماء.

(٤) وسمي القلمس لجوده ؛ إذ أنه من أسماء البحر.

ابن حذيفة، ثم قام بعد عباد: قَلَع بن عبَّاد، ثم قام بعد قَلَع : أمية بن قلع، ثم قام بعد أمية : عَوف بن أمية، ثم قام بعد عَوْف : أبو ثُمامة، جُنَادة بن عَوْف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام[١]، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجبا، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم. فإذا أراد أن يحل شيئاً أحلَّ المحرم فأحلُّوه وحرم مكانه صفر فحرَّموه ؛ ليواطئوا عدَّةَ الأربعة الأشهر الحُرُم. فإذا أرادوا الصَّدَر[٢] قام فيهم فقال : « اللهم إني قد أحللت لك أحد الصَّفَرَيْن، الصفر الأول، ونسأت الآخرَ للعام المقبل[٣] » فقال في ذلك عُمَيْر بن قَيْس، جِذْل الطَّعان[٤]، أحدُ بني فراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، يفخر بالنَّسأة على العرب :

---

(١) وجد السهيلي خبراً عن إسلام أبي ثمامة فقد حضر الحج في زمن عمر، فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس، إني قد أجرته منكم فخفقه عمر بالدرة وقال : ويحك، إن الله أبطل أمر الجاهلية.

(٢) الصَّدَر هنا : الرجوع من الحج.

(٣) وذكر أبو علي القالي في الأمالي : أن الذي نسأ الشهور منهم : نُعَيْم بن ثعلبة، وليس هذا بمعروف، وأما نَسَؤُهُم للشهر، فكان على ضربين. أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات. والثاني : تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً أو أكثر قليلا، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمواتِ والأرض » وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته، ولم يحج رسولَ الله ــ ﷺ ــ من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته، ولطوافهم بالبيت عراة ــ والله أعلم ــ إذ كانت مكة بحكمهم، حتى فتحها الله على نبيه ــ ﷺ ــ

(٤) وكان عُمير من أطول الناس، وسمي جذل الطعان لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف، وقيل : لأنه كان يُسْتَشْفَى برأيه، ويُسْتَراح إليه، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل « وهو عود ينصب للبُهم الجرباء لتحتك به ».

لقد علمتْ مَعَدٌّ أن قومي　　كرامُ الناسِ أنّ لهم كِرَامَا[1]
فأيّ الناسِ فاتونا بوِتْرٍ　　وأيّ الناسِ لم نُعْلِكْ لجاما[2]
أَلَسْنا النَّاسئين على مَعَدٍّ　　شهورَ الحِلِّ نجعلها حَراما ؟

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرم : المحرَّم.[3]

الكناني يحدث في القليس : **قال ابن إسحاق** : فخرج الكنانيُّ حتى أتى القُلَّيْس فقعد[4] فيها ـــ

قال ابن هشام : يعني أحدث فيها ـــ

قال ابن إسحاق : ثم خرج فلحق بأرضه، فأُخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العربُ إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليها حج العرب » غضب فجاء، فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأَهْل.

خروج أبرهة لهدم الكعبة : فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمَه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهَّزت، ثم سار

---

(١) أي : آباءً كراماً وأخلاقاً كراماً.

(٢) أي : لم نقدعهم ونكفهم، كما يقدع الفرس باللجام. تقول : أعلكت الفرس لجامه : إذا رددته عن تنزعه، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه، فهو مقدوع.

(٣) وقال غير ابن هشام : إن أولها ذو القعدة لأن رسول الله ـــ ﷺ ـــ بدأ به حين ذكر الأشهر الحُرم، ومن قال المحرم أولها، احتج بأنه أول السنة. وتظهر فائدة هذا الخلاف فيمن نذر صيام الأشهر الحرم. فيقال له على الأول : ابدأ بالمحرم، ثم رجب، ثم ذي القعدة، وذي الحجة. وعلى القول الآخر : يبدأ بذي القعدة حتى يكون آخر صيامه في رجب من العام الثاني.

(٤) قعد : أي أحدث فيها ـــ وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهي عنه.

وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفَظِعوا به، ورأوا جهاده حقًّا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام.

أشراف اليمن يدافعون عن البيت : فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر، فدعا قومه، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فَهُزم ذو نَفْر وأصحابه، وأخذ له ذو نَفْر، فأُتي به أسيراً، فلما أراد قتله، قال له ذو نَفْر : أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلا حليماً.

خثعم تجاهد أبرهة : ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم[1] عَرَض له نُفَيْل بن حبيب الخَثْعمي في قَبيلَيْ خَثْعَم : شَهْران ونَاهِس[2]، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نُفَيْل أسيراً، فأُتي به، فلما همَّ بقتله قال له نُفَيْل : أيها الملك، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلي خَثْعم : شَهْران وناهس بالسمع والطاعة، فخلى سبيلَه.

وخرج به معه يدلُّه، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب ابن مالك بن كعب بن عَمرو بن سعد بن عَوْف بن ثَقيف في رجال ثقيف.

نسب ثقيف[3] : واسم ثَقِيف : قَسِيُّ بنُ النَّبيت بن منبِّه بن منصور

---

(١) خثعم : اسم جبل سمي به بنو عِفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار، لأنهم نزلوا عنده، وقيل : إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أي تلطخوا.

(٢) يقال إن خثعم ثلاث : شهران وناهس وأكلب غير أن أكلب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خثعم، وانتسبوا إليهم.

(٣) اختلف النسابون في نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى إياد، والبعض إلى قيس وقد نسبوهم =

ابن يَقْدُم بن أفْصَى بن دُعْميّ بن إياد[1] بن نزار بن معدّ بن عدنان.

قال أمية بن أبي الصَّلْت الثقفي[2] :

قومي إيـادٌ لو أنهـم أَمَـم ... أو : لو أقاموا فتُهْزَل النَّعَمُ[3]

قومٌ لهم ساحةُ العـراقِ إذا ... ساروا جميعاً والقطّ والقَلَم[4]

وقال أُمية بن أبي الصَّلْت أيضاً :

فإمَّا تَسْألي عني ــ لُبَيْنَـى ... وعن نسبي ــ أُخَبِّرْك اليقينا

فإنـا للنَّبـيتِ أبـي قَسِيٍّ ... لمنصورِ بنِ يَقْدُمَ الاقدمينا

قال ابن هشام : ثقيف : قَسِيُّ بن مُنبِّه بن بكر بن هَوازن بن منصور ابن عِكرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، والبيتان الأوَّلان والآخران في قصيدتين لأمية.

ثقيف تهادن أبرهة: قال ابن إسحاق ، فقالوا له : أيها الملك، إنما نحن عبيدُك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس

= إلى ثمود أيضا. وفي حديث رواه معمر بن راشد في جامعه: « أن أبا رغال من ثمود ». انظر الروض الأنف من تحقيقنا جـ١ ص ٦٦، ٦٧.

(١) إياد : في اللغة التراب الذي يضم إلى الخباء ليقيه من السيل ونحوه، وهو مأخوذ من الأيد وهي القوة، لأن فيه قوة للخباء، وهو بين النُّؤي والخباء، والنؤي يشتق من النائي، لأنه حفير ينأى به المطر، أي يبعد عن الخباء.

(٢) واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهب.

(٣) الأمم : القريب. أو لو أقاموا: أي بالحجاز لأنهم انتقلوا عنها حين ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق.

(٤) القط : ما قُط من الكاغد والرق ــ الكاغد : القرطاس، والرق : جلد رقيق يُكتب فيه. وما قط : أي ما قطع ــ ونحوه ؛ وذلك أن الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا إليها وقد قيل لقريش : ممن تعلمتم القط ؟ فقالوا : تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ــ وانظر تاريخ الخط العربي ــ ط مكتبة الكليات الأزهرية.

بيتنا هذا البيت الذي تريد ــ يعنون اللات ــ إنما نريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم.

اللات : واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة النحوي لضرار بن الخطاب الفِهْرِي :

وفَرَّت ثقيفٌ إلى لاتِها بمُنْقَلَب الخائبِ الخاسِرِ

وهذا البيت في أبيات له.

أبو رغال ورجم قبره : **قال ابن إسحاق** : فبعثوا معه أبا رغال يدلُّه على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمِّس[1]، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجمت قبرَه العربُ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمِّس.

---

(١) المغمس : هكذا ألفيته في نسخة الشيخ أبي بحر المقيدة على أبي الوليد القاضي بفتح الميم الآخرة من المغَمَّس. وذكر البكري في كتاب المعجم أنه المُغَمِّس بكسر الميم الآخرة، وأنه أصح ما قيل فيه، وذكر أيضا أنه يُرْوَى بالفتح، فعلى رواية الكسر هو : مغمِّس مفَعِّل من غمست، كأنه اشتق من الغميس وهو الغمير، وهو النبات الأخضر الذي ينبت في الخريف تحت اليابس، يقال : غمس المكان وغمر إذا نبت فيه ذلك، وأما على رواية الفتح، فكأنه من غمست الشيء. إذا غطيته، وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه ــ كل شجر له شوك ــ وإنما قلنا هذا ؛ لأن رسول الله ــ ﷺ ــ « إذا كان بمكة، كان إذا أراد الإنسان حاجة الإنسان خرج إلى المغمس » ــ وهو على ثلث فرسخ من مكة، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله ــ ﷺ ــ « كان إذا أراد البراز أبعد » ولم يبين مقدار البُعد. وانظر الروض الأنف للسهيلي من تحقيقنا ــ أيضا : انظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري.

الأسْود بن مقصود يهاجم مكة : فلما نزل أبرهة المغَمَّس، بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسْوَد بن مقصود[1] على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموالَ تِهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى مكة : وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة، وقال له : سَلْ عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يُرِدْ حربي فأتني به ؛ فلما دخل حُناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم، فجاءه. فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم ــ عليه السلام ــ أو كما قال ــ فإن يمنعه منه، فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْع عنه. فقال له حُناطة : فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

أُنَيْس يشفع لعبد المطلب : فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفْر، وكان له صديقا، حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نَفْر هل عندك من غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْر : وما غَناء رجل أسير بيدَيْ ملك ينتظر أن يقتله

---

(١) وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة. ويقال فيه : عُلَة على وزن عمر ــ ابن خالد بن مذحج بعثه النجاشي مع الفيلة والجيش، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها إلا « محمود » فيل النجاشي لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة ــ والله أعلم.

غُدوّاً أو عشياً ؟! ما عندنا غَناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أُنَيْسا سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأُعْظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال : حسبي .فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْس، فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عِير مكة، يطعم الناس بالسَّهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتيْ بعير، فاستأذن عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال : أفعل.

فكلّم أُنَيْس أبرهةَ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يُطعم الناس في السهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأذنْ له عليك فيكلمْك في حاجته، قال : فأذن له أبرهة.

الإبل لي والبيت له رب يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسمَ[1] الناسِ وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحتَه، وكره أن تراه الحبشةُ يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهةُ عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال :

(١) ورُوي : أوسم الناس وأجمله : ذكر سيبويه هذا الكلام محكيا عن العرب، ووجهه عندهم أنه محمول على المعنى، فكأنك قلت : أحسن رجل وأجمله، فأفرد لاسم المضمر التفاتا إلى هذا المعنى، وهو عندي محمول على الجنس، كأنه حين ذكر الناس قال : هو أجمل هذا الجنس من الخلق، وإنما عدلنا عن ذلك التقدير الأول، لأن في الحديث الصحيح : « خير نساء ركبن الإبل صوالح نساء قريش : أحناه على ولده في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده ». ولا يستقيم ههنا حمله على الإفراد، لأن المفرد ههنا امرأة، فلو نظر إلى واحد النساء لقال : أحناها على ولده، فإذاً التقدير : أحنى هذا الجنس الذي هو النساء، وهذا الصنف، ونحو هذا. ــ عن الروض الأنف من تحقيقنا.

حاجتي أن يرد عليَّ الملك مائتيْ بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهةُ لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتني حين رأيتُك، ثم زهدتُ فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتيْ بعير أصبتُها لك، وتترك بيتاً هو دينُك ودينُ آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه ؟! قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربّاً سيمنعه، قال : ما كان ليمتنع مني، قال : أنت وذاك.

الوفد المرافق لعبد المطلب : وكان ـــ فيما يزعمُ بعضُ أهل العلم ـــ قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حُناطة، يَعْمَر بنُ نُفاثة بن عدي بن الدُّئل بن بكر بن مناة بن كنانة ـــ وهو يومئذ سيد بني بكر ـــ وخُوَيلد بن واثلة الهذلي ـــ وهو يومئذ سيد هذيل ـــ فعرضوا على أبرهة ثلثَ أموالِ تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلم أكان ذلك، أم لا. فردَّ أبرهةُ على عبد المطلب الإبلَ التي أصاب له.

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطلب الى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرُّز[١] في شَعَفِ الجبال[٢] والشِّعاب[٣] تخوفا عليهم من مَعَرَّة[٤] الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلْقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجندِه، فقال عبد المطلب وهو آخذٌ بحلقة باب الكعبة :

---

(١) التحرز : التمنع.

(٢) شعف الجبال : رءوسها.

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال.

(٤) معرة الجيش : شدته.

لاهُمَّ إن العبـدَ يمْـ ـنعُ رحلَه فامنـعْ حلالَكْ[1]
لا يَغْلِبَـنَّ صليبُهـم ومِحَالُهـم غَدْواً مِحَـالَكْ[2]
إن كنتَ تاركَهـم وقِبـ ـلتنـا فأمْـرٌ مَا بَدَا لَكْ[3]

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها.

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود : قال ابنُ إسحاق : وقال عِكْرمة بنُ عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَي :

لاهُمَّ أخزِ الأسوَدَ بنَ مقصودْ الآخذَ الهجْمةَ فيها التقليـد[4]
بيـنَ حِراءَ وثبيـرٍ فالْبِيـدْ يَحْبِسها وهي أُولاتُ التَّطْريـدْ[5]
فضَمَّها إلـى طماطِـمٍ سودْ أَخْفِرْه يا ربِّ وأنت محمود[6]

---

(١) لاهمّ : أصلها : اللهم. والعرب تحذف منها الألف واللام. وكذلك تقول في : والله إنك : « لاهنك » وذلك لكثرة دوران هذا الاسم على الألسنة. بل قد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال. « أجنك » أي « من أجل أنك ». والحلال في هذا البيت : الحلول في المكان والحلال مركب من مراكب النساء والحلال أيضا : متاع البيت وجائز أن يستعيره ههنا.

(٢) غدواً : غدا، والمحال : القوة والشدة.

(٣) روى السهيلي بعد هذا البيت بيتاً آخر هو :

وانصر علـى آلِ الصلـيبِ وعابديـه اليـومَ آلك

(٤) الهجمة : هو ما بين التسعين إلى المائة من الإبل، والمائة منها : هُنَيْد، والمائتان : هِند. والثلاثمائة أمامة. وأنشدوا :

تبيَّن رويدا ما أُمامة من هند

وكان اشتقاق الهجمة من الهجيمة، وهو الثخين من اللبن، لأنه لما كثر لبنها لكثرتها، لم يمزج بماء، وشُرب صرفا ثخينا، ويقال للقدح الذي يحلب فيه إذا كان كبيرا : هجْم. والتقليد : أي أن القلائد في أعناقها.

(٥) حراء وثبير : جبلان بالحجاز.

(٦) أخْفِرْه : أي انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه، يقال : أخفرت الرجل، إذا نقضت عهده، وخفرته أُخْفره : إذا أجرته، فينبغي أن لا يضبط هذا إلا بقطع الهمزة وفتحها، لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له.

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها، والطماطم : الأعلاج[1].

قال ابن إسحاق. ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

أبرهة يهاجم الكعبة : فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهيأ فيلَه، وعبَّى[2] جيشَه ــ وكان اسمُ الفيل محموداً ــ وأبرهة مُجْمِع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيل بن حبيب[3] حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذه بأذنه، فقال : ابركْ[4] محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه. فبرك الفيل، وخرج نُفَيْل بن حبيب يشتد حتى أُصْعَد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطَّبَرْزين[5] ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجَن[6] لهم في مَرَاقِّه[7] فبزغوه[8] بها ليقوم فأبى،

---

(١) طماطم سود: يعني العلوج. ويقال لكل أعجمي كافر طمطمان، والأعلاج : جمع علج.

(٢) يقال : عبّى الجيش بغير همزة وعبَّأ المتاع بالهمزة، وقد حكي عبأت الجيش بالهمز وهو قليل.

(٣) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جَزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل، وهو : خثعم، كذلك نسبه البرقي. ونفيل من المسمين بالنبات وهو تصغير نفل وهو نبت منبسط على الأرض. انظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري.

(٤) فبرك الفيل : فيه نظر ؛ لأن الفيل لا يبرك، فيحتمل أن يكون بروكه : سقوطه إلى الأرض، لما جاءه من أمر الله سبحانه، ويحتمل أن يكون فَعَل فِعْل البارك الذي يلزم موضعه، ولا يبرح، فعبر بالبروك عن ذلك، وقد سمعت من يقول : إن في الفيلة صنفاً منها يبرك كما يبرك الجمل، فإن صح وإلا فتأويله ما قدمناه. عن الروض الأنف من تحقيقنا.

(٥) الطبرزين : آلة من الحديد.

(٦) المحاجن : جمع محجن ــ عصا معوجَّة.

(٧) المراق : أسفل البطن.

(٨) بزغوه : أدموه.

فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

عقاب الله لأبرهة وجنده : فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان [1] : مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعَدَس [2] لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، — وليس كلهم أصابت — وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفَيْل بن حَبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أيـن المفرُّ والإلــهُ الطــالبُ   والأشرمُ المغلوبُ ليس الغـالب

قال ابن هشام : قوله : « ليس الغالب » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضاً :

ألا حُيِّـيتِ عنــا يا رُدَيْنَــا   نعمناكـم مع الإصباحِ عينَــا [3]

رُدَيْنـةُ لو رأيتِ ــ ولا تَرَيْـه   لذي جَنْب المُحصَّبِ ما رأينا

إذاً لعذرتِنـي وحمـدْتِ أمـري   ولم تأسَيْ علـى ما فات بَيْنـا [4]

---

(١) الخطاطيف والبلسان : نوعان من الطيور. وذكر النقاش أن الطير كانت أنيابها كأنياب السبع، وأكفها كأكف الكلاب.

(٢) في الشكل فقط وليس في المقدار إذ ذكر البرقي أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة كرأس الإنسان، وكبارها كالإبل. وهذا الذي ذكره البرقي ذكره ابن إسحاق في رواية يونس عنه، وكانت قصة الفيل أول محرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين. عن الروض الأنف بتحقيقنا، الجزء الأول صحيفة ٧٣.

(٣) ردينا : اسم امرأة، كأنها سميت بتصغير ردنة وهي القطعة من الردن « الحرير » نعمناكم : أن نعمنا بكم.

(٤) فات بمعنى : فارق وبان. كأنه قال على ما فات فوتاً، أو بان بيناً.

حَمِدْتُ اللهَ إذ أبصرتُ طيراً   وخِفْتُ حجارةً تُلْقَى علينا
وكلّ القوم يسأل عن نُفَيل   كأن عَلَيَّ للحُبْشانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلِكون بكلِّ مَهْلِك على كل مَنْهل، وأُصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أُنْملة أُنْملة[1] : كلما سقطت أُنْملة، أتْبعتها منه مِدَّة تَمُثُّ[2] قيحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فَرْخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدرهُ عن قلبه، فيما يزعُمون.

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عُتبة أنه حُدِّث : أن أولَ ما رُؤيت الحصبةُ والجُدَرِي بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُؤي بها مرائر الشجر[3] : الحرمل والحنظل والعُشَر[4] ذلك العام.

الله ـــ جل جلاله ـــ يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش :

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمداً ـــ ﷺ ـــ كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدَهم في تضليل. وأرسلَ عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصفٍ مأكول** ﴾. وقال : ﴿ **لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا ربَّ هذا**

---

(١) الأنملة : طرف الإصبع، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الإصبع، أي ينتثر جسمه قطعة قطعة.

(٢) تَمُثُّ : تَمُث، وتَمِث بالكسر والضم ومعهما ترشح أو تسيل، يقال : فلان يمث كما يمث الزق.

(٣) مرائر الشجر : يقال شجرة مرة، ثم تجمع على مرائر.

(٤) العُشر : وهو شجر مر يحمل ثمراً كالأُتْرُجِّ، وليس فيه منتفع، ولبن العُشَر تعالج به الجلود قبل المدبغة.

البيت. الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف ». أي لئلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

تفسير مفردات سورتي الفيل وقريش : قال ابن هشام : الأبابيل الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه[1] وأما السِّجِّيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عُبَيْدة أنه عند العرب : الشديد الصلب، قال رُؤْبة بن العَجَّاج :

ومسَّهم ما مسَّ أصحابَ الفيلْ ترميهمُ حجارةٌ من سِجِّيلْ
ولعبتْ طيرٌ بهم أبابيلْ

وهذه الأبيات في أرجوزة له.

ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سَنْج وجِلّ يعني بالسنج : الحجر، وبالجل : الطين، يعني الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين. والعَصْف : ورق الزرع الذي لم يُقَصَّب، وواحدته عَصْفَة. قال : وأخبرني أبو عُبَيدة النحوي أنه يقال له العُصافة والعَصيفة. وأنشدني لعَلْقَمة بن عَبَدَة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تَسقي مَذانبَ قد مالت عَصيفتُها حَدُورُها من أَتِيِّ الماءِ مَطْمومُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الراجز :

فَصُيِّروا مثلَ كعصْفِ مأكول

---

(١) ذكر ابن هشام أنها لا واحد لها من لفظها : وقال غيره : واحدها : إبالة، وأبول : وزاد ابن عزيز : وإبِّيل.

(٢) مذانب : مسايل، حدورها : ما انحدر منها، ويروى جدورها : أي الحواجز التي تحبس الماء. والأتي : الماء يأتي من بعيد. والمطموم : الماء المرتفع.

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير في النحو[1].

وإيلاف قريش[2] : إلفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خَرْجتان : خَرْجة في الشتاء، وخَرْجة في الصيف. أخبرني أبو زيد الأنصاري : أن العرب تقول : ألفت الشيء إلْفا، وآلفته إيلافا، في معنى واحد : وأنشدني لذي الرُّمَّة :

من المؤْلِفات الرملَ أدماءُ حُرَّةٌ　　شُعاعُ الضُّحَى في لونِها يتوضَّحُ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال مطرود بن كعب الخُزاعي :

المُنْعَمين إذا النجومُ تغيَّرت　　والظاعنين لرحلةِ الإيلاف

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى. والإيلاف أيضاً : أن يكون للإنسان ألفٌ من الإبل ؛ أو البقر، أو الغنم، أو غير ذلك. يقال : آلف فلان إيلافا. قال الكُمَيْت بن زيد، أحد بني أسد ابن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ :

---

(١) تفسيره : أن الكاف تكون حرف جر، وتكون اسماً بمعنى : مثل، وبذلك أنها حرف : وقوعها صلة للذي ؛ لأنك تقول : رأيت كزيد، ولو قلت : الذي مثل زيد لم يحسن، ويدلك أنها تكون اسما : دخول حرف الجر عليها. كقوله :

* ورحنا بكابن الماء بنفض رأسه *

ودخول الكاف عليها وأنشدوا :

وصاليات ككما يُؤَثْفَين

وإذا دخلت على مِثل، كقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ فهي إذاً حرف، إذ لا يستقيم أن يقال : مثلُ مثلِه، وكذلك هي حرف في بيت رؤبة : « مثل كعصف » لكنها مقحمة لتأكيد التشبيه.

(٢) هو مصدر أَلِفْتُ الشيء وآلَفْتُه فجعله من الإلف للشيء، وفيه تفسير آخر أليق، لأن السفر قطعة من العذاب، ولا تألفه النفس، إنما تألف الدعة والكينونة مع الأهل. انظر ذلك مفصلا في الروض الأنف للسهيلي بتحقيقنا جـ١ ص ٧٦.

بعـــامٍ يقـــول له المؤْلِفـــو نَ هذا المُعيم لنا المُرْجِـلُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً : أن يصير القوم ألفا، يقال : آلف القوم إيلافا. قال الكُمَيْت بن زيد :

وآل مُزيْقيـــاء غَدَاةَ لاقَـــوْا بنـي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ مُؤْلفينـا

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه، يقال : آلفته إياه إيلافا. والإيلاف أيضاً : أن تصيِّر ما دون الألف ألفاً، يقال : آلفته إيلافا.

مصير قائد الفيل وسائسه : قال ابنُ إسحاق : حدثني عبد الله ابن أبي بكر، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة، عن عائشة — رضي الله عنها — قالت : « لقد رأيت قائد الفيل وسائسَه بمكة أعميين مُقْعَدَيْن يستطعمان الناس ».

ما قيل في قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق : فلما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشا، وقالوا : هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونةَ عدوِّهم، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشةِ، وما ردَّ عن قريش من كيدِهم.

شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى : فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى بن عدي بن

---

(١) المؤْلِفون : جمع مؤلف. والمؤلف صاحب الألف من الإبل والمُعِم بالميم : من العيمة أي : تجعل تلك السنة صاحب الألف من الإبل يعام « يشتاق ويشتهي » إلى اللبن. وتُرجله : فيمشي راجلا، لعجف الدواب وهُزَالها.

قيس بن عدي بن سعيد[1] بن سهم بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فِهْر :

تنكَّلوا عن بطنِ مكةَ إنها كانت قديما لا يُرامُ حريمُها
لم تخلق الشِّعْرى لَيَاليَ حُرِّمَتْ[2] إذ لا عزيزَ من الأنامِ يرومُها
سائلْ أميرَ الجيشِ عنها ما رأى ولسوفَ يُنْبِي الجاهلين عليمُها
ستونَ ألفا لم يَئُوبوا أرضَهم ولم يعشْ بعدَ الإياب سقيمُها
كانت بها عادٌ وجُرْهمُ قبلَهم واللهُ من فوقِ العبادِ يقيمُها

قال ابنُ إسحاق : يعني ابن الزِّبَعْرَى بقوله :

... بعد الإيابِ سقيمُها[3]

أبرهة، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

شعر ابن الأسْلَت : وقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت الأنصاري ثم الْخَطميّ، واسمه : صَيْفيٌّ **قال ابن هشام** : أبو قيس : صَيْفيٌّ بنُ الأَسْلَت

---

(١) نسب ابن إسحاق عبد الله بن الزِّبَعْري إلى عدي بن سُعيد بن سهم. وهو خطأ، والصواب، سَعْد بن سهم، وإنما سُعيد : أخو سعد، وهو في نسب عمرو بن العاص بن وائل.

(٢) إن كان ابن الزِّبَعْرى قال هذا في الإسلام فهو منتزع من قول النبي ـ ﷺ ـ « إن الله حرَّم مكة، ولم يحرمها الناس ». وإن كان ابن الزِّبَعْرى قال هذا في الجاهلية، فإنما أخذه ـ والله أعلم ـ من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط المسند ـ خط حمير ـ حين بنوا الكعبة.

(٣) وقوله : « ولم يعش بعد الإياب سقيمها » هكذا في النسخة المقيدة على أبي الوليد المقابلة بالأصلين اللذين كانا عنده، وقابلها أبو بحر ـ رحمه الله ـ بهما مرتين، وحسب بعضهم أنه كسر في البيت، فزاد من قبل نفسه فقال : بل لم يعيش فأفسد المعنى، وإنما هو خرم ـ من مصطلحات علماء العروض ـ في أول القسم من عجز البيت كما كان في الصدر من أول بيت منها عن الروض الأنف للسهيلي.

ابن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عامر بن مُرة بن مالك بن الأوس :

ومن صُنْعِه يومَ فيلِ الحبُوش إذ كلما بعثوه رَزَمْ[1]
محاجنُهم تحتَ أقرابِه وقد شَرَّموا أنفَه فانخرَمْ[2]
وقد جعلوا سَوْطَه مِغْوَلاً إذا يمَّمُوهُ قَفاه كُلِم[3]
فولَّى وأدبرَ أدراجَه وقد باءَ بالظلم من كان ثَمْ
فأرسلَ من فوقِهم حاصباً فلفَّهُمُ مثلَ لفِّ القُزُمْ[4]
تحُضُّ على الصبرِ أحبارُهم وقد ثأجُوا كثُؤَاجِ الغَنَمْ[5]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له. والقصيدة أيضاً تروى لأُمية بن أبي الصَّلْت[6].

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

فقوموا فصلُّوا ربَّكم، وتمسَّحُوا بأركانِ هذا البيتِ بينَ الأَخاشبِ[7]
فعندكُمُ منه بلاءٌ مُصَدَّقٌ غَدَاةَ أَبى يَكْسُومَ هادى الكتائبِ
كتيبتُه بالسهلِ تُمْسى وَرَجْلُه على القاذفاتِ في رءوسِ المناقبِ[8]

---

(١) رَزمَ : ثبت في مكانه ولزمه لا يبرحه.
(٢) المحاجن : جمع محجن. عصا معوجَّة. والأقراب : جمع قرب. الخصر : شرموا أنفه : شقوه.
(٣) المِغْول : سكين كبير. وكلم : جرح.
(٤) القُزُم : صغار الغنم، ويقال : رذال المال.
(٥) ثأج : صاح. وثؤاج الغنم : صوتها.
(٦) واسمه : ربيعة بن وهب بن علاج.
(٧) صلوا : ادعوا. والأخاشب : جبال مكة.
(٨) القاذفات : أعالي الجبال. والمناقب : الطرق في رءوس الجبال.

فلما أتاكم نصرُ ذي العرشِ ردَّهـمْ جنودُ المليكِ بينَ سافٍ وحاصبِ[1]
فولَّوْا سراعا هاربين ولـم يؤبْ إلى أهْلِه مِلْحِبْشِ غيرُ عصائبِ[2]

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

على القاذفاتِ في رءوسِ المناقبِ

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس، سأذكرها في موضعها إن شاء الله. وقوله : « غداةَ أبي يَكْسوم » يعني : أبرهة، كان يُكْنَى أبا يكسوم.

شعر طالب بن أبي طالب : قال ابن إسحاق : وقال طالب[3] بن أبي طالب بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ وجيشِ أبي يَكْسُومَ إذ مَلئوا الشِّعْبا[4]
فلولا دفاعُ اللهِ لا شيءَ غيرُه لأصبحتمْ لا تَمنعون لكم سَرَبا[5]

قال ابن هشام. وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

شعر أبي الصلت الثقفي : قال ابن إسحاق : وقال أبو الصَّلْت[6] ابن أبي ربيعة الثَّقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنِيفيَّة دينَ إبراهيم عليه السلام.

---

(١) ساف : الذي غطاه التراب. والحاصب : الذي أصيب بالحجارة.

(٢) ملحبش: أي من الحبش. والعصائب : الجماعات.

(٣) أكبر أولاد أبي طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام، وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من علي ــ رضي الله عنه ــ بعشرة أعوام. ولم يُذكر أنه أسلم.

(٤) داحس : الفرس الشهيرة التي كانت حرب داحس والغبراء بسببها. والشعب : الطريق في الجبل.

(٥) السَّرب بفتح السين : المال الراعي، وبالكسر : القطيع من البقر والظِّباء، ومن النساء أيضا.

(٦) واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج. كما تقدم ذكره.

قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

إن آيـاتِ ربِّنـا ثَاقبـاتٌ لا يُمارِي فيهن إلا الكفـورُ
خلـقَ الليـلَ والنهـارَ فكـلٌّ مستبيـنٌ حسابُـه مقـدورُ
ثم يجلو النهـارَ ربٌّ رحيـم بمَهـاةٍ شُعاعُهـا منشورُ[1]
حُبِس الفيلُ بالمُغمَّس، حتـى ظلَّ يحبـو كأنـه معقـورُ
لازماً حَلْقةَ الجِرانِ كما قُطِّـ ـر من صخر كَبْكَب محدور[2]
حوله من ملوك كِندةَ أبطـا لٌ ملاوِيث في الحروبِ صُقور
خَلَّفـوه ثم ابذعَـرُّوا جميعـاً كلُّهم عظـمُ ساقِـه مكسورُ[3]
كـلُّ دينٍ يومَ القيامـةِ عندَ اللـ ـهِ إلا ديـن الحنيفـةِ بـورُ[4]

شعر الفرزدق : قال ابن هشام : وقال الفرزدق ــ واسمه همَّام ابن غالب أحد بني مُجَاشع بن دَارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ــ يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجو الحجاجَ ابن يوسف، ويذكر الفيلَ وجيشه :

فلما طغى الحجاجُ حين طغى به غِنى قال: إني مُرْتقٍ في السلالمِ[5]

---

(١) المهاة : الشمس، سميت بذلك لصفائها، والمها من الأجسام : الصافي الذي يُرى باطنُه من ظاهره. والمها : البلَّورة. والمهاة : الظبية. ومن أسماء الشمس : الغزالة إذا ارتفعت، فهذا في معنى المهاة. ومن أسمائها : الْبُتَيْراءُ، ومن أسمائها : حَناذِ، وبراح، والضّح، وذُكاء، والجارية، والبيضاء، وبُوح، ويقال : يوح بالياء، والشَّرق، والسراج.

(٢) الجران : العنق، يريد ألقى بجرانه إلى الأرض. وقُطِّر : رمى على قطره وهو الجانب. وكَبْكَب : اسم جبل. والمحدور : الحجر الذي حُدر من جبل حتى بلغ الأرض.

(٣) ابذعرُّوا : تفرقوا من ذُعر، وهي كلمة منحوتة من أصلين من البذر والذعر.

(٤) الحنيفة : الأمة الحنيفة، أي : المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف ــ ﷺ ــ وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية، أي : عدل عنهما. فسمي حنيفاً. أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه.

(٥) غِنَى : أي استغناء.

فكان كما قال ابنُ نوح: سأرتقي إلى جبلٍ من خَشْيةِ الماءِ عاصمِ[1]
رمى اللّهُ في جثمانِه مثلَ ما رمى عن القبلةِ البيضاءِ ذاتِ المحارمِ
جنوداً تسوق الفيلَ حتى أعادهم هَباءً، وكانوا مُطْرَخِمي الطِّراخم[2]
نُصِرْتَ كنصرِ البيتِ إذ ساق فيلَه إليه عظيمُ المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات في قصيدة له.

شعر ابن قيس الرقيات[3] : قال ابن هشام : وقال عبدُ الله بن قَيْس الرقيَّات. أحدُ بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهةَ — وهو الأشرم — والفيل :

كاده الأشرمُ الذي جاء بالفيـ ـلِ فولَّى وجيشُه مهزومُ
واستَهلَّتْ عليهمُ الطيرَ بالجَنْـ ـدَلِ حتى كأنه مَرْجومُ[4]
ذاك من يَغْزُهُ من الناسِ يَرجعْ، وهو فَلٌّ من الجيوشِ ذميمُ[5]

---

(١) ابن نوح : واسمه : يام. وقيل كنعان.

(٢) المطرخم : الممتلئ كبراً أو غضباً. والطرخم جمع : مُطِرخم على قياس الجمع، فإن المطرخم اسم من ستة أحرف، فيحذف منه في الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد، يقال في تصغير مطرخم : طُريخِم وفي جمعه : طراخم.

(٣) اختلف في تلقيبه : قيس الرقيات، فقيل : كان له ثلاث جدات كلهن : رقية، فمن قال فيه : ابن الرقيات، فإنه نسبه إلى جداته، ومن قال : قيس الرقيات دون ذكر ابن، فإنه نِسبة، وقيل : بل شبب بثلاث نسوة كلهن تسمى : رقية، وقيل : بل ببيت قاله وهو :

* رقية ما رقية ما رقيه أيها الرجل *

(٤) قوله : « حتى كأنه مرجوم » وهو قد رُجم، فكيف شبهه بالمرجوم وهو مرجوم بالحجارة، وهل يجوز أن يقال في مقتول : كأنه مقتول ؟ فنقول : لما ذكر استهلال الطير، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر، والمطر ليس برجم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها، شبه بالمرجوم الذي يرجمه الآدميون، أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك، وإنما أمطروا حجارة فمن ثم قال : كأنه مرجوم. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٨١.

(٥) الفَلُّ : المنهزم.

وهذه الأبيات في قصيدة له.

ولدا أبرهة : قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة، ملك الحبشَةَ ابنُهُ يكسومُ بنُ أبرهة، وبه كان يُكْنَى، فلما هلك يكسومُ بن أبرهة، ملك اليَمَن في الحبشة أخوه مسروقُ بن أبرهة.

خروج سيف بن ذي يزن ومُلك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر : فلما طال البلاءُ على أهل اليمن، خرج سيفُ بن ذي يَزن الحميريُّ[1] وكان يُكْنَى بأبي مُرَّة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، وَيلِيَهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِه.[2]

النعمان يتشفع لسيف عند كسرى : فخرج حتى أتى النعمانَ بنَ المنذِر[3] وهو عامل كسرى[4] على الحِيرة، وما يليها من أرض العراق — فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان : إن لي على كسرى وِفادةً في كلِّ عام، فأقمْ حتى يكونَ ذلك، ففعل، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلِسه الذي فيه تاجُه، وكان

---

(١) وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن العرنجج وهو : حِمْير بن سبأ.

(٢) أي لم يُزِلْ شكواه

(٣) النعمان : اسم منقول من النعمان الذي هو الدم.

(٤) وكسرى هذا هو : أنو شروان بن هباذ، ومعناه مُجدد الملك، لأنه جمع مُلك فارس بعد شتات.

تاجه مثل الْقَنْقَل العظيم[1] ــ فيما يزعمُون ــ يُضرَبُ فيه الياقوتُ واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقا بسلسلةٍ من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقُه لا تحمل تاجَه، إنما يُستَر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يُدْخِل رأسَه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كُشفت عنه الثيابُ، فلا يراه رجلٌ لم يره قبلَ ذلك، إلا برك هَيبةً له، فلما دخل عليه سيفُ بن ذي يزن برك.

معاونة كسرى لسيف : قال ابن هشام : حدثني أبو عُبيدة : أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك : إن هذا الأحمقُ يدخل عليَّ من هذا الباب الطويل، ثم يطأطئ رأسه ؟! فقيل ذلك لسيف، فقال : إنما فعلت هذا لهمِّي، لأنه يضيقُ عنه كلُّ شيء.

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك، غَلَبَتْنا على بلادِنا الأغربةُ. فقال له كسرى : أي الأغربة : الحبشة أم السند ؟ فقال : بل الحبشة، فجئتك لتنصرني، ويكون مُلك بلادي لك، قال : بَعُدَتْ بلادُك مع قلة خيرِها، فلم أكن لأورِّط جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كسوةً حسنة، فلما

---

(١) القَنْقَل الذي شبه به التاج هو مكيال عظيم. قال الراجز يصف الكمأة :

ما لك لا تجرفهـــا بالقنقـــل   لا خير في الكمأة إن لم تفعـــل

وفي الغريبين للهروي : القنقل : مكيال يسع ثلاثة وثلاثين مَنّاً، والمنُّ وزن رطلين، وهذا التاج قد أُتي به عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ حين استلب من يزدجرد بن شهريار، تصيَّر إليه من قبل جده أنوشروان المذكور، فلما أُتي به عمر ــ رضي الله عنه ــ دعا سراقة بن مالك المُدْلِجي، فحلَّاه بأسورة كسرى، وجعل التاج على رأسه، وقال له : « قل : الحمد لله الذي نزع تاج كسرى، ملك الأملاك من رأسه، ووضعه في رأس أعرابي من بني مُدْلج، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوتنا » وإنما خص عُمر سُراقة بهذا ؛ لأن رسول الله ــ ﷺ ــ كان قال له : « يا سراقُ كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وإسواره في يديك » أو كما قال : ــ ﷺ.

قبض ذلك منه سيف خرج ؛ فجعل ينثر ذلك الوَرِقَ للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال : إن لهذا لشأنا، ثم بعث إليه، فقال : عمدت إلى حباء الملك تَنثُره للناسِ، فقال : وما أصنعُ بهذا ؟ ما جبالُ أرضي التي جئتُ منها إلا ذهبٌ وفضةٌ ــ يرغِّبه فيها ــ فجمع كسرى مَرَازِبته[1]، فقال لهم : ماذا تَرَوْن في أمر هذا الرجل، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك، إن في سجونك رجالا قد حبستَهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يَهْلِكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان مُلكاً ازدَدْتُه، فبعث معه كسرى من كان في سجونه، وكانوا ثمانمائةَ رجلٍ.

انتصار سيف : واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وأفضلهم حسبا وبيتا، فخرجوا في ثمانِ سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ستُّ سفائن[2]، فجمع سيف إلى وَهْرِز من استطاع من قومه، وقال له : رِجْلي مع رِجْلك حتى نموت جميعاً، أو نظفر جميعاً. قال له وَهْرِز : أنصفتَ. وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وَهْرِز ابنا له ؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقُتل ابنُ وَهْرِز ؛ فزاده ذلك حنقاً عليهم، فلما توافق الناس على مَصَافِّهم، قال وَهْرِز : أروني ملكَهم، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجَه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم، قالوا : ذاك مَلِكُهم، فقال : اتركوه، قال : فوقفوا طويلا، ثم قال : علامَ هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس، قال : اتركوه. فوقفوا طويلا، ثم قال : علامَ هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة. قال وهرز : بنتُ الحمار ؟! ذُلَّ وذُلَّ مُلْكُه، إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابَه لم يتحركوا، فاثبتوا حتى

---

(١) مرازبته : وزراؤه.

(٢) ذكر قدوم سيف مع وهرز على صنعاء في ستمائة، وقد قدمنا قول ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة، وانضافت إليهم قبائل من العرب.

أوذِنَكم، فإني قد أخطأت الرجلَ، وإن رأيتم القومَ قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبتُ الرجل، فاحملوا عليهم. ثم وتَّر قوْسَه، وكانت فيما يزعمون لا يُوترها غيرُه من شدتها، وأمر بحاجبيه، فعُصبا له، ثم رماه، فصك الياقوتةَ التي بين عينيه، فتغلغلت النُشَّابةُ في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونُكِس عن دابته، واستدارت الحبشةُ ولاثتْ به، وحملت عليهم الفرسُ، وانهزموا، فقُتلوا وهَربوا في كل وجهٍ، وأقبل وَهْرِز، ليدخل صنعاء[1]، حتى إذا أتى بابها، قال : لا تدخل رايتي منكسة أبداً، اهدموا البابَ، فهُدم، ثم دخلها ناصبا رايته.

شعر سيف بن ذي يزن في هذه القصة : فقال سيف بن ذي يزن الحميري :

---

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها.

قال ابن الكلبي : وسميت : صنعاء لقول وهرز حين دخلها. صنْعَة صنعة، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها، قال ابن مقبل يذكر أوال :

عهد الحداة بها لعارض قرية ... وكأنها سفن بسيف أوال

والعارضة هنا : ما اعترض في الأفق من سحاب.

وقال جرير :

وشبهت الحدوج غداة قوٍّ ... سفين الهند روح من أوالا

والحدوج : هنا بمعنى مراكب للنساء كالمحفة وقوّ : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة، ويقال إنها واد بين اليمامة وهجر.

وقال الأخطل :

خوص كأن شكيمهن معلَّق ... بقنا ردينة، أو جذوع أوال

والخوص هنا بمعنى الخيول الغائرة العيون من طول السفر، والشكيم : جمع شكيمة : حديدة اللجام المعترضة من فم الفرس. قنا : رماح. وردينة : قرية تصنع فيها الرماح.

وقد قيل إن صنعاء اسم الذي بناها، وهو : صنعاء بن أوال بن عيبر بن عابر بن شالخ، فكانت تعرف تارة بأوال، وتارة بصنعاء.

يظـــنُّ النـــاسُ بالْمَلكيـــْـ ـــن ِ أنهمــــا قد التأمــــا[1]
ومـــن يسمـــعْ بلأمهمــــا فإن الخـــطبَ قد فقمــــا[2]
قتلنــا القَيْـــل مسروقـــاً وروَّينــا الكثـــيبَ دَمَـــا[3]
وإن القَيْـــل قَيْـــل النـــا س ِ وَهْـــرِزَ مُقْسِمٌ قَسَمَـــا
يذوق مُشَعْشَعـــاً حتـــى يُفـيء السبـــيُ والنَّعَمـــا[4]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات له. وأنشدني خلاد بن قُرة السَّدُوسي آخرَها بيتاً لأعْشَى بني قَيْس بن ثعلبة في قصيدة له، وغيرُه من أهل العلم بالشعر يُنْكِرها له.

شعر أبي الصلت : قال ابن إسحاق، وقال أبو الصَّلْت بن أبي ربيعة الثَّقفيُّ :

قال ابن هشام : وتُروى لأميَّة بْن أبي الصَّلْت.

ليطلب الوِتْر أمثالُ ابن ذي يزن رَيَّمَ في البحر للأعداءِ أحوالَا[5]

(١) التأما : اصطلحا.

(٢) فقم : ازداد واشتدّ.

(٣) القَيْل : الملك.

(٤) المشعشع : الخمر الممزوجة بالماء.

(٥) ريَّم في البحر : أي : أقام فيه، ومنه الروايم، وهي الأثافي، كذلك وجدته في حاشية الشيخ التي عارضها بكتابي « أبي الوليد الوقشي »، وهو عندي غلط، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت، وريم ليس من رأم، وإنما هو من الريم، وهو الدرج، أو من الريم الذي هو الزيادة والفضل، أو من رأم يريم إذا برح، كأنه يريد : غاب زمانا وأحوالا، ثم رجع للأعداء، وارتقى في درجات المجد أحوالا إن كان من الريم الذي هو الدرج، ووجدته في غير هذا الكتاب : خيم مكان ريم، فهذا معناه : أقام. عن الروض الأنف بتحقيقنا جـ١، ص ٨٤.

يمَّمَ قَيْصَرَ لمـــا حان رحلتـــهُ فلم يجدْ عندَه بعضَ الذي سالَا
ثم انثنى نحوَ كِسرى بعدَ عاشرةٍ من السنين يُهين النفسَ والمالَا
حتى أتى ببني الأحرارِ يحملهم إنَّك عَمْرِي لقد أسرعتَ قِلْقَالَا[1]
للهِ دَرَّهُـمُ من عُصبةٍ خرجـوا ما إن أرى لهم في الناسِ أمثالاَ
بِيضاً مَرَازِبــةً، غُلْبـــاً أَساورةً أُسداً تُرُبِّب في الغَيْضاتِ أشبالَا[2]
يَرمون عن شُدُفٍ كأنها غُبُـطٌ بزَمْخَر يُعْجل المرمِـيَّ إعجـالا[3]
أرْسَلْتَ أُسْداً على سودِ الكلاب فقد أضحَى شريدُهُمُ في الأرضِ فُلَّالَا
فاشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً في رأس غُمدَانَ داراً منك مِحْلالاَ[4]
واشربْ هنيئا فقد شالتْ نعامتُهم وأسبِل اليومَ في بُرْسَيْكَ إسْبالاَ[5]
تلك المكارمُ لا قَعْبان من لبنٍ شِيبـا بمـاءٍ فعـادَا بعـدُ أبـوالَا

---

(١) عمري. أراد : لعمري وقد قال الطائي :
عمـري لقـد نصح الزمـــانُ، وإنـــه لمـــن العجـــائب ناصح لا يشفـــق
وقوله : أسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها، وكقول الآخر : « وقلقل يبغي العز كل مقلقل » وهي شدة الحركة.
(٢) غُلْباً : شداداً. والأساورة : الرماة، والغيضات : جمع غيضة الشجر الكثير الملتف.
(٣) « يرمون عن شدف كأنها غبط » الشُّدَف : الشخص، ويجمع على شُدُف، ولم يرد هنا إلا القسي، وليس شدف جمعاً لشدف، وإنما هو جمع شدوف، وهو النشيط المرح يقال : شدف فهو شدف، ثم تقول : شدوف، كما نقول مروح، وقد يستعار المرح والنشاط للقسي لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها، فيرمون عن شدف أي : يدفعون عنها بالرمي، ويكون الزمخر : القسي، أو النبل، والغبط : الهوادج، والزمخر : القصب الفارسي.
(٤) غمدان أسسه : يعرب بن قحطان، وأكمله بعده، واحتله : وائل بن حمير بن سبأ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده.
(٥) شالت نعامتهم : أي هلكوا، والنعامة : باطن القدم، وشالت : ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رجلاه، وانتكس رأسه، فظهرت نعامة قدمه تقول العرب : تنعمت إذا مشيت حافياً، قال الشاعر :
تنعـمت لمـا جاءنـــي سوء فعلهـــم ألا إنمـــا البـــأساء للمتنعـــم =

قال ابن هشام : هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتاً قوله :

تلك المكارمُ لا قَعْبانَ من لبن

فإنه للنابغة الجعدي. واسمه : حِبَّان بن عبد الله بن قَيْس[1]، أحد بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بَكر بن هوازن، في قصيدة له.

شعر عدي بن زيد : قال ابن إسحاق : وقال عدي بن زيد الحيري، وكان أحد بني تميم. **قال ابن هشام** : ثم أحد بني امرئ القيس بن زَيد مناة بن تميم، ويقال : عدَي من العباد من أهل الحيرة[2] :

ما بعـدَ صنعـاءَ كان يَعْمُرهـا   ولاةُ مُلك جَزْلٍ مواهبُهـــــا
رفَّعها مَنْ بَنَى لدى قَزَع المُزْ   نِ وتَنْـدَى مِسْكـا مَحاربُهـــا[3]

= والنعامة أيضاً : الظلمة، والنعامة : الدِّعامة التي تكون عليها البكرة، والنعامة : الجماعة من الناس، وابن النعامة : عرق في بطن القدم.

(١) ويروى أن اسمه : قيس بن عبد الله، وقيل إن اسمه : حبان بن قيس بن عبد الله بن وحوح، والوحوح في اللغة : وسط الوادي، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة الدينوري، وهو أحد النوابغ وهم ثمانية ذكرهم البكري. والنابغة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها في الجاهلية وقدومه على رسول الله ـــ ﷺ ـــ وإنشاده إياه، ودعاء النبي ـــ ﷺ ـــ ألا يفض الله فاه، مشهور.

(٢) العبادي، نُسب إلى العباد، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة، قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح، وعبد كُلال، وعبدالله، وعبد ياليل، وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم : عبد، وكانوا قدموا على ملك فتسموا له، فقال : أنتم العِبَاد فسُموا بذلك، وقد قيل غير هذا. وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد، وأحسبهم هؤلاء ؛ لأنهم تنصروا، وهم من ربيعة، ثم من بني عبد القيس، والله أعلم. والذي ذكره الطبري في نسب عدي بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصَية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم. وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مناة في العباد. فلذلك ينسب عدي إليهم.

(٣) قزع المزن : السحاب المتفرق.

مَحفوفةٌ بالجبالِ دونَ عُرَى الْـ ـكائدِ ما تُرْتَقـى غواربُهـا[1]
يأنسُ فيهـا صوتُ النُّهـامِ إذا جاوبَهـا بالـعشيِّ قاصِبُهـا[2]
ساقت إليه الأسبابُ جندَ بني الـ ـأحـرارِ فرسانُهـا مواكبُهـا
وفُـوِّزت بالبغـالِ تُوسَقُ بالـ ـحَتْفِ وتَسْعَى بها توالبُهـا[3]
حتى رآها الأقْوالُ من طرفِ المَنْـ ـقَـلِ مُخْضَرَّة كتائبُهـا[4]
يوم يُنـادون آل بَرْبـر والْيَكْسوم لا يُفْلَحنَّ هاربُها[5]
وكان يوم باقي الحديث وزا لت إمَّـةٌ ثابت مراتبُهـا[6]
وبُـدِّل الفَيْـج بالزرافـةِ والأيـا م جُونٌ جَمٌّ عجائبُهـا[7]
بعـدَ بنـي تُبَّـع نَخـاوِرة قد اطمـأنَّت بهـا مرازُبهـا[8]

---

(١) دون عرى الكائد، يريد : عرى السماء وأسبابها، ووقع في نسخة الشيخ : عرى بفتح العين، وهي الناحية، وأضافها إلى الكائد، وهو الذي كادهم، والباري ــ سبحانه وتعالى ــ كيده متين (وانظر الروض الأنف من تحقيقنا)

(٢) قوله : صوت النهام، يريد ذكر البوم، وقاصبها : الذي يزمر في القصب.

(٣) فَوِّزَت بالبغال أي : ركبت المفاوز ــ الصحارى ــ. تُوسق بالحتف، أي : أوسق البغال الحتوف، وتوالبها : جمع تولب، وهو ولد الحمار، والتاء في تولب بدل من واو، كما هي في توْءم وتَوْلج وفي توراة على أحد القولين، لأن اشتقاق التولب من الوالبة، وهي ما يولده الزرع، وجمعه : أوالب.

(٤) من طرف المَنْقَل : أي : أي من من أعالي حصونها، والمنقال : الخِرْج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية، فكأن المنقل من هذا، والله أعلم. وقوله : مخضرة كتائبها. يعني من الحديد، ومنه الكتيبة الخضراء. ذلك أن الحديد عندما يصدأ يظهر فيه شبه الخضار.

(٥) ينادون آل بربر ؛ لأن البربر والحبشة من ولد حام. وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق. وقد قيل في جالوت إنه من الخزر، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة، وهي اختلاط الأصوات، فقال: ما أكثر بربرتهم ! فسُمُّوا بذلك، وقيل غير هذا.

(٦) الإمة : النعمة.

(٧) الفيج : وهو المنفرد في مشيته، والزرافة : الجماعة من الناس وقيل في الزرافة التي هي الحيوان.

(٨) النخاورة : وهم الكرام. والمرازبة : الوزراء.

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له، وأنشدني أبو زيد الأنصاري، ورواه لي عن المفضَّل الضبي، قوله :

يوم ينادون آل بربر واليكسوم.. الخ.

وهذا الذي عنى سَطيح بقوله : « يليه إرم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن ». والذي عنى شق بقوله : « غلام ليس بِدَنيٍّ ولا مُدَنْ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَنْ ».

ذكر ما انتهى إليه أمر الفُرس باليمن

مدة مكث الحبشة باليمن : قال ابن إسحاق : فأقام وَهْرِز والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم. وكان مُلْك الحبشة باليمن، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت من الحبشة، اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس باليمن : قال ابن هشام : ثم مات وَهْرِز، فأمَّر كسرى[1] ابنه المرْزُبان بن وهرز على اليمن، ثم مات المرْزُبان، فأمَّر

(١) كسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز بن أنو شروان، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفَّر، وهو الذي غلب الروم حين أنزل الله : ﴿ **ألم. غُلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ وهو الذي عُرض على الله في المنام، فقال له : سلِّم ما في يديك إلى صاحب الهراوة، فلم يزل مذعوراً من تلك، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور النبي — ﷺ — بتهامة ؛ فعلم أن الأمر سيصير إليه حتى كان من أمره ما كان، وهو الذي كتب إليه النبي — ﷺ — وحفيده : يزدجرد بن شهريار بن أبرويز، وهو آخر ملوك الفرس، وكان سُلب ملكه، وهُدم سلطانه على يديْ عمر بن الخطاب، ثم قُتل هو في أول خلافة عثمان، وجد مستخفياً في رحى فقتل وطرح في قناة الرحى، وذلك بمرو من أرض فارس.

كسرى ابنه التَّيْنُجان بن المرزبان على اليمن، ثم مات التَّيْنُجان، فأمَّر كسرى بن التينجان على اليمن، ثم عزله وأمَّر باذان، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبي ــ ﷺ.

محمد (ﷺ) يتنبأ بموت كسرى : فبلغني عن الزهري أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغني أن رجلا من قُريش خرج بمكة، يزعُم أنه نبي. فَسِرْ إليه فَاسْتَتِبْهُ، فإن تاب، وإلا فابعث إليَّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ــ ﷺ ــ فكتب إليه رسول الله ــ ﷺ : « إن الله قد وعدني أن يُقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا »[١] فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف لينظر، وقال : إن كان نبياً، فسيكون ما قال، فقتلَ اللهُ كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام : قُتل على يدَيْ ابنه شَيْرَويه، وقال خالد بن حِقٍّ الشيبانيُّ :

وكسرى إذ تَقَسَّمه بنوه بأسيافٍ كما اقتُسِم اللَّحامُ[٢]

---

(١) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة، وأسلم باذان باليمن في سنة عشر، وفيها بعث رسول الله ــ ﷺ ــ إلى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فمن الأبناء : وهب بن مُنَبِّه بن سَيْج ابن ذُكبار، وطاووس وذادَوَيْه وفيروز اللذان قتلا الأسود العنسي الكذاب، وقد قيل في طاووس : إنه ليس من الأبناء، وإنه من حمير، وقد قيل : من فارس، واسمه : ذكوان بن كيسان، وهو مولى بحير بن ريسان ؛ وقد قيل : مولَى الجَعْد، وكان يقال له طاووس القُراء لجماله.

(٢) وقول ابن حق الشيباني : وكسرى إذ تقسمه بنوه. وإنما كان قتله على يد ابنه شيرويه، لكن ذكر بنيه لأن بدء الشر بينه وبينهم أن ابنه فرخان رأى في النوم : أنه قاعد على سرير الملك في موضع أبيه، فبلغ أباه ذلك، فكتب إلى ابنه شهريار ــ وكان والياً له على بعض البلاد : أن اقتل أخاك فرخان، فأخفى شهريار الكتاب من أخيه، فكتب إليه مرة أخرى، =

تمخضتِ المنونُ له بيومٍ أنى، ولكلِّ حاملةٍ تمام[1]

إسلام باذان : قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه، وإسلام من معه من الفُرس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت الرسلُ من الفرس لرسول الله ـ ﷺ ـ إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهلَ البيت ».

قال ابن هشام : فبلغني عن الزهريِّ أنه قال : فمن ثَمَّ قال رسول الله ـ ﷺ : « سَلْمانُ منا أهل البيت ».

قال ابن هشام : فهو الذي عنى سطيح بقوله : « نبيّ زكي، يأتيه الوحي من قبل العليّ »، والذي عنى شق بقوله : « بل ينقطع برسول مُرْسَل، يأتي بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، يكون المُلك في قومه إلى يوم الفصْل ».

كتاب الحجر الذي في اليمن : قال ابن إسحاق : وكان في حَجَر باليمن ـ فيما يزعُمون ـ كتاب بالزَّبور كُتب في الزمان الأول :

= فأبى من ذلك، فعزله وولى فرخان، وأمره بقتل شهريار، فعزم على ذلك، فآراه شهريار الكتاب الذي كتب له أبوه فيه. فتواطئا عند ذلك على القيام على أبيهما، وأرسلا إلى ملك الروم يستعينان به في خبر طويل، فكان هذا بدء الشر، ثم إن الفرس خلعت كسرى لأحداث أحدثها، وولت ابنه شيرويه، فكان كسرى أبرويز ربما أشار برأي من محبسه، فقالت المرازبة لشيرويه : لا يستقيم لك الملك إلا أن تقتل أباك، فأرسل إليه من يقتله.

(١) وتمخضت أي : حملت، والمخاض : الحمل، ووزنه : فَعال، ومخاضة الماء. ومخاضة وزنه : مفعل من الخوض.

والمنون : المنية، وهو أيضا من أسماء الدهر، وهو من مننت الحبل إذا قطعته.

وأنَى : أي حان. وقد قلبوه، فقالوا : آن يئين، والدليل على أن آن يئين مقلوب من : أنَى يَأْنِي قوله : آناء الليل. انظر الروض الأنف من تحقيقنا جـ١، ص ٨٩.

« لمن مُلك ذِمَار[1] ؟ لِحمْير الأخيار[2]، ولمن ملك ذِمار ؟ للحبشة الأشرار[3]، لمن ملك ذِمار ؟ لفارس الأحرار[4]، لمن ملك ذِمار ؟ لقريش التجَّار ».

وذِمار : اليمن أو صنعاء.

قال ابن هشام. ذَمار : بالفتح، فيما أخبرني يونس.

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى ــ أعشى بني قيس بن ثعلبة في وقوع ما قال سطيح وصاحبه :

ما نظرتْ ذاتُ أشفارٍ[5] كنظرتها حقًّا كما صدقَ الذئبيُّ إذ سجعا

---

(١) حكى ابن هشام عن يونس ذَمار بفتح الذال، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ؛ لأنه اسم لمدينة، والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضاً ؛ لأنه اسم بلد، وإذا فتحت الذال، فهو مبني مثل : رَقاش وحَذام... وذمار : من ذمرت الرجل إذا حَرَّضْتُه على الحرب.

(٢) وقوله : لحمير الأخيار ؛ لأنهم كانوا أهل دين، كما تقدم في حديث فيميون وابن الثامر.

(٣) وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا في اليمن من العيث والفساد وإخراب البلاد، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رَفع القرآن ؛ وذهب من الصدور الإيمان. يشير بذلك إلى حديث : « اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة ». وقد رواه أبو داود بسند ضعيف. وانظر فهارس فتح الباري المسماة مفاتيح القارى لأبواب فتح البارى من تحقيقنا.

(٤) وقوله : لفارس الأحرار ؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام، لم يدينوا لملك من غيرهم، ولا أدوا الإتاوة لذي سلطان.

(٥) يريد : زرقاء اليمامة، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام، وقبل البيت :

قالت : أرى رجلاً في كفِّه كَتِف أو يخصف النعل لهفي أيَّة صنعا

فكذبوها بما قالت، فصبَّحهم ذو آل حسان يُزجِي الموتَ والسَّلعا

وفي البيتين : يخصف النعل : يصلحها. والسلع : شجر مر ينبت باليمن.

وكان جيش حسان هذا قد أُمروا أن يُخيِّلوا عليها بأن يمسك كل واحد منهم نعلا كأنه يخصفها، وكتفاً كأنه يأكلها، وأن يجعلوا على اكتافهم أغصان الشجر، فلما أبصرتهم، قالت لقومها : قد جاءتكم الشجر، أو قد غزتكم حمير، فكذبوها.

وكانت العرب تقول لسطيح: الذئبي؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام: وحدثني خلادُ بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي عن جَنَّاد، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب: أنه يقال: إن النعمان بن المنذر من ولد سَاطِرون[1] ملك الحَضْر. والحَضْر: حصن عظيم كالمدينة، كان على شاطئ الفرات، وهو الذي ذكر عَدي بن زيد في قوله:

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجْلة يُجْبَى إليه والخابورْ
شاده مرمراً وجلَّله كِلْسا فللطَّيْرِ في ذُراه وُكورْ
لم يَهَبْه ريبُ المنون فبان الْمُلْكُ عنه فبابُه مهجورْ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

والذي ذكره أبو دواد الإياديُّ[2] في قوله:

وأرى الموتَ قد تدلى من الحَضْـ ـر على ربِّ أهله السَّاطُرون[3]

---

(١) الساطرون بالسريانية: هو الملك، واسم السَّاطرون: الضَّيْزَن بن معاوية. قال الطبري: هو جُرْمُقاني، وقال ابن الكلبي: هو قُضَاعي من العرب الذين تنخُوا بالسواد، فُسموا: تنوخ، أي: أقاموا بها، وهم قبائل شتى، ونسبه ابن الكلبي، فقال: هو ابن معاوية بن عبيد، ووجدته بخط أبي بحر: عُبَيْد بضم العين بن أَجْرَم من بني سَليح بن حُلْوان بن الحاف بن قضاعة، وأمه: جَيْهَلَة، وبها كان يُعرف، وهي أيضا قضاعية من بني تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية. عن الروض الأنف.

(٢) واسم أبي داود: جارية بن حجاج، وقيل: حنظلة بن شَرقي.

(٣) وبعد هذا البيت: =

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال : إنها لخلَف الأحمر، ويقال : لحماد الرَّاوية.

سابور يستولي على الحضر : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطِرون ملكَ الحَضْر، فحصره سنتين، فأشرفت بنت ساطِرون[1] يوما، فنظرت إلى سابور، وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلا، فدست إليه، أتتزوجني إن فتحت لك باب الحَضْر ؟ فقال : نعم. فلما أمسى ساطِرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحَضْر من تحتِ رأسه، فبعثت بها مع مولًى لها ففتح الباب، فدخل سابور، فقتل ساطِرون، واستباح الحَضْر وخرَّبه[2]، وسار بها معه فتزوجها ؛ فبينا هي

= صرعتـــــه الأيــــامُ من مُلك ونعيـــم وجوهـــر مكنـــون

وكان الضيزن من ملوك الطوائف، وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم.

(١) كان للضيزن بنت اسمها : النضيرة وفيها قيل :

أقفــر الــحضرَ من نضيـــرة فالـ ـمرباع منهـا فجـانب الثرثـــار

والمرباع : الوادي ينبت في أول الربيع ؟ والثرثار : نهر.

(٢) وكانت سُنَّتهم في الجارية إذا عركت أي : حاضت، أخرجوها إلى ربض المدينة ــ ما حولها ــ، فعركت النضيرة، فأخرجت إلى ربض الحضر، فأشرفت ذات يوم فأبصرت سابور ــ وكان أجمل الناس ــ فهويته فأرسلت إليه أن يتزوجها، وتفتح له الحضر، واشترطت عليه، والتزم لها ما أرادت، ثم اختلف في السبب الذي دلت عليه، فقال ابن إسحاق ما في الكتاب.

وقال المسعودي : دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحَضْر، فقطع لهم الماء، ودخلوا منه.

وقال الطبري : دلته على طلسم كان في الحَضْر، وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء، ثم ترسل الحمامة، فتنزل على سور الحضر، فيقع الطلسم، فيفتح الحَضْر، ففعل سابور ذلك، فاستباح الحَضْر، وأباد قبائل من قضاعة كانوا فيه، منهم : بنو عبيد رهط الضيزن، لم يبق منهم عقب، وحرق خزائن الضيزن، واكتسح ما فيها، ثم قفل بنضيرة معه.

نائمة على فراشها ليلا إذا جعلت تتململ لا تنام، فدعا لها بشمْع، ففتش فراشَها، فوجد عليه ورقة آس ؛ فقال لها سابور : أهذا الذي أسهرَك ؟! قالت : نعم، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج، ويلبسني الحريرَ، ويطعمني المخَّ، ويسقيني الخمر، قال : أفكان جزاءُ أبيك ما صنعتِ به ؟! أنت إليَّ بذلك أسرعُ، ثم أمر بها، فرُبطت قرون رأسها بذنَبِ فرس، ثم ركض الفرس، حتى قتلها[1]، ففيه يقول أعشى بني قَيس بن ثَعْلبة :

قول أعشى قيس في قصة الحضر :

ألـــم ترَ للـــحَضْر إذ أهلُـــه بنُعْمَـى، وهَــل خالــدٌ مَــنْ نعــمْ
أقـــام به شاهبـــورُ الجنـــــو دَ حوليـن تضرب فيـه القُـدُم[2]
فلمـــا دعـــا ربَّـــه دعـــوةً أنـــاب إليـــه فلـــم ينتقـــمْ

وهذه الأبيات في قصيدة له.

قول عدي بن زيد : وقال عدي بن زيد في ذلك :

والـحَضْر صابت عليـه داهيـــةٌ من فوقِـــه أيِّـــدٌ مناكبهـــــا[3]
رَبِيَّـــــة لم تُوَقِّ والدَهـــــا لحَيْنهـــا إذ أضاع راقبهـــــا[4]

(١) قال ابن إسحاق: المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف، وجعله غيره سابور بن أزدشير بن بابك، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس، وأذل ملوك الطوائف، حتى دان الملك له، والضَّيْزن : كان من ملوك الطوائف ؛ فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذي الأكتاف، وهو سابور هرمز، وهو ذو الأكتاف، لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل، وبينهم ملوك مَسمَّوْن في كتب التاريخ، وهم : هرمز بن سابور ؛ وبهرام بن هرمز، وبهرام بن بهرام، وبهرام الثالث، ونرسي بن بهرام، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم.

(٢) شاهبور : معناه ابن الملك.

(٣) أيِّدٌ : شديدة.

(٤) رَبِيَّة لم تُوَقِّ والدَها : يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت، إلا أن القياس في فعيلة بمعنى =

إذ غَبَقَتْـه صَهْبـاءَ صافيـةً والخمرُ وَهْلٌ يَهيم شاربُها[1]
فأسْلـمتْ أهلَهـا بليلتِهـا تظـنُّ أن الرئـيسَ خاطبُهـا
فكان حَظُّ العَروسِ إذ جَشَرَ الصُّـبْحُ دماءً تجـري سَبَائِبهـا[2]
وخُرِّب الحَضْر، واستبيحَ، وقدْ أُحْرِق في خدرِها مشاجبُها[3]

وهذه الأبيات في قصيدة له.

= مفعولة أن تكون بغير هاء، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء، لأنها ربت في نعمة فتكون بمعنى فاعلة، ويكون البناء موافقا للقياس، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيئة بالهمز، وسهل الهمزة فصارت ياء، وجعلها ربيئة، لأنها كانت طليعة حيث اطَّلعت، حيث رأت سابور وجنوده، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى : ربيئة، ويقال له : رباء على وزن فِعال وأنشدوا :

رِباء شماء لا يأوي لقلتها — البيت

وقوله : أضاع راقبها : أي أضاع المربأة الذي يرقبها ويحرسها، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أي : أضاعها حافظها.

(١) والخمر وهْل. يقال : وهل الرجل وهْلاً وَوهَلاً إذا أراد شيئاً، فذهب وهمه إلى غيره. ويقال فيه : وهَم أيضا بفتح الهاء، وأما وهم بالكسر، فمعناه : غلط وأوهم بالألف معناه : أسقط.

وقوله : سبائبها. السبائب جمع : سبيبة، وهي كالعمامة أو نحوها، ومنه السَّب، وهو : الخمار.

(٢) جشر : ظهر ووضح.

(٣) في خدرها مشاجبها. المشاجب : جمع مشجب، وهو ما تعلَّق منه الثياب، ومنه قول جابر : وإن ثيابي لعلي المشجب. وكان يسمون القربة : شَجْباً ؛ لأنها جلد ماء قد شجب أي : عطب. وكان لا يمسكون القربة وهي الشجب إلا معلقة، فالعود الذي به هو المشجب حقيقة، ثم اتسعوا، فسموا ما تعلق به الثياب مشجباً تشبيها به.

ذكر ولد نِزار بن معد

قال ابن إسحاق : فولد نِزارُ بن معد ثلاثةَ نفـر : مُضر[1] بن نِزار، وربيعةَ بن نِزار، وأنمار بن نِزار.

قال ابن هشام : وإياد بن نزار. قال الحارث بن دَوْس الإيادي، ويروى لأبي دُواد الإيادي، واسمه : جارية بن الحجَّاج :

وفُتُـــوٌّ حسنٌ أوجُهُهـــــم من إيـاد بن نِزار بن معـد

وهذا البيت في أبيات له.

فأم مضر وإياد : سَوْدَة بنتُ عَكّ بن عدنان. وأم ربيعة وأنمار : شُقَيْقَة بنت عَك بن عدنان، ويقال : جُمْعَة بنت عك بن عدنان.

أولاد أنمار : قال ابن إسحاق : فأنمار[2] أبو خَثْعَم وبجيلة، قال

---

(١) فأما مضر فقد تقدم ذكره في عمود نسب النبي ـ ﷺ ـ وذكرنا أنه أول من سن حداء الإبل، وسببه ـ فيما ذكروا ـ أنه سقط عن بعير، فوثبت يده، وكان أحسن الناس صوتاً، فكان يمشي خلف الإبل، ويقول : وايدياه، يترنم بذلك فأعنقت الإبل، وذهب كلالها ؛ فكان ذاك أصل الحداء عند العرب،وذلك أنها تنشط بحدائها الإبل، فتسرع.

(٢) أنمار بن نزار، وهو أبو بجيلة وخثعم فسمي : بالأنمار جمع نَمِر، كما سموا بسباع وكلاب، وأم بنيه : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غيرها أفتل وهو : خثعم، وولدت له عبقر في خمسة عشر، سماهم أبو الفرج، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفَهْم والغَوْث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو أنمار، ويقال : إن بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سَمَّينا، ولم تحضن أفتل، وهو : خثعم. فلم ينسب إليها. روى الترمذي من طريق فروة بن مُسَيْك « أنه لما أنزل الله في سبأ ما أنزل، قال رجل : يا رسول الله ما سبأ : امرأة أم أرض ؟ قال ليس بامرأة ولا أرض، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن منهم ستة ـ أي رحل إلى اليمن وعاش فيها ـ وتشاءم أربعة أي رحل إلى الشام وعاش فيها ـ فأما الذين تشاءموا، فلخم وجذام وعاملة وغسان، وأما الذين تيامنوا : فالأزد والأشعرون وحمير ومذحج وكندة وأنمار، قال الرجل : ومَن أنمار ؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة ».

جرير بن عبدالله البَجَليّ وكان سيدَ بَجيلة، وهو الذي يقول له القائل :

لولا جريــرٌ هلــكت بَجيلــه نعم الفتى، وبئست القبيلـهْ !![1]

وهو ينافر[2] الفُرافِصة[3] الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي :

يا أقرعَ بن حابس يا أقــرعُ إنك إن تَصْرَعْ أخاك تُصرع[4]

قال :

ابْنَــيْ نزارٍ انصُرا أخاكمــــا إن أبــي وجدْتُــه أباكمــــا
لن يُغلبَ اليومَ أخٌ وَالاكُما

وقد تيامنت، فلحقت باليمن.

قال ابن هشام : قالت اليمن : وبَجيلة : أنمار بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال : إراش بن عمرو بن لِحْيان بن الغوث. ودار بجيلة وخَثْعَم : يمانية.

ولدا مضر : **قال ابن إسحاق** : فولد مضر بن نزار رجلين : إلياس

---

(١) قال لما سمع هذا : ما مُدح رجل هُجي قومه : وجرير هذا هو : ابن عبد الله بن جابر، وهو، الشليل بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة.

(٢) ينافر : أي يحاكم. قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر، وكانوا إذا تنازع الرجلان، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه، تحاكموا إلى العلّامة، فمن فضَّل منهما قيل : نفره عليه أي : فضل نفره على نفرِ الآخر. فمن هذا أُخذت المنافرة. وقال زهير :

فإن الحــــقَّ مقطعُــــه ثلاثٌ يميــــن أو نفـــار أو جلاء

(٣) الفُرافصة بالضم : اسم أسد، والفتح اسم الرجل، وقد قيل : كل فرافصة في العرب بالضم إلا الفرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح.

(٤) الأشهر في الرواية : « إن يُصرعْ أخوك »، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط لأنه في نية التقديم عند سيبويه، وهو على إضمار الفاء عند المبرد.

ابن مُضَر، وعَيْلان[1] بن مضر. قال ابن هشام : وأمهما جرهمية[2].

أولاد إلياس : قال ابن إسحاق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر : مُدْرِكة بن إلياس، وطابخة بن إلياس، وقَمَعَة بن إلياس، وأمهم : خِنْدف[3]، امرأة من اليمن.

قال ابن هشام : خِنْدف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة.

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدركة عامراً، واسم طابخة عَمْراً، وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها، فاقتنصا صيداً، فقعدا عليه يطبخانه ؟ وعَدَتْ عادية على إبلهما، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما، فقال لعامر : أنت مُدْرِكة، وقال لعمرو : وأنت طابخةٌ[4].

---

(١) وأما عَيْلان أخو الياس، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه، وسمي بفرس له اسمه : عيلان، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه، فُرق بينهما بهذه الإضافة، وقيل : عيلان اسم كلب له.

(٢) وذكر ابن إسحاق أم إلياس، وقال فيها : امرأة من جرهم، ولم يسمها، وليست من جرهم، وإنما هي الرباب بنت حَيْدة بن معد بن عدنان ــ فيما ذكر الطبري وقد قدمنا ذلك في نسب النبي ــ ﷺ.

(٣) وخِنْدف التي عُرف بها بنو إلياس. وهي التي ضُربت الأمثال بحزنها على إلياس، وذلك أنها تركت بنيها، وساحت في الأرض تبكيه : حتى ماتت كمداً، وكان مات يوم خميس، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره. فعمل الخميس للأموات في بعض البلاد بدعة جاهلية.

وكانوا يسمون الخميس : مؤنساً. قال الزبير : وإنما نسب بنو إلياس لأمهم ؛ لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم، رحمهم الناس، فقالوا : هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم، وهم صغار أيتام، حتى عُرفوا ببني خندف. وأما عوانة بنت سعد بن قيس عيلان فسميت : العوانة، وهي الناقة الطويلة.

(٤) وفي الخبر زيادة ؛ وهو أن إلياس قال لأمهم ــ واسمها ليلى وأمها : ضَرِيَّة بنت ربيعة =

وأما قَمَعَة فيزعم نُساب مضر : أن خزاعة من ولد عَمرو بن لُحَيّ بن قَمَعة بن إلياس.

حديث عمرو بن لحيّ وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحيّ يجر قصبه في النار : قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم عن أبيه قال :

حُدِّثتُ أن رسولَ الله ـــ ﷺ ـــ قال : « رأيت عَمْرو بن لُحَيٍّ يجرُّ قُصْبه[1] في النار فسألته عمن بيني وبينه من الناس، فقال : هلكوا ».

قال ابن إسحاق. وحدثني محمد بن إبراهيم الحارث التَّيمِي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة. **قال ابن هشام** : واسم أبي هريرة: عبدالله بن عامر، ويقال اسمه : عبد الرحمن بن صخر ـــ يقول :

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأكْثَم بن الجَوْن الخُزاعي : « يا أكْثمُ، رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعة ابن خِنْدِف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به، ولا بك منه. فقال أكثم : عسى أن يضرني

= ابن نزار التي ينسب إليها : حمى ضرية ؛ وقد أقبلت تُخَندف في مشيتها : ـــ ما لك تخندفين ؟ فسميت : خندف، والخندفة : سرعة في مشي، وقال لمدركة :

وأنت قد أدركْتَ ما طلبتا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجت ما طبختا

وقال لقَمَعَة وهو عُمير :

وأنت قد قعدت فانقمعتا

(١) قَصَبُهُ : أمعاؤه.

شبهه يا رسولَ الله ؟ قال : لا، إنك مؤمنٌ وهو كافر، إنه كان أول من غيَّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبَحَر البحِيرة[1] وسيَّبَ السائبة، ووصل الوَصِيلة، وحمى الحَامِي ».

أصل عبادة الأصنام في أرض العرب : قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عَمرو بن لُحَيّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مآبَ من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق ــ وهم ولد عِمْلاق. ويقال : عِمْليق بن لَاوذ بن سام بن نوح ــ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فنستَمْطرها فتُمطرنا، ونستَنْصرها فتنصُرنا، فقال لهم : ألا تعطونني منها صنما، فأسير به إلى أرض العرب، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنما يقال له : هُبَل، فقدم به مكة، فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[2].

---

(١) وقد رُوي أيضاً أن أول من بحَّر البحيرة : رجل من بني مدلج كانت له ناقتان، فجدع آذانهما، وحرم ألبانهما. قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « فرأيته في النار يخبطانه بأخفافهما، ويعضانه بأفواههما ». وقال عليه السلام : « قد عرفت أول من سيَّب السائبة ونصب النصب : عمرو بن لحي رأيته يؤذي الناسَ بريح قصبه » رواه ابن إسحاق عبد الله بن أبي بكر مرسلا.

(٢) وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت، ونفت جرهم عن مكة، قد جعلته العرب ربّاً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة؛ لأنه كان يطعم الناس، ويكسو في الموسم، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حلّة، حتى ليقال : إنه اللاتُ الذي : يلتُّ السويق ــ « طعام يصنع من الحنطة والشعير المدقوق » ــ للحجيج على صخرة معروفة تسمى : صخرة اللات، ويقال إن الذي يلت كان من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو، إنه لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتاً يُسمى : اللات، ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة ؛ فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء، واتُّخذ صنماً يُعبد، وقد ذكر ابن إسحاق، أنه أول من أُدخل الأصنام الحرم، وحمل الناس على عبادتها.

سبب عبادة الأصنام : قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفُسَح في البلاد، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخُلوف، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة، وهَدْي البُدْن، والإهلال بالحَج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانةُ وقريش إذا أهلُّوا قالوا : « لَبَّيك اللهمَّ لبيك، لَبيك لا شريكَ لك، إلا شريكٌ هو لك، تملكُه وما مَلَكَ ». فيوحدونه بالتلبية، ثم يُدخلون معه أصنامَهم، ويجعلون مِلْكَها بيده. يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ـــ ﷺ ـــ ﴿ **وما يؤمنُ أكثرُهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ أي ما يوحدونَني لمعرفة حقِّي إلا جعلوا معي شريكاً في خلقي[1].

أصنام قوم نوح : وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عَكفوا عليها، قَصَّ الله ـــ تبارك وتعالى ـــ خبَرها على رسول الله ـــ ﷺ ـــ فقال : ﴿ **وقالوا : لا تَذَرُنَّ آلهتَكم، ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً، ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونسْراً، وقد أضلُّوا كثيراً**[2] ﴾

---

(١) وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبَّيك، لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثَّل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقال عمرو، فدانت بها العرب.

(٢) وتلك هي الجاهلية الأولى التي ذكر الله في القرآن في قوله : ﴿ **ولا تَبَرَّجْنَ تبرج** =

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسمَّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هُذَيْلَ بنَ مُدْركة بن إلياس بن مُضَر، اتخذوا سُواعاً فكان لهم بِرُهاط[1]. وكلب بن وَبْرة من قضاعة اتخذوا وَدّاً بدومة الجندل[2].

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصاري :

ونـــنسى الـــلَّاتَ والعُـــزَّى ونسلُبهـا القَلائـــد والشُّنوفـــا[3]

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ــ إن شاء الله.

= **الجاهلية الأولى** ﴾ وكان بدء ذلك في عهد مهلايل بن قَيْنان فيما ذكروا. وقد ذكر البخاري عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ؛ فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتُنوسخ العلم عُبدت ».

وذكر الطبري هذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث، وأن يغوث كان ابن : سواع، وكذلك يعوق ونَسْر، كلما هلك الأول صُورت صورته، وعظمت لموضعه من الدين، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف، وقالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر، واتخذوها آلهة. وهذه أسماء سريانية وقعت إلى الهند فسموا بها أصنامهم التي زعموا أنها صور الدراري السبعة، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحي وعلمهم تلك الأسماء، وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا في عهد نوح.

(١) رُهاط : من أرض ينبع.

(٢) ودومة هذه ــ بضم الدال ــ ذكروا أنها سميت بدومى بن إسماعيل كان نزلها، ودُومة أخرى بضم الدال عند الكوفة، ودَوْمة ــ بفتح الدال ــ أخرى مذكورة في أخبار الرِّدة، كذا وجدته للبكري مقيدا في أسماء هذه المواضع. راجع الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ١٠٣.

(٣) الشنوفا : مفرده شنف ــ القرط.

قال ابن هشام : وكَلب بنُ وَبْرَةَ بن تغلب بن حُلْوَان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة.

عباد يغوث : قال ابن إسحاق : وأنْعُم من طيِّئ، وأهل جُرَش من مَذْحج[1] اتخذوا يغوث بجُرش[2].

قال ابن هشام. ويقال : أَنْعَم. وطيِّئ بن أُدَد بن مالك، ومالك : مَذْحج بن أُدَد، ويقال طيِّئ بن أُدد بن زيد بن كهلان بن سبأ.

عباد يعوق : قال ابن إسحاق : وخَيْوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن.

قال ابن هشام : وقال مالك بن نَمَط الهَمْداني[3].

يَريش اللهُ في الدنيا ويَبْـرِي ولا يبرِي يَعُــوقُ ولا يَرِيشُ[4]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام : اسم همدان : أَوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسَلة بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال : أوسلة بن

---

(١) جُرَش في مَذحج. والمعروف أنهم في حمير، وأن مذحج من كهلان بن سبأ، ويقال : إن الملك كان لكهلان بعد حمير، وأن ملكه دام ثلاثمائة سنة، ثم عاد في بني حمير، قال المسعودي. وذكر الدارقطني أن جَرَشَ وحُرَشَ بالحاء أخوان، وأنهما ابنا عُلَيْم بن جناب الكلبي، فهما قبيلان من كلب.

(٢) طيئ بن أدَد، أو ابن مالك بن أدد على الخلاف : ومالك هو : مَذحِج. وسموا مذحِجاً بأكمة نزلوا إليها. وطئ من الطاعة، وهي بعد الذهاب في الأرض.

(٣) وهو : أبو ثور، يلقب : ذا المِشْعَار، وهو من بني خارف، وقد قيل إنه من يام بن أَصي، وكلاهما من همدان.

(٤) هو من رِشْتُ السهم وبريته، استعير في النفع والضرّ قال سويد :

فَرِشْنِي بخيــرٍ طالمــا قد بَرَيتنــي وخير الموالى من يريش ولا يبري

زيد بن أوسلة بن الخِيار. ويقال : همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

غباد نسر : قال ابن إسحاق : وذو الكُلَاعِ من حِمْير، اتخذوا نَسْراً بأرضِ حِمْير.

عباد عميانس : وكانَ لخَوْلان صنم يقال له : عُمْيَانِس بأرض خَوْلان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قَسَماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق عُمْيانس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق عُمْيانس ردوه عليه. وهم بطن من خَوْلان، يقال لهم : الأديم، وفيهم أنزل الله ــ تبارك وتعالى ــ فيما يذكرون : ﴿ **وجعلوا للهِ مما ذرأ من الحرثِ والأنعام نصيباً، فقالوا : هذا للهِ بزعمهم، وهذا لشركائنا، فما كان لشركائِهم فلا يصل إلى اللهِ، وما كان للهِ فهو يصلُ إلى شركائِهم، ساء ما يحكمون** ﴾.

قال ابن هشام : خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، ويقال : خَوْلان بن عَمرو بن مُرة بن أُدَد بن زَيد بن مِهْسَع بن عَمرو بن عَرِيب ابن زَيد بن كهلان بن سبأ، ويقال : خَوْلان بن عُمر بن سعد العشيرة بن مَذْحِج.

عباد سعد : قال ابن إسحاق : وكان لبني مِلْكَان[1] ــ بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضر ــ صنم، يقال له : سعد : صخرة

(١) مِلْكان بن كنانة بكسر الميم. قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شيء في العرب فهو مِلْكان بكسر الميم ساكن اللام، غير ملكان في قضاعة، وملكان في السَّكُون، فإنهما بفتح الميم واللام فملكان قضاعة : هو : ابن جَرْم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وملكان السُّكون هو : ابن عياد بن عياض بن عقبة بن السكون بن أشرس من كندة.

بفَلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني مِلْكَان بإبل له مُؤَبَّلة ؛ ليقفها عليه، التماسَ بركته ــ فيما يزعُم ــ فلما رأته الإبل وكانت مَرْعيَّة لا تُركب، وكان يُهْراق عليه الدماء نفرت منه، فذهبت في كل وجه، وغضب ربُّها المِلْكاني، فأخذ حجراً فرماه به، ثم قال : لا بارك الله فيك، نفَّرت عليَّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعدٍ، ليجمعَ شملَنا فشتتنا سعدٌ، فلا نحنُ من سعدِ[1]
وهل سعدُ إلا صخرة بتَنُوفةٍ من الأرض لا تدعو لِغَيٍّ ولا رُشْد[2]

دوس وصنمهم : وكان في دوس صنم لعمرو بن حُمَمة الدَّوْسي.

قال ابن هشام : سأذكر حديثه في موضعه ــ إن شاء الله.

ودَوْسُ بنُ عُدْثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغوث. ويقال : دوس ابن عبدالله بن زهران بن الأسْد بن الغوْث.

عباد هبل : **قال ابن إسحاق** : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له : هُبَل[3].

---

(١) ويمتنع في العربية دخول « لا » على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : « لا » مثل : أن تقول لا زيد في الدار ولا عمرو، وذكر سيبويه قولهم: لا نَوْلُك أن تفعل، وقال : وإنما جاز هذا ؛ لأن معناه معنى الفعل. أي : لا ينبغي لك أن تفعل، وكذلك ينبغي أن يقال في بيت الملكاني : أي : لم يقلها على جهة الخبر، ولكن على قصد التبري منه، فكان معنى الكلام : فلا نتولى سعداً، ولا ندين به، فهذا المعنى حَسَّن دخول « لا » على الابتداء كما حسن : لا نولك.

(٢) بتنُوفة : بأرض جرداء.

(٣) وأما هُبل فإن عمرو بن لحي جاء به من هيت، وهي من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة.

قال ابن هشام : سأذكر حديثَه ــ إن شاء الله في موضعه.

إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة، على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم ــ هو : إساف بن بَغْي ونائلة بنت دِيك ــ فوقع إساف على نائلةَ في الكعبة : فمسخهما الله حجَرَيْن[1].

حديث عائشة عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم. عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنها قالت : سمعت عائشة ــ رضي الله عنها ــ تقول : ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرْهم، أحدثا[2] في الكعبة : فمسخهما الله تعالى حجَرْين ــ والله أعلم.

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيث يُنيخُ الأشْعرون رِكابَهم   بِمُفْضَى السيولِ من إسافٍ ونائِلِ[3]

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له ؛ سأذكرها في موضعها ــ إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرج رزين في فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلهما الله أن يفجرا فيها، ولكنه قبَّلها، فمسخا حجرين، فأخرجا إلى الصفا والمروة فنصبا عليهما، ليكونا عبرة، وموعظة، فلما كان عمرو بن لحي نقلهما إلى الكعبة، ونصبهما على زمزم، فطاف الناس بالكعبة وبهما، حتى عُبدا من دون الله. وذكر الواقدي أن نائلة حين كسرها ــ النبي ــ ﷺ ــ عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها، وتنادي بالويل والثُّبور.

(٢) أحدثا في الكعبة، أرادت الحدث الذي هو الفجور كما قال ــ عليه السلام ــ : « من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله » وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم. والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم.

(٣) وقول أبي طالب : من إساف ونائل، هو ترخيم في غير النداء لضرورة الوزن في البيت. وكان المفروض أن يقول : ونائلة. والترخيم حذف آخر الحروف في المنادى.

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهلُ كلِّ دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسَّح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسَّح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمداً ـ ﷺ ـ بالتوحيد، قالت قريش : ﴿ **أجعلَ الآلهَة إلهاً واحداً، إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب** ﴾.

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طَواغيت، وهي بيوتٌ تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سَدَنَةٌ وحُجَّاب، وتُهْدى لها كما تُهْدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تَعْرف فضل الكعبة عليها، لأنها كانت قد عَرَفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده.

العُزَّى وسدنتها وحجابها : فكانت لقريش وبني كنانة : العُزَّى بنَخْلة، وكان سَدَنَتَها وحُجَّابَها بنو شيبان من سُلَيْم، حلفاء بني هاشم.

قال ابن هشام : حلفاء بني أبي طالب خاصة، وسُلَيْم : سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان.

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لقـد أُنْكِـحَتْ أسمـاءُ رأسَ بُقَيْـرةٍ ... من الأُدْم أهداها امرؤٌ من بني غَنْمِ

رأى قَدَعاً في عينِها إذْ يسوقُها ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع في القَسْمِ [1]

---

(١) القـدع : ضعف البصر من إدمان النظر. وقوله في الغبغب : وهو المنحر ومراق الدم، كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم : بئر بُغبغ وبغيبغ إذا كانت كثيرة الماء. قال الراجز :

بُغيبغ قصيرة الرِّشاء

ومنه قيل لعين أبي نَيْزَر : البغيبغة. ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها، فلا تصلح إلا للذبح والقسم.

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هدياً قسَّموه فيمن حضرهم. والغَبْغَب : المنحَر، ومُهراق الدماء.

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبي خراش الهذليّ واسمه : خُوَيلد ابن مُرة في أبيات له.

من هم السدنة : والسدنةُ : الذين يقومون بأمر الكعبة. قال رُؤْبة ابن العجاج :

فلا وربِّ الآمنـاتِ القطَّـنِ يَعْمرن أمناً بالحرامِ المأمن
بمحبسِ الهدْي وبيتِ المَسْدَنِ

وهذان البيتان في أرجوزة له، وسأذكر حديثها ــ إن شاء الله تعالى في موضعه.

اللات وسدنتها : **قال ابن إسحاق** : وكانت اللاتُ لثقيف بالطائف، وكان سَدنتَها وحجابها بنو مُعَتِّب من ثقيف.

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها ــ إن شاء الله تعالى في موضعه.

مناة وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت مُناة للأوْس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّلِ بقُدَيْد.

قال ابن هشام : وقال الكُمَيْت بن زيد أحد بني أسد بن مدركة :

وقد آلتْ قبائـلُ لا تُولِّـي مناةَ ظهورَهـا مُتَحرِّفينـا

وهذا البيت في قصيدة له.

هدم مناة : **قال ابن هشام** : فبعث رسولُ الله ــ ﷺ ــ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها، ويقال : علي بن أبي طالب.

ذو الخَلَصة وعبَّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكان ذو الْخَلَصة لدَوْس وخَثْعم وبَجِيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة.

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخُلُصة. قال رجل من العرب :

لو كنتَ يا ذا الخُلص الموتورا   مثلي وكان شيخُك المقبورا
لم تنهَ عن قتلِ العُداة زورَا

قال : وكان أبوه قُتل، فأراد الطلب بثأره، فأتى ذا الخلَصة، فاستقسم عنده بالأزلام. فخرج السهم بنهيه عن ذلك، فقال هذه الأبيات. ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْدي، فبعث إليه رسول الله ـ ﷺ ـ جريرَ بنَ عبد الله البجْلي، فهدمه[1].

فِلْس وعبَّاده وهدمه: قال ابن إسحاق : وكانت فِلْس[2] لطيّـئ ومن يليها بجبليْ طيـئ، يعني سَلْمى وأجأ.

قال ابن هشام : فحدثني بعضُ أهل العلم أن رسول الله ـ ﷺ ـ بعث إليها عليُّ بن أبي طالب فهدمها، فوجد فيها سيفيْن، يقال لأحدهما : الرَّسُوب، وللآخر : المِخْذَم. فأتى بهما رسول الله ـ ﷺ ـ فوهبهما له، فهما سيفا علي رضي الله عنه.

(١) وذلك قبل وفاة النبي ـ ﷺ ـ بشهرين أو نحوهما، قال جرير : بعثني رسول الله ـ ﷺ ـ في مائة وخمسين راكباً من أُحمس إلى ذي الخلَصة، فقلت : يا رسول الله إني لا أثبت على الخيل، فدعا لي، وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً.. » انظر للمحقق مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري.

(٢) هكذا وجدته مضبوطا في القاموس. وضبطه ابن الكلبي بفتح فسكون، وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام. وتروى في بعض المراجع : قلسا، ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه، وهو : أجأ بن عبد الحي، وكان فجر بسلمى بنت حام، أو اتهم بذلك ـ فيما ذكر ـ وكانت السفير بينهما وبين أجأ فصلبت في الجبل الثالث، فسمي بها.

رئام : قال ابن إسحاق : وكان لحميَر وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : رِئام.

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى.

رُضاء وعُبَّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت رُضَاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ولها يقول المُسْتَوْغِر[1] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام :

ولقد شَدَدْتُ على رُضَاءٍ شَدَّةً ... فتركتُها قفراً بقاعٍ أسْحَما

قال ابن هشام : قوله :

فتركتُها قفراً بقاعٍ أسْحَمَا

عن رجل من بني سعد.

عُمْر المستوغر : ويقال : إن المستوغر عُمِّر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطولَ مُضَر كلها عمراً، وهو الذي يقول :

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها ... وعَمَرْتُ من عددِ السنين مئينا

مائة حَدَتْها بعدها مئتان لي ... وازددتُ من عدد الشهورِ سنينا

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا ... يومٌ يمرُّ وليلةٌ تحدونا

وبعض الناس يروي هذه الأبيات لزُهير بن جَناب الكلبيِّ[2].

---

(١) واسمه : كعب قال ابن دريد : سمي مستوغراً بقوله :

ينش الماء في الربلات منه ... نشيش الرضف في اللبن الوغير

والوغير : فعيل من وغرة الحر وهي شدته. وذكر القتبي أن المستوغر حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هرم، والجد يقوده، فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ، فقد طال ما رفق بك فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك أو جدك، فقال : ما هو إلا ابن ابني، فقال ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة ! فقال : أنا المستوغر.

(٢) وهو زُهَير بن جَناب بن هُبل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن غدرة أو عذرة بن =

ذو الكعبات وعُبَّاده : قال ابن إسحاق : وكان ذو الكَعَبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بِسِنْدَاد، وله يقول أعشى بني قيس بن ثَعلبة :

بينَ الخَوَرْنق والسَّديرِ وبارقٍ والبيتِ ذي الكَعَبات من سَنْداد[1]

قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يَعْفر النَّهْشَلِيّ : نهشل بن دارم بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، في قصيدة له، وأنشدنيه أبو مُحْرز خلف الأحمر :

أهل الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ وبارقٍ والبيتِ ذي الشُّرفات من سِنْدادِ

= زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة. وزهير هذا من المعمرين وهو الذي يقول :

أبُنـي إن أهـلك فإنـي قد بنـيت لكـم بنيَّـه
وتركتكـم أولاد سادا ت زنادهـم وريَّـه
من كل ما نال الفتـى قد نلتـه إلا التحيـه

يريد بالتحية : البقاء، وقيل : المُلك،

ومن المعمرين من العرب سوى المستوغر مما زادوا على المائتين والثلاثمائة : زهير هذا، وعبيد بن شُرية، ودغفل بن حنظلة النسابة، والربيع بن ضبع الفزاري، وذو الإصبع العدواني، ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريْث بن غطفان، وكان قد اسودّ رأسه بعد ابيضاضه، وتقوَّم ظهره بعد انحنائه. ومن أطول المعمرين عَمرا : ذُوَيد، واسمه : زيد بن فهد من قضاعة عاش ذويد أربعمائة عام.

(١) الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور، ليكون ولده فيه عنده، وبناه بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله، واسم الذي بناه له : سنمار، وهو الذي رُدي من أعلاه، حتى قالت العرب : جزاني جزاء سنمار، وذلك أنه لما تم الخورنق، وعجب الناس من حسنه، قال سنمار : أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت، فقال له الملك : إنك لتحسن أن تبني أجمل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبتني لغيره مثله، وأُمر به فطرح من أعلاه، وكان بناه في عشرين سنة.

ومعنى السَّدير بالفارسية : بيت الملك. يقولون له : « سهدلي » أي : له ثلاث شعب، وقال البكري : سمي السدير ؛ لأن الاعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه، فتسدر من علوه، يقال : سدر بصره إذا تحير. والكعبات : المربعة، وكل بناء مربع فهو كعبة.

البَحيرة والسائبة والوصيلة والحَامِي

رأي ابن إسحاق فيها : قال ابن إسحاق : فأما البَحيرة فهي : بنت السائبة، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، سُيِّبت فلم يُركب ظهرُها، ولم يُجزّ وبرُها، ولم يُشرب لبنُها إلا ضيفٌ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقَّت أذنُها، ثم خُلِّي سبيلُها مع أمها، فلم يُركب ظهرُها، ولم يُجز وبرُها، ولم يُشرب لبنُها إلا ضيفٌ، كما فُعل بأمِّها، فهي البَحيرةُ بنت السائبة، والوَصِيلة : الشاة إذا أتأمَتْ[1] عشرَ إناثٍ متتابعات في خمسة أبطنٍ، ليس بينهن ذكرٌ، جُعلت وصيلة. قالوا : قد وَصَلَتْ، فكان ما وَلَدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء، فيشتركوا في أكله، ذكورُهم وإناثُهم.

قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم.

قال ابن إسحاق : والحامي : الفحل إذا نُتج له عشرُ إناث متتابعات ليس بينهنَّ ذكر، حُمِيَ ظهره فلم يُركب، ولم يُجز وبره، وخُلِّي في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك.

ابن هشام يخالف ابن إسحاق : قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامي، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق. فالبَحيرة عندهم : الناقة تُشق أذنُها فلا يُركب ظهرُها، ولا يُجز وبرُها، ولا يَشربُ لبَنَها إلا ضيف، أو يُتصدق به، وتهمل لآلهتهم. والسائبة : التي ينذر الرجل أن يُسيبَها إن برئ من مرضه أو إن أصاب أمراً يطلبه. فإذا كان أساب ناقة من إبله، أو جملا لبعض آلهتهم، فسابت فرعتْ لا

---

(١) أتأمت : جاءت باثنين في بطن واحد.

يُنتفع بها. والوصيلةُ : التي تلد أمُّها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها، ولنفسه الذكورَ : فتلدُها أمُّها ومعها ذكرٌ في بطن، فيقولون : وصلت أخاها، فُيسيَّب أخوها معها، فلا يُنتفع به.

قال ابن هشام : حدثني به يونس بن حبيب النحوي وغيره. وروى بعضٌ ما لم يرو بعضٌ.

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسولَه محمداً — ﷺ — أنزل عليه : ﴿ **ما جعل اللهُ من بَحيرةٍ، ولا سَائبةٍ، ولا وصيلةٍ، ولا حامٍ، ولكن الذين كفروا يفترون على اللهِ الكذِبَ، وأكثرهم لا يعقلون** ﴾.

وأنزل الله تعالى : ﴿ **وقالوا : ما في بطون هٰذهِ الأَنعامِ خالصةٌ لذكورنا، ومحرمٌ على أَزواجِنا، وإن يكن ميتةً فهم فيها شركاءُ، سيجزيهم وَصْفَهم، إنه حكيمٌ عليم** ﴾[1].

وأنزل الله تعالى : ﴿ **قل : أرأيتم ما أنزلَ اللهُ لكم من رزقٍ فجعلتم منه حراماً وحلالاً، قل : آللهُ أَذِنَ لكم أم على اللهِ تفتَرون** ﴾.

وأُنزل عليه : ﴿ **ثمانيةُ أزواجٍ من الضأنِ اثنين، ومن المعزِ اثنين. قل : آلذَّكرينِ حَرَّم، أم الأنثيَيْنِ، أما اشتملت عليه أرحامُ الأنثيَيْن، نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين. ومن الإبلِ اثنين، ومن البقرِ اثنين. قل : آلذكرين حرَّم أم الأنثيين، أمَّا اشتملت عليه أرحامُ الأنثيَيْن، أم**

(١) وذكر ما أنزل الله في ذلك، منها قوله تعالى : ﴿ **خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا** ﴾ وفيه من الفقه : الزجر عن التشبه بهم في تخصيصهم الذكور دون الإناث بالهبات. روت عمرة عن عائشة عن رسول الله — ﷺ — أنه قال : « يعمد أحدكم إلى المال، فيجعله عند ذكور ولده. إن هذا إلا كما قال الله تعالى : ﴿ **وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا** ﴾ رواه البخاري في التاريخ من حديث سليمان بن حجاج.

كنتم شهداءَ إذ وصَّاكم اللهُ بهذا. فمن أظلمُ ممن افترى على اللهِ كذبا ليضلَّ الناسَ بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾.

البحيرة والوصيلة والحامي لغة : قال ابن هشام : قال الشاعر :

حُولُ الوصائِل في شُرَيفٍ حِقَّةٌ والحامياتُ ظهورَهــا والسُّيَّبُ

وقال تميم بن أُبيّ بن مُقْبِل أحد بني عامر بن صعصعة :

فيه من الأخرج المِرْبَاع قَرقَرةٌ هَدْرَ الدِّيافيِّ وسط الهَجْمة البُحُر [1]

وهذا البيت في قصيدة له. وجمع بحيرة : بحائر وبُحر. وجمع وصيلة : وصائل ووُصل. وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسُيَّب، وجمع حام الأكثر : حوَّم.

---

(١) يصف في هذا البيت حمار وحش يقول : فيه من الأخرج، وهو : الظليم الذي فيه بياض وسواد، أي : فيه منه قَرْقَرَةٌ أي صوت وهدر مثل هدر الدِّيافي أي : الفحل المنسوب إلى دياف بلد بالشام، والهجمة من الإبل : دون المائة، وجعلها بُحراً لأنها تأمن من الغارات، ويصفها بالمنعة والحماية، كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر. ورأيت في شعر ابن مقبل : من الأخرج المرياع بالياء أخت الواو، وفسره في الشرح من راع يريع إذا أسرع الإجابة. كما قال طرفة : * تريع إلى صوت المهيب وتتقي *. يصف ناقته. والنفس إلى الرواية الأولى أسكن.

وحكي عن ابن قتيبة أنه قال : في البُحُر : هي الغزيرات اللبن لاجمع بحيرة، كأنها : جمع بُحُور عنده، فَظَنُّ هذا يُذهب المعنى الذي ذكرناه من أمنها ومنعتها ؛ إذ ليس هذا المعنى في الغزيرات اللبن، لكنه أظهر في العربية ؛ لأن بَحيرة : وفعيلة لا تجمع على فُعَل إلا أن تشبه بسفينة وسفن، وخريدة وخُرُد، وهو قليل. وقبل البيت في وصف روض :

بعازب النبت يرتاح الفؤاد له رأد النهاد لأصوات من النُّغَر

وبعد البيت الواقع في السيرة :

والأزرق الأخضر السربال منتصب قيد العصا فوق ذيَّال من الزَّهَر

يعني بالأزرق : ذباب الروض، وكذلك النضر. وقوله في البيت الآخر : حول الوصائل: جمع صائل، ويُقال في جمعها أيضاً : صُولَل، ومثله : عائط وعوطط على غير قياس. (عن الروض الأنف).

عود إلى النسب

نسب خزاعة : قال ابن إسحاق : وخُزاعة تقول : نحن بنو عَمرو ابن عامر من اليمن.

قال ابن هشام : وتقول خُزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث، وخِنْدف أمنا، فيما حدثني أبو عُبَيْدة وغيره من أهل العلم. ويقال : خزاعة : بنو حارثة بن عمرو بن عامر. وإنّما سُميت خزاعة، لأنهم تخزَّعوا[1] من ولد عمرو بن عامر[2] حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمرِّ الظَّهْران، فأقاموا بها. قال عَوْف بن أيوب الأنصاري أحد بني عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة من الخزرج في الإسلام :

فلما هبطنا بطنَ مَرٍّ[3] تخزَّعت ... خُزاعةُ منا في خيول كَراكِرِ[4]

حمت كلَّ وادٍ من تهامة واحتمتْ ... بِصُمِّ القَنَا والمرْهفاتِ البواتِر

وهذان البيتان في قصيدة له.

وقال أبو المطهَّر إسماعيلُ بنُ رافع الأنصاري، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عَمرو بن مالك بن الأوس :

---

(١) تخزعوا، تأخروا وانقطعوا. وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن عامر إلى آخر النسب.

(٢) عَمرو يقال له : مُزَيْقياء. واما عامر فهو : ماء السماء، سمي بذلك لجوده وقيامه عندهم مقام الغيث. وحارثة : ابن امرئ القيس بن ثعلبة وهو الغطريف.

(٣) يريد : مر الظهران، وسُمي : مراً لأن فيه عرقاً من الوادي من غير لون الأرض شبه « الميم » الممدودة، وبعدها « راء » خلقت كذلك، ويذكر عن كثير أنه قال : سميت مراً لمرارتها.

(٤) الخيول الكَراكِر : المجتمعة.

فلما هبطنا بطنَ مكةَ أحمدَتْ ... خُزاعةُ دار الآكل المتحامل

فحلَّت أكاريسا، وشنَّت قنابلا ... على كلِّ حيٍّ بين نجدٍ وساحلِ

نَفَوْا جُرهما عن بطنِ مكةَ، واحتبَوْا ... بِعزٍّ خُزاعيٍّ شديدِ الكواهلِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له ــ وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جرهما في موضعه.

أولاد مدركة وخزيمة : قال ابن إسحاق : فولد مُدرِكة بن إلياس رجلين : خُزيمة بن مُدركة، وهُذَيل بن مُدركة، وأمهما : امرأة من قُضاعة. فولد خُزَيمة بن مدركة أربعة نفر : كِنانة بن خُزَيمة، وأسد بن خُزَيمة، وأسَدَة بن خُزَيمة، والْهُون بن خُزيمة. فأم كنانة عُوانة بنت سعد ابن قيس عَيْلان بن مضر.

قال ابن هشام : ويقال : الْهَوْن بن خزيمة.

أولاد كنانة وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد كنانة بن خُزيمة أربعة نفر : النضر بن كنانة، ومالك بن كنانة، وعبد مناة بن كِنانة، ومِلْكان بن كنانة[1]. فأم النضر : بَرَّة بنت مُر بن أدّ بن طابخة بن إلياس ابن مضر، وسائر بنيه لامرأة أخرى.

قال ابن هشام : أم النضر ومالك ومِلْكان : بَرَّة بنت مر، وأم عبد مناة: هالة بنت سُوَيد بن الغِطْريف من أزد شَنوءة. وشَنوءَة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأسْد بن الغوْث : وإنما سُموا شنوءة، لشنآن كان بينهم. والشنآن : البغض.

---

(١) وذكر بني كنانة الأربعة : مالكا وملكان والنضر وعبد مناة. وزاد الطبري في ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغَنْما وسعداً وعوفاً وجرول والحُدال وغَزْوان كلهم بنو كنانة.

من يطلق عليه لقب قرشي : قال ابن هشام : النضر[1] : قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي؛ قال جرير بن عطية أحد بني كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زَيد مناة ابن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمُّ التي ولدتْ قريشاً بمُقْرِفة النَّجارِ ولا عقيم[2]
وما قَرْمٌ بأنجبِ من أبيكم وما خالٌ بأكرمِ من تميم[3]

يعني بَرَّةَ بنتَ مُرٍّ، أخت تميم بن مر، أم النضر. وهذان البيتان في قصيدة له.

لماذا سُميت قريش باسمها : ويقال فِهر بن مالك : قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي، وإنما سُميت قريش قريشاً من التقرش. والتقرش : التجارة والاكتساب. قال رُؤبة بن العجَّاج :

قد كان يغنيهم عن الشغُّوشِ والخَشْلِ من تساقُطِ القروش
شَحمٌ ومحضٌ ليس بالمغشوشِ

قال ابن هشام : والشغُّوش، قمح يسمى : الشَّغوش. والخشل : رءوس الخلاخيل والأسورة ونحوه[4]. والقروش : التجارة والاكتساب، يقول : قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض، والمحض : اللبن الحليب الخالص.

---

(١) وذكر النضر بن كنانة، وقول من قال إنه : قريش، والقول الآخر في أن فهراً هو : قريش، وقد قيل : إن فهراً لقب، واسمه الذي سمي به : قريش.
(٢) المقرفة : اللئيمة. والنجار : الأصل.
(٣) القَرم هنا : السيد من الرجال.
(٤) ويقال الخشل : حمل شجر الدوم. والقروش : ما تساقط من حتاته وتقشر منه.

وهذه الأبيات في أرجوزة له. وقال أبو جِلْدة اليشكريُّ، ويشْكُر : بن بكر بن وائل :

إخوةٌ قرَّشوا الذنــوبَ عَلَيْنَــا في حديثٍ من عُمرِنا وقديـمِ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق : ويقال : إنما سُميت قريش قريشاً : لتجمعها من بعد تفرقها.

ويقال للتجمع : التقرش[١].

أولاد النضر وأمهاتهم : فولد النضرُ بن كنانة رجلين : مالكَ بنَ النضر، ويَخْلد بن النضر، فأم مالك : عاتكة بنت عَـدْوان بـن عمرو بن قيس بن عَيْلان، ولا أدري أهي أم يَخْلُد أم لا.

قال ابن هشام : والصَّلْت بن النضر ــ فيما قال أبو عمرو المدني ــ وأمهم جميعا : بنت سعد بن ظَرِب العَدْواني، وعَدْوان : بن عمر بن قيس بن عيلان. قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ــ وهو كُثَيِّر عزة أحد بني مُلَيْح بن عَمرو، من خزاعة :

أليس أبي بالصَّلْت أَمْ ليس إخوتي لكلِّ هِجانٍ من بني النضرِ أزهرَا[٢]
رأيت ثيابَ العَصْبِ مختلط السَّدَى بنا وبهم والحَضْرَمِيَّ المخصَّرا[٣]

---

(١) انظر ما قيل في قريش مفصلا في الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ من صفحة ١١٥ ــ ١١٧.

(٢) الهجان : الكريم. والأزهر : المشهور.

(٣) والعَصْب : برود اليمن، لأنها تصبغ بالعصب، ولا ينبت العصب ولا الورس إلا باليمن، وكذلك اللبان. قاله أبو حنيفة الدينوري. يريد : إن قدودنا من قدودهم، فسدَى أثوابنا، مختلط بسدى أثوابهم. والحضرمي : النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين كما يقال : رجل مُبَطَّن، أي : ضامر البطن، وجاء في صفة نعل النبي ــ ﷺ ــ أنها كانت معقبة مخصرة مُلسَّنة مُخَثْرَمة .. معقبة لها عقب. ومخصرة : قُطع خصراها، =

فإن لم تكونوا من بني النضرِ، فاتركوا أراكاً بأذنابِ الفوائج أخضرَا[1]

قال : وهذه الأبيات في قصيدة له.

والذين يُعْزَوْنَ إلى الصَّلْتِ بن النضر من خزاعة : بنو مُلَيْح بن عَمرو رهط كُثَيِّر عزة.

أولاد مالك وفهر وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد مالكُ بن النضر : فِهْر بن مالك. وأمه : جَنْدلة بنتُ الحارث بن مُضاض الجرهمي.

قال ابن هشام : وليس بابن مُضاض الأكبر.

قال ابن إسحاق : فولدَ فهرُ بن مالك أربعة نفر : غالبَ بن فهر، ومُحاربَ بن فهر، والحارث بن فهر، وأسَد بن فهر، وأمُّهم : ليلى بنت سعد بن هُذَيل بن مدركة.

قال ابن هشام : وجَنْدلة بنت فهر، وهي أم يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم. وأمها: ليلى بنت سعد. قال جَرِير بن عطية ابن الخَطَفى. واسم الخَطَفى : حذيفة بن بدر بن سَلَمَه بن عوف بن كُلَيْب بن يربوع بن حنظلة :

وإذا غَضبتُ رمَى ورائي بالحَصَى أبناءُ جَنْدلةٍ كخيرِ الجنـــدَلِ

وهذا البيت في قصيدة له.

أولاد غالب وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد غالبُ بنُ فِهر

= حتى صارا مستدقين، وملسنة : دقيقة على شكل اللسان. والمخثرمة التي لها خثرمة، وهو كالتحدير في مقدمها. وكانت نعله ــ عليه السلام ــ من سبْت، ولا يكون السبت إلا من جلد بقر مدبوغ.

(١) الفوائج : رؤوس الأودية.

رجلين : لؤيَّ بن غالب وتيْمَ بنَ غالب، وأمهما : سَلْمى بنت عمرو الخزاعي ــ وتيْم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدْرَم[1].

قال ابن هشام : وقَيْس بن غالب، وأمه : سَلْمى بنت كعب بن عَمرو الخُزاعي، وهي أم لُؤَيّ وتَيْم ابنيْ غالب.

أولاد لؤيّ وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد لُؤيُّ بنُ غالب أربعة نفر : كعبَ بنَ لؤيّ، وعامر بنَ لؤيّ، وسامةَ بنَ لؤيّ، وعوف بن لؤيّ، فأم كعب وعامر وسامة : مَاوية[2] بنتُ كَعْب بن القَيْن بن جَسْر، من قُضاعة.

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لُؤيّ، وهم : جُشم بن الحارث، في هِزَّان من ربيعة. قال جرير :

---

(١) الأدرم : المدفون الكعبيْن من اللحم يقال : امرأة درماء وكعب أدرم. قال الراجز :

قامت تريه خشية أن تُصْرما ... ساقاً بَخَنْداة وكعباً أدْرما
وكَفَلا مثل النقا أو أعظَما

والأدرم أيضاً : المنقوض الذقن، وكان تيم بن غالب كذلك، فسُمِّي : الأدرم، قاله الزبير. وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة، وهم من قريش الظواهر، لا من قريش البطاح ــ هم قبائل عبد مناف، وقريش الظواهر : النازلون بظهر مكة ــ وكذلك بنو محارب من فهر، وبنو مِعِيص بن عامر. وفي البيت : ساقاً بخنداة أي : عظيمة تامة. والنقا : كثيب من الرمل.

(٢) وذكر بني لؤي، فقال : أم عامر : ماوية بنت كعب بن القَيْن. سميت بالماوية، وهي : المرآة، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها، وقلبت همزة الماء واوا، وكان القياس أن تقلب هاء فيقال : ماهية، ولكن شبهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء أو واو ، لما كان حكم الهاء أن لا تهمز في هذا الموضع فلما شبهت بحروف المد واللين، فهمزوها لذلك، اطرد فيها ذلك الشبه، ويحتمل اسم المرأة أن يكون من أويته، إذا ضممته إليك، يقال : أويت مثل : ضممت.

وخالفه ابن هشام في أم عامر فقال : مَخْشِيَّة بنت شيبان بن محارب بن فهر، وماوية : أم سائر بنيه غير عامر.

بني جُشَمٍ لستم لِهِزَّان، فانتَمَوْا لأعلى الروابي من لُؤيٍّ بنِ غالب
ولا تُنكحوا في آلِ ضَوْر نساءَكم ولا في شُكَيْس بئسَ مثوى الغرائب[1]

وسعد بن لُؤيّ، وهم بُنانة : في شَيْبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب ابن علي بن بكر بن وائل، من ربيعة.

وبنانة : حاضنة لهم من بني القَيْن بن جَسر بن شَيْع الله، ويقال : سَيْع الله، ابن الأسْد بن وَبَرة بن ثعلبة بن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة. ويقال : بنت النَّمِر بن قاسط، من ربيعة. ويقال: بنت جَرْم بن رَبَّان بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

وخزيمة بن لؤيّ بن غالب، وهم عائذة في شَيْبان بن ثعلبة، وعائذة امرأة من اليمن وهي أم بني عبيدة بن خُزيمة بن لؤي[2].

وأم بني لؤيّ كلهم ــ إلا عامر بن لؤيّ : ماوَيَّة بنت كعب بن القَيْن ابن جَسْر. وأم عامر بن لؤيّ : مخْشِيَّة بنت شَيْبان بن محارب بن فِهْر، ويقال : ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر.

(١) يقال إنهم أعطوا جريراً على هذا الشعر ألف عير ربى، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش.

(٢) وذكر خزيمة بن لؤي، وأنهم انتسبوا في شيبان، ويعرفون بأمهم عائذة، قال : وعائذة من اليمن وقال غيره : هي بنت الخِمْس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا، فهم بنو خزيمة عائذة ومن بني خزيمة أيضا : بنو حرب بن خزيمة، قتلتهم المسَوِّدة في قريتهم بالشام، وهو يحسبونهم بني حرب بن أمية.

أمر سامة بن لؤيّ

هروبه من أخيه وموته : قال ابن إسحاق : فأما سامة[1] بن لؤيّ فخرج إلى عُمَان، وكان بها. ويزعُمون أن عامر بن لؤي أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شيء، ففقأ سامةُ عينَ عامر، فأخافه عامرٌ، فخرج إلى عُمَان. فيزعُمون أن سامَة بن لؤيّ بينا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حيةٌ بمشفرِها، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقِّها ثم نهشت سامةَ فقتلته. فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعُمون :

عينِ فابكي لسامةَ بنِ لؤيٍّ   عَلِقت ساقَ سامـةِ العلّاقـهْ
لا أرى مثلَ سامة بن لؤيّ   يومَ حُلُّوا به قتيلا لناقهْ
بلِّغا عامراً وكعباً رسولا   أنَّ نفسي إليهما مشتاقهْ[2]
إن تكنْ في عُمان داري، فإني   غالبيٌّ، خرجت من غير فاقهْ
رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا ابنَ لؤيٍّ   حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهرَاقهْ
رُمْتَ دفعَ الحُتوفِ يا ابنَ لُؤَيٍّ   ما لِمَنْ رام ذاك بالحتف طاقهْ

---

(١) وذكر حديث سامة بن لؤي حين قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ أحد بنيه، فانتسب له إلى سامة : فقال له عليه السلام : آلشاعر، لأنه مردود على ما قبله، كأنه مقتضب من كلام المخاطب، وإن كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده، ولكن العامل مقدر بعد الألف. ومن بني سامة هذا : محمد بن عرْعَرَة بن اليزيد شيخ البخاري، وبنو سامة بن لؤي : زعم بعض النساب أنهم أدعياء، وأن سامة لم يعقب، وقال الزبير : ولد سامةُ : غالباً والنبيت والحارث. انظر الحديث في الصفحة القادمة.

(٢) بلّغا عامراً وكعباً رسولا : يجوز أن يكون « رسولا » مفعولا : ببلغا إذا جعلت الرسول بمعنى : الرسالة، كما قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحتُ عندهم   بليلى، ولا أرسلتهم برسول

أي : برسالة، وإنما سموا الرسالة : رسولا إذا كانت كتابا، أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم. واختصار القول فيه : أن ليس كل مُرسل رسولا، فالرياح مرسلَات، والحاصب مرسل، وكذلك كل عذاب أرسله الله، وإنما الرسول اسم للمبلغ عن المرسل.

وخَرُوسَ السُّرى تركْتَ رَديّاً بعدَ جِدٍّ وجِدَّةٍ ورشاقهْ[1]

قال ابن هشام : وبلغني أن بعضَ ولده أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فانتسب إلى سامة بن لؤيّ، فقال رسول الله ﷺ : آلشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا ابن لؤيٍّ حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهْراقهْ

قال : أجل.

أمر عوف بن لُؤَيّ ونقلته

سبب انتمائه إلى غطفان : **قال ابن إسحاق** : وأما عوف بن لؤيّ فإنه خرج ـ فيما يزعمون ـ في ركب من قريش، حتى إذا كان بأرض غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان، أُبْطِئَ به فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبةُ بن سَعْد، وهو أخوه في نسب بني ذُبيان ـ ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان. وعوف بن سعد بن ذُبيان ابن بغيض بن رَيْث بن غطفان ـ فحبسه وزوَّجه والتاطه[2] وآخاه، فشاع نسبه في بني ذُبيان. وثعلبة ـ فيما يزعمون ـ الذي يقول لعوف حين أُبْطِئَ به، فتركه قومه :

---

(١) قوله : وخَرُوسِ السُّرى تركت ردياً. إن خفضت فمعناه : رب خروس السُّرى تركت، فتركت في موضع الصفة لخروس، وإن نصبت جعلتها مفعولا بتركت، ولم يكن في موضع صفة ؛ لأن الصفة لا تعمل في الموصوف، والسرى : في موضع خفض لخروس على المجاز كما تقول : نام ليلك. يريد : ناقة صموتا صبوراً على السُّرى، لا تضجر منه : فسراها كالأخرس، والردى التي سقطت من الإعياء.

(٢) التاطه : ألصقه به وألحقه بنسبه.

احبسْ عليَّ ابنَ لؤيّ جملَك   تركك القومُ ولا متركَ لك

مكانة مرة : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصَين، أن عمر بن الخطاب قال : لو كنت مُدَّعِياً حيّاً من العرب، أو مُلْحقهم بنا، لادعيتُ بني مُرة بن عوف، إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع، يعني : عوف بن لؤي.

نسب مُرة : قال ابن إسحاق : فهو في نسب غطفان : مُرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان وهم يقولون إذا ذُكر لهم هذا النسب : ما ننكره، وما نجحده، وإنه لأحبُّ النسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالم بن جَذِيمة بن يَرْبوع ــ **قال ابن هشام** : أحد بني مُرة بن عَوْف ــ حين هرب من النعمان بن المنذر، فلحق بقريش :

فما قومي بثعلبةَ بنِ سعدٍ   ولا بفَزارة الشُّعْر الرِّقَابَا

وقومي ــ إن سألتِ ــ بنو لؤيٍّ   بمكةَ علَّموا مُضَرَ الضِّرابَا

سفهنا باتِّباع بني بغيضٍ   وتَرْكِ الأقربين لنا انتسابَا

سفاهةَ مُخْلِفٍ لمَّا تروَّى   هَراقَ الماءَ، واتَّبعَ السَّرَابَا[1]

فلو طُوْوِعتَ ــ عَمْرَك ــ كنتَ فيهم   وما أُلفيتُ أنتجعُ السحابَا[2]

وخَشَّ رَوَاحةُ القرشي رَحْلي   بناجيةٍ ولم يطلبْ ثوابَا[3]

---

(١) سفاهة مُخْلف : وهو المستقي، وفيه مما لم يذكر :

لعمرك إنني لأحب كعباً   وسامة إخوتي حبي الشرابا

(٢) وما ألفيت أنتجع السحابا : أي : كانوا يغنونني بسببهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب، وارتياد المراعي في البلاد.

(٣) وخَشَّ رَوَاحة القرشي رحلي بناجية. أي : بناقة سريعة يقال : خش السهم بالريش، إذا راشه به، فأراد : راشني وأصلح رحلي بناجية، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك. =

قال ابن هشام، هذا ما أنشدني أبو عُبَيدة منها.

قال ابن إسحاق : فقال الحصين بن الحُمام المُرِّيّ، ثم أحد بني سهم ابن مُرة يرد على الحارث بن ظالم، وينتمي إلى غطفان :

ألا لستمُ منا، ولسنا إليكمُ   بَرئْنا إليكم من لؤيٍّ بنِ غالبِ
أقمنا على عِزِّ الحجازِ، وأنتمُ   بمُعْتَلج البطحاء بينَ الأخاشبِ[1]

يعني : قريشا، ثم ندم الحُصَيْن على ما قال، وعرف ما قال الحارث ابن ظالم، فانتمى إلى قريش، وأكذب نفسه، فقال :

نَدِمْتُ على قولٍ مضى كنت قلتُه   تبيَّنتُ فيه أنه قول كاذب
فليتَ لساني كان نصفين منهما   بكَيم، ونصفٌ عندَ مجرَى الكواكبِ
أبونا كنانيٌّ بمكةَ قبرُه   بمعتلِج البطحاءِ بينَ الأخاشبِ
لنا الرُّبعُ من بيتِ الحرامِ وِراثةً   وربعُ البطاحِ عندَ دارِ ابنِ حاطب[2]

أي أن بني لؤي كانوا أربعة : كعبا، وعامراً، وسامة، وعوفا.

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه قال لرجال من بني مُرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم، فارجعوا إليه.

أشراف مرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافاً في غطفَان،

= ورواحة هذا : هو رواحة بن منقذ بن معيص بن عامر كان قد ربع في الجاهلية ـــ كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً، وغنموا، أخذ الرئيس ربع الغنيمة ـــ.

(١) بمعتلج البطحاء : أي حيث تعتلج السيول، والاعتلاج عمل بقوة. والأخاشب : جبال مكة وقد يقال لكل جبل : أخشب.

(٢) قوله : لنا الرُّبع بضم الراء، يريد : أن بني لؤي كانوا أربعة : أحدهم : أبوهم، وهو عوف، وبنو لؤي هم : أهل الحرم، ولهم وراثة البيت.

هم سادتهم وقادتُهم. منهم : هَرِم بن سنان بن أبي حارثة، وخارجة[1] بن سنان بن أبي حارثة، والحارث بن عَوْف والحُصَيْن بن الحُمام، وهاشم ابن حرملة الذي يقول له القائل :

أحيـــا أبـــاء هاشمُ بنُ حرملـــهْ[2]
يوم الهبـــاءات ويـــوم اليَعْمَلـــهْ
ترى الملـــوكَ عنـــدَه مغربلـــهْ[3]
يقتـل ذا الـذنب، ومـن لا ذنبَ لهْ

قال ابن هشام : أنشدني أبو عُبَيدة هذه الأبيات لعامر الخَصَفِيِّ : خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان :

أحيـــا أبـــاه هاشمُ بنُ حرملـــهْ
يومَ الهبـــاءات ويـــومَ اليَعْملـــهْ
ترى الملـــوكَ عنـــدَه مُغربلـــهْ
يقتلُ ذا الذنبِ، ومن لا ذنب لهْ !!
ورمحُـــه للوالـــداتِ مُشْكِلَـــهْ

قال ابن هشام : وحدثنـي أن هاشما قال لعامر : قُلْ فيَّ بيتا جيداً

---

(١) خارجة بن سنان الذي تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساءها لبراعته ونجدته، ونجابة نسله.

(٢) هاشم بن حرملة هو : جد منظور بن زبان بن يسار الذي كانت بنته زجلة عند ابن الزبير، فهو جد منظور لأمه، واسمها : قَهْطِم بنت هاشم. كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين، وولدته بأضراسه، فسمي منظورا لطول انتظارهم إياه.

(٣) ترى الملوك حوله مُغَرْبلَة. قيل معناه : منتفخة، وذكروا أنه يقال : غربل القتيل إذا انتفخ، وهذا غير معروف وإن كان أبو عبيد قد ذكره في الغريب المصنّف، وأيضا : فإن الرواية بفتح الباء من مغربلة، وقال بعضهم : معناه : يتخير الملوك فيقتلهم، والذي أراه في ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءهم وتتبُّعهم. (عن الروض الأنف) من تحقيقنا.

أثْبك عليه، فقال عامر البيت الأول، فلم يعجب هاشماً، ثم قال الثاني، فلم يعجبه، ثم قال الثالث، فلم يعجبه، فلما قال الرابع :

يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنبَ له !!

أعجبـــــه، فأثابـــــه عليـــــــه.[1]

قال ابن هشام : وذلك الذي أراد الكُميْت بن زيد في قوله :

وهـاشم مُرَّة المُفنِـي ملوكــاً   بلا ذنب إليـــــه ومُذْنبينـــــا

وهذا البيت في قصيدة له. وقول عامر : يوم الهباءات، عن غير أبي عبيدة.

قال ابن إسحاق : قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها، فأقاموا على نسبهم، وفيهم كان البَسْل[2].

أمر البَسْل

تعريف البَسْل : والبَسْل ــ فيما يزعمون ــ نسيئُهم ثمانية أشهر حُرُم، لهم من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه، ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أي بلاد العرب شاءوا، لا يخافون

---

(١) إنما أعجب هاشما هذا البيت ؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع، وأنه لا يخاف حاكما يُعْدِي عليه ولا تِرَة من طالب ثأر. وهكذا كانت العرب في جاهليتهم.

(٢) البَسْل وهو الحرام، والبسل أيضا : الحلال، فهو من الأضداد ومنه : بسلة الراقي، أي ما يحل له أن يأخذه على الرقية، وبسل في الدعاء بمعنى : آمين : قال الراجز :

لا خاب مِن نفـــعك من رجـــاك   بسلا، وعـــــادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول في إثر الدعاء : آمين وبسلا، أي : استجابة.

منهم شيئاً، قال زهير بن أبي سلمى، يعني بني مرة.

نسب زهير بن أبي سلمى : قال ابن هشام : زهير أحد بني مُزَيْنة[1] بن أُد بن طابخة بن الياس بن مضر. ويقال : زُهَير بن أبي سُلْمى من غطفان، ويقال : حليف في غطفان.

تأمل، فإن تُقْوِ الْمَرْوْرَاة[2] منهم ودارتها لا تُقْويا منهم إذا نَخل
بلاد بها نادمتُهم وألِفْتُهم فإن تُقْويا منهم فإنهُم بَسْل

أي : حرام. يقول : ساروا في حرمهم.

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

أجارتُكم بَسْلٌ علينا مُحَرَّمٌ وجارتُنا حِلٌّ لكم وحليلُها

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له.

أولاد كعب وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد كعبُ بنُ لؤي ثلاثة نفر : مُرَّة بن كعب، وعديّ بن كعب، وهُصَيْص بن كعب. وأمُّهم : وَحْشِيَّةُ بنت شَيْبان بن محارب بن فِهر بن مالك بن النضر.

---

(١) وذكر زهيراً ونسبه إلى مزينة، وهم بنو عثمان بن عمرو بن الأُطُم بن أد بن طابخة. ومزينة : أمهم، وهي بنت كلب بن وبرة، وأختها : الحوأب بنت كلب التي يعرف بها ماء الحوأب ـــ وهو منزل بين البصرة ومكة، وهو الذي نزلته عائشة رضي الله عنها لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل ـــ المذكور في حديث عائشة.

(٢) فإن تُقْوِ الْمَرَوْراة منهم، البيت: وقع في بعض النسخ مرورات بتاء ممدودة، كأنه جمع مَرْوْر، وليس في الكلام مثل هذا البناء، وإنما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام، فهو فَعَلْعَلَة مثل صَمَحْمَحَة، والألف فيه مقلبة عن واو أصلية، وهذا قول سيبويه جعله مثل : شجرجاه. والمروراة اسم مكان كان فيه هذا اليوم.

أولاد مرة وأمهاتهم : فولد مرةُ بنُ كعب ثلاثة نفر : كلابَ بن مرة، وتَيْمَ بن مرة، وَيَقظَةَ[1] بن مرة.

فأم كلاب : هِندٌ بنتُ سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن فِهر بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة. وأم يقظة : البارقية، امرأة من بارق، من الأسْد من اليمن. ويقال : هي أم تَيْم. ويقال : تَيْم لهند بنتُ سرَير أم كلاب.

نسب بارق : قال ابن هشام : بارق[2] : بنو عَدِي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث، وهم في شَنُوءة. قال الكُمَيْت بن زيد[3] :

وأَزْد شَنوءة اندرءوا علينا ... بِجُمٍّ يحسبون لها قرونا[4]
فما قلنا لبارقَ : قد أسأتم ... وما قلنا لبارقَ : أَعْتِبونا

قال : وهذان البيتان في قصيدة له : وإنما سُموا ببارق ؛ لأنهم تبعوا البرْقَ.

ولدا كلاب وأمهما : قال ابن إسحاق : فولد كلابُ بنُ مرة رجلين : قُصَيَّ بن كلاب، وزُهْرةَ بن كلاب. وأمهما : فاطمةُ بنت سَعد ابن سَيَل أحد بني الجَدرَة[5]، من جُعْثُمَة الأزد، من اليمن، حلفاء في بني

---

(١) يقظة بن مرة بفتح القاف، وقد وجدته بسكون القاف في أشعار مدح بها خالد بن الوليد، فمنها قول الشاعر :

وأنت لمخزوم بن يقظة جُنة ... كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

وأم مخزوم بن يقظة جد بني مخزوم : كلبة بنت عامر بن لؤي.

(٢) بارق، وهم : بنو عدي من الأزْد، وقال : سُموا : ببارق ؛ لأنهم اتبعوا البرق، وقد قيل : إنهم نزلوا عند جبل يقال له : بارق، فسُموا به.

(٣) هو ابن زيد أبو المستهل من بني أسد.

(٤) أي : يناطحون بلا عُدَّة ولا قوة كالكباش الجم التي لا قرون لها، ويحسبون أن لهم قوة.

(٥) الجَدَرَة، وقال: هم بنو عامر بن خزيمة بن جُعْثُمة. انظر قصة « الجدرة » في الروض الأنف من تحقيقنا جـ١ ص ١٢٨.

الدِّيْل[1] بن بكر بن عبد مناف بن كنانة.

نسب جُعْثُمة : قال ابن هشام : ويقال : جعثمة الأسْد، وجعثمة الأزْد، وهو جُعْثُمة بن يَشْكُر بن مُبَشِّر بن صعب دُهْمان بن نصر بن زَهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغَوْث. ويقال : جُعْثُمة بن يشكر بن مُبَشِّر بن صَعْب بن نصر بن زَهْران ابن الأسْد بن الغَوْث.

وإنما سُموا الجَدَرَة ؛ لأن عامر بن عمرو بن جُعْثمة[2] تزوج بنت الحارث بن مضاض الجُرْهمي. وكانت جُرهم أصحاب الكعبة. فبنى للكعبة جداراً. فسمى عامر بذلك : الجادر. فقيل لولده : الجَدَرَة لذلك[3].

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخصاً واحداً من علمناه كسعدِ بن سَيَلْ

---

(١) قال السهيلي في الروض الأنف : وأما الدُّول، فالدُّول بن حنيفة، واسم حنيفة : أُثال بن لَجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهم رهط مسيلمة الكذاب، وفي ربيعة أيضاً، ثم في عمرة : الدُّول بن صباح، وفي الرِّباب : الدول بن حَلّ بن عدي بن عبد مناة بن أُد بن طابخة، وفي الأسْد : الدُّول بن سعد مناة بن غامد.

والذي تقيد عن ابن إسحاق في الدِّيل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة.

والدَّأل على وزن فعل من : دأل يدأل إذا مشى بعجلة، وأما الديل بغير همزة، فكأنه سُمي بالفعل من ديل.

(٢) في بعض النسخ زيادة خزيمة خطأ إنما هو : عمرو بن جعثمة.

(٣) يروى أن السيل ذات مرة دخل الكعبة، وصدع بنيانها، ففزعت لذلك قريش، وخافوا تهدادها إن جاء سيل آخر، وأن يذهب شرفهم ودينهم، فبنى عامر لها جداراً.

فارسا أضبطَ، فيه عُسْرةٌ وإذا ما واقف القِرْن نزلْ[1]
فارسا يستدرجُ الخيلَ كما اسـ ـتدرج الحرُّ القطاميُّ الحَجَلْ[2]

قال ابن إسحاق : قوله : كما استدرج الحر. عن بعض أهل العلم بالشعر.

نُعْم بنت كلاب وأمها وولداها : قال ابن هشام : ونُعْم بنت كلاب، وهي أم سعد وسعيد ابني سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ابن لؤيّ، وأمها : فاطمة بنت سعد بن سَيَل.

أولاد قُصي وأمهم : قال ابن إسحاق : فولدُ قُصيُّ بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبدَ مناف بن قصي، وعبدَ الدار بن قصي، وعبدَ العزى بن قصي، وعبدَ قصي بن قصي، وتَخْمُر بنت قصي، وبرة بنت قصي، وأمهم : حُبَّى بنت حُلَيْل بن حَبَشِيَّة[3] بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشِيَّة بن سلول.

أولاد عبد مناف وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد عبدُ مناف ــ واسمه : المغيرة بن قُصي ــ أربعةَ نفر : هاشمَ بن عبد مناف،

---

(١) الأضبط : الذي يعمل بكلتا يديه، وهو من صفة الأسد أيضا.
والعُسْرة : الشدة. والاسم منه : أعسر.
والقرن : الشديد في الحرب.
(٢) الحر القطامي : الصقر.
(٣) حُليل بن حُبْشية، والحبشية : نملة كبيرة سوداء، وأن قصيا تزوج حبى بنت حليل، فولدت له عبد مناف وإخوانه، وقال غيره : بل أم عبد مناف : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان.

وعبد شمس[1] بن عبد مناف، والمطلب بن عبد مناف، وأُمُّهم: عاتكة بنت مُرة بن هلال بن فالج بن ذَكْوان بن ثعلبة بن بُهْثة بن سُلَيْم بن منصور بن عِكرمة، ونَوفل بن عبد مناف، وأمه : واقدة بنت عمرو المازنية. مازن : ابن منصور بن عِكرمة.

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة.

قال ابن هشام : وأبو عمرو، وتُماضر، وقلابة، وحَيَّة، ورَيْطة، وأم الأَخْثَم، وأم سفيان : بنو عبد مناف.

فأُمُّ أبي عمرو : رَيْطة، امرأة من ثقيف، وأم سائر النساء : عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف، وأمها صفية بنت حَوْزة بن عمرو ابن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن. وأم صفية : بنت عائذ الله بن سعد العشيرة[2] بن مَذْحج.

أولاد هاشم وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر، وخمسَة نسوة : عبدَ المطلب بن هاشم، وأسدَ بن

---

(١) وكان تلوا لهاشم، ويقال : كانا توأمين، وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس، ولم يمكن نزعها إلا بسيلان دم، فكانوا يقولون سيكون بينهما دم، فكان بين ولديهما أي بين بني العباس وبين بني أمية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة، ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس، لأن هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسد أمية ابن أخيه...

(٢) وقال في أمهات بني عبد مناف : وأما صفية فأمها : بنت عبد الله بن سعد العشيرة ابن مَذْحِج، وهو وَهم، لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج إلا أقلها، فيستحيل أن يكون في عصرها ثـمَّ من هو ابن له لصلبه، ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام ورواه غيره : بنت عبد الله من سعد العشيرة، وهي رواية الغساني، وقد قيل فيه : عائذ الله، وهو أقرب إلى الصواب.

هاشم، وأبا صَيْفي بن هاشم، ونَضْلة بن هاشم، والشِّفاء، وخالدة، وضعيفة، ورُقَية، وحَيَّة. فأم عبد المطلب ورقية : سَلْمَى[1] بنت عمرو بن زيد بن لَبيد بن خداش بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار. واسم النجار : تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

وأمها : عَمِيرَة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار. وأم عَمِيرة: سلمى بنت عبد الأشْهل النجَّارية. وأم أسد : قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعي. وأم أبي صيفي وَحَيَّة : هندٌ بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية. وأم نَضْلة والشفاء : امرأة من قضاعة. وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبي عديّ المازنية.

---

(١) وأمها : عُميرة بنت صخر المازنية، وابنها عمرو بن أُحَيْحة بن الجُلاح، وأخوه : معبد، ولدتهما لأحيحة بعد هاشم.

وذكر الدراقطني : أن الحارث بن حبش السلمي، كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لأمهم، وأنه رثى هاشما لهذه الأخوة، وهذا يقوي أن أمهم عاتكة السُّلمية.

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أولاد عبد المطلب وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرةَ نفر، وست نسوة : العباس، وحمزة وعبد الله، وأبا طالب ـــ واسمه: عبد مناف[1] ـــ والزبير[2]، والحارث، وحَجْلا[3]، والمقوِّم[4]، وضِرارا، وأبا لهب[5] ـــ واسمه عبد العُزَّى ـــ وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأُمَيْمة، وأرْوَى، وَبرَّة.

---

(١) وله يقول عبد المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمؤتم بعد أبيه فرد

مات أبوه وهو حلف المهد

(٢) الزبير، وهو أكبر أعمام النبي ـــ ﷺ ـــ وهو الذي كان يُرقِص النبي ـــ ﷺ ـــ وهو طفل ويقول :

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم

في دولة ومغنم دام سجيس الأزلم

وبنته : ضباعة كانت تحت المقدام. وعبدالله ابنه : مذكور في الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ وكان الزبير ـــ رضي الله عنه ـــ يكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر، وكان من أظرف فتيان قريش، وبه سمى رسول الله ـــ ﷺ ـــ ابنه الطاهر. وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات فقال : بأي عقوبة كان موته ؟ فقيل: مات حتف أنفه، فقال : وإن، فلا بد من يوم ينصف الله فيه المظلومين، ففي هذا دليل على إقراره بالبعث.

(٣) جحلاً : بتقديم الجيم على الحاء، هكذا رواية الكتاب. وقال الدارقطني : هو حَجْل بتقديم الحاء. وقال : جحل بتقديم الجيم هو : الحكم بن جحل. والجحل : السقاء الضخم. والجحل : الحرباء. وذكر ابن دريد أن اسم جحل : مُصعب. وقال غيره : كان اسمه : مُغيرة، وجحل : لقب له. وقال أبو حنيفة الدينوري : كل شيء ضخم فهو : جحل، وجحل : هو الغَيْداق، والغيداق : ولد الضب.

(٤) المقوم لم يعقب إلا بنتا اسمها : هند.

(٥) واسمه : عبد العُزَّى، وكني : أبا لهب لإشراق وجهه وكان تَقْدِمة من الله ـــ تعالى ـــ لما صار إليه من اللهب. وأمه : لُبنى بنت هاجِر بكسر الجيم من بني ضاطرة بضاد منقوطة. واللبنى في اللغة : شيء يتميع من بعض الشجر.

فأمُّ العباس وضرار : نُتَيْلةُ بنت جَناب بن كُليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر ــ وهو الضَّحْيان ــ بن سعد بن الخزرج بن تَيْم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال : أفصى بن دُعْمِيٍّ بن جديلة.

وأم حمزة والمقوَّم وحَجْل ــ وكان يلقب بالغَيْداق لكثرة خيره، وسعة ماله ــ وصفية : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ.

وأم عبدِ الله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية : فاطمةُ بنت عَمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر.

وأمها : صخرةُ بنت عَبْد بن عِمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر.

وأم صخرة : تَخْمر بنت عبد بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر.

وأم الحارث بن عبد المطلب : سمراء بنت جُنْدب بن جُحَيْر بن رِئاب بن حبيب بن سُوَاءَة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة.

وأم أبي لهب : لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حُبْشِيَّة ابن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

أم رسول الله ﷺ وأمهاتها : قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بن عبد المطلب : رسولَ الله ــ ﷺ ــ سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله.

وأمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة[1] بن كلاب بن مُرة ابن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر.

وأمها : بَرَّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر.

وأم برة : أم حبيب بنت أسَد بن عبد العُزى بن قُصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم أم حبيب : بَرَّة[2] بنت عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيْج بن عَدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام : فرسول الله ـ ﷺ ـ أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قِبل أبيه وأمه ـ ﷺ[3].

---

(١) في المعارف لابن قتيبة : أن زُهرة اسم امرأة عرف بها بنو زُهرة، وهذا منكر غير معروف، وإنما هو اسم جدهم. ـ كما قال ابن إسحاق : والزهرة في اللغة : إشراق في اللون، أيِّ لون كان من بياض أو غيره. وزعم بعضهم أن الأزهر هو الأبيض خاصة، وأن الزهر اسم للأبيض من النوار، وخطأ أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات من قال بهذا القول، وقال : إنما الزهرة إشراق في الألوان كلها. وزهرة هو : ابن كلاب.

(٢) ذكر في آخر أمهاته ـ ﷺ ـ برة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدي وهن كلهن قرشيات ؛ ولذلك وقف في بَرَّة، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة، وأم أمها، وأم أم الأم، ولكنهن من غير قريش، قال محمد بن حبيب النسابة : وأم برة : قِلاية بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هُذيل، وأم قلابة : أميمة بنت كهف الظلم من ثقيف، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى : أبا قلابة، وأنه أقدم شعراء هُذَيل.

(٣) فهو ﷺ خيار من خيار من خيار.

حديث مولد رسول الله ﷺ

احتفار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : وكان من حديث رسول الله ــ ﷺ ــ ما حدثنا به زياد بن عبد الله البَكَّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي : بينما عبد المطلب بن هاشم نائم في الحِجْر، إذ أُتي ؛ فأُمر بحفر زمزم، وهي دَفْن بين صَنَمَيْ قريش : إسَاف ونائلة، عند منحر قريش. وكانت جُرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة، وهي : بئر إسماعيل بن إبراهيم ــ عليهما السلام ــ التي سقاه الله حين ظمئ وهو صغير، فالتمست له أمه ماءً فلم تجدْه، فقامت إلى الصفا تدعو الله، وتستغيثه لإسماعيل، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك. وبعث الله تعالى جبريلَ عليه السلام، فهمز له بِعَقِبه[1] في الأرض، فظهر الماء، وسمعت أُمُّه أصَواتَ السباع فخافتها عليه، فجاءت تشتد نحوه، فوجدته يفحص بيدِه عن الماء من تحت خده ويشرب، فجعلته حِسْياً[2].

---

(١) ومن هنا كانت زمزم تسمى : هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاي، ويقال فيها أيضاً : هزمة جبريل، لأنها هَزْمَة ــ النقرة، وهزمت البئر : حفرتها ــ في الأرض، وحكي في اسمها : زُمَازِمُ وزَمْزم : حكي ذلك عن المُطرز، وتسمى أيضاً : طعام طُعْم، وشِفاء سُقْم. وقال الجُرْبِي : سميت زمزم، بزمزمة الماء، وهي صوته، وقال المسعودي : سميت زمزم ؛ لأن الفُرس كانت تحج إليها في الزمن الأول، فزمزمت عليها. والزمزمة : صوت يخرجه الفُرس من خياشيمها عند شرب الماء : وقد كتب عمر ــ رضي الله عنه ــ إلى عماله : أن انهوا الفرس عن الزمزمة، وأنشد المسعودي :

زمزمت الفُرْس على زمزم وذاك في سالفها الأقدم

وذكر البرقي عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ أنها سميت : زمزم لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع.

(٢) الحسي : الحفيرة الصغيرة، أو هو ما يختفي في الرمل، فإذا نبش ظهر.

أمر جُرْهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل : قال ابن هشام : وكان من حديث جُرْهُم، ودفنها زمزم، وخروجها من مكة، ومن ولي أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبدُ المطلب زمزم، ما حدثنا به زيادُ بن عبد الله البَكّائي عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال : لما توفي إسماعيل بن إبراهيم وَلِيَ البيتَ بعده ابنُه نابت بن إسماعيل ـــ ما شاء الله أن يليَه ـــ ثم ولي البيت بعده : مُضاض بن عَمرو الجَرْهمي.

قال ابن هشام : ويقال : مِضاض بن عمرو الجرْهمي.

بغي جرهم وقطوراء : قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل وبنو نابت مع جدِّهم : مُضَاض بن عمرو وأخوالهم من جُرْهم[1]، وجرهم وقَطُوراء[2] يومئذ أهل مكة، وهما ابنا عَمٍّ، وكانا ظَعنا من اليمن، فأقبلا سيَّارةً، وعلى جُرْهم : مُضَاض بن عمرو، وعلى قطوراء : السَّمَيْدع[3]

---

(١) هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ويقال : جرهم بن عابر، وقد قيل : إنه كان مع نوح ـــ عليه السلام ـــ في السفينة، ذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية. وقيل إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقاً، وهو ابن أربع عشرة سنة.

(٢) هو قطوراء : بن كَرْكر.

(٣) هو السميدع بن هوثر ـــ بثاء مثلثة ـــ قيدها البكري ـــ ابن لاي بن قطورا بن كركر بن عِملاق، ويقال : إن الزّبّاء الملكة كانت من ذريته، وهي بنت عمرو بن أُذَيْنة بن ظَرِب ابن حسان، وبين حسان وبين السميدع آباء كثيرة، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه، لبعد زمن الزباء من السميدع.

رجل منهم. وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم مَلك يقيم أمرهم. فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به. فنزل مُضاض[1] بن عمرو بمن معه من جرهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعَان[2]، فما حاز. ونزل السَّمَيْدع بقطوراء، أسفل مكة بأجياد[3]، فما حاز: فكان مُضاض يعشِّر من دخل مكة من أعلاها، وكان السَّمَيدع يعشِّر من دخل مكة من أسفلها، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه. ثم إن جُرهم وقطوراء بغى بعضُهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مُضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السَّمَيدع فصار بعضهم إلى بعض، فخرج مُضاض بن عمرو بن قُعَيْقعان في كتيبته سائرا إلى السَّمَيدع، ومع كتيبته عدتها من الرماح والدَّرَق والسيوف والجعاب، ويُقَعقع بذلك معه، فيقال: ما سمي قُعَيقعان: بقعيقعان إلا لذلك. وخرج السَّميدع من أجياد، ومعه الخيل والرجال، فيقال: ما سمي أَجْياد: إلا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمَيدع منه فالتقوْا بفاضح، واقتتلوا قتالا شديداً، فقُتل السَّمَيْدع، وفُضحت قطوراء: فيقال

---

(١) هو الحارث بن مضاض الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ ابن بنت جرهم.

(٢) قعيقعان: سمي بهذا الاسم حين نزل تُبع مكة، ونحر عندها وأطعم، ووضع أسلحة جنده بهذا المكان، فسمي: قعيقعان لقعقعة السلاح فيه.

(٣) أجياد: لم يسم بأجياد من أجل جياد الخيل، لأن جياد الخيل لا يقال فيها: أجياد، وإنما أجياد: جمع جيد.

وذكر أصحاب الأخبار أن مُضاضا ضرب في ذلك أجياد مائة رجل من العمالقة، فسمي الموضع: بأجياد، وهكذا ذكر ابن هشام، ومن شعب أجياد تخرج دابة الأرض التي تكلم الناس قبل يوم القيامة، كذلك روي عن صالح مولى التَّوأمة. عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـــ رضي الله عنهما.

ما سمي فاضح : فاضحا إلا لذاك. ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ : شِعْبا بأعلى مكة، واصطلحوا به، وأسلموا الأمر إلى مُضَاض. فلما جُمع إليه أمر مكة، فصار ملكهَا نحر للناس فأطعمهم، فاطَّبخ الناس وأكلوا، فيقال : ما سُميت المطابخ إلا لذلك. وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ، لما كان تُبع نحر بها، وأطعم، وكانت منزله. فكان الذي كان بين مُضاض والسَّميدع أول بَغْي كان بمكة فيما يزعمون.

انتشار ولد إسماعيل : ثم نشر اللهُ ولدَ إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة، لا ينازعهم ولدُ إسماعيل في ذلك لخئولتهم وقرابتهم، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال. فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم ــ بدينهم ــ فوطِئوهم.

بغي جرهم ونفيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جرهما : ثم إن جُرْهمًا بَغوا بمكة، واستحلوا خلالاً من الحرمة، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدَى لها[1]، فرقَّ أمرهم. فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كِنانة وغُبْشان من خُزاعة ذلك، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغُبْشان، فنفَوْهم من مكة. وكانت مكة في الجاهلية لا تُقر فيها ظلماً ولا بغياً، ولا يبغي فيها أحدٌ إلا أخرجته، فكانت تسمى : الناسَّة، ولا يريدها ملك يستحل حرمتَها إلا هلك مكانَه، فقال : إنها ما سميت ببكة إلا أنها كانت تبك[2] أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئاً.

معنى بكة : **قال ابن هشام** : أخبرني أبو عبيدة : أن بكَّة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يتباكون فيها، أي : يزدحمون، وأنشدني :

إذا الشَّريبُ أخذتْـه أكَّـه   فَخَلِّـه حتـى يَبُكَّ بكَّـه

(١) فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام، كان احتفر بئرا قريبة القَعْر عند باب الكعبة، كان يلقي فيها ما يهدى إليها، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة، فسقط عليه حجر من شَفير البئر فحبسه فيها. ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدي، سوداء المَتْن، بيضاء البطن، فكانت تهيب مَنْ دنا من بئر الكعبة، وقامت في البئر ــ فيما ذكروا ــ نحواً من خمسمائة عام.

(٢) أي تكسرهم وتقعدهم، وقيل : من التَّباك، وهو : الازدحام، ومكة من تمككت العظم، إذا اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكك الفصيل ما في ضرع الناقة، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم.

وقيل : لما كانت في بطن واد، فهي تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر وتنجذب إليها السيول. ومن أسماء مكة أيضاً : الرأس، وصلاح، وأم رحم، وكُوثي.

أي : فدعه حتى يبك إبلَه، أي يخليها إلى الماء، فتزدحم عليه، وهو موضع البيت والمسجد، وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زَيد مَناة بن تميم.

قال ابن إسحاق : فخرج عَمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن، فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جُرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديداً فقال عَمرو بن الحارث بن مُضاض في ذلك(١)، وليس بمُضاض الأكبر :

وقائلةٍ والدمعُ سكْبٌ مُبادرُ ... وقد شَرِقَتْ بالدمعِ منها المحاجرُ
كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُر بمكةَ سامرُ (٢)
فقلتُ لها والقلبُ مني كأنما ... يُلَجْلجه بين الجناحين طائرُ
بلى نحن كنا أهلَها، فأزالَنا ... صروفُ الليالي، والجدودُ العواثرُ
وكنا ولاةَ البيت من بعدِ نابتٍ ... نطوفُ بذاك البيتِ، والخيرُ ظاهرُ
ونحن ولينا البيتَ من بعد نابتٍ ... بعزٍّ، فما يحْظَى لدينا المكاثِرُ
مَلَكْنا فعزَّزْنا فأعْظِمْ بمُلكنا ... فليس لحيٍّ غيرنا ثَمَّ فاخِرُ
ألم تُنكحوا من خيرِ شخصٍ علمتُه ... فأبناؤُه منا، ونحنُ الأصاهرُ (٣)
فإن تَنْثنِ الدنيا علينا بحالِها ... فإن لها حالاً، وفيها التشاجُرُ
فأخرجنا منها المليكُ بقُدرةٍ ... كذلك - يا لَلناس - تجري المقادِرُ

---

(١) وكان الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ ابن بنت جرهم الجرهمي قد نزل بقنوني من أرض الحجاز، فضلت له إبل، فبغاها حتى أتى الحرم، فأراد دخوله، ليأخذ إبله، فنادى عمرو بن لحي : من وجد جرهميا، فلم يقتله، قطعت يده. فسمع بذلك الحارث، وأشرف على جبل من جبال مكة، فرأى إبله تنحر، ويتوزع لحمها، فانصرف بائساً خائفاً ذليلا، وأبعد في الأرض، وهي غربة الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل.

(٢) الحجون : بفتح الحاء كانت على فرسخ وثلث من مكة.

(٣) خير شخص : هو إسماعيل عليه السلام.

أقول إذا نام الخليُّ ــ ولم أَنَمْ : إذا العرش لا يبعد سُهيلٌ وعامرُ[1]
وبُدِّلت منها أوْجُهاً لا أحبُّها قبائلُ منها حِمْيَر ويُحابرُ
وصِرنا أحاديثاً وكنا بغبْطةٍ بذلك عضتنا السُّنون الغوابرُ
فسَحَّت دموعُ العينِ تبكي لبلدةٍ بها حَرمٌ أَمْنٌ، وفيها المشاعرُ[2]
وتبكي لبيت ليس يُؤذَى حَمامُه يظلُّ به أَمْنا، وفيه العصافرُ[3]
وفي وُحوشٌ ــ لا تُرامُ ــ أنيسةٌ إذا خرجَتْ منه، فليستْ تُغادرُ[4]

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق : وقال عَمرو بن الحارث أيضاً يذكر بكرا وغُبْشان وساكني مكة الذين خَلَفوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصْرَكم أن تُصْبحوا ذاتَ يوم لا تَسيرونا[5]
حُثوا المطيَّ، وأرخوا من أزمَّتِها قبلَ المماتِ، وقَضُّوا ما تقضُّونا
كنا أناساً كما كنتم، فغيرنا دهرٌ، فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام : هذا ما يصح له منها، وحدثني بعض أهل العلم

---

(١) عامر : جبل من جبال مكة، يدل على ذلك قول بلال رضي الله عنه
* وهل يبدُوَنَّ لي عامر وطفَيل *

(٢) المشاعر : أماكن التعبد في الحج.

(٣) أراد : العصافير، وحذف الياء ضرورة، ورفع العصافير على المعنى، أي : وتأمن فيه العصافير، وتظل به أمناً، أي : ذات أمن، ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل : ركب جمع : راكب.

(٤) وبعد هذا البيت :
ولم يتربع واسطاً وجَنُوبه إلى السر من وادي الأراكة حاضر
وأبدلني ربي بها دار غربة بها الجوع باد، والعدو المحاصر
والمراد بواسط هنا : الجبل الذي كان يجلس عنده المساكين، عند الذهاب إلى منى.

(٥) قصركم : نهايتكم.

بالشعر : أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب، وأنها وُجدت مكتوبة في حَجَرٍ باليمن[1]، ولم يُسم لي قائلها.

(١) ذكر السهيلي هذه الأبيات وقال : وألفيت في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبرا لهذه الأبيات، وأسنده أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفي عن عبد الله بن عبد السلام البصري، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التمار، قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال : وُجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْم وجَديس في قرية يقال لها : مُعْنِق، بينها وبين الحجر ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تبع، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوباً :

يأيهـــا المـــلك الـــذي ... بالمُـــلك ساعـــده زمانـــهْ
ما أنت أول من علا ... وعـــلا شئـــون النـــاس شانُـــه
أقصر علـــــيك مراقبـــا ... فالدهـــــر مخـــذول أمانُـــه
كم من أشَمَّ مُعَصب ... بالتـــاج مرهـــوب مكانُـــه
قد كان ساعـــــده الزمـــان ... وكـــان ذا خَفْض جنانُـــه
تجـــري الجـــداول حولـــه ... للجنـــد مُتْرَعـــة جِفانُـــه
قد فاجأتـــــه منيـــــةٌ ... لم يُنجـــه منهـــا اكتنانُـــه
وتفـــــرقت أجنـــــاده ... عنـــه، ونـــاح به قيانُـــه
والدهـــــر من يَعْلِـــقْ به ... يطحنْـــه، مُفتـــرشا جرانـــه
والنـــاس شتـــى في الهـــوى ... كالمـــرء مختلـــف بنانُـــه
والصدق أفضل شيمـــــة ... والمـــرء يقتلـــه لسانـــه
والصمت أسعـــــد للفتـــى ... ولقـــد يُشَرفـــه بيانُـــه

ووجد في الحجر الثاني مكتوباً أبيات :

كل عيش تَعِلـــــــةْ ... ليس للدهـــــر خَلـــــةْ
يوم بُؤسَى ونُعْمَـــــى ... واجتمـــــاع وقلـــــةْ
جنـــا العـــيش والتكاثـــرَ ... جهـــــلٌ وضلَّـــــةْ
بينمـــا المـــرءُ ناعـــمٌ ... في قصورٍ مُظِلَّـــــةْ
في ظلال ونعمـــــة ... ساحبـــا ذيـــلَ حُلـــةْ
لا يرى الشمس مِلـــــغضا ... رة إذا زل زلـــــةْ
لم يُقلهـــا، وبَـــدَّلَتْ ... عِزة المـــرء ذلـــةْ
آفـــة العـــيش والنعيـــم ... كُرور الأهِلَّـــــةْ
وصْل يـــوم بليلـــة ... واعتـــراض بِعِلـــةْ =

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خُزاعة وَلِيَتْ البيتَ دون بني بكر ابن عبد مناة، وكان الذي يليه منهم : عمرو بن الحارث الغُبْشاني، وقريش إذ ذاك حُلول وصِرَم، وبيوتات، متفرقون في قومهم من بني كنانة، فوليت خُزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرهُم حُلَيْل بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عَمرو الخُزاعي.

قال ابن هشام : يقال حُبْشية بن سلول.

تزوج قُصّي بن كلاب حُبَّى بنت حليل

أولاد قُصّي وحُبَّى : **قال ابن إسحاق** : ثم إن قُصيّ بن كلاب خَطب إلى حُليل بن حُبْشية بنته حُبَّى، فرغب فيه حُليل فزوجه، فولدت له عبدَ الدار، وعبدَ مناف، وعبد العُزَّى، وعبداً. فلما انتشر ولد قُصيّ، وكثر مالُه، وعظم شرفه هلك حُلَيل.

= والمنايــــــــــــا جواثـم   كالصقـــــــور المدلـــــــــة
بالـــــذي تكـــــره النفـــــو   س عليهـــــا مُطلـــــــة

وفي الحجر الثالث مكتوبا :

يأيهـا النـاس سيـــروا إن قصدكـــم   أن تصبحـوا ذات يوم لا تسيرونـــا
حُثُّـوا الْمَطِيَّ، وأرخـوا من أزمتهـــا   قبـل الممـــات وقَضُّوا ما تقضونـــا
كنـا أنـــاساً كمـــا كنتـــم فغيرنـــا   دهـر فأنتـم كمـــا كنـــا تكونونـــا

للمزيد انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ١٣٩ ــ ١٤١.

مساعدة رزاح لقصي في تولي أمر البيت : فرأى قصي أنه أوْلَى بالكعبة وبأمر مكة من خُزاعة وبني بكر، وأن قُريشا قُرْعةُ[1] إسماعيل بن إبراهيم وصريحُ ولده. فكلم رجالا من قريش، وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه[2]. وكان ربيعة بن حرام من عُذْرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعدما هلك كلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيَل، وزُهْرة يومئذ رجل، وقُصى فطيم، فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصيا معها، وأقام زُهرة، فولدت لربيعة رِزاحاً. فلما بلغ

---

(١) هكذا بالقاف، وهي الرواية الصحيحة وفي بعض النسخ : فرعة بالفاء، والقُرْعة بالقاف هي، نخبة الشيء، وخياره، وقريع القبيلة : سيدها، ومنه اشتق الأقرع للأقرع بن حابس وغيره ممن سُمِّي من العرب بالأقرع.

(٢) لم يذكر من سبب انتقال ولاية البيت من خزاعة إلى قصي أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم، وذكر غيره أن حُلَيْلا كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حُبَّى، حين كبر وضعف، فكانت بيدها، وكان قصي ربما أخذها في بعض الأحيان، ففتح البيت للناس وأغلقه، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصي، فأبت خزاعة أن تُمضي ذلك لقصي، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة، وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم.

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَان من خزاعة، واسمه : سليم ـــ وكانت له ولاية الكعبة ـــ باع مفاتيح الكعبة من قصي بزِقٍّ خمر، فقيل : « أخسر من صفقة أبي غبشان » ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار وأجلوهم عن مكة، فعمدوا في الليل إلى الحجر الأسود، فاقتلعوه، واحتملوه على بعير فرزح البعير به، وسقط إلى الأرض، وجعلوه على آخر، فرزح أيضاً، وعلى ثالث ففعل مثل ذلك، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا، فلما أصبح أهل مكة، ولم يرَوْه، وقعوا في كرب عظيم، وكانت امرأة من خزاعة قد بَصُرت به حين دُفن، فأعلمت قومها بذلك، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخَلَّوْا لهم عن ولاية البيت، ويدلوهم على الحجر، ففعلوا ذلك، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غُبْشَان إلى عبد مناف، هذا معنى قول الزبير.

قُصي وصار رجلا أتى مكة [١]، فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه، رِزاح بن ربيعة، يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فخرج رِزاح بن ربيعة، ومعه : إخوته حُنٌّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة، فيمن تبعهم من قضاعة في حاجِّ العرب، وهم مجمعون لنصرة قُصيّ. وخزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال : أنت أولى بالكعبة، وبالقيام عليها، وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قُصيّ ما طلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلم أي ذلك كان.

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده : صُوفة [٢].

---

(١) كان قصيّ رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة، ولا يدعى إلا له، فلما كان غلاما يفعة أو حَزَوّراً « دون البلوغ » سابّه رجل من قضاعة، فعيره بالدعوة، وقال : لست منا، وإنما أنت فينا مُلْصق، فدخل على أمه وقد وجم لذلك فقالت له : يا بني صدق، إنك لست منهم، ولكن رهطك خير من رهطه، وآباؤك أشرف من آبائه، وإنما أنت قرشي، وأخوك وبنو عمك بمكة، وهم جيران بيت الله الحرام، فدخل في سيارة حتى أتى مكة، والمعروف أن اسمه : زيد، وإنما كان قصيا أي بعيداً عن بلده فسمي : قصيا.

(٢) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفات يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله. أو قام بشيء من خدمة البيت، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم : صوفة وصوفات. قال أبو عبيدة : لأنه بمنزلة الصوف، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ليسوا من قبيلة واحدة. =

وإنما وَلِيَ ذلك الغوثُ بن مُر، لأن أمه كانت امرأة من جُرهم، وكانت لا تلد، فنذرت لله إن هي ولدت رجلا : أن تَصَّدَّق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت، فكان يقوم على الكعبة الدهر الأول مع أخواله من جُرهم، فوَلِيَ الإجازة بالناس من عرفة ؛ لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولدُه من بعده حتى انقرضوا. فقال مُرُّ ابن أُدّ لوفاء نذر أمه :

إني جعلتُ ربِّ من بَنِيَّهْ　　ربيطةً بمكةَ العليَّهْ
فبارِكَنَّ لي بها أليَّه　　واجعلْه لي من صالح البريَّهْ

وكان الغوْثُ بن مُرّ ـــ فيما زعموا ـــ إذا دفع بالناس قال :

لَاهُمَّ إني تابعٌ تَبَاعهْ　　إن كان إثمٌ فعلى قُضَاعَهْ[1]

صوفة ورمي بالجمار : قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عبَّاد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :

كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجيز بهم إذا نَفَروا من منى فإذا

= وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : إنما سمي الغوث بن مرة : صوفة، لأنه كان لا يعيش لأمه ولد، فنذرت: لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة، ولتجعلنه ـــ ربيطاً للكعبة، ففعلت فقيل له : صوفة، ولولده من بعده، وهو الربيط. وحديث إبراهيم بن المنذر عن عمر بن عبد العزيز بن عمران، قال : أخبرني عقال بن شبة قال : قالت أم تميم بن مر ـــ وولدت نسوة ـــ فقالت : لله عليَّ لئن ولدت غلاماً لأعبِّدنَّه للبيت، فولدت الغوث، وهو أكبر ولد مر، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر، فمرت وقد سقط وذوى واسترخى فقالت : ما صار ابني إلا صوفة، فسُمي صوفة.

(١) سبب قوله : إن كان إثما فعلى قضاعة. إنما خص قضاعة بهذا ؛ لأن منهم محلين يستحلون الأشهر الحرم، كما كانت خثعم وطيِّئ تفعل، وكذلك كانت النسأة تقول إذا حرمت صفراً أو غيره من الأشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم : قد حرمت عليكم الدماء إلا دماء المُحِلِّين.

كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار، ورجل من صُوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي. فكان ذوو الحاجات المتعجِّلون يأتونه، فيقولون له : قم فارم حتى نرمي معك، فيقول لا والله، حتى تميل الشمس، فيظل ذوُو الحاجات الذين يحبون التعجلَ يرمونه بالحجارة، ويستعجلونه بذلك، ويقولون له : ويلك ! قمْ فارمِ ، فيأبَى عليهم، حتى إذا مالت الشمسُ، قام فرمى ورمى الناس معه.

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمْي الجمار، وأرادوا النَّفْر من مِنًى، أخذت صوفة بجانبي العقبة، فحبسوا الناسَ وقالوا : أجيزي صوفة، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا، فإذا نفرت صوفة ومضت، على سبيل الناس، فانطلقوا بعدَهم، فكانوا كذلك، حتى انقرضوا، فورِثهم ذلك من بعدهم بالقُعْدد[1] بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن شجْنَة.

نسب صفوان بن جُناب : **قال ابن هشام** : صفوان بن جُناب بن شِجْنَة بن عُطارد بن عَوْف بن كعب بن سعد بن زيد مُناة بن تميم.

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج : **قال ابن إسحاق** : وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعدِه، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام : كَرِب بن صفوان. وقال أوْس ابن تميم بن مِغراء السعديُّ :

لا يبرح الناسُ ما حجوا مُعَرَّفَهم   حتى يقال : أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت في قصيدة لأوس بن مِغْراء.

---

(١) أي بالقرابة، وذلك أن سعداً هو : ابن زيد مناة بن تميم بن مر.

ما كانت عليه عَدْوان من إفاضة المزدلفة

ذو الإصبع يذكر هذه الإفاضة : وأما قول ذي الإصْبـع[1] العَدْواني، واسمه حُرْثان بن عَمرو، وإنما سُمي ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها :

عذيـــرَ الحـــــي من عَدْوا ... نَ كانــــوا حَيَّــــةَ الأرض[2]
بغَــــى بعضُهــــم ظلمـــــاً ... فلـــم يُرْعِ علــــى بعضِ
ومنهـــــــم كانت السادا ... تُ والموفـــون بالقَـــرْضِ
ومنهـــم من يجيـــزُ النـــا ... سَ بالسُّنَّـــةِ والفَـــرضِ
ومنهـــم حَكَـــمٌ يقـــــ ... ـضي فلا يُنــــقَضُ ما يَقْضِي

أبو سيارة يفيض بالناس : وهذه الأبيات في قصيدة له ــ فلأن الإفاضة من المُزدلفَة كانت في عَدوان ــ فيما حدثني زياد بن عبد الله البكَّائي عن محمد بن إسحاق ــ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى

---

(١) ذو الإصبع هو : حُرثان بن عمرو، ويقال فيه : حُرثان بن الحارث بن مُحرِّث بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظَرِب، وظرب هو : والد عامر بن الظرب الذي كان حكم العرب. وكان قد خرف، حتى تفلت ذهنه، فكانت العصا تقرع له إذا تكلم في نادي قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم. وكذلك كان ذو الإصبع، كان حكماً في زمانه، وعمر ثلاثمائة سنة، ويسمى ذا الإصبع ؛ لأن حية نهشته في إصبعه.

(٢) يقال فلان حية الأرض، وحية الوادي ؛ إذا كان مهيباً يُذعر منه، كما قيل :

يا مُحْكم بن طفيل قد أتيح لكم ... لله در أبيكـم حيـــة الـــوادي

يعني بحية الوادي : خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وعذير الحي من عدوان. نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره، كأنه يقول : هاتوا عذيره، أي : من يعذره، فيكون العذير بمعنى : العاذر، ويكون أيضاً بمعنى : العذر مصدرا كالحديث ونحوه.

كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيَّارة، عُمَيْلة بن الأعزَل،[1] ففيه يقول شاعر من العرب :

نحن دفعنا عن أبي سيَّاره وعن مواليه بني فزارهْ
حتى إجاز سالما حِمارهْ مستقبِل القبلة يدعو جارَهْ

قال : وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له، فلذلك يقول : « سالما حماره »[2].

أمر عامر بن ظَرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر ابن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب : قال ابن إسحاق : وقوله : « حكم يقضي » يعني عامر بن ظَرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

(١) أبا سيَّارة : هو عُمَيْلة بن الأعزل في قول ابن إسحاق، وقال غيره : اسمه : العاصي. قال الخطابي : واسم الأعزل : خالد، ذكره الأصبهاني.

(٢) كانت له أتان عوراء، خطامها ليف، يقال : إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة. ويعني الراجز في قوله :

حتى يجيز سالما حماره

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لاهُمّ مالي في الحمار الأسود أصبحتُ بين العالمين أُحسد
فَقِ أبا سيارة المُحَسَّد من شر كلِّ حاسد إذا حسد

وأبو سيارة هذا هو الذي يقول في دعائه : اللهم بغض بين رعائنا، وحبب بين نسائنا، واجعل المال في سمحائنا، وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل، فيما ذكر أبو اليقظان، حكاه عنه حمزة بن الحسن الأصبهاني.

أما قوله : وعن مواليه بني فزارة يعني بمواليه : بني عمه، لأنه من عدوان، وفزارة : من قيس عيلان، وقوله : مستقبل القبلة يدعو جاره. أي : يدعو الله عز وجل، يقول : اللهم كن لنا جاراً مما نخافه، أي : مجيرا.

العدواني. وكانت العرب لا يكون بينها نائرة[1]، ولا عُضْلَة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رَضُوا بما قضى فيه، فاختصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه، في رجل خُنْثى، له ما للرجل، وله ما للمرأة، فقالوا : أتجعله رجلاً أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه. فقال : حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب ! فاستأخروا عنه ؛ فبات ليلته ساهراً يقلِّب أمره، وينظر في شأنه، لا يتوجه له منه وجه وكانت له جارية يقال لها : سُخَيْلة ترعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول : صبَّحت والله يا سُخَيل ! وإذا أراحت عليه، قال : مَسَّيْت والله يا سُخَيل ! وذلك أنها كانت تؤخر السَّرح حتى يسبقها بعض الناس، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سهره وقلقه، وقلة قراره على فراشه قالت : ما لك، لا أبا لك ! ما عراك في ليلتك هذه ! قال : ويلك ! دعيني، أمر ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه : عسى أن تأتيَ مما أنا فيه بفرج، فقال : ويحَكِ ! اختُصم إليَّ في ميراث خنثى، أأجعله رجلا أو امرأة ؟ فوالله ما أدري ما أصنع، وما يتوجَّه لي فيه وجه ؟ قال : فقالت : سبحان الله ! لا أبا لك ! أتبع القضاءَ المَبالَ، أقعدْه، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة ؛ فهي امرأة. قال : مسِّي سخيل بعدها أو صَبِّحي، فرَّجْتِها والله ! ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذي أشارت عليه به[2].

---

(١) النائرة : الكائنة الشنيعة بين القوم.

(٢) وذكر عامر بن الظرب وحكمه في الخنثى، وما أفتته به جاريته سُخَيْلة، وهو حكم معمول في الشرع، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات، وله أصل في الشريعة، قال الله سبحانه : ﴿ **وجاءوا على قميصه بدم كذب** ﴾ وجه الدلالة على كذب في الدم أن القميص المُدَمَّى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب، وكذلك قوله : ﴿ **إن كان قميصه قُدَّ من قُبل** ﴾ الآية، وقول النبي ـــ ﷺ ـــ في المولود : « إن جاءت به أورق جعداً جُمَاليّاً فهو =

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قُصي يتغلب على صوفة : قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دِينٌ في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم. فأتاهم قُصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة، فقال : لنحن أولى بهذا منكم، فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالا شديداً، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قُصي على ما كان بأيديهم من ذلك.

قصي يقاتل خزاعة وبني بكر : وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة. فلما انحازوا عنه باداهم، وأجمع لحربهم، وخرجت له خُزاعة وبنو بكر فالتَقَوْا، فاقتتلوا قتالا شديداً، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً، ثم إنهم تداعَوْا إلى الصلح، وإلى أن يحكِّموا بينهم رجلا من العرب ؛ فحكَّموا يَعْمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقضى بينهم بأن قُصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر : موضوع يَشْدخه تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة، ففيه الدية مؤدَّاة، وأن يُخلَّى بين قصي وبين الكعبة ومكة.

= للذي رُميت به » فالاستدلال بالأمارات أصل ينبني عليه كثير من الأحكام في الحدود والميراث، وغير ذلك. والحكم في الخنثى أن يعتبر الْمَبَالُ، ويعتبر بالحيض، فإن أشكل من كل وجه، حكم بأن يكون له في الميراث سهم امرأة ونصف، وفي الدية كذلك، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد. راجع بداية المجتهد لابن رشد بتحقيقنا.

فسُمي يعمر بن عوف يومئذ : الشدَّاخ[1] لِمَا شَدَخ من الدماء ووضع منها.

قصي يتولى أمر مكة : قال ابن إسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه في منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملَّكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه وذلك أنه كان يراه دِيناً في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومُرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام ؛ فهدم الله به ذلك كلَّه. فكان قُصي أول بني كعب بن لؤيّ أصاب مُلكا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرِّفادة، والندْوَة[2]، واللواء، فحاز شرف مكة كلَّه،

---

(١) يعمر الشداخ بن عوف : وأنه سمي بالشداخ لما شدخ من دماء خزاعة. ويعمر الشداخ هو جد بني دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم : عيسى بن يزيد ابن بكر بن دأب، وأبوه : يزيد. وحذيفة بن دأب، ودأب هو : ابن كرز بن أحمر من بني يعمر بن عوف الذي شدخ دماء خزاعة، أي : أبطلها، وأصل الشدخ : الكسر والفضخ، ومنه الغَرَّة الشادخة، شبهت بالضربة الواسعة. والشَّداخ بفتح الشين كما قال ابن هشام، والشُّدَّاخ بضمها إنما هو جمع، وجائز أن يسمى هو وبنوه : الشُّداخ. وأم يعمر الشداخ اسمها : السؤْم بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم.

(٢) الحجابة : أي مفاتيح البيت. والسقاية : سقاية الحجيج والرفادة ما يجمع من الطعام للحجيج. والندوة الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور، ولفظها مأخوذ من لفظ النديِّ والنادي والمنتدى : وهو مجلس القوم الذي يندون حوله، أي : يذهبون قريباً منه، ثم يرجعون إليه، والتندية في الخيل : أن تصرف عن الورد إلى المرعى قريباً، ثم تعاد إلى الشرب، وهو المندّى، وهذه الدار تصيرت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم، وذلك في زمن معاوية، فلامه معاوية في ذلك، وقال : أبِعْتَ مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى. والله : لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر، وقد بعتها بمائة ألف درهم، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله، فأينا المغبون ؟! ذكر خبر حكيم هذا : الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له.

أما اللواء : هو ما يجتمعون تحته في الحروب.

وقطع مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها ويزعم الناس أن قريشا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده وأعوانه[1] فسمته قريش : مُجَمِّعاً لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تُنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواءً لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقده لهم بعض ولده، وما تدَّرِع جارية إذا بلغت أن تَدَّرِع من قريش إلا في داره، يشق عليها فيها درعها ثم تَدَّرِعُه، ثم يُنطَلق بها إلى أهلها. فكان أمره في قومه من قريش في حياته، ومن بعد موته، كالدِّين المتبع لا يُعمل بغيره. واتخذ لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورَها .

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

قُصَيٌّ لعمري كان يُدعَى مُجمعاً ... به جمع اللهُ القبائـلَ من فِهْـر

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه، قال : سمعت السائب بن خَبَّاب صاحب المقصورة يُحدِّث، أنه سمع رجلا

---

(١) قال الواقدي : الأصح في هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصي : كيف نصنع في شجر الحرم ؟ فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك، فكان أحدهم يحوف بالبنيـان حول الشجرة، حين تكون في منزله. قال : فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حتى ابتنى دوراً بقعيقعان ؛ لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة وكذلك يروى عن عمر ــ رضي الله عنه ــ أنه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد العزى، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة، وذلك قبل أن يوسع المسجد، فقطعها عمر ــ رضي الله عنه ــ ووداها ببقرة، ومذهب مالك ــ رحمه الله ــ في ذلك : ألا دية في شجر الحرم. قال : ولم يبلغني في ذلك شيء. وقد أساء من فعل ذلك، وأما الشافعي ــ رحمه الله ــ فقال إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يغرسها الناس، ويستنبتونها، فلا فدية على من قطع شيئاً منها، وإن كان من غيرها، ففيه القيمة بالغة ما بلغت.

يُحدِّث عمرَ بن الخطاب ــ وهو خليفة ــ حديث قصي بن كلاب، وما جَمَع من أمر قومه وإخراجه خزاعة وبني بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة، فلم يردَّ ذلك عليه ولم يُنكره.

شعر رزاح بن ربيعة في هذه القصة : قال ابن إسحاق : فلما فرغ قُصيّ من حربه، انصرف أخوه رِزَاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه، وقال رِزاح في إجابته قُصيا :

لمَّـــا أتـــى من قصيٍّ رسول ... فقال الرسولُ : أجيبـوا الخليـلَا
نهضنـا إليـــه نقـودُ الجيـــادَ ... ونطرح عنَّـا المَلـولَ الثقيـلاَ
نسير بها الليـلَ حتـى الصباح ... ونكمـى النهـارَ ؛ لئـلا تزولا[1]
فهـــنَّ سراعٌ كَوِرْد القَطـــا ... يُجِبْـن بنـا من قُصيّ رسولَا
جمعنـا من السرِّ من أشمذَيْـن ... ومـن كلِّ حيٍّ جمعنـا قبيـلَا[2]
فيـا لك حُلْبـــة ما ليلـــة ... تزيد على الألف سَيْباً رَسيـلَا[3]
فلمـــا مررنَ علـــى عَسْجَـــرٍ ... وأسْهلـن من مُستنـاخ سبيـــلَا[4]
وجـاوزْنَ بالركـن من وَرِقـــانٍ ... وجـاوزن بالعَرْج حَيّاً حُلـولَا[5]
مرْن علـى الحَيْـل ما ذقنـــه ... وعالجـنَ من مَرٍّ ليـلاً طويـلَا[6]

---

(١) نكمي النهار، أي : نكمن ونستتر، والكَمِيُّ من الفرسان، الذي تَكَمَّى بالحديد. وقيل : الذي يكْمِي شجاعته، أي : يسترها، حتى يظهرها عند الوغى.

(٢) أشْمَذَيْن، وفي حاشية كتاب سفيان بن العاصي : الأشمذان : جبلان، ويقال اسم قبيلتين.

(٣) الحُلبة : الجماعة من الخيل. والسيب : المشي السريع. والرسيل : الذي فيه تمهل : أي تمشي سراعا ولكن في رفق كما تزحف الحية.

(٤) عسجر، هو : اسم موضع.

(٥) العرج : واد ناحية الطائف. وفيه جبل من أعظم الجبال : وذكروا أن فيه أوشالاً وعيوناً عذاباً، وكان سكانه : بنو أوس بن مزينة.

(٦) الحَيْل : هو الماء المستنقع في بطن واد، ووجدت في غير أصل الكتاب روايتين، إحداهما : مررن على الْحِلِّ والأخرى : مررن على الحِلْى، فأما الحل : فجمع حلة، وهي =

تَدنـــى من العُـــوذ أفلاءَهـــا إرادةَ أن يسترقْـــن الصهيـــلَا[1]
فلمـــا انتهينـــا إلـــى مكـــةَ أبحنـا الرجـالَ قبيـلًا قبيـلَا
نعاورُهـــم ثَمَّ حدَّ السيـــوفِ وفي كلِّ أوْبٍ خَلسْنا العقولَا
نُخَبِّزهـــم بصلابِ الـــنسو رِ خَبْزَ القويِّ العزيزِ الذليلا[2]
قتلنـــا خزاعـــةَ في دارِهـــا وبكـراً قتلنا وجيـلاً فجيـلَا
نفيناهـــمُ من بلادِ الملـــيك كمـا لا يَحِلُّون أرضاً سُهولا
فأصبح سبيُهـــم في الحديـــدِ ومن كلِّ حيٍّ شَفَيْنا الغليلا

شعر ثعلبة القضاعي في هذه القصة : وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيْم القُضاعي في ذلك من أمر قُصي حين دعاهم فأجابوه :

جلبنـا الخيـلَ مُضْمـرةً تَغالَـــى من الأعرافِ أعراف الجِناب[3]
إلى غَوْرَىْ تِهامـــةَ، فالتقينـــا من الفَيْفـــاءِ في قاعٍ يبـــابِ
فأمـا صوفـةُ الخنثَى، فخَلَّـــوْا منازلَهـــم محـــاذرَة الضِّرابِ
وقـام بنـــو علـــيٍّ إذ رأونـــا إلى الأسياف كالإبـل الطرابِ[4]

= بقلة شاكة. ذكره ابن دريد في الجمهرة. وأما الحلى، فيقال : إنه ثمر القُلْقُلان وهو نبت (عن الروض الأنف) بتحقيقنا ــ وانظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري.

(١) العُوذ : الفرس التي لها أولاد. والأفلاء : جمع فلو المهر العظيم.

(٢) نخَبِّزهم : أي نسوقهم سوقا شديداً.

(٣) تغالى : ترتفع في سيرها. والأعراف : الرمل المرتفع. والجِناب : بكسر الجيم، هو موضع من بلاد قضاعة.

(٤) بنو عليّ، وهم بنو كنانة، وإنما سموا ببني عليّ ؛ لأن عبد مناة بن كنانة كان ربيبا لعليٍّ ابن مازن من الأزْد جد سطيح الكاهن، فقيل لبني كنانة : بنو عليّ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بكر بن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خزاعة.

شعر قصي : وقال قصي :

أنا ابن العاصمين بني لؤيٍّ ... بمكةَ منزلي، وبها رَبيتُ
إلى البَطحاءِ قد علت معدٌّ ... ومَرْوتُها رضيتُ بها رضيتُ
فلستُ لغالبٍ إن لم تأثَّل ... بها أولادُ قَيْذر، والنبيتُ
رِزاحٌ ناصري، وبه أُسامي ... فلستُ أخافُ ضيْماً ما حَييتُ

فلما استقر رِزاح بن ربيعة في بلاده، نشره الله ونشر حُنّاً، فهما قبيلا عُذْرَة[1] اليوم. وقد كان بين رزاح بن ربيعة، حين قدم بلاده، وبين نَهْد ابن زيد وحَوْتَكة بن أَسْلُم[2]، وهما بطنان من قُضاعة شيء، فأخافهم حتى لحقوا باليمن، وأجْلَوْا من بلاد قُضاعة، فهم اليوم باليمن، فقال قُصي ابن كلاب، وكان يحب قُضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها، لما بينه وبين رزاح : من الرحم، ولبلائهم عنده إذا أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته، وكره ما صنع بهم رِزاح :

ألا من مُبْلغ عنى رِزاحاً ... فإني قد لَحيتك في اثنتين
لحيتُك في بني نَهْد بن زيد ... كما فرَّقْتَ بينهُمُ وبيْني
وحَوْتَكة بنُ أسلمَ إن قوما ... عَنَوْهم بالمَساءة قد عَنَوْني

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزُهير بن جَناب الكلبي.

---

(١) في قضاعة : عُذْرَتان : عذرة بن رُفَيْدة، وهم من بني كلب بن وبرة. وعُذرة بن سعد بن سُوَدِ بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وأسلُم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة : جد جميل بن عبد الله بن مَعْمَر صاحب بثينة، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن ظبيان، وهو الضّبيس بن حن.

(٢) وليس في العرب أسلُم بضم اللام إلا ثلاثة اثنان منهم في قضاعة، وهما : أسلُم بن الحاف هذا، وأسلُم بن تَدُول بن تَيْم اللات بن رُفَيْدَة بن ثوْر بن كلب، والثالث في عك : أسلُم ابن القياتة بن غابن بن الشاهد بن عك، وما عدا هؤلاء فأسلَم بفتح اللام، ذكره ابن حبيب في المؤتلف والمختلف.

قصي يفضل عبد الدار على سائر ولده : قال ابن إسحاق : فلما كبر قصي ورق عظمه، وكان عبد الدار بِكْرَه، وكان عبد مناف قد شَرُف في زمان أبيه، وذهب كل مذهَب، وعبد العزى. وعبد ـــ قال قصي لعبد الدار : أما والله يا بُنَيَّ لأُلحقنَّك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة، حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يُعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحد بمكة الا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك، ولا تقطع قريشٌ أمراً من أمورها إلا في دارك، فأعطاه دارَه دارَ الندوة، التي لا تُقضي قريش أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة.

الرِّفادة : وكانت الرِّفادة خَرْجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قُصي بن كلاب، فيصنع به طعاما للحاج، فيأكله من لم يكن له سعةٌ ولا زاد، وذلك أن قُصيا فرضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشـر قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإن الحاج ضَيْفُ الله وزوَّار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج، حتى يَصْدُروا عنكم، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خَرْجاً، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيام مِنًى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج.

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قُصَي بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبو إسحاق بن يسار، عن الحسن ابن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال : سمعته يقول

ذلك لرجل من بني عبد الدار يقال له : نُبَيْه بن وهب بن عامر بن عِكرمة ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.

قال الحسن : فجعل إليه قُصي كل ما كان بيده من أمر قومه، وكان قُصي لا يُخَالفَ، ولا يُردّ عليه شيء صنعه.

ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قُصي وحلف المطيبين

النزاع بين بني عبد الدار وبني أعمامهم : قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك، فأقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده. فاختطوا مكة رباعاً ـــ بعد الذي كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم، وفي غيرهم : من حلفائهم ويبيعونها . فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع، ثم إن بني عبد مناف ابن قصي: عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا، أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار، من الحجابة واللواء والسقاية والرِّفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يَرَوْن أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بني عبد الدار، يَرَوْن أن لا يُنزع منهم ما كان قُصي جعل إليهم.

فكان صاحب أمر بني عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسن بني عبد مناف.

وكان صاحب أمر بني عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

حلفاء بني عبد الدار وحلفاء بني أعمامهم : فكان بنو أسد بن عبد العُزَّى بن قصي وبنو زُهرة بن كلاب، وبنو تَيْم بن مُرة بن كعب، وبنو الحارث بن فِهر بن مالك بن النضر، مع بني عبد مناف.

وكان بنو مخزوم بن يَقَظَة بن مرة، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص ابن كعب، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب، وبنو عدي بن كعب، مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فِهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسْلم بعضهم بعضاً ما بَلَّ بحر صوفةً.

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا، فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف[1]، أخرجتها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القومُ أيديَهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسُمُّوا المطيَّبين.

وتعاقد بنو عبد الدار، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حِلفاً مؤكدا، على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلم بعضُهم بعضاً، فسُمُّوا الأحلاف.

---

(١) تنازع بني عبد مناف، وبني عبد الدار فيما كان قصي جعل إليهم، وذكر في ذلك حلف المطيبين، وسماهم، وذكر أن امرأة من نساء عبد مناف هي التي أخرجت لهم جَفْنة من طيب، فغمسوا أيديهم فيها، ولم يُسمِّ المرأة، وقد سماها الزبير في موضعين من كتابه، فقال : هي أم حكيم البيضاء بن عبد المطلب عمة رسول الله ــ ﷺ ــ وتوأمة أبيه، قال : وكان المطيبون يسمون : الدَّافَة جمع دائفة بتحفيف الفاء ؛ لأنهم دافوا الطيب ــ أي خلطوه ــ.

=

تقسيم القبائل في هذه الحرب : ثم سُوند بين القبائل، ولُزَّ[1] بعضُها ببعض فعُبِّيت بنو عبد مناف لبني سَهْم، وعُبِّيَت بنو أسد لبني عبد الدار، وعُبِّيَت زُهرة لبني جُمَح، وعُبيت بنو تَيْم لبني مخزوم، وعُبيت بنو الحارث بن فِهر لبني عدي بن كعب. ثم قالوا : لِتُفْن كل قبيلة من أسند إليها.

تصالح القبائل : فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوْا إلى الصلح، على أن يُعطوا بني عبد مناف السقاية والرِّفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناسُ عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام، فقال رسول الله ـ ﷺ : « ما كان من حِلفٍ في الجاهلية، فإن الإسلامَ لم يزدْه إلا شدةً ».

حلف الفُضول

سبب تسميته : **قال ابن إسحاق** : وأما حلف الفُضول[2] فحدثني زياد بن عبد الله البكَّائي عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدْعَان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسِنِّه، فكان

---

(١) سوند : من السناد، وهي المقابلة في الحرب بين كل فريق، وما يليه من عدوه، ومنه أُخذ سناد الشعر، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت، فيكون قبل حرف الروي حرف مدّ ولين، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الروي حرف لين، وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها. لُزَّ : شُدَّ.

(٢) ذكر ابن هشام الحلف الذي عقدته قريش بينها على نُصرة كل مظلوم بمكة قال : ويسمى =

حلفُهم عنده : بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزُهرة بن كلاب، وتَيْم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على مَن ظَلَمَهُ حتى تُردَّ عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفُضول.

= حلف الفضول، ولم يذكر سبب هذه التسمية، وذكرها ابن قتيبة ؛ فقال : كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف جُرْهم في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم، ومن تبعهم، أحدهم : الفضل بن فَضالة، والثاني : الفضل بن وَدَاعة، والثالث : فُضَيْل بن الحارثة. هذا قول القتبي. وقال الزبير : الفضيل بن شُراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة، فلما أشبه حلف قريش الآخر فِعْل هؤلاء الجرهميين سُمي : حلف الفضول، والفضول : جمع فَضْل، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم. وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن.

[سبب آخر] : ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى. روى الحُمَيْرِيُّ عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر، قالا : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدْعان حلفاً لو دُعيت به الإسلام لأجبت : تحالفوا أن تُرد الفضول على أهلها، وألا يَعُزَّ ظالم مظلوماً ». ورواه في مسند الحارث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي، فقد بين هذا الحديث : لم سُمي حلف الفضول. وكان حلف الفضول بعد الفِجَار، وذلك أن حرب الفجار ــ ولقد سمت قريش هذه الحرب فجاراً ؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فجرنا ــ كانت في شعبان، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة.

وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به، وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلا من زُبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف : عبد الدار ومخزوماً وجُمَح وسَهْماً وعَدِيّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل، فلما رأى الزبيدي الشر، أوفى على أبي قُبَيْس ــ جبل بمكة ــ عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فِهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومُحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا لَلرجال وبين الحِجر والحجَر
إن الحرام لمن تمَّت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الْغُدُرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم وزهرة =

حديث رسول الله ﷺ فيه : **قال ابن إسحاق :** فحدثني محمد ابن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ التَّيْمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عَوْف الزُّهري يقول : قال رسول الله ﷺ : « لقد شهدتُ في دار عبدِ الله ابنِ جُدْعان[1] حلفاً ؛ ما أُحِب أن لي به حُمْر النَّعَم، ولو أُدعَى به في الإسلام لأجبتُ ».

الحسين يهدد الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف : **قال ابن إسحاق :** وحدثني يزيدُ بن عبد الله بن أسامة بن الهادي اللَّيْثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ــ والوليد يومئذ أمير على المدينة، أمَّره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان ــ منازعة في مال كان بينهما بذي المرْوَة، فكان الوليدُ تحامل على الحسين في حقّه ــ لسلطانه ــ فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفني

= وتَيم بن مرة في دار ابن جُدعان، فصنع لهم طعاماً، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياما، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله : ليكونُن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدَّى إليه حقه ما بلَّ بحر صوفة، وما رسا حراء وثبير مكانهما، وعلى التأسي في المعاش، فسمت قريش ذلك الحلف ؛ حلف الفضول، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاصي بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

(١) وعبدالله بن جُدْعان هذا تيْمي هو : ابن جُدْعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تَيْم، يكنى : أبا زُهير ابن عم عائشة ــ رضي الله عنها ــ ولذلك قالت لرسول الله ــ ﷺ ــ : إن ابن جُدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم. قال ابن قتيبة : وكانت جفنه يأكل منها الراكب على البعير، وسقط فيها صبي، فغرق فيها ومدحه أمية بن أبي الصلت فقال :

له داع بمكــــة مُشْمَعِــــل ... وآخــر فوق كعبتهــا ينــادي
إلــى ردح من الشِّيــزَى عليهــا ... لُبــاب البــر يلــبك بالشهــاد

ومشمعل : بمعنى مبادر، والردح : بمعنى : الجفان العظيمة واحدها رادح. والشيزى : خشب يصنع منه الجفان.

من حقي، أو لآخذن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله ــ ﷺ ــ ثم لأدعونَّ بحلف الفُضول قال : فقال عبد الله بن الزبير، وهو عند الوليد حين قال الحسين ــ رضي الله عنه ــ ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنَّ سيفي، ثم لأقومن معه، حتى يُنصَف من حقه أو نموت جميعاً قال : فبلغت المسْوَر بن مخرمة بن نوفل الزهري، فقال مثلَ ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عُبَيد الله التَّيمي، فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رَضِيَ.

خروج بني عبد شمس وبني نوفل من الحلف : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث التَّيمي قال : قدم محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدي بن نَوْفل بن عبد مناف ــ وكان محمد بن جُبَيْر أعلم قريش ــ فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قُتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد، ألم نكن نحن وأنتم، يعني بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف في حلف الفُضول ؟ قال : أنت أعلم، قال عبد الملك : لتخبرني يا أبا سعيد بالحقِّ من ذلك، فقال : لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه، قال : صدقْتَ.

هاشم يتولى الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : فوليَ الرفادة والسقاية : هاشم بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفَّارا قلَّما يقيم بمكة، وكان مُقِلًّا ذا ولد، وكان هاشم مُوسراً فكان ــ فيما يزعمون ــ إذا حضر الحج، قام في قريش فقال : « يا معشر قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوارُ الله وحُجاج بيته، وهم ضَيْف الله، وأحق الضيف بالكرامة : ضيفُه، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامَهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها ؛

فإنه ــ والله ــ لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه » فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم، كل امرئ بقدر ما عنده، فيُصنع به للحجاج طعامٌ، حتى يَصْدُروا منها.

أفضال هاشم على قومه : وكان هاشم ــ فيما يزعمون ــ أولَ من سَنَّ الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وإنما كان اسمه : عَمراً، فما سُمي هاشماً إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه[1]، فقال شاعر من قريش أو من العرب[2] :

عَمْرو الذي هشم الثريدَ لقومِه   قوم بمكـة مُسنتيـن عجـاف
سُنَّت إليـه الرحلتـان كلاهمـا   سفرُ الشتـاء، ورحلةُ الإيـلاف

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز :

قوم بمكة مسنتين عجاف

(١) سمي هاشماً لهشمه الثريد لقومه، والمعروف في اللغة أن يقال : ثردت الخبز، فهو ثريد ومثرود، فلم يُسم : ثارداً وسمي هاشماً، وكان القياس ــ كما لا يسمى الثريد هشيماً، بل يقال فيه : ــ ثريد ومثرود ــ أن يقال في اسم الفاعل أيضا كذلك، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان. ذكر أصحاب الأخبار أن هاشماً كان يستعين على إطعام الحاج بقريش، فيرفدونه بأموالهم، ويعينونه، ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكلف قريشا أمر الرفادة، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمع كعكاً ودقيقاً، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشيماً، ودقه دقاً ثم صنع للحجاج طعاماً شبه الثريد، فبذلك سمي هاشما، لأن الكعك اليابس لا يثرد، وإنما يهشم هشماً.

(٢) هو ابن الزِّبَعْرى وسبب هذا المدح، وهو سهمي ــ أي من بني سعد بن سهم. لبني عبد مناف ــ فيما ذكره ابن إسحاق في رواية يونس ــ أنه كان قد هجا قصيا بشعر كتبه في أستار الكعبة، أوله :

ألهى قصياً عن المجد الأساطير   ومشية مثل ما تمشي الشقارير

فاستعدوا عليه بني سهم، فأسلموه إليهم، فضربوه وحلقوا شعره، وربطوه إلى صخرة بالحجون، فاستغاث قومه فلم يغيثوه، فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم، فأطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر، وبأشعار كثيرة.

المطلب يلي الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجراً، فوليَ السقاية والرِّفادة من بعده المطلبُ بن عبد مناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف في قومه وفضل، وكانت قريش إنما تسميه : الفَيْضَ ؛ لسماحته وفضله.

زواج هاشم بن عبد مناف : وكان هاشم بن عبد مناف قَدِم المدينة، فتزوج سَلْمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار[1]، وكانت قبله عند أُحَيْحة بن الجُلاح بن الحَرِيش[2].

قال ابن هشام : ويقال : الحريس بن جَحْجبيّ بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوْس، فولدت له عمرو بن أُحَيْحة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها، حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلا فارقته.

سبب تسمية عبد المطلب باسمه : فولدت لهاشم : عبد المطلب، فسمته شَيْبة، فتركه هاشم عندها حتى كان وَصيفاً[3] أو فَوْق ذلك، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضه، فيُلحقه ببلده وقومه فقالت له

---

(١) ومن أجل هذا النسب قال سيف بن ذي يزن أو ابنه معدي كرب بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وفد عليه في ركب من قريش : مرحباً بابن أختنا، لأن سلمى من الخزرج، وهم من اليمن من سبأ، وسيف من حمير بن سبأ.

(٢) قال الدارقطني عن الزبير بن أبي بكر : إن كل ما في الأنصار فهو : حريس بالسين غير معجمة إلا هذا.

(٣) الوصيف : الغلام دون المراهقة.

سَلْمى : لستُ بمرسلته معك، فقال لها المطلب : إني غير مُنصرف حتى أخرج به معي إن ابن أخي قد بلغ، وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ؛ نلي كثيراً من أمرهم ؛ وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال. وقال شَيْبة لعمه المطلب ـــ فيما يزعمون ـــ لست بمفارقها إلا أن تأذنَ لي، فأذنت له، ودفعته إليه، فاحتمله، فدخل به مكة مُرْدِفه معه على بعيره، فقالت قريش : عبد المطلب ابتاعه، فبها سُمي شَيْبة : عبد المطلب. فقال المطلب : ويحكم ! إنما هو ابن أخي هاشم، قَدِمْتُ به من المدينة.

وفاة المطلب : ثم هلك المطلب بِرَدْمان من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يبكيه :

قد ظمئَ الحجيجُ بعدَ المطلب   بعدَ الجفانِ والشراب المُنْثَغِبْ
ليت قريشا بعده على نَصَبْ

مطرود يبكي المطلب وبني عبد مناف : وقال مطرود بن كعب الخزاعي، يبكي المطلب وبني عبد مناف جميعاً حين أتاه نعي نَوْفل بن عبد مناف، وكان نوفل آخرهم هُلكا :

يا ليلة هَيَّجْتِ ليلاتي   إحدى لياليَّ القَسِيَّاتِ[1]
وما أقاسي من هموم، وما   عالجتُ من رُزْءِ المنيَّاتِ
إنما تذكرتُ أخي نوفلاً   ذكَّرني بالأوَّليَّاتِ
ذكرني بالأُزْرِ الحمر والـ   ـأردية الصُّفر القشيباتِ
أربعةٌ كلهمُ سيدٌ   أبناءُ ساداتٍ لساداتِ

---

(١) القسيات : فعيلات من القسوة : أي : لا لين عندهن، ولا رأفة فيهن، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسي، وهو الزائف، وقد قيل في الدرهم القسي : إنه أعجمي معرب، وقيل : هو من القساوة لأن الدرهم الطيب ألين من الزائف، والزائف أصلب منه. ونصب ليلة على التمييز.

مَيْتٌ بَرَدْمان ومَـيْتٌ بسلْـــ ـمــانَ ومَــيْتٌ بيــن غَزَّاتِ[1]
ومَيْتٌ أُسكـن لحـداً لدى الـ ـمَحْجـوب شَرْقــيّ البنيــاتِ[2]
أخلصهُـمُ عبـدُ منــافِ فهــم من لوم ِ من لامَ بمَنْجــــاة
إن المُغيـــــراتِ وأبناءَهـــــا من خيـــرِ أحيـــاءٍ وأمــواتِ[3]

اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا : وكان اسم عبد مناف : المغيرة، وكان أول بني عبد مناف هُلْكا : هاشم، بغزة من أرض الشام، ثم عبد شمس بمكة، ثم المطلب بَرَدْمان من أرض اليمن، ثم نوفلا بسَلمان من ناحية العراق.

شعر آخر لمطرود : فقيل لمطرود ــ فيما يزعمون ــ لقد قلت فأحسنت، ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن، فقال : أنظروني لياليَ، فمكث أياماً، ثم قال :

يا عين جُودي، وأذرِي الدمعَ وانهمري
وابكي على السرِّ من كعبِ المُغيراتِ
يا عين، واسْحَنْفري بالدمعِ واحتفلي
وابكـي خبيئـــةَ نفسي في الملمـــاتِ[4]

---

(١) ومَيْت بين غزات. هي : غزة، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة، فيقولون : غزات في غزة، ويقولون في بغداد : بغادين، كما قال بعض المحدثين :
شربنـــــا في بغاديـــــن علـــــى تلك الميادـيـــــن
(٢) البنيات يعني : البنية، وهي : الكعبة، وهو نحو مما تقدم في غزات.
(٣) المغيرات : بنو المغيرة، وهو عبد مناف، كما قالوا : المناذرة في المنذر، والأشعرون في بني أشعر بن أُدَد، كما قال علي بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير : آثر عَليَّ الحُمَيْدات والتُّوَيْتَات والأسامات، يعني : بني حُمَيْد، وبني تُوَيْت، وبني أسامة، وهم من بني أسد بن عبد العُزَّى.
(٤) اسحنفري : أديمي.

وابكـي علـى كلٍّ فيَّـاضٍ أخِـي ثقـة
ضَخْمِ الدَّسيعـة وهَّـاب الجَزيـلاتِ[1]

محضُ الضَّريبـةِ، عالـي الهـمِّ، مختلـقٌ
جَلْـدُ النَّجيـزةِ، ناءٍ بالعظيمـاتِ[2]

صعبُ البديهـةِ لا نِكْس ولا وَكِـلٍ
ماضي العزيمـة، متـلاف الكريمـاتِ[3]

صقـر توسط من كعب إذا نُسبـوا
بُحبوحـة المجـدِ والشُّم الرفيعـاتِ

ثم اندبـي الفيـضَ والفيـاضَ مُطَّلبـا
واستخرطـي بعـدَ فيْضاتٍ بجمَّاتِ[4]

أمسى برَدْمـان عنـا اليـومَ مغتربـاً
يا لهـفَ نفسي عليـه بيـنَ أمـوات

وابكي ــ لك الويلُ ــ إمَّا كنتِ باكيةً
لعبـدِ شمسٍ بشرْقـيٍّ الثنيَّـاتِ

وهـاشمٌ في ضريـحٍ وَسْط بَلْقَعَـةٍ
تَسْفـي الريـاح عليـه بيـن غزَّاتِ

---

(١) ضخم الدسيعة : كثير العطاء.

(٢) الضريبة : الطبيعة أي عظيم الخلق. ناء بالعظيمات. ليس قوله : ناء من النأي، فتكون الهمزة فيه عين الفعل، وإنما هو من ناء ينوء إذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل، كما هو في جاء عند الخليل، فإنه عنده مقلوب، ووزنه : فاعل، والياء التي بعد الهمزة هي : عين الفعل في جاء يجيء.

(٣) النكس : الدني.

(٤) استخرطي : استكثري.

ونَوْفـل كان دونَ القــومِ خالصتــي
أمسى بسَلمَـــان في رَمس بمَوْمـــاةِ[1]

لم ألقَ مثلَهـــمُ عُجمـــاً ولا عربـــاً
إذا استقـــلَّت بهـــم أُدمُ المطيـــات[2]

أمستْ ديارُهُـــم منهـــم معطَّلـــةً
وقـد يكونـــون زَيْنـــا في السَّريـــات[3]

أفناهـــمُ الدهـــرُ، أم كلَّتْ سيوفُهـــمُ
أم كلَّ من عاش أزوادُ المنيَّـــــات

أصبحتُ أَرْضَى من الأقوام بعدَهـــمُ
بَسْطَ الوجـــوهِ وإلقـــاءَ التحيـــاتِ

يا عين فابكـي أبـا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ
يَبْكينـــه حُسَّراً مثـــلَ البليَّـــاتِ[4]

---

(١) المَوْماة : القفر.
(٢) الأُدم : الإبل الكرام.
(٣) السريات : جمع سرية. الجماعة من الجيش.
(٤) الشجيّات : شدد ياء الشجي، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : ياء الشجي مخففة، وياء الخليّ مشددة، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي في قوله :

أيـــا ويـــح الشَّجـــيِّ من الخلـــيِّ ... وويـــح الدمـــع من إحـــدى بَلـــيّ

واحتج بقول يعقوب في ذلك، فقال له الطائي : ومن أفصح عندك : ابن الجرمُقانية يعقوب، أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول :

ويـــل الشجـــيِّ من الخلـــي فإنـــه ... وصب الفـــؤاد بشجـــوه مغمـــوم

وبيت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدؤلي، لأنه جاهلي محكّك، وأبو الأسود الدؤلي : أول من صنع النحو، فشعره قريب من التوليد، ولا يمتنع في القياس أيضا أن يقال : شَجيّ وشَجٍ، لأنه في معنى : حزن وحزين، وقد قيل : من شدد الياء، فهو فعيل بمعنى مفعول. والبليّات مفردها البلية : الناقة التي كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات، حتى تموت جوعا وعطشا، ويقولون : إنه يحشر راكبا عليها، ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلا، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث، وهم الأقل، ومنهم زهير =

يبكيـن أكـرمَ من يمشي علـــى قدمٍ
يُعْوِلْنَــه بدمـــوعٍ بعـــد عَبْـــرات
يبكيـن شخصاً طويـلَ البـاع ذا فَجَـرٍ
آبــى الهضيمـــة، فرَّاج الجليـــلاتِ[1]
يبكين عَمْرَو العُلا إذ حان مصرعُـه
سَمْـــح السَّجيـــةِ، بسَّام العشيـــاتِ[2]
يبكينـــه مُستكينـــاتٍ علـــى حَزنٍ
يا طولَ ذلك من حزنٍ وعَـــوْلاتِ
يبكيـــن لمـــا جلاهـــنَّ الزمـــانُ له
خُضْرَ الخـدودِ كأمثـــالِ الحَميـــاتِ[3]

= فإنه قال :

يؤخَّـر فيـوضع في كتـاب فيُدَّخَـــرْ ليـوم الحساب، أو يُعجــل فَيَنْقَــم

وقال الشاعر في البلية :

والبلايـــا رءوسهـــا في الولايـــا مانحـــات السَّمـــوم حُرَّ الخُـــدود

والولايا : هي البراذع، وكانوا يثقبون البرذعة، فيجعلونها في عنق البلية، وهي معقولة، حتى تموت، وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا :

لا تتركـــن أبـــاك يحشر مرة عَدْوا يخرُّ على اليدين ويَنـــكبُ

(١) الفجر : الجود، شُبه بانفجار الماء. ويروى ذا فَنَع، والفنع : كثرة المال، وقد قال أبو محجن الثقفي :

وقـد أجـود ومـا مالـي بذي فنـــع وأكتـم السر فيـــه ضَرْبـــةُ العنـــق

(٢) بَسَّام العشيات : يعني : أنه يضحك للأضياف، ويبسم عند لقائهم، كما قال الآخر، وهو حاتم الطائي :

أضاحك ضيفـي قبـل إنـزال رحلـــه ويَـخصِب عنـدي، والْمَحَـــلّ جديب

وما الخصب للأضياف أن يَكثُر القرى ولكنمـــا وجـــه الكريـــم خصيب

(٣) كأمثال الحميات. أي : محترقات الأكباد كالبقر أو الظباء التي حميت الماء وهي عاطشة فحمية بمعنى محمية. لكنها جاءت كذلك، لأنها أجريت مجرى الأسماء كالرمية والضحية والطريدة.

مُحتزمــات علــى أوساطهــن لمــا
جرَّ الزمانُ مِنَ احــداث المصيبــات
أبيت ليلي أُراعي النجمَ من ألــمٍ
أبكـي، وتبكـي معـي شَجْوي بُنَياتـي
ما في القُـروم لهـم عِدْلٌ ولا خَطَـرٌ
ولا لمــن تركــوا شَرْوَى بقيَّــاتِ
أبناؤُهــم خيــرُ أبنــاءٍ، وأنفُسهـــم
خيرُ النفـوسِ لدى جَهْـد الأليَّــاتِ
كم وهبــوا من طِمِـرٍّ سابــح أَرِنٍ
ومـــن طِمِــرَّةِ نَهْبٍ في طِمَــرَّاتِ[1]
ومـن سيـوفٍ من الهِنــديِّ مُخْــلَصَة
ومـن رمــاح كأشْطــانِ الركيــاتِ[2]
ومـن توابــع ممــا يُفضِلــون بهــا
عنــد المسائِــل من بذْل العطيَّــاتِ
فلـو حَسبْتُ وأحصى الحاسبون معي
لم أقضِ أفعالَهــم تلك الهنيَّـــاتِ
هم المدِلُّــون إمَّــا معشرٌ فخـــروا
عنـــدَ الفخـــارِ بأنسابٍ نَقِيَّـــاتِ
زَيْـنُ البيـوتِ التـي حَلُّـوا مساكنهــا
فأصبـــحت منهــمُ وَحْشاً خليَّـــاتِ
أقــول والعيــنُ لا ترقــا مدامعُهــا
لا يُبْعــد اللهُ أصحــابَ الرزيَّـــاتِ

---

(١) الطمرة : الفرس الخفيف السريع.
(٢) أشطان الركيات : حبال الآبار.

قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء. قال أبو خِرَاش الهُذَلي :

عَجَّف أضيافي جميلُ بنُ معمر بذي فَجَرٍ تأوى إليه الأراملُ

قال ابن إسحاق : أبو الشُّعث الشجيات : هاشم بن عبد مناف.

عبد المطلب يلي السقاية والرفادة : قال : ثم وَلِيَ عبدُ المطلب ابن هاشم السقاية والرِّفادة بعد عمه المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشَرُف في قومه شرفاً لم يبلغْه أحدٌ من آبائه، وأحبه قومُه وعَظُم خطره فيهم.

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

سبب حفر زمزم : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر إذ أُتي، فأُمر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق : وكان أول ما ابتُـدئ به عبد المطلب من حفرها، كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الله بن زُرَيْر الغَافِقِي : أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدِّث حديثَ زمزم حين أُمر عبد المطلب بحفرها، قال :

قال عبد المطلب : إني لنائم في الحِجْر إذا أتاني آتٍ فقال : احفر طيبة. قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال : احفر بَرَّة. قال : فقلت : وما بَرَّة ؟ قال : ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي

فنمت فيه، فجاءني فقال : احفر المضنونة. فقال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال : احفر زَمْزَمَ. قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمُّ،[1] تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفَرْث والدم، عند نُقْرة الغراب الأعْصم، عند قرية النمل[2].

---

(١) لا تنزف أبدا : وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين، أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الأسود، وذكر هذا الحديث الدارقطني. وقوله : ولا تُذم، فيه نظر، وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه، ولتضلع منه كل من يشربه، وقد ورد في الحديث أنه لا يتضلع منها منافق، فماؤها إذاً مذموم عندهم، وقد كان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق يذمها، ويسميها : أم جعلان، واحتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك، وجعل يفضلها على زمزم، ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله ــ عز وجل ــ وقلة حياء منه، وهو الذي يعلن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب ــ رضوان الله عليه ــ على المنبر، وإنما ذكرنا هذا، أنها قد ذمت، فقوله إذا : لا تذم، من قول العرب : بئر ذمة أي : قليلة الماء، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة : كما تقول : أجبنتُ الرجل : إذا وجدته جبانا، وأكذبته إذا وجدته كاذبا، وفي التنزيل : ﴿ **فإنهم لا يكذِّبونك** ﴾ وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة . وأنشد :

مُخَيِّسَةً خُزْراً كأن عيونها ذمام الرَّكايا أنكرتها المواتح

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله : ولا تذم ؛ لأنه نفي مطلق، وخبر صادق ــ والله أعلم ــ

والبيت في وصف إبل. والمخيسة. وهي المحبوسة التي لا تسرح. والخزر : ضيق في العيون. والركايا : الآبار. والمواتح : المستقون.

(٢) فسميت طيبة : لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل ــ عليهما السلام ــ وقيل له : احتفر برة، وهو اسم صادق عليها أيضا، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجار.

وقيل له : احفر المضنونة. وقال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلع منها منافق، وروى الدار قطني ما يقوي ذلك سنداً عن =

قريش تنازع عبد المطلب في زمزم : قال ابن إسحاق : فلما بين له شأنها، ودلَّ على موضعها، وعرف أنه قد صُدِّقَ، غدا بمعْوَله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها فلما بدا لعبد المطلب الطَّيُّ، كَبَّر.

التحاكم في بئر زمزم : فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا : يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقّاً فأشركنا معك فيها. قال : ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خُصصتُ به دونَكم، وأُعطيته من بينكم، فقالوا له : فأنصفنا، فإنا غيرُ تاركيك حتى

= النبي ﷺ : « من شرب من زمزم فليتضلع، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين، لا يستطيعون أن يتضلعوا منها » أو كما قال ﷺ : وفي تسميتها بالمضنونة رواية أخرى، رواها الزبير : أن عبد المطلب قيل له : احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك.

أما الفرث والدم، فإن ماءها طعام طُعم، وشفاء سُقْم، وهي لما شُربت له، وقد تقوَّت من مائها أبو ذر ـــ رضي الله عنه ـــ ثلاثين بين يوم وليلة، فسمن حتى تكسرت عكنه.

أما الغراب الأعصم، فقال العَتبي: الأعصم من الغربان الذي في جناحيه بياض فالغراب في التأويل : فاسق، وهو أسود، فدلت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشي بمعوله في أساس الكعبة يهدمها في آخر الزمان، فكان نقر الغراب في ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود في آخر الزمان بقبلة الرحمن، وسُقيا أهل الإيمان، وذلك عندما يُرفع القرآن، وتحيا عبادة الأوثان، وفي الصحيح عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ « ليخربنَّ الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » وفي الصحيح أيضاً من صفته : أنه « أفحج » وهذا أيضا ينظر إلى كون الغراب أعصم ؛ إذ الفحج تباعد في الرجلين، كما أن العَصَم اختلاف فيهما، والاختلاف : تباعد. راجع فتح الباري لابن حجر بتحقيقنا.

وأما قرية النمل ؛ ففيها من المشاكلة أيضاً، والمناسبة : أن زمزم هي عين مكة التي يردها الحجيج ـــ جمع حاج ـــ والعمَّار من كل جانب، فيحملون إليها البر والشعير، وغير ذلك وهي لا تحرث ولا تزرع كما قال سبحانه خبراً عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وارزقهم من الثمرات** ﴾ وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، وفي مكة قال الله سبحانه : ﴿ **وضرب الله مثلا قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان** ﴾.

نخاصمك فيها، قال : فاجملوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمْكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هُذَيْم، قال. نعم قال: وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال : والأرض إذ ذاك مفاوز. قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فَنِيَ ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمِئُوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقَوْا من معهم من قبائل قريش، فأبَوْا عليهم، وقالوا : إنَّا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم، وما يتخوَّف على نفسه وأصحابه، قال : ما تَرَوْن ؟ قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت، قال : فإنّي أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة ــ فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه ــ حتى يكون آخركم رجلا واحدا، فضَيْعَةُ رجل واحد أيسر من ضَيْعة رَكْب جميعا قالوا : نِعْم ما أمرت به فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءَنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا، لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحِلوا، فارتحَلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبَّر عبد المطلب وكبَّر أصحابه، ثم نزل فشرِب، وشرب أصحابه، واستَقَوْا حتى ملئوا أسقيَتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال : هلُمّ إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا. ثم قالوا : قد ــ والله ــ قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفَلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلَّوْا بينه وبينها.

قال ابن إسحاق : فهذا الذي بلغني من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمر بحفر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرَّوِيِّ غيرِ الكَدِرْ   يسقي حجيجَ الله في كل مَبَرْ[1]
ليس يُخافُ منه شيء ما عَمَر[2]

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلَّموا أني قد أمرت أن أحفر لكم زمزم، فقالوا : فهل بُيِّن لك أين هي ؟ قال : لا. قالوا: فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت ؛ فإن يك حقا من الله يُبيَّن لك، وإن يكن من الشيطان فلن يعودَ اليك. فرجع عبد المطلب الى مضجعه، فنام فيه، فأُتي فقيل له : احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندمْ، وهي تراث من أبيك الأعظم، لا تنزِف أبداً ولا تُذَم، تسقي الحجيجَ الأعظم، مثل نعام جافل لم يُقْسَم،[3] ينذر فيها ناذر لمنعم، تكون ميراثا وعَقْداً مُحْكَم ؛ ليست كبعضِ ما قد تعلم، وهي بين الفَرْثِ والدم.

---

(١) وذكر في غير رواية علي بن أبي طالب ــ رضوان الله عليه ــ ثم ادع بالماء الرويّ غير الكدر يقال : ماء رِوى بالكسر والقصر، ورَواء بالفتح والمد وفيه : يسقى حجيج الله في كل مَبَرْ، الحجيج : جمع حاج. وفي الجموع على وزن فعيل كثير كالعبيد والبقير والمعيز والأبيل، وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جمعاً له واحد من لفظه، يجري على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحده فحجيج واحده : حاج، وعبيد واحده : عبد.. إلى غير ذلك، فجائز أن يقال : إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة ؛ ولذلك لا يصغَّر على لفظه، كما تصغر أسماء الجموع. ومعنى مَبَر : هو مفعل من البر، يريد : في مناسك الحج ومواضع الطاعة، انظر الروض الأنف ــ بتحقيقنا جـ١ ص ١٧١.

(٢) وقوله : ليس يخاف منه شيء ما عمر. أي : ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذي، ولا يُخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هي بركة على كل حال.

(٣) وقوله : مثل نعام جافل لم يُقْسم. الجافل : من جفلت الغنم : إذا انقلعت بجملتها. ولم يُقَسَم أي : لم يُتوزع، ولم يتفرق.

قال ابن هشام : هذا الكلام، والكلام الذي قبله، من حديث عَليٍّ في حفر زمزم من قوله : « لا تنزف أبدا ولا تُذَم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً.

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك، قال : وأين هي ؟ قيل له عند قرية النمل، حيث ينقر الغرابُ غداً. والله أعلم أي ذلك كان.

عبد المطلب يحفر زمزم : فغدا عبد المطلب ومعه ابنهُ الحارث، وليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قريةَ النمل ووجد الغرابَ ينقر عندها بين الوثنين :إساف ونائلة، اللذيْن كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمِعْوَل وقام ليحفر حيث أُمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدَّه، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثَنَيْنا هذين اللَّذيْن ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عني حتى أحفر، فوالله لأمضينَّ لما أُمرت به، فلما عرفوا أنه غيرُ نازع خَلَّوا بينه وبين الحفر، وكفوا عنه، فلم يحفر إلا يسيرا. حتى بدا له الطي، فكبر وعَرِف أنه قد صُدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالَيْن من ذهب، وهما الغزالان اللَّذان دَفنت جُرْهم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافا قَلْعية وأدراعا فقالت له قريش : يا عبد المطلب، لنا معك في هذا شِرْك وحقّ، قال : لا، ولكن هَلُمّ إلى أمر نَصَفٍ بيني وبينكم، نضرب عليها بالقِداح، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحَيْن، ولي قِدْحَيْن ولكم قِدْحَيْن فمن خرج له قِدْحاه على شيء كان له، ومن تخلَّف قدحاه فلا شيء له قالوا : أنصَفْت، فجعل قِدْحين أصفرين للكَعبة، وقِدْحَيْن أسودين لعبد المطلب، وقِدْحَيْن أبيضين لقريش، ثم أَعطوا القداحَ صاحبَ القداحِ الذي يُضرب بها عند هُبل ــ وهُبل : صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وهو الذي يعني أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أَعْلِ هُبَل أي أظهرْ دينك ــ وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، فضرب صاحب

القداحِ القداحَ، فخرج الأصْفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان في الأسياف، والأدراع لعبد المطلب، وتخلف قدحا قريش. فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أول ذهب حُلِّيته الكعبة ـــ فيما يزعمون ـــ ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج.

ذكر بئار قبائل قريش

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة[1]، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكَّائي عن محمد بن إسحاق، قال :

عبد شمس يحفر الطَّوِي : حفر عبد شمس بن عبد مناف الطَّوِيَّ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند البيضاء، دار محمد بن يوسف.

هاشم يحفر بذَّر : وحفر هاشم بن عبد مناف بَذَّر[2]، وهي البئر

---

(١) وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئاراً بمكة. ذكروا أن قصيا كان يسقي الحجيج في حياض من أدم، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها : بئر ميمون الحضرمي، وكان ينبذ لهم الزبيب. ثم احتفر قصيٌّ العَجُول في دار أم هانئ بنت أبي طالب، وهي أول سقاية احتُفرت بمكة، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا، فقالوا :

نُروى على العَجُــول، ثم ننطلــق ... إن قُصيّــاً قد وفــى وقــد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياةَ قصي، وبعد موته، حتى كبر عبد مناف بن قصي، فسقط فيها رجل من بني جُعَيْل، فعطلوا العجول، واندفنت.

(٢) لفظ بَذَّر مأخوذ من التبذير، وهو التفريق، ولعل ماءها كان يخرج متفرقاً من غير مكان واحد.

التي عند المسْتَنْذَر، خَطْم الخَنْدمة على فم شِعْب أبي طالب، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنَّها بلاغا للناس.

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

سقى اللهُ أمواهاً عرفتُ مكانَها جُرَاباً ومَلْكوما وبَذَّرَ والغَمْرا

سَجْلَة والاختلاف فيمن حفرها : قال ابن إسحاق : وحفر سَجْلَة، وهي بئر المُطْعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف التي يَسْقون عليها اليوم. ويزعم بنو نوفل أن المُطْعِم ابتاعها من أسد بن هاشم، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم، فاستغنوا بها عن تلك الآبار[1].

أمية بن عبد شمس يحفر الحَفْر : وحفر أمية بن عبد شمس الحَفْر لنفسه.

بنو أسد تحفر سُقَيَّة : وحفرت بنو أسد بن عبد العزى : سُقَيَّة، وهي بئر بني أسد.[2].

بنو عبد الدار تحفر أم أحْرَاد : وحفرت بنو عبد الدار : أمَّ أحْرَاد[3].

---

(١) واحتفرت كل قبيلة بئرا، واحتفر قصي سجْلة، وقال حين حفرها :

أنـا قصي، وحفـرتُ سجْلـهْ تروي الحجيـج زُغْلـة فزُغْلـهْ

وقيل : بل حفرها هاشم، ووهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحـن وهبنـا لعـدي سجلـهْ تروي الحجيـج زغلـةً فزغلـهْ

وزغلة هنا : الجرعة.

(٢) وهذه البئر تسمى أيضا شفية بئر بني أسد، فقال فيها الحويرث بن أسد :

ماء شفيـة كمـاء المـزن ولـيس ماؤهـا بطـرق أجـن

(٣) وأما أم أحراد، فأحراد : جمع حِرْد، وهي قطعة من السنام، فكأنها سميت بهذا، لأنها تنبت الشحم، أو تُسَمِّن الإبل، أو نحو هذا والحُرْد : القطا الواردة للماء، فكأنها تردها =

بنو جمح تحفر السُّنْبُلة : وحفرت بنو جُمَح: السُّنْبُلة، وهي بئر خَلَف بن وَهْب.[1].

بنو سهم تحفر الغَمْر : وحفرت بنو سهم : الغَمْر، وهي بئر بني سَهْم.[2].

أصحاب رُم وخُم والحَفْر : وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب، وكلاب بن مُرة، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون، وهي رُمّ[3]، ورُمّ : بئر مرة بن كعب بن لؤيّ. وخُمّ،[4]

= القطا والطير، فيكون أحراد جمع : حُرْد بالضم على هذا. وقالت أُمية بنت عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد :

نحـن حفرنـا البحـر أم أحـراد   ليست كَبَـذَّر البـرور الجمـاد

فأجابتها ضرتها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه :

نحـن حفرنـا بذَّرْ   نسقـي الحجيـج الأكبـرْ
من مُقبـل ومُدبـر   وأم أحـراد شَرّ

(١) وأما سُنْبُلَة : بئر بني جمح، وهي بئر بني خلف بن وهب ــ فقال فيها شاعرهم :

نحـن حفرنـا للحجيـج سنبلـهْ   صوب سحـاب ذو الجلال أنزلـهْ
ثم تركناهـا برأس القُنْبُلَـهْ   تصب ماءً مثـل ماء المعبلـهْ
نحن سقينا الناس قبل المسئله

(٢) أما الغَمْر : بئر بني سهم، فقال فيها بعضهم :

نحـن حفرنـا الغمـر للحجيـج   تثـج ماء أيّمـا ثجيـج

(٣) رم بئر بني كلاب بن مرة فهي من رممت الشيء إذا أجمعته وأصلحته، ومنه الحديث : « كنا أهل ثُمة ورُمة »، ومنه : الرمان في قول سيبويه، لأنه عنده فعلان، وأما الأخفش فيقول فيه : فعال، فيجعل فيه النون أصلية، ويقول : إن سميت به رجلا صرفته. ومنه قول عبد شمس بن قصي :

حفـرت رُمًّـا، وحفـرت خَمـا   حتى ترى المجد بهـا قد تمَّـا

(٤) وأما خُم، وهي بئر مرة، فهي من خممت البيت إذا كنسته، ويقال : فلان مخموم القلب أي : نقيه، فكأنها سميت بذلك لنقائها.

وخُمّ: بئر بني كلاب بن مرة، والحَفْر. قال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤيّ :

قال ابن هشام : وهو أبو أبي جَهْم بن حُذَيفة :

وقِدْماً غَنَينا قبل ذلك حِقْبة ولا نستقي إلا بخَمٍّ أو الحَفْرِ

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له، وسأذكرها إن شاء الله في موضعها.

فضل زمزم على سائر المياه : قال ابن إسحاق : فعفَّت زمزم على المياه التي كانت قبلها يَسْقي عليها الحاجُّ وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ما سواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

بنو عبد مناف يفتخرون بزمزم : وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلِّها، وعلى سائر العرب، فقال مسافر بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد مناف،[1] وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السِّقاية والرفادة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزم حين ظهرت لهم، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد، شَرَفُ بعضهم لبعض شَرَفٌ وفضْلُ بعضهم لبعضٍ فضلٌ :

ورثنا المجدَ من آبا ئنا فَنَمَى بنا صُعُدَا

---

(١) واسم أبي عمرو : ذكوان، وهو الذي يقول فيه أبو سفيان :

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو، وليتٌ يقولها المحزون

بورك الميت الغريب كما بورك نضح الرمان والزيتون

في شعر يرثيه به، وكان مات من حب صعبة بنت الحضرمي.

ألـــم نَسْق الحجيـجَ وننـــــ ـحـــر الدَّلَّافـــة الرُّفـــدَا[1]
ونلقى عنـدَ تصريـف الـــ ـمنايـــا شُدَّدا رُفـــدَا[2]
فإن نَهْـلِكْ، فلـم نُمْـلَك ومـــن ذا خالـــد أبـــدا
وزمـــزم في أرومتِنـــا ونفقـــأ عيـــنَ من حَسَدَا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عَدي بن كعب بن لؤيّ :

وساقي الحجيج، ثم للخبْز هاشمٌ وعبد مناف ذلك السيد الفِهْري
طوى زمزماً عندَ المقامِ فأصبحتْ سقايتُه فخراً على كلِّ ذي فَخْرِ

قال ابن هشام : يعني عبدَ المطلب بن هاشم. وهذان البيتان في قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها ــ إن شاء الله تعالى.

ذكر نذْر عبد المطلب ذبحَ ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب بن هاشم ــ فيما يزعُمون والله أعلم ــ قد نذر حين لقيَ من قريش ما لقي عند حفر زمزم : لئن وُلد له عَشرةُ نَفَر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ؛ لينحرنَّ أحدَهم لله عند الكعبة. فلما توافَى بنوه عشرةً، وعرف أنهم سيمنعونه، جَمَعهم. ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه ثم

---

(١) الرُّفد : جمع رفود من الرَّفد، وهي التي تملأ إناءين عند الحلب.
(٢) هو جمع رفود أيضاً من الرفد وهو : العون.

ائتوني، ففعلوا، ثم أَتَوْه، فدخل بهم على هُبل في جوف الكعبة، وكان هبل على بئرٍ في جَوْف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهْدَى للكعبة.

قداح هُبَل السبعة : وكان عند هبل قِداح سبعة، كل قِدْح منها فيه كتاب. قِدْح فيه « العَقْل »، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم، ضربوا بالقداح السبعة، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله. وقدح فيه (نَعَم) للأمر إذ أرادوه يُضرب به القداح، فإن خرج قدح نعم، عملوا به. وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمراً ضربوا به القِداح، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقِدْح فيه (منكم) وقِدْح فيه (مُلْصَق)، وقدح فيه (من غيركم)، وقدح فيه (المياه)، إذا أرادوا ان يحفروا الماء ضربوا بالقداح، وفيها ذلك القِدْح، فحيثما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختتنوا غلاما، أو يُنكحوا مَنْكحا، أو يدفنوا مَيْتاً، أو شَكُّوا في نسب أحدهم، ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجزور، فأعطوها صاحب القداح الذي يَضْرب بها، ثم قَرَّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا، فأخرج الحقَّ فيه. ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب : فإن خرج عليه : (منكم) كان منهم وسيطاً، وإن خرج عليه : (من غيركم) كان حليفا، وإن خرج عليه : (مُلْصَق) كان على منزلته فيهم، لا نسب له، ولا حِلْف، وإن خرج فيه شيء، مما سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به، وإن خرج : (لا) أخروه عامه، وذلك حتى يأتوه به مرة أخرى، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح.

عبد المطلب يحتكم إلى القداح : فقال عبدُ المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بَنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذي نذر،

فأعطاه كل رجل منهم قِدْحه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه[1]، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم.[2]

خروج القداح على عبد الله : قال ابن إسحاق : وكان عبد الله ــ فيما يزعمون ــ أحب ولد عبد المطلب إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشْوَى[3]. وهو أبو رسول الله ــ ﷺ ــ فلما أخذ صاحب القِداح ــ القداح ــ ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هُبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القِدْح على عبد الله.

عبد المطلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له : فأخذه

---

(١) وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه إلى آخر الحديث، وفيه أن عبد الله، يعني : والد رسول الله ــ ﷺ ــ كان أصغر بني أبيه، وهذا غير معروف، ولعل الرواية : أصغر بني أمه، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله، والعباس : أصغر من حمزة، وروي عن العباس ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : أذكر مولد رسول الله ــ ﷺ ــ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها، فجيء بي حتى نظرت إليه، وجعل النسوة يقلن لي : قبِّل أخاك، قبِّل أخاك، فقبلته، فكيف يصح أن يكون عبدالله هو الأصغر مع هذا ؟! ولكن رواه البكائي كما تقدم، ولروايته وجه، وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره، ثم وُلد له بعد ذلك حمزة والعباس.

(٢) والصحيح ما قاله ابن هشام، لأن الزبيريين ذكروا أن عبداً هو أخو عائذ بن عمران، وأن بنت عبد هي : صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن إسحاق، لأنها كانت له عمة، لا بنت عم، فقد تكرر هذا النسب في السيرة مراراً، وفي كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ ابن عبد بن عمران، ويخالفه ابن هشام، وصخرة بنت عبد أم فاطمة أمها تخمر بنت عبد ابن قصي، وأم تخمر سلمى بنت عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر.

(٣) أشوى : أي أبقى.

عبد المطلب بيده وأخذ الشَّفْرة ثم أقبل به إلى إسَاف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه، فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعْذر فيه. لئن فعلت هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاءُ الناس على هذا ؟!

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عَمرو بن مخزوم بن يَقَظة — وكان عبد الله ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعْذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل، وانطلقْ به إلى الحجاز فإن به عَرَّافة[1] لها تابع، فسلْها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله في فرج قبلته.

ما أشارت به عَرَّافة الحجاز : فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها — فيما يزعمون — بخيبر. فركبوا حتى جاءوها، فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذرَه فيه، فقالت لهم : ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل، وكانت كذلك. قالت : فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم، وقربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِدَاح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجتْ على الإبل فانحروها عنه، فقد رضيَ ربُّكم، ونجا صاحبُكم.[2]

---

(١) وأما الكاهنة التي تحاكموا إليها بالمدينة فاسمها : قُطبة. ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات. وذكر ابن إسحاق في رواية يونس أن اسمها : سَجاح.

(٢) ومن هنا يعلم أن الدية كانت بعشر من الإبل قبل هذه القصة : وأول من وُدي بالمائة إذاً : عبد الله. وقد ذكر الأصبهاني عن أبي اليقظان أن أبا سيارة هو أول من جعل الدية مائة من الإبل، وأما أول من وُدي بالإبل من العرب : مزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جد بني عامر بن صعصعة.

تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبد الله : فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل !! ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربِّك يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات، فضربوا على عبد الله، وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، فنُحرت، ثم تُركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمْنَع.

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبُعٌ.

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر.

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

عبد الله يرفضها : **قال ابن إسحاق** : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله، فمر به ـــ فيما يزعمون ـــ على امرأة من بني أسَد[1] ابن عبد العزَّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب

---

(١) ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت في وجهه من نور النَبوة، ورجت أن تحمل بهذا النبي، فتكون أمه دون غيرها، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا :

أمــا الحـــرام فالحِمـــام دونـــه ... والحــــل لا حِلَّ فأستبينــــــه
فكيــف بالأمــر الـــذي تبغينــــه ... يحمـــي الكريـــم عرضه ودينـــه ؟!

واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل، تكنى : أم قتال، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحاق، وذكر البرقي عن هشام بن الكلبي، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت مر، كانت من أجمل النساء وأعفهن، وكانت قرأت الكتب، فرأت نور النبوة في وجهه، فدعته إلى نكاحها، فأبى، فلما أبى قالت :

إنـــــي رأيت مُخِيلـــــةً نشأت ... فتـــلألأت بحناتـــم القطــــــر
فَلَمَأْتُهــــــــــا نوراً يضيء به ... ما حولـــــه كإضاءة الفجـــــر
ورأيت سُقياهـــــا حيـــا بلـــــد ... وَقَـــعَتْ به وعِمـــارة القفـــــر
ورأيتـــــه شرفـــــا أبـــــوء به ... ما كل قادح زنــــــــده يوري
لله ما زهريـــــــة سلـــــــبت ... منك الـــذي اسْتَلَـبَتْ ومـــا تدري

وفي غريب ابن قتيبة : أن التي عرضت نفسها عليه هي : ليلى العدوية. والمخيلة في البيت : السحابة تخالها ماطرة. والحناتم : السحاب الأسود. ولمأتها : أبصرتها.

ابن فِهر : وهي أخت ورقة بن نَوْفل بن أسد بن عبد العُزَّى، وهي عند الكعبة. فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي. قالت : لك مثلُ الإبل التي نُحرت عنك، وقَعْ عَليَّ الآن. قال : أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه، ولا فراقه.

عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب : فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مَناف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤيّ ابن غالب بن فِهْر — وهو يومئذ سيد بني زُهرة نسباً وشرفاً — فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضلُ امرأة في قريش نَسباً وموضعاً.

أمهات آمنة : وهي لبرَّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصيّ بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر. وبَرَّة لأم حبيب بنت أَسَد بن عبد العُزَّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر. وأم حبيب : لبرَّة بنت عَوْف بن عُبيد ابن عُوَيْج بن عدي بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر.

سبب زهد المرأة المعترضة لعبد الله فيه : فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكها مكانه، فوقع عليها، فحملت برسول الله — ﷺ — ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها : ما لك لا تعرضين عليَّ اليوم ما كنت عرضت عليَّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النورُ الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة. وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل — وكان قد تنصَّر واتَّبع الكتب : أنه كائن في هذه الأمة نبي.

قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ : قال ابن إسحاق : وحدثني أبي : إسحاقُ بن يسار : أنه حُدِّث، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، وقد عمل في طين له، وبه آثارٌ من الطين،

فدعاها إلى نفسه، فأبطأت عليه لما رأت به أثر الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامدا الى آمنة، فمرَّ بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، وعمد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد ــ ﷺ ــ ثم مر بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا، مررتَ بي وبين عينيك غُرةٌ بيضاء، فدعوتُك فأبيْت عليَّ، ودخلت على آمنة فذهَبَتْ بها.

قال ابن إسحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تُحدث : أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس، قالت : فدعوتُه رجاءَ أن تكون تلك بي، فأبى عليَّ، ودخل على آمنة، فأصابها، فحملت برسول الله ــ ﷺ ــ فكان رسولُ الله ــ ﷺ ــ أوسطَ قومه نسباً، وأعظمهم شرفاً من قِبل أبيه وأمِّه ــ ﷺ.

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ

رؤيا آمنة : ويزعمون ــ فيما يتحدث الناسُ ــ والله أعلم ــ أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ــ ﷺ ــ كانت تُحدِّثُ :

أنها أُتيت حين حَملت برسول الله ــ ﷺ ــ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولي : أُعيذه بالواحد، من شرّ كل حاسد، ثم سميه : محمداً[1] ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصْرَى، من أرض الشام.

---

(١) لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ــ ﷺ ــ إلا ثلاثة طمع آباؤهم ــ حين سمعوا بذكر محمد ــ ﷺ ــ وبقرب زمانه، وأنه يُبعث في الحجاز، أن يكون ولداً لهم. وذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول، وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد =

وفاة عبد الله: ثم لم يلبثْ عبدُ الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله ـــ ﷺ ـــ أن هلك، وأمُّ رسول الله ـــ ﷺ ـــ حامل به[1].

ولادة رسول الله ﷺ

ابن إسحاق يحدد الميلاد : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكّائي **عن محمد بن إسحاق قال :** وُلد رسول الله ـــ ﷺ ـــ يوم الاثنين، لاثنتيْ عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأول، عامَ الفيل.[2]

= الفرزدق الشاعر. والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جمحي بن كُلْفة ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، والآخر : محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبي ـــ ﷺ ـــ وباسمه، وكان كلٍ واحد منهم قد خلف امرأته حاملا، فنذر كل واحد منهم : إن وُلد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك. وهذا الاسم منقول من الصفة، فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد، ولا يكون مفعل مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة.

(١) أكثر العلماء على أنه كان في المهد. ذكره الدولابي وغيره، وقيل : ابن شهرين ذكره ابن أبي خيثمة، وقيل : أكثر من ذلك، ومات أبوه عند أخواله بني النجار، ذهب ليمتار لأهله تمراً، وقد قيل، مات أبوه، وهو ابن ثمان وعشرين شهراً.

(٢) ذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول، وهو المعروف وقال الزبير : كان مولده في رمضان، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق، والله أعلم.

وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه ـــ ﷺ ـــ وُلد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما. وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (أبريل)، فكانت لعشرين مضت منه، وولد بالغَفْر من المنازل ؛ وهو مولد النبيين، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبد بين الزنابا والأسد، لأن الغفر يليه من =

قال ابن إسحاق : وحدثني المطَّلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة عن أبيه عن جَده قَيْس بن مَخْرمة. قال :

وُلدت أنا ورسول الله ــ ﷺ ــ عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ.

قال ابن إسحاق : وحدثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة الأنصاري. قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت، قال : والله إني لغلام يفعَة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطَمَة بيثْرب : يا معشرَ يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له : ويلك ما لك؟! قال : طلع الليلةَ نَجمُ أحمد الذي وُلد به.

قال ابن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقلت : ابن كم كان حسان بن ثابت مَقْدَم رسول الله ــ ﷺ ــ

= العقرب ذناباها، ولا ضرر في الذنابا إنما تضر العقرب بذنبها، ويليه من الأسد أليته، وهو السماك، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه. وولد بالشِّعب، وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعدُ لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت. وقيل في تفسير بقي بن مَخلد أن إبليس ــ لعنه الله ــ رنَّ أربع رنات : رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين وُلد رسول الله ــ ﷺ ــ ورنة حين أُنزلت فاتحة الكتاب. قال والرنين والنخار ــ صوت يخرج من الخياشيم كالأصوات التي تخرج من حلق النائم ــ.

وروي عن عثمان بن أبي العاص عن أمه أم عثمان الثقفية، واسمها : فاطمة بنت عبد الله، قالت : « حضرت ولادة رسول الله ــ ﷺ ــ فرأيت البيت حين وُضع قد امتلأ نوراً ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع عَلَيَّ » ووُلد رسول الله ــ ﷺ ــ معذوراً مسروراً، أي : مختوناً مقطوع السرة يقال : عُذِرَ الصبي، وأعذر إذا ختن، وكانت أمه تُحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم، ولا غير ذلك، ولما وضعته ــ ﷺ ــ وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه، مشيراً بالسّبابة كالْمُسبِّح بها.

المدينة ؟ فقال : ابن ستين، وقدمها رسول الله ـــ ﷺ ـــ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسمع حسان ما سمع، وهو ابن سبع سنين.

إعلام جده لولادته وما فعله به : قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه ـــ ﷺ ـــ أرسلت إلى جَدِّه عبد المطلب : أنه قد وُلد لك غلام، فأْته فانظرْ إليه، فأتاه فنظر إليه، وحَدَّثَتْه بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أُمرت به أن تسمِّيَه.

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه، فدخل به الكعبة فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه[(١)]، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها، والتُمس لرسول الله ـــ ﷺ ـــ الرُّضعاءُ[(٢)].

---

(١) في غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوِّذه :

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان ... أُعيذه بالبيت ذي الأركان

حين يكون بلغة الفتيان ... حين أراه بالغ البنيان

أُعيذه من كل ذي شنآن ... من حاسد مضطرب العِنان

ذي همة ليس له عينان ... حتى أراه رافع الشأن

أنت الذي سُميت في القرآن ... في كتب ثابتة المثاني

أحمد مكتوب على البيان

ويبدو أن هذا الشعر منحول لم يقله عبد المطلب.

(٢) وسبب دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوه. أحدها : تفريغ النساء إلى الأزواج، كما قال عمار بن ياسر لأم سلمة ـــ رضي الله عنها ـــ وكان أخاها من الرضاعة، حين انتزع من حجرها زينب بنت أبي سلمة، فقال : « دعي هذه المقبوحه المشقوحة التي آذيت بها رسول الله ـــ ﷺ ـــ » وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلد لجسمه، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المعدية، كما قال عمر رضي الله عنه : تمعددوا وتمعززوا واخشوشنوا. وقد قال ـــ عليه السلام ـــ لأبي بكر ـــ رضي الله عنه ـــ حين قال له : ما رأيت أفصح منك يا رسول الله، فقال : « وما يمنعني، وأنا من قريش، وأُرضعت في بني سعد ؟! » فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات. وقد ذُكر أن عبد الملك =

قال ابن هشام: المراضع. وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ **وحرَّمنا عليه المراضعَ** ﴾[1].

مرضعته حليمة: قال ابن إسحاق: فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر. يقال لها: حليمة ابنة أبي ذُؤَيْب.

نسب مرضعته: وأبو ذُؤَيْب: عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان.

زوج حليمة ونسبه: واسم أبيه الذي أرضعه ــ ﷺ ــ الحارث ابن عبد العُزَّى بن رفاعة بن مَلَّان بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد ابن بكر بن هوازن[2].

= ابن مروان كان يقول: أضرَّ بنا حب الوليد، لأن الوليد كان لحَّانا وكان سليمان فصحيا، لأن الوليد أقام مع أمه، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية، فتعربوا، ثم أدبوا فتأدبوا. وكان من قريش أعراب، ومنهم حضر، فالأعراب منهم: بنو الأدرم وبنو محارب، وأحسب بني عامر بن لؤيّ كذلك؛ لأنهم من أهل الظواهر؛ وليسوا من أهل البطاح.

(١) الذي قاله ابن هشام ظاهر؛ لأن المراضع جمع مُرْضِع، والرضعاء: جمع رضيع؛ ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين: أحدهما: حذف المضاف كأنه قال: ذوات الرضعاء، والثاني: أن يكون أراد بالرضعاء: الأطفال على حقيقة اللفظ، لأنهم إذ وجدوا له مرضعة ترضعه، فقد وجدوا له رضيعا، يرضع معه، فلا يبعد أن يقال: التمسوا له رضيعا علماً بأن الرضيع لا بد له من المرضع.

(٢) لم يذكر له إسلاما، ولا ذكره كثير ممن ألف في الصحابة، وقد ذكره يونس بن بُكير في روايته، فقال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثني والدي: إسحاق بن يسار، عن رجال من بني سعد بن بكر قال: قدم الحارث بن عبد العُزَّى، أبو رسول الله ــ ﷺ ــ من الرضاعة على رسول الله ــ ﷺ ــ بمكة حين أُنزل عليه القرآن، فقالت له قريش: ألا تسمع يا حارِ ــ ترخيم لحارث ــ ما يقول ابنك هذا؟ فقال: وما يقول؟ قالوا: يزعم أن الله يَبعث بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا. فأتاه، فقال: أي بني ما لك، ولقومك يشكونك، ويزعمون =

قال ابن هشام ويقال: هلال بن ناصرة.

أولاد حليمة: **قال ابن إسحاق**: وإخوته من الرضاعة: عبد الله ابن الحارث، وأُنَيْسة بنت الحارث، وخِذامة[1] بنت الحارث، وهي الشَّيماء، غلب ذلك على اسمها فلا تُعرف في قومها إلا به. وهم لحليمة بنت أبي ذؤيب، عبد الله بن الحارث، أم رسول الله ــ ﷺ ــ ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذْ كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني جَهْم بن أبي جَهْم مولى الحارث بن حاطب الجُمحي، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أو عمن حدثه عنه قال:

حديث حليمة: كانت حليمة بنت أبي ذُؤَيب السَّعْدية، أم رسول الله ــ ﷺ ــ التي أرضعته[2]، تُحدِّث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك في سنة شهباء، لم تُبقِ لنا شيئاً: قالت: فخرجت على أتان لي قمْراء، معنا شارف لنا، والله ما تَبِضُّ بقطرة، وما

= أنك تقول: إن الناس يُبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؟ فقال رسول الله ــ ﷺ ــ: نعم أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك يا أبت، لقد أخذت بيدك، حتى أعرِّفك حديثَك اليوم، فأسلم الحارث بعد ذلك، وحسن إسلامه، وكان يقول حين أسلم: لو قد أخذ ابني بيدي، فعرَّفني ما قال، لم يرسلني إن شاء الله حتى يُدخلني الجنة.

(١) خذامة بكسر الخاء المنقوطة، وقال غيره: حُذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم، وذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق، وكذلك ذكره عمر بن عبد البر في كتاب النساء.

(٢) وأرضعته ــ عليه السلام ــ ثُوَيْبَة قبل حليمة. أرضعته، وعمه حمزة، وعبد الله بن جحش، وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يعرف ذلك لثويبة، ويصلها من المدينة، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح، فأُخبر أنهما ماتا، وسأل عن قرابتها، فلم يجد أحداً منهم حيا. وثويبة كانت جارية لأبي لهب.

نَنام لَيلَنا أجمعَ من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذِّيه ـــ

قال ابن هشام : ويقال : يغذِّيه[1] ـــ ولكنا كنا نرجو الغَيْث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أَدَمْتُ[2] بالرَّكْب، حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرِض عليها رسول الله ـــ ﷺ ـــ فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك : أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبيَ،[3] فكنا نقول : يتيم ؟! وما

---

(١) وذكر قول حليمة : وليس في شارفنا ما يغذِّيه وقال ابن هشام : ما يغذِّيه بالذال المنقوطة، وهو أتم في المعنى من الاقتصار على ذكر الغذاء دون العشاء، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهي يُعْذِبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة، ومعناها عندهم : ما يقنعه حتى يرفع رأسه، وينقطع عن الرضاع، يقال منه : عذبته وأعذبته : إذا قطعته عن الشرب ونحوه، والْعَذُوب : الرافع رأسه عن الماء، وجمعه : عُذوب بالضم، ولا يعرف فَعُولا جمع على فعول غيره : قاله أبو عبيد والذي في الأصل أصح في المعنى والنقل. (عن الروض الأنف) بتحقيقنا.

(٢) أي أطلت عليهم المسافة، وتروى أَذْمَمْتُ بالركب، تريد : أنها حبستهم، وكأنه من الماء الدائم، وهو الواقف، ويروى : حتى أذَمّتْ. أي : أذمت الأتان، أي : جاءت بما تذم عليه، أو يكون من قولهم : بئر ذَمَّة، أي : قليلة الماء، وليست هذه عند أبي الوليد، ولا في أصل الشيخ أبي بحر، وقد ذكرها قاسم في الدلائل، ولم يذكر رواية أخرى، وذكر تفسيرها عن أبي عبيدة : أذم بالركب : إذا أبطأ، حتى حبستهم : من البئر الذَّمَّةِ، وهي القليلة الماء. وانظر الروض الأنف من تحقيقنا.

(٣) والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب، حتى جرى المثل : « تجوع المرأة ولا تأكل بثديها » وكان عند بعضهن لا بأس به، فقد كانت حليمة وسيط في بني سعد، كريمة من كرائم قومها، بدليل اختيار الله ـــ تعالى ـــ إياها لرضاع نبيه ـــ ﷺ ـــ كما اختار له أشرف البطون والأصلاب والرضاع كالنسب ؛ لأنه يغير الطباع.

وفي المسند عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ ترفعه : « لا تسترضعوا الحمقى، فإن اللبن يورث » ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطراراً للأزمة التي أصابتهم، والسنة الشهباء التي اقتحمتهم.

عسى أن تصنع أمه وجَدُّه ؟ فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم، فلآخذنَّه، قال : لا عليكِ أن تفعلي، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً. قالت : فذهبتُ إليه فأخذتُه، وما حملني على أخذِه إلا أني لم أجد غيرَه.

الخير الذي أصاب حليمة : قالت : فلما أخذتُه، رجعتُ به إلى رحلي فلما وضعته في حِجْري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن[1]، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شَرِب، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلَّمي والله يا حليمةُ، لقد أخذتِ نَسمةً مباركة، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك. قالت : ثم خرجنا وركبتُ أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعتْ بالرَّكْبِ ما يقدر عليها شيء من حُمُرِهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْب، ويحكِ ! أربعي علينا، أليستْ هذه أتانَك التي كنتِ خرجتِ عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله. إنها لهي هي فيقلْنَ : والله إن لها لشأناً.

قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد. وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شِبَاعا لُبَّنا. فنحلب ونشرب. وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضَرْع. حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم أسرحوا حيث

(١) وذكر غير ابن إسحاق أن رسول الله ــ ﷺ ــ كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر، فيأباه كأنه قد أُشعر ــ عليه السلام ــ أن معه شريكاً في لبانها، وكان مفطوراً على العدل، مجبولا على المشاركة والفضل ــ ﷺ ــ

يسرحُ راعي بنت أبي ذُؤيب فتروح أغنامُهم جياعا ما تَبِضُّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شِباعا لُبَّناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلتُه ؛ وكان يشِبُّ شبابا لا يشبُّه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جَفراً.

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرة : قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرصُ شيء على مكثه فينا ؛ لما كنا نرى من بركته ؛ فكلمنا أمَّه، وقلتُ لها : لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يغلُظَ، فإني أخشى عليه وباء مكة قالت : فلم نزل بها حتى ردته معنا.

حديث الملكين اللذين شقا بطنه : قالت : فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفي بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يَسُوطانه[1]، قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا وجْهُه. قالت : فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بُنَيّ، قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقَّا بطني، فالتمسا شيئا لا أدري ما هو. قالت : فرجعنا إلى خِبائنا.

حليمة ترد محمداً ﷺ إلى أمه : قالت : وقال لي أبوه : يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن

---

(١) يقال : سِطْتُ اللبن أو الدم، أو غيرها، أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض. والمسْوَط : عود يُضْرَب به.

وفي رواية أخرى، عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كُرْكيان، فشق أحدهما بمنقاره جوفَه، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجاً، أو برداً، أو نحو هذا، وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه، وهو أطول من هذا كثيرا.

وانظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ١٨٨ ــ ١٨٩.

يظهر ذلك به، قالت : فاحتملناه، فقدمنا به على أمّه، فقالت : ما أقدمك به يا ظِئْرُ، وقد كنتِ حريصة عليه، وعلى مكثه عندك ؟ قالت : فقلت : فقد بلغ الله بابنـي وقضيت الذي عليَّ، وتخوفتُ الأحداث عليه، فأديته إليك كما تحبين. قالت : ما هذا شأنك، فأصدُقيني خبرك. قالت : فلم تَدَعْني حتى أخبرتُها. قالت : أفتخوفتِ عليه الشيطانَ ؟ قالت : قلت : نعم، قالت : كلا. والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لِبُنَيّ لشأنا، أفلا أخبرك خبره. قالت : قلت : بلى. قالت : رأيت حين حملتُ به : أنه خرج مني نور أضاء قصور بُصْرَى من أرض الشام. ثم حملت به، فوالله ما رأيت : من حمل قطُّ كان أخفَّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرضِ، رافعٌ رأسه إلى السماء. دعيه عنك، وانطلقي راشدة.

الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته ﷺ : قال ابن إسحاق : وحدثني ثَوْر بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن مَعْدان الكَلاعي : أن نفراً من أصحاب رسول الله ـــ ﷺ ـــ قالوا له : يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم، أنا دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشْرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصورَ الشام[1]، واسْتُرضِعْتُ في بني سعد بن بكر. فبينا أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا نرعى بَهْما لنا : إذ أتاني رجـلان عليهما ثياب بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا. ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي، فشقّاه

---

(١) وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد، حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره ـــ ﷺ ـــ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم، حتى ظهرت له البُسر في نخيل يثرب، فقصها على أخيه عمرو، فقال له : إنها حفيرة عبد المطلب، وإن هذا النور منهم، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام.

فاستخرجا منه عَلَقَةً سوداء فطرحاها. ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه[1]، ثم قال أحدُهُما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتُهم، ثم قال : زنه بمائة من أمته. فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال : زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم. فقال : دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها.

رعيه ﷺ الغنم وافتخاره بقرشيته : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : « ما من نبي إلا وقد رعَى الغنم، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ».[2]

---

(١) وهذا الخبر يُروى عنه ــ عليه السلام ــ على وجهين، أحدهما : أنه شُق عن قلبه، وهو مع رابَّته ومرضعته في بني سعد، وأنه جيء بطَسْت من ذهب، فيه ثلج فغسل به قلبه، والثاني فيه : أنه غسل بماء زمزم، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عُرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام.

وفيه أنه أتي بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأُفرغ في قلبه.

وذكر بعض من ألف في شرح الحديث أنه تعارض في الروايتين، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليط بعضهم، وليس الأمر كذلك، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين.

الأولى : في حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان، وليطهر ويُقدس من كل خلق ذميم، حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد ؛ ولذلك قال : فوليا عني، يعني : الملكين، وكأني أعاين الأمر معاينة.

والثانية : في حال الاكتهال، وبعد ما نُبِّئ، وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدَّسة التي لا يصعد إليها إلا مقدس.

وعرج به هناك ليفرض عليه الصلاة، وليصلي بملائكة السموات، ومن شأن الصلاة : الطهور، فقُدِّس ظاهراً وباطناً، وغُسل بماء زمزم. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١، ص ١٨٩ ــ ١٩٠.

(٢) وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاعة، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضاً على قراريط لأهل مكة ذكره البخاري. وانظر فهارسي المسماة مفاتيح القارى لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يقول لأصحابه : « أنا أعربكم، أنا قرشي، واستُرضعت في بني سعد بن بكر ».

افتقاد حليمة له ﷺ : قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ــ والله أعلم ــ أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس، وهي مُقبلة به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب، فقالت له : إني قد قدمت بمحمد هذه الليلة، فلما كنت بأعلى مكة أضلَّني، فوالله ما أدري أين هو، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد، ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبد المطلب، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبد المطلب، فجعله على عنقه، وهو يطوف بالكعبة يُعَوِّذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمه آمنة.

سبب آخر لرجوع حليمة به ﷺ إلى مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العلم، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه، أن نفراً من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه، وسألوها عنه وقلبوه، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام، فلنذهبن به إلى مَلِكنا وبلدنا ؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم.[1]

---

(١) وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهرا، فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين :

إحداهما بعد تزويجه خديجة ــ رضي الله عنها ــ جاءته تشكو إليه السنة، وأن قومها قد أسنتوا ــ أجدبوا ــ فكلم لها خديجة، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات، والمرة الثانية : يوم حُنَيْن وسيأتي ذكرها ــ إن شاء الله.

وفاة آمنة
وحال رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة أمه ﷺ : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله — ﷺ — مع أمه آمنة بنت وهب، وجدِّه عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتا حسناً، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله — ﷺ — ستَّ سنين، تُوفيت أمه آمنة بنت وهب.

عمر رسول الله ﷺ حين وفاة أمه : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

أن أم رسول الله — ﷺ — آمنة تُوفيت ورسول الله — ﷺ — ابنُ ستِّ سنين بالأبواء، بين مكة، والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله، من بني عدي بن النجار تُزيره إياهم، فماتت، وهي راجعة به إلى مكة (1).

---

(1) قال القرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : جزم أبو بكر الخطيب في كتاب : السابق واللاحق، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة — رضي الله عنها — قالت : حج بنا رسول الله — ﷺ — حجة الوداع، فمر على قبر أمه، وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه — ﷺ — ثم نزل فقال : يا حميراء استمسكي، فاستندت إلى جانب البعير، فمكث عني طويلا مليّاً، ثم إنه عاد إلي، وهو فرح مبتسم، فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي، وأنت باك حزين مغتم ؛ فبكيت لبكائك، ثم عدت إليَّ، وأنت فرح مبتسم، فمم ذا يا رسول الله، فقال : ذهبت لقبر آمنة أمي، فسألت أن يحييها، فأحياها فآمنت بي ؛ أو قال : فآمنت. وردها الله عز وجل.

وفي الحديث أن رسول الله — ﷺ — زار قَبر أمه بالأبواء في ألف مُقنَّع، فبكى وأبكى، وهذا حديث صحيح، وفي الصحيح أيضا أنه قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي، فأذن =

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلْمى بنت عَمرو النَّجَّارية، فهذه الخئولة التي ذكرها ابن إسحاق لرسول الله ـــ ﷺ ـــ فيهم.

إجلال عبد المطلب له (ﷺ) : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـــ ﷺ ـــ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضَع لعبد المطلب فِراش في ظلّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فِراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال : فكان رسول الله ـــ ﷺ ـــ يأتي، وهو غلام جَفْر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب ـــ إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني، فوالله إن له لشأنا، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.[1]

= لي، واستأذنته أن استغفر لها، فلم يأذن لي. وفي مسند البزار من حديث بُرَيْدة أنه ـــ ﷺ ـــ حين أراد أن يستغفر لأمه، ضرب جبريل عليه السلام في صدره، وقال له : لا تستغفر لمن كان مشركا، فرجع وهو حزين.

(١) وذكر كون النبي ـــ ﷺ ـــ في كفالة جده يكلؤه ويحفظه. فمن حفظ الله له في ذلك أنه كان يتيما ليس له أب يرحمه، ولا أم ترأمه وتلحظه بعين العطف ـــ لأنها ماتت، وهو صغير، وكان عيال أبي طالب بعد أن صار في كفالته كثيرة ـــ وعيشهم شظفاً ـــ فكان يوضع الطعام له وللصبية من أولاد أبي طالب، فيتطاولون إليه، ويتقاصر هو، وتمتد أيديهم، وتنقبض يده تكرماً منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب، فيصبحون غُمصاً رُمصاً، مصفرة ألوانهم ويصبح هو ـــ عليه السلام ـــ صقيلا دهيناً كأنه في أنعم عيش، وأعز كفاية، لطفاً من الله ـــ عز وجل ـــ به. كذلك ذكره القتبي في غريب الحديث.

وفاة عبد المطلب وما رُثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله ــ ﷺ ــ ثماني سنين هلك عبد المطلب بن هاشم، وذلك بعد الفيل بثماني سنين.

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبد بن عباس، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفي ورسول الله ــ ﷺ ــ ابن ثماني سنين.

عبد المطلب يطلب من بناته أن يرثينه : قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة، وعرف أنه ميت جمع بناته، وكُنَّ ستَّ نسوة : صَفية، وبَرَّة، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء، وأُمَيْمة، وأَرْوَى، فقال لهن : ابكين عليَّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت.

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب، كتبناه :

رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها : فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أرِقتُ لصوتِ نائحــةٍ بليــلٍ ... على رَجـلٍ بقارعـة الصَّعيــدِ
ففـاضت عنـدَ ذلكُـمُ دموعـي ... علـى خدِّي كَمُنْحَدِرِ الفريـدِ[1]
على رجلٍ كريمٍ غيرِ وَغْـلٍ ... له الفضلُ المُبيـنُ علـى العبيـدِ

---

(١) يروى : كمنحدر بكسر الدال أي : كالدر المنحدر، ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض، فعلى رواية الكسر : شبهت الدمع بالدر الفريد، وعلى رواية الفتح شبهت الفيض بالانحدار.

على الفيَّاض شَيْبَةَ ذي المعالي أبيك ِ الخيرِ وارثِ كلِّ جودِ[1]
صدوقٍ في المواطِن غير نِكْسٍ ولا سَخْتِ المقامِ ولا سَنيد[2]
طويلِ الباعِ، أرْوَعِ شَيْظَمِيٍّ مُطَاعٍ في عشيرته حميدِ
رفيعِ البيت أبلَج ذي فُضول وغيثِ الناس في الزمن الحَرودِ
كريمِ الجدِّ ليس بذي وُصُومٍ يروقُ على المُسوَّد والْمَسُودِ
عظيم الحِلمِ من نفرٍ كرامٍ خَضَارِمَةٍ مَلَاوِثَةٍ أسودِ[3]
فلو خَلَد امرؤٌ لقديم مجد ولكن لا سبيل إلى الخلودِ
لكان مُخَلَّداً أخرى الليالي لفضلِ المجدِ والحسبِ التليدِ

رثاء بَرَّة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت بَرَّة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أَعَيْنَيَّ جودا بدمعٍ درر على طَيِّب الخِيم والمعتصرْ
على ماجد الجَدِّ واري الزنادِ جميل المُحَيَّا عظيم الخطرْ
على شَيْبةِ الحمدِ ذي المَكْرُمات وذي المجدِ والعزِّ والمفتخرْ
وذي الحلمِ والفصْلِ في النائبات كثيرِ المكارمِ، جَمِّ الفَخَرْ

(١) أبيك الخيْر. أرادت : الخيِّر فخففت، كما يقال : هيْن وهيِّن، وفي التنزيل : ﴿ **خيْرات حسان** ﴾ وكان اسم أم الدرداء : خيرة بنت أبي حدرد وكذلك أم الحسن البصري، اسمها : خيرة، فهذا من المخفف، ويجوز أن يكون الخير ها هنا هو ضد الشر، جعلته كله خيراً على المبالغة، كما تقول : ما زيد إلا علم أو حُسن، فعلى هذا الوجه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث.

(٢) الشخت : ضد الضخم، تقول : ليس كذلك، ولكنه ضخم المقام ظاهره. والسنيد : الضعيف الذي لا يستقل بنفسه، حتى يسند رأيه إلى غيره.

(٣) ملاوثة : جمع ملواث من اللوثة، وهي القوة، كما قال المُكَعْبَر :

عند الحفيظة إن ذو لوثة لاثا

وقد قيل : إن اسم الليث منه أخذ، إلا أن واوه انقلبت ياء ؛ لأنه فيعل، فخفف.

له فَضْلُ مجدٍ علــى قومِــه ... مُنير، يلــوحُ كضوءِ القمــرْ

أتتــه المنايــا، فلـــم تُشوِه ... بصرْفِ الليالـي، ورَيْب القَدَرْ[1]

رثاء عاتكة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أعَيْنــيَّ جودَا، ولا تَبْخَــلا ... بدمعِكمــا بعــدَ نَوْم النيــام

أعَيْنــيَّ واسحَنْفــرا واسكُبــا ... وشوبــا بكاءَكمــا بالْتِــدام

أعَيْنيَّ، واستخرطــا واسجُمــا ... على رَجُلٍ غيـر نِكْس كَهام

على الجَحْفَل الغَمْر في النائباتِ ... كريم المساعـي، وفـيِّ الذمـام[2]

على شَيْبةِ الحمد، واري الزناد ... وذي مَصْدَق بعدُ ثَبْت المُقـام

وسيْفٍ لدى الحرب صَمْصامة ... ومُرْدِي المخاصمَ عند الخصام[3]

وسهـل الخليقـة طَلْق اليديْـن ... وفٍ عُذْمليٍّ صميـم لُهَـام[4]

---

(١) لم تشوه: أي لم تصب الشوى ــ ما لا تقتل الإصابة فيه كاليدين والرجلين ــ، بل أصابت المقتل، وقد تقدم في حديث عبد المطلب وضربه بالقداح على عبد الله، وكان يرى أن السهم إذا خرج على غيره أنه قد أشوي، أي : قد أخطأ مقتله، أي : مقتل عبد المطلب وابنه، ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذي أشوى وأخطأ، وبكلا الضبطين وجدته، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرك فالأول من الشوى، وهذا من الشي بالنار، قاله أبو حنيفة الدينوري في كتابه : النبات.

(٢) على الجحفل. جعلته كالجحفل، أي : يقوم وحده مقامه، والجحفل : لفظ منحوت من أصلين، من : جحف وجفل : وذلك أنه يجحف ما يمر عليه أي : يقشره، ويجفل : أي يقلع ونظيره نهشل للذئب، هو عندهم منحوت من أصلين أيضاً، من نهشت اللحم ونشلته.

(٣) المردى : مُفْعَل من الردى، وهو الحجر الذي يقتل من أصيب به، وفي المثل « كل ضب عنده مرداته ».

(٤) قولها : وَف. أي : وَفيّ، وخفف للضرورة، وقولها : عُذْمُلِيّ. العدملي : الشديد. واللهام : فعال من لهمت الشيء. ألهمه : إذا ابتلعته، قال الراجز :

كالحــوت لا يرويــه شيء يلهمــه ... يصبح عطشاناً وفي البحر فمــه

ومنه سمي الجيش : لُهاماً.

تَبَـــنَّك في باذخ بيتـــــه رفيـع الذؤابـةِ صَعْب المـــرام[1]

رثاء أم حكيم بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباها :

ألا يا عيـنُ جودي واستهلِّـــي وبَكِّـي ذا النَّـدَى والمَكْرُمـاتِ
ألا يا عيـنُ ويْـحَك أسعفيني بدمـعٍ من دمـوعٍ هاطــلاتِ
وبَكِّي خَيرَ من رَكبَ المطايا أبـاكِ الخيـرَ تيَّــار الفُــراتِ
طويلَ البـاع شَيْبـةَ ذا المعالـي كريـمَ الْخَيـم محمـودَ الهِبـاتِ
وَصُولاً للقرابـــة هِبْرِزِيّـــاً وغَيْثـا في السنيـن المُمْحِـلاتِ
ولَيْثـاً حيـن تَشْتجرُ العَوالـــي تروق له عيــونُ الناظـــراتِ
عَقيـلَ بنـي كِنانـةَ والمُرَجَّـــى إذا ما الدهـرُ أقبـلَ بالهِنـــاتِ
ومَفْزَعَهـــا إذا ما هاج هَيْـــجٌ بِداهيـــةٍ، وخَصْمَ المُــعْضِلاتِ
فبكِّيـــه ولا تَسَمِـــي بحُـــزْنٍ وبكِّي ـــ ما بقيتِ ـــ الباكياتِ

رثاء أميمة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

ألا هلك الراعـي العشيـرةَ ذو الفَقْــدِ
وساقي الحجيجَ، والمحامي عن المجدِ
ومـن يُؤْلـف الضيـفَ الغريبَ بيوتَــه
إذا ما سمـاءُ النـاسِ تبخـلُ بالرعــدِ
كسبتَ وليـداً خيـر ما يكسبُ الفتى
فلـم تَنْفـكك تزدادُ يا شَيْبـةَ الحمــدِ

---

(١) تبنَّك بيته في باذخ من الشرف، ومعنى تبنك. تأصل من الْبُنْك وهو : الأصل. والبنك أيضاً : ضرب من الطيب، وهو أيضاً عود السوس.

أبـو الحـارث الفيـاض، خلَّـى مكانَـه
فلا تبعـدنْ، فكـلُّ حيٍّ إلـى بُعْـدِ
فإني لباكٍ ــ ما بقيتُ ــ ومُوجَعٌ
وكان له أهـلاً لمـا كان من وَجْـدِي
سقـاك ولـيّ النـاس في القبـر مُمطـراً
فسوف أُبَكِّيـه، وإن كان في اللحْـدِ
فقـد كان زَيْنـا للعشيـرةِ كلِّهـا
وكان حميداً حيثُ ما كان مِنْ حَمْدِ

رثاء أروى بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكي أباها :

بكت عيني، وحُقَّ لهـا البكـاءُ — علـى سَمْـحٍ، سجيتُـه الحيـاءُ
علـى سَهـلِ الخليقـةِ أبْطَحـي — كريـم الخيـم، نيَّتُـه العَـلاءُ
على الفياضِ شيبةَ ذي المعالي — أبيك الخيـر ليس له كِفـاء
طويـلِ البـاع أمْلس، شَيْظمـيّ — أغـرّ كأن غرتَـه ضيـاءُ
أقبِّ الكَشْحِ، أروعَ ذي فُضولٍ — له المجدُ المقـدَّمُ والسنـاءُ
أبيِّ الضيْـمِ، أبلـج هِبْـرِزيّ — قديـم المجـد ليس له خَفـاءُ
ومَعْقَـلِ مالكٍ، وربيـعِ فِهْـرٍ — وفاصِلِهـا إذا التُـمِس القَضَاءُ[1]
وكان هو الفتى كرماً وجـوداً — وبـأساً حيـن تنسكب الدمـاءُ
إذا هاب الكُماةُ الموتَ حتـى — كأن قلـوبَ أكثرهـم هواءُ
مضى قُدُماً بذي رُبَـدٍ خَشيب — عليه ــ حين تُبْصره ــ البهاءُ[2]

---

(١) ومعقل مالك وربيع فهد. تريد : بني مالك بن النضر بن كنانة.
(٢) قولها : بذي ربد : تريد : سيفاً ذا طرائق، والربد : الطرائق. وقال صخر الغي :
وصـارم أخلـصت خشبتـه — أبيـض فهـو فـي متنـه ربـد

إعجاب عبد المطلب بالرثاء : قال ابن إسحاق : فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيَّب أنه أشار برأسه[1]، وقد أصمت : أنْ هكذا فابكينني.

نسب المسيِّب بن حَزْن : قال ابن هشام : المسيِّب بن حَزْن بن أبي وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

رثاء حذيفة بن غانم لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال حذيفة[2] بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤيّ يبكي عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف، ويذكر فضله، وفضل قُصي على قريش، وفضل ولده من بعده عليهم، وذلك أنه أُخذ بغرم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها فمر به أبو لهب : عبد العزى بن عبد المطلب، فافتكه :

أعينيّ جودا بالدموع على الصدر
ولا تسأما أُسْقِيتُما سَبَل القَطر
وجودا بدمع، واسفحا كل شارق
بكاء امرئ لم يُشْوِه نائب الدهر
وسُحَّا، وجُمَّا، واسجما ما بقيتما
على ذي حياء من قريش، وذي سِتر

(١) وقوله : فأشار إليهن برأسه، وقد أصمت بفتح الهمزة والميم، هكذا قيده الشيخ عن أبي الوليد : ويقال : صمت وأصمت، وسكت وأسكت بمعنى واحد (الروض الأنف)

(٢) وهو والد أبي جَهْم بن حُذيفة، واسم أبي جهم : عبيد، وهو الذي أهدى الخميصة لرسول الله ـ ﷺ ـ فنظر إلى علمها ». الحديث. وقد روي أيضاً هذا الحديث على وجه آخر، وهو أن رسول الله ـ ﷺ ـ أُتي بخميصتين، فأعطى إحداهما أبا جهم، وأمسك الأخرى، وفيها علم، فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم، وأخذ الأخرى بدلا منها، هكذا رواه الزبير : وأم أبي جهم : يُسيرة بنت عبد الله بن أذاة بن رباح، وابن أذاة : هو خال أبي قحافة، وسيأتي نسب أمه، وقد قيل : إن الشعر لحذافة بن غانم، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة.

على رجل جَلْدِ القُوى، ذي حفيظة
جميل المحيَّا غير نِكْس ولا هَذْرِ[1]

على الماجدِ البُهلول ذي الباع واللُّهى
ربيع لُؤيّ في القُحُوط وفي العُسْر

على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعل
كريم المساعي، طيّب الخِيم والنحْرِ

وخيرهمُ أصلا وفرعاً ومعدنا
وأحظاهم بالمُكرمات وبالذكر

وأولاهمُ بالمجدِ والحلم والنُّهى
وبالفضْل عند المُجْحِفات من الغُبْر

على شيبةِ الحمدِ الذي كان وجهُه
يضيءُ سوادَ الليل كالقمر البدْرِ

وساقي الحجيجَ ثم للخُبز هاشمٌ
وعبد مناف، ذلك السيد الفِهْري

طوى زمزماً عند المقام، فأصبحتْ
سقايته فخراً على كلِّ ذي فخر

لِيَبْكِ عليه كلُّ عانٍ بكُربة
وآل قُصي من مُقلٍّ وذي وَفْرِ

بنوه سَراة، كهلُهم وشبابُهم
تفلَّق عنهم بيضة الطائر الصقر

قُصَي الذي عادى كنانةَ كلَّها
ورابط بيتَ الله في العُسرِ واليسرِ

(١) النكس من السهام : الذي نكس في الكنانة ليميزه الرامي، فلا يأخذه لرداءته. وقيل : الذي انكسر أعلاه ؛ فنكس ورُد أعلاه أسفله، وهو غير جيد للرمي.

فإن تكُ غالتــه المنايــا وصرفُهـــا
فقـد عاش ميمــونَ النقيبــةِ والأمــرِ
وأبقــى رجــالاً سادةً غيـــرَ عُزَّلٍ
مصاليتَ، أمثــالَ الرُّدَيْنيَّــة السُّمْــرِ[1]
أبــو عتبــة الملقَــى إلــيَّ حبــاؤه
أغرُّ، هِجــانُ اللــونِ من نَفــرٍ غُرِّ

وحمـزةُ مثلُ البـدرِ، يهتــز للنَّـــدَى
نقــيُّ الثيــابِ والذِّمــامِ من الغَـــدْرِ
وعبــدُ منــافٍ ماجــدٌ ذو حَفيظــةٍ
وَصولٌ لذي القربى رحيمٌ بذي الصهرِ
كهولُهـم خيــرُ الكهــولِ، ونسلُهــم
كنسلِ الملوكِ، لا تبورُ ولا تحري[2]
متى ما تُلاقي منهـمُ الدهـرَ ناشئــاً
تجــدْه بإجْريَّــا أوائلــه يَجْـــري[3]
هُمُ ملئـوا البطحَــاء مجــداً وعــزَّةً
إذا استُبق الخيراتُ في سالف العصر

(١) غير عُزَّل، وهو : جمع أعزل، ولا يجمع أفعل على فُعَّل، ولكن جاء هكذا ؛ لأن الأعزل في مقابلة الرامح، وقد يحملون الصفة على ضدها، كما قالوا : عدوة ــ بتاء التأنيث ــ حملا على صديقة، وقد يجوز أن يكون أجراه مجرى : حُسَّر جمع : حاسر ؛ لأنه قريب منه في المعنى.

(٢) لا تبور ولا تحري، أي : لا تهلك ولا تنقص، ويقال للأفعى : حارية لرقتها. وفي المأثور : ما زال جسم أبي بكر يحرى حزنا على رسول الله ــ ﷺ ــ أي : ينقص لحمه، حتى مات.

(٣) الأجريا : الطريق التي تجري فيها والوجهة التي تأخذها.

وفيهم بناةٌ للعُلا وعِمارةٌ
وعبدُ مناف جَدُّهمْ، جابرُ الكسر

بإنكاحِ عوفٍ بنتَه ليجيرَنا
من اعدائنا إذ أسلمتنا بنو فِهر

فسرنا تِهامِي البلادِ ونجدَها
بأمنِه حتى خاضت العيرُ في البحر[1]

وهم حضروا والناسُ بادٍ فريقُهم
وليس بها إلا شيوخُ بني عمرو[2]

بنوْها دياراً جَمَّةً، وطَوَوْا بها
بئاراً تسُحُّ الماءَ من ثَبَجِ البحرِ

لكي يشربُ الحجاجُ منها، وغيرُهم
إذا ابتدروها صُبح تابعة النحر

ثلاثة أيام تظلُّ ركابُهُمُ
مُخيَّسةً بين الأخاشبِ والحِجْرِ

وقِدْما غَنِينا قبلَ ذلك حِقبةً
ولا نستَقي إلا بخُمَّ أو الحَفْرِ

وهم يغفرون الذنبَ يُنقَم دونَه
ويعفون عن قولِ السفاهةِ والهُجْرِ

---

(١) فسرنا تَهامِي البلادَ : مخففاً مثل يمانيا، والأصل في يمان : يَمنى، فخففوا الياء، وعوضوا منها ألفا، والأصل في تهاميّ بكسر التاء من تهاميّ لأنه منسوب إلى تهامة ولكنهم حذفوا إحدى الياءين، كما فعلوا في يمان وفتحوا التاء من تهام لما حذفوا الياء من آخره، لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء، كما كانت الألف في يمان، وكذلك الألف في شآم بفتح الهمزة، وألف بعدها عوضاً من الياء المحذوفة، فإن شددت الياء من شآم قلت : شأمِيّ بسكون الهمزة، وتذهب الألف التي كانت عوضا من الياء لرجوع الياء المحذوفة، ولا تقول في غير النسب : شَآمٍ بالفتح والهمز، ولا في النسب إذا شددت الياء شَأْمِيّ.

(٢) وليس بها إلا شيوخ بني عمرو. يريد : بني هاشم ؛ لأن اسمه عمرو.

وهم جمعوا حلفَ الأحابيش كلِّها
وهم نكَّلوا عنا غُواةَ بني بكرِ
فخارجَ إما أهلكنَّ، فلا تزل
لهم شاكراً حتى تُغيَّب في القبرِ
ولا تنس ما أسدَى ابنُ لُبنى ؛ فإنه
قد اسدى يداً محقوقةً منك بالشكرِ
وأنت ابن لبنى من قصي إذا انتموا
بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
وأنت تناولت العُلا، فجمعتها
إلى مَحتدٍ للمجدِ ذي ثَبَج جَسْرِ
سبقتَ وفُتَّ القومَ بَذْلاً ونائلاً
وسُدْتَ وليداً كلَّ ذي سؤددٍ غَمْرِ
وأمُّك سِرٌّ من خُزاعة جوهرٌ
إذا حَصَّل الأنسابَ يوما ذوو الخُبْرِ
إلى سبأ الأبطال تُنْمَى، وتنتمي
فأكرمْ بها منسوبةً في ذُرا الزُّهرِ
أبو شَمِرٍ منهم، وعمرُو بنُ مالكٍ
وذو جَدَنٍ من قومها وأبو الجبر[1]

---

(١) أبو شمر، وهو شمر الذي بنى سمرقند، وأبوه : مالك، يقال له : الأملوك، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغساني والد الحارث بن أبي شمر.

وعمرو بن مالك الذي ذكر : أحسبه عمراً ذا الأذعار، وقد تقدم في التبابعة، وهم من ملوك اليمن، وإنما جعلهم مفخراً لأبي لهب، لأن أمه خزاعية من سبأ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ.

وأبو جبر الذي ذكره في هذا الشعر : ملك من ملوك اليمن، ذكر القتبي أن سمية أم زياد، كانت لأبي جبر من ملوك اليمن، دفعها إلى الحارث بن كلدة المتطبب من طب طبه.

وأسعدُ قادَ النـــاسَ عشريـــن حِجـــةً
يؤيـــدُ في تلك المواطـــنِ بالـــنصرِ[1]

قال ابن هشام : « أملك سِرٌّ من خُزاعة »، يعني أبا لهب، أمه : لبنى بنت هاجر الخزاعي، وقوله : « بإجريا أوائله » عن غير ابن إسحاق.

رثاء مطرود الخزاعي لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف :

يا أيهـــا الرجـــلُ المُحَـــوِّل رحلَـــه
هـلا سـألـتَ عـن آلِ عبـد منـافِ

هَبَلَـــتْكَ أمُّك، لو حَلـــلتَ بدارِهـــم
ضَمِنُـــوك من جُرْمٍ ومـــن إقْـــرافِ[2]

الخالطيـــــن غنيَّهـــــم بفقيرِهـــــم
حتـــى يعـــودَ فقيرُهـــم كالكافـــــي

المنعِميـــن إذا النجـــوم تغيَّـــرت
والظاعنيـــن لرحلـــةِ الإيـــلافِ

والمطعميـــنَ إذا الريـــاحُ تنـــاوحتْ
حتـى تغـيبَ الشمسُ في الرَّجَّـاف[3]

إمَّـا هَلَكْـتَ أبـا الفِعـالِ فمـــا جرى
من فوقِ مثلك عَقْـد ذاتِ نطـافِ[4]

---

(١) أسعد أبو حسان بن أسعد، وقد تقدم في التبابعة.

(٢) أي : منعوك من أن تُنكح بناتك أو أخواتك من لئيم، فيكون الابن مقرفاً للؤم أبيه، وكرم أمه، فيلحقك وصم من ذلك، ونحو منه قول مهلهل :

أنكحهـا فقدُهـا الأراقـم في   جنب، وكـان الحبـاء من أدم

أي : أُنكحت لغربتها من غير كفء.

(٣) يعني البحر لأنه يرجف. ومن أسمائه أيضاً : خضارة، والدأماء وأبو خالد.

(٤) النطف : اللؤلؤ الصافي. ووصيفة منطفة أي : مقرطة بتوأمتين والنطف في غير هذا : =

إلا أبيك أخـــي المكـــارمِ وحـــدَه
والفـــيض مُطَّـــلب أبـــي الأضيـــافِ[1]

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية عليها بعده العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا[2]، فلم تزل إليه، حتى قام الإسلام وهي بيده. فأقرها رسول الله ﷺ له على ما مضى من ولايته، فهي إلى آل العباس، بولاية العباس إياها، إلى اليوم.

كفالة أبي طالب رسول الله ﷺ

وكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب، وكان عبد المطلب ــ فيما يزعمون ــ يوصِي به عمَّه أبا طالب، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأبٍ وأم. أمهما : فاطمة

= التلطخ بالعيب، وكلاهما من أصل واحد، وإن كانا في الظاهر متضادين في المعنى ؛ لأن النطفة هي الماء القليل، وقد يكون الكثير، وكأن اللؤلؤ الصافي أخذ من صفاء النطفة. والنطف الذي هو العيب : أخذ من نطفة الإنسان، وهي ماؤه، أي : كأنه لطخ بها.

(١) والفيض مطلب أبي الأضياف. يريد : أنه كان لأضيافه كالأب. والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف : كما قال مرة بن محكان :

أُدْعى أباهم، ولم أقرِف بأمهم وقد عَمِرْتُ ولم أعرف لهم نسبا

(٢) وذكر ولاية العباس ــ رضي الله عنه ــ السقاية، وقال : كان من أحدث إخوته سنا، وكذلك قال في صفة النبي ــ ﷺ ــ كان من أفضل قومه مروءة، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أفضل إخوته، وليس بممتنع، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، وغيره، وحسن، لأن المعنى : زيد يفضل إخوته، أو يفضل قومه ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير، وإنما الذي يمتنع بإجماع : إضافة أفعل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه، إلا أن تقول : الأخوين، بغير إضافة. هذا رأي السهيلي من كتاب الروض الأنف بتحقيقنا انظره جـ١ ص ٢٠٣.

بنت عَمرو بن عائذ بن عَبْد بن عمران بن مخزوم.

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده، فكان إليه ومعه.

اللهبي العائف : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، أن أباه حدثه : أن رجلا من لِهْبٍ —

قال ابن هشام : ولِهْب : من أزد شَنُوءة[1] — كان عائفاً، فكان إذا قَدِم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم، ويعتافُ[2] لهم فيهم. قال : فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله ﷺ ثم شغله عنه شيءٌ، فلما فرغ قال : الغلام. عليَّ به فلما رأى أبو طالب حرصَه عليه غيَّبه عنه، فجعل يقول : ويلكم ! رُدوا عليَّ الغلامَ الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكوننَّ له شأن. قال : فانطلق أبو طالب.

قصة بحيرى

محمد ﷺ يخرج مع عمه إلى الشام : قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في رَكْب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسير صَبَّ[3] به رسول الله ﷺ — فيما يزعمون — فرقَّ له، وقال :

---

(١) وقال غيره : وهو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد. وهي القبيلة التي تُعرف بالعيافة والزجر.

(٢) يعتاف لهم : هو يفتعل من العيْف. يقال : عفت الطير. واعتفتها عيافة واعتيافاً : وعفت الطعام أعافه عَيْفاً. وعافت الطير الماء عيافاً.

(٣) الصبابة : رقة الشوق، يقال : صَبِبْت — بكسر الباء — أصَبُّ، ويذكر عن بعض السلف =

والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً، أو كما قال. فخرج به معه[1].

بحيرى يحتفي بتجار قريش : فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهب يقال له : بَحيرَى[2] في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطُّ راهبٌ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ــ فيما يزعمون ــ يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببحِيرى، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلمهم، ولا يَعْرِض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك ــ فيما يزعمون ــ عن شيء رآه في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ــ ﷺ ــ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تُظِلُّه من بين القوم. قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظلِّ شجرةٍ قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلَّت الشجرةَ، وتهصَّرت أغصانُ الشجرةِ على رسول الله ــ ﷺ ــ حتى استظلَّ تحتها، فلما رأى ذلك بَحيرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصُنع، ثم أرسل إليهم، فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أحب أن

= أنه قرأ : « أصَبُّ إليهن وأكن من الجاهلين » وفي غير رواية أبي بحر : ضبث به رسول الله ــ ﷺ ــ أي : لزمه. قال الشاعر :

كأن فؤادي في يد ضَبَثَتْ به مُحاذِرة أن يَقضِب الحبل قاضبه

(١) كان رسول الله ــ ﷺ ــ إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألَّف السير، وقال الطبري : ابن اثنتي عشرة سنةً.

(٢) وقع في سيرة الزهري أن بَحِيرَى كان حبراً من يهود تيماء، وفي المسعودي : أنه كان من عبد القيس، واسمه : سَرْجِس، وفي المعارف لابن قتيبة، قال : سُمِع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرى، ورباب بن البراء الشَّنِّيّ، والثالث : المنتظر، فكان الثالث رسول الله ــ ﷺ ــ قال القتبي : وكان قبر رباب الشني، وقبر ولده من بعده، لا يزال يُرى عليها طَشٌّ، والطش : المطر الضعيف.

تحضروا، كلُّكم صغيرُكم وكبيركم وعبدُكم وحرُّكم، فقال له رجل منهم : والله يا بَحيرَى إن لك لشأناً اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنُك اليومَ ؟! قال له بَحيرَى : صدقتَ، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببتُ أن أكرِمَكم، وأصنعَ لكم طعاماً، فتأكلوا منه كلُّكم. فاجتمعوا إليه وتخلف رسولُ الله ـ ﷺ ـ من بين القوم، لحداثة سنِّه، في رحالِ القوم تحت الشجرة، فلما نظر بَحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال : يا معشر قريش ! لا يتخلفنَّ أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له : يا بَحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيَك إلا غلامٌ، وهو أحدث القوم سِنّاً، فتخلف في رحالهم، فقال : لا تفعلوا، ادعوه، فليحضرْ هذا الطعام معكم. قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى، إن كان لَلُؤمٌ بنا أن يتخلف ابنُ عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأجلسه مع القوم.

بحيرى يتثبت من محمد ﷺ : فلما رآه بَحيرى، جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القومُ من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال : يا غلامُ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بَحيرى ذلك ؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قط بغضهما، فقال له بَحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له : سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيئته وأمورِه، فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بَحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهرِه ؛ فرأى خَاتَمَ النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

قال ابن هشام : وكان مثلَ أثرِ المِحْجَم.[1]

بَحيرى يوصي أبا طالب بمحمد ﷺ : قال ابن إسحاق : فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب، فقال له : ما هذا الغلامُ منك ؟ قال : ابني. قال له بَحيرى : ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً، قال : فإنه ابن أخي، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبلى به، قال : صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهودَ، فوالله لئن رأَوْه، وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّه شرّاً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأسرعْ به إلى بلاده.

بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر : فخرج به عمه أبو طالب سريعاً، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس : أن زُرَيْراً وتَمَّاماً ودَريساً ــ وهم نفر من أهل الكتاب ــ قد كانوا رأوا من رسول الله ــ ﷺ ــ مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب، فأرادوه، فردهم عنه بَحيرى، وذكَّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكرِه وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه، ولم يزل بهم، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه.

---

(١) كان كأثر المحجم، يعني : أثر المحجمة القابضة على اللحم، حتى يكون ناتئاً. وفي الخبر أنه كان حوله خِيلَان فيها شعرات سود، وفي صفته أيضا أنه كان كالتفاحة، وكزرّ الحجلة. وفسره الترمذي تفسيراً ووهم فيه فقال : زر الحجلة يقال : إنه بيض وإنما هي حجلة السرير، واحدة : الحجال، وزرها الذي يدخل في عروتها. قال علي ــ رضوان الله عليه ــ يا أشباه الرجال، ولا رجال، ويا طَغَام الأحلام، ويا عقول ربات الحجال. وفي حديث آخر : كان كبيضة الحمامة. وفي حديث عياذ بن عبد عمرو : قال، رأيت خاتم النبوة، وكان كركبة العنز. انظر الروض الأنف جـ١ ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧. وانظر أيضاً شرحنا لكتاب الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذي.

محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق : فشب رسول الله — ﷺ — والله تعالى يكلؤه ويحفظُه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لِمَا يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلا أفضلَ قومه مروءة، وأحسنَهم خُلقا، وأكرمَهم حسباً، وأحسنَهم جواراً، وأعظمهم حِلما، وأصدقَهم حديثا، وأعظمَهم أمانةً، وأبعدهم من الفُحش والأخلاق التي تدنِّس الرجال تنزُّها وتكرما، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لِمَا جمع اللهُ فيه من الأمورِ الصالحة.

رسول الله ﷺ يحدث عن حفظ الله له : وكان رسولُ الله — ﷺ — فيما ذُكر لي يحدِّث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته، أنه قال :

لقد رأيتُني في غلمانِ قريش ننقل حجارةً لبعضِ ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرَّى، وأخذ إزارَه، فجعله على رقبته، يحمل عليه الحجارةَ، فإني لأُقْبل معهم كذلك وأُدبر، إذ لكمني لاكمٌ ما أُراه لكمةً وجيعةً ثم قال : شُدَّ عليك إزارَك. قال : فأخذته وشددته عليَّ، ثم جعلت أحملُ الحجارةَ على رقبتي وإزاري عليَّ من بين أصحابي.(١)

---

(١) وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة، وكان رسول الله — ﷺ — ينقل الحجارة مع قومه إليها، وكانوا يجعلون أُزُرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان رسول الله — ﷺ — يحملها على عاتقه، وإزاره مشدود به، فقال له العباس رضي الله عنه : يا ابن أخي ! لو جعلت إزارك على عاتقك، ففعل فسقط مغشياً عليه، ثم قال : إزاري إزاري ! فشُد عليه إزاره، وقام يحمل الحجارة.
وفي حديث آخر : أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نُودي من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد، قال : وإنه لأول ما نودي.

وحديث ابن إسحاق إن صح أن كان في حال صغره إذا كان يلعب مع الغلمان فمحمله أن هذا الأمر كان مرتين، مرة في حال صغره ومرة في أول اكتهاله عند بنيان الكعبة.

حرب الفِجَار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله ـــ ﷺ ـــ أربعَ عشْرَةَ سنةً، أو خَمسَ عشْرةَ سنةً ـــ فيما حدثني أبو عُبيدة النحوي، عن أبي عَمْرو بن العَلاء ـــ هاجت حرب الفِجَار[1] بين قريش ومن معها من كِنانة، وبين قَيْس عَيْلان.

سببها : وكان الذي هاجها أن عُروةَ الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن هوازن، أجار لَطيمةً[2] للنعمان بن المُنذِر، فقال له البرَّاض بن قيس، أحد بني ضَمرة ابن بكر بن عبد مَناة بن كنانة : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم، وعلى الخلق، فخرج فيها عروة الرحَّال، وخرج البرَّاض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتَيْمَن ذي طِلال بالعالية، غفل عُروة، فوثب عليه البرَّاض، فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سُمِّي : الفجار. وقال البرَّاض في ذلك :

وداهيـــةٍ تُهـــمُّ النـــاسَ قبلـــي
شَدَدْتُ لها ـــ بني بكر ـــ ضُلوعـي

---

(١) الفجار بكسر الفاء بمعنى : المُفَاجَرة كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام، ففجروا فيه جميعاً، فسمى : الفجار.

فجارات العرب: وكانت للعرب فجارات أربع، ذكرها المسعودي، آخرها : فجار البراض المذكورة في السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شَمْطة، ويوم العبلاء، وهما عند عكاظ، ويوم الشَّرِب، وهو أعظمها يوما، وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا، فسُموا : العنابس، ويوم الحريرة عند نخلة، ويوم الشرب انهزمت قيس إلا بني نضر منهم، فإنهم ثبتوا، وإنما لم يقاتل رسول الله ـــ ﷺ ـــ مع أعمامه، وكان ينبل عليهم، وقد كان بلغ سن القتال ؛ لأنها كانت حرب فجار، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا.

(٢) اللطيمة : عير تحمل البز والعطر.

هدمتُ بهـــا بيـــوتَ بنـــــي كلابٍ
وأرضعتُ الموالــــــــــيَ بالضُّروع[1]
رفـــــعتُ له بذي طَلَّالَ كفِّـــــــي
فَخَـــرَّ يميـــدُ كالجِــذْعِ الصريـــع[2]

وقال لَبيد بنُ مالك بن جعفر بن كلاب :

أبلـغْ ــ إن عَرَضْتَ ــ بني كلابٍ
وعامــرَ والخطــوبُ لهـــا مَوَالِـــــي
وبلِّـغ ــ إن عَرَّضْتَ ــ بنـي نُمَيْرٍ
وأخــــوالَ القتيـــــل بنـــــي هلالِ
بأن الوافـــــــدَ الرَّحَّــــــالَ أمسى
مُقيمـــاً عنــــد تَيْمَـــــنَ ذِي طِلَالِ[3]

---

(١) الضروع : جمع ضرع، هو في معنى قولهم : لئيم راضع، أي : ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع، وأظهرت رذالتهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم. ذلك أن اللئيم كان يرضع من ضرع الماشية ولا يحلبها بخلا ولؤما.

(٢) قول البراض : رفعت له بذي طلال كفي. فلم يصرفه، يجوز أن يكون جعله اسم بقعة، فترك صرف الاسم للتأنيث والتعريف، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذات طلال، أي : ذات هذا الاسم المؤنث، كما قالوا : ذو عمرو أي : صاحب هذا الاسم، ولو كانت أنثى، لقالوا : ذات هند، مثلاً. فالجواب : أن قوله : « بذي » يجوز أن يكون وصفا لطريق، أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة. وأحسن من هذا كله أن يكون « طلال » اسماً مذكراً علماً، واسم العلم يجوز ترك صرفه في الشعر كثيراً. ووقع في شعر البراض مشدداً وفي شعر لبيد الذي بعد هذا مخففاً ؛ نقول : إن لبيداً خففه للضرورة، ولم نقل : إنه شدد للضرورة، وإن الأصل فيه التخفيف، لأنه فَعال من الطَلِّ. كأنه موضع يكثر فيه الطل فطلال بالتخفيف لا معنى له، وأيضاً ؛ فإنا وجدناه في الكلام المنثور مشدداً.

(٣) وقول لبيد : بين تَيْمِن ذي طلال، بكسر الميم وبفتحها، ولم يصرفه للعلمية ووزن الفعل، لأنه تَفْعِل، أو تَفْعَل من اليُمْن أو اليَمين.

وهذه الأبيات في أبيات له **فيما ذكر ابن هشام.**

قتال هوازن لقريش : قال ابن هشام : فأتى آتٍ قريشاً، فقال : إن البرَّاض قد قتل عُروةَ، وهم في الشهر الحرام بعُكَاظ، وهَوازن لا تشعر، ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرمَ، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما، والقوم متساندون، على كل قبيلٍ من قريش وكنانة رئيس منهم، وعلى كل قبيل من قيس رئيسٌ منهم.

الرسول ﷺ يشهد القتال وهو صغير : وشهد رسول الله ـــ ﷺ ـــ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ـــ ﷺ : كنت أُنَبِّل على أعمامي، أي أردَّ عنهم نَبْلَ عدوِّهم، إذا رموهم بها.

سن رسول الله ﷺ في هذه الحرب : قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفِجَار، ورسول الله ـــ ﷺ ـــ ابن عشرين سنة.

سبب تسمية هذا اليوم بالفجار : وإنما سُمي يومَ الفجار[1]، بما استحلَّ هذان الحيان : كنانةُ وقَيْس عَيْلان فيه من المحارم بينهم.

قائد قريش وكنانة : وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أُمية بن

---

(١) وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد. وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة، وكان عتبة بن ربيعة يتيما في حجره، فضَنَّ به حرب، وأشفق من خروجه معه، فخرج عتبة بغير إذنه، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادي : يا معشر مضر، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصلح ؛ على أن ندفع إليكم دية قتلاكم، ونعفو عن دمائنا، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهنا منا، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا. قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ورضيت كنانة. ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا، فيهم : حكيم بن حزام، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم، عَفَوْا من الدماء، وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار، وكان يقال : لم يَسُدْ من قريش مُمْلِق إلا عتبة وأبو طالب، فإنهما سادا بغير مال.

عبد شمس، وكان الظفرُ في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.

قال ابن هشام : وحديث الفجار أطولُ مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه قطعةُ حديثَ رسول الله ـ ﷺ.

تم بعون الله وحسن توفيقه
الجزء الأول
من كتاب
السيرة النبوية
لابن هشام
ويليه إنَ شاء الله
الجزء الثاني
وأوله : حديث تزويج
رسول الله ﷺ خديجة
رضي الله عنها



فَهْرسَة الجزء الأول
من سيرة ابن هشام

تمت الفهرسة

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة

لابن هشام

أبي مُحمّد عَبد الملِك بن هِشَام بن أيّوب
الحميري المَعافري البصْري
المتوفّى ٢١٣هـ - ٨٢٨م

الجزء الثاني

حقّق أصولها ووثّق نصوصها وكتب مقدّماتها
وضبط ألفاظها ووضع فهارسها
طَه عَبد الرؤوف سَعد
غفر الله له

دار الجيل
بيروت

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

حديث تزويج رسول الله ﷺ
خديجة رضي الله عنها

سنه ﷺ حين زواجه: قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة[1]، تزوج خديجة[2] بنتَ خويلد بن أَسد ابن عبد العُزَّى بن قُصَي بن كلابِ بن مُرة بن كعب بن لُؤَي بن غالب، فيما حدثني غيرُ واحد مِن أهل العلم عن أبي عَمرو المدني.

خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش

---

(١) وقيل كان سنُّه ﷺ إحدى وعشرين وقيل ثلاثين.

(٢) خديجة بنت خُوَيلد تسمى؛ الطاهرة في الجاهلية والإسلام، وفي سير التيمي: أنها كانت تُسمى: سيدة نساء قريش. وكانت قبل رسول الله ﷺ عند هند بن زرارة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ولدت له عبد مناف بن عتيق، وقال الزبير: ولدت لعتيق جارية اسمها: هند، وولدت لهند: ابناً اسمه: هند أيضاً مات بالطاعون: طاعون البصرة، ولخديجة من هند أبنان غير هذا، اسم أحدهما: الطاهر، واسم الآخر: هالة. وانظر شرحي للشمائل النبوية للإمام الترمذي.

قوماً تِجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظمِ أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرجَ في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضَلَ ما كانت تُعطي غيرَه من التجار، مع غلام لها يقال له: مَيْسَرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامُها ميسرة، حتى قدم الشام.

حديثه ﷺ مع الراهب: فنزل رسول الله ﷺ في ظلِّ شجرةٍ قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطَّلع الراهبُ إلى ميسرة، فقال له: مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحتَ هذه الشجرة؟ قال له ميسرةُ: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيٌّ[1].

ثم باع رسول الله ﷺ سلعتَه التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتريَ، ثم أقبل قافلا إلى مكةَ، ومعه ميسرةُ، فكان ميسرةُ ــ فيما يزعمون ــ إذا كانت الهاجرة، واشتد الحرُّ، يرَى ملكين يظلَّانه من الشمس ــ وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريباً. وحدَّثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلالِ الملكين إياه.

---

(١) ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي. يريد: ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي، ولم يرد: ما نزل تحتها قط إلا نبي؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك، وإن كان في لفظ الخبر: قط، فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفي، والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى، أو غيره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ويبعد في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد، حتى يجيء نبي ، إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث: لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ وهي رواية عن غير ابن إسحاق، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم.

وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطور وليس هو بَحيرا المتقدم ذكره.

خديجة ترغب في الزواج منه ﷺ: وكانت خديجةُ امرأةً حازمةً شريفة لبيبة، مع ما أراد اللهُ بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة مما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له فيما يزعمون: يا ابنَ عمّ، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسِطَتِكَ[1] في قومِك وأمانتك، وحسنِ خُلقك، وصدق حديثك، ثم عرضتْ عليه نفسَها،

---

(١) وقول خديجة رضي الله عنها: لِسِطَتك في عشيرتك، وقوله في وصفها: هي أوسط قريشاً نسباً. فالسِّطَةُ: من الوسط، مصدر كالعِدة والزِّنة، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في مقامين: في ذكر النسب، وفي ذكر الشهادة. أما النسب؛ فلأن أوسط القبيلة أعرفها، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً في النسب بهذا السبب. وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه: ﴿ **قال أوسطهم** ﴾ وقوله: ﴿ **وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ فكان هذا مدحا في الشهادة؛ لأنها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطا كالميزان، لا يميل مع أحد، بل يصمم على الحق تصميماً، لا يجذبه هوى، ولا يميل به رغبة، ولا رهبة. من هاهنا، ولا من هاهنا، فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل، وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط: الأفضل على الإطلاق، وقالوا: معنى الصلاة الوسطى: الفُضْلى، وليس كذلك، بل هو في جميع الأوصاف لا مدحٍ ولا ذم، كما يقتضي لفظ التوسط، فإذا كان وسطاً في السِّمَن، فهي بين المُمِخَّةِ — السمينة — والعجفاء، والوسط في الجمال بين الحسناء والشَّوْهاء،.. إلى غير ذلك من الأوصاف، لا يعطي مدحاً، ولا ذما، غير أنهم قد قالوا في المثل: أثقل من مُغَنٍّ وسط على الذم؛ لأن المغني إن كان مجيدا جدا أمتع وأطرب، وإن كان بارداً جداً أضحك وألهى، وذلك أيضاً مما يُمْتع. قال الجاحظ: « وإنما الكرب الذي يَجْثُمُ على القلوب، ويأخذ بالأنفاس، الغناء الفاتر الوسط الذي لا يمتع بحُسن، ولا يضحك بلهو.. » وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله ﷺ هو: أوسط الناس. أي: أفضلهم، ولا يوصف بأنه وسط في العلم، ولا في الجود، ولا في غير ذلك إلا في النسب والشهادة، كما تقدّم والحمد لله، والله المحمود.

عـن الروض الأنف من تحقيقنا جـ ١ ص ٢١٢—٢١٣.

وكانت خديجةُ يومئذ أوسطَ نساء قريش نسباً، وأعظمهنَّ شرفاً، وأكثرهن مالا، كُلُّ قومِها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدُرُ عليه.

نسب خديجة رضي الله عنها: وهي خديجة بنت خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي ابن غالب بن فِهْر.

وأمها: فاطمةُ بنتُ زائدةَ بنِ الأصمِّ بن رواحة بن حَجَر بن عبد ابن مَعِيص بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فهر.

وأُمُّ فاطمة: هالةُ بنتُ عبد مناف بن الحارث بن عَمرو بن مُنْقِذ ابن عَمرو بن مَعيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهْر.

وأم هالة: قِلابةُ بنتُ سُعَيْد بن سَعْد بن سَهْم بن عَمرو بن هُصَيْص ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر.

الرسول ﷺ يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه: فلما قالت ذلك لرسولِ الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامِه، فخرج معه عمه حمزةُ[1] بنُ عبد المطلب ــ رحمه الله ــ حتى دخل على خُوَيْلد[2] ابن أَسَد فخطبها إليه، فتزوجها.

---

(١) ويقال: إن أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله ﷺ وهو الذي خطب خطبة النكاح، وكان مما قاله في تلك الخطبة: « أما بعد: فإن محمداً ممن لا يُوازَن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونُبْلا وفضلا وعقلا، وإن كان في المال قُلٌّ، فإنما المالُ ظلٌّ زائل، وعارية مُسترجَعة. وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك » فقال عَمرو: هو الفحل الذي لا يُصدع أنفه، فأنكحها منه، ويقال: قاله ورقة بن نوفل، والذي قاله المبرد هو الصحيح؛ لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم.

(٢) وعن ابن عباس، وعن عائشة ــ رضي الله عنهم كلهم ــ قال: إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله ﷺ وأن خويلداً كان قد هلك قبل الفجار، =

صداق خديجة: قال ابن هشام: وأصدقها رسولُ الله ﷺ عشرين بَكْرة، وكانت أولَ امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوجْ عليها غيرَها حتى ماتت، رضي الله عنها.

أولاده ﷺ من خديجة: قال ابنُ إسحاق: فولدت لرسولِ الله ﷺ ولدَه كُلَّهم إلا إبراهيم: القاسمَ، وبه كان يُكْنَى ﷺ، والطاهرَ والطيب[1]، وزينبَ ورقيةَ، وأمَّ كلثوم، وفاطمةَ، عليهم السلام.

ترتيب ولادتهم: قال ابن هشام: أكبر بنيه: القاسمُ، ثم الطيبُ، ثم الطاهرُ، وأكبر بناته: رقيةُ، ثم زينبُ، ثم أمُّ كلثوم، ثم فاطمةُ.

قال ابن إسحاق: فأما القاسم، والطيب، والطاهر فهلكوا في الجاهلية.

وأما بناتُه: فكلُّهنَّ أدركْنَ الإسلامَ، فأسلمن وهاجرنَ معه ﷺ.

إبراهيم وأمه: قال ابن هشام: وأما إبراهيمُ فأمه: ماريةُ القبطيةُ. حدثنا عبد الله بـنُ وهب عن ابن لَهِيعة، قال: أمُّ إبراهيم: مارية سرية النبي ﷺ التي أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كورة أنْصِنَا.

= وخويلد بن أسد هو الذي نازع تُبَّعاً الآخر حين حج، وأراد أن يحتمل الركن الأسود معه إلى اليمن، فقام في ذلك خويلد، وقام معه جماعة، ثم إن تبعا رُوِّع في منامه ترويعاً شديداً حتى ترك ذلك، وانصرف عنه والله أعلم.

(١) الطاهر والطيب لقبان للقاسم، سمي بالطاهر والطيب، لأنه وُلد بعد النبوة، الذي سمي به أول هو: عبد الله، وبلغ القاسم المشي، غير أن رضاعته لم تكن كملت، وقد وقع في مسند الفريابي أن خديجة دخل عليها رسول الله ﷺ بعد موت القاسم، وهي تبكي: فقالت: « يا رسول الله دَرَّت لُبَيْنَةُ القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهون عليَّ، فقال: إن له مرضعا في الجنة تستكمل رضاعته، فقالت: لو أعلم ذلك لهوّن علي، فقال: إن شئت أسمعتك صوته في الجنة، فقالت: بل أصدق الله ورسولَه ».

ورقة يتنبأ له ﷺ بالنبوة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة[1] بنِ نَوْفل بن أَسَد بن عبد العُزَّى ـــ وكان ابنَ عمها، وكان نصرانياً قد تتبع الكتبَ، وعَلِمَ من عِلْمِ الناس ـــ ما ذكر لها غلامُها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة، إن محمداً لنبي هذه الأمة، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمة نبي يُنتظر، هذا زمانُه، أو كما قال.

شعر لورقة: فجعل ورقة يستبطـئ الأمرَ ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لَجِجْتُ وكنتُ في الذكرى لَجوجا ... لِهَمٍّ طالما بعثَ النَّشيجَا
ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجَا
ببطنِ المَكَّتَيْنِ على رجائي ... حديثك أن أَرى منه خُروجَا[2]

---

(١) وأم ورقة: هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي، ولا عقب له، وهو أحد من آمن وأسلم ـــ قبل البعثة ـــ راجع الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢١٦ـــ٢١٧.

(٢) ثني مكة، وهي واحدة؛ لأن لها بطَاحاً وظواهر، وقد ذكرنا من أهل البطاح، ومن أهل الظواهر فيما قبل، على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة، وجمعها، نحو قوله: وميت بغزات، يريد: بغزة، وبغادين في بغداد، وأما التثنية فكثير نحو قوله:

بالرقمتين لـه أجـر وأعـراس ... والحمتين سقـاك الله مـن دار

وقول زهير * ودار لها بالرقمتين * وقول ورقة من هذا: « ببطن المكتين ». لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ، وقد أضاف إليها البطن، كما أضافه المبرق حين قال:

* ببطن مكة مقهور ومفتون *

وإنما يقصد العرب في هذه الإشارة إلى جانبي كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى، وقد قالوا: « صدنا بقنوين »، وهو هنا اسم جبل، وقال عنترة: =

بما خَبَّرْتنا من قول قَسٍّ   من الرُّهبان أكره أن يعوجَا
بأن محمداً سيسودُ فينا   ويخْصِمُ من يكونُ له حَجِيجَا
ويظهرُ في البلادِ ضياءُ نورٍ   يُقيمُ به البريةَ أن تموجَا[1]

= * شربت بماء الدُّحرضين *

وهو من هذا الباب في أصح القولين، وقال عنترة أيضاً:

* بعنيزتين وأهلنا بالغيلم *

وعنيزة اسم موضع، وقال الفرزدق

* عشية سال المربدان كلاهما *

وإنما هو مربد البصرة. وقولهم:

* تسألني برامتين سلجما *

وإنما هو رامة. وهذا كثير. وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان، فتسميها جنتين في فصيح الكلام، إشعاراً بأن لها وجهين، وأنك إذا دخلتها، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قوة، وصدرك مسرة، وفي التنزيل: ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية: جنتان عن يمين وشمال** ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ **وبدلناهم بجنتيْهم جنتين** ﴾ وفيه: ﴿ **جعلنا لأحدهما جنتين** ﴾ الآية. وفي آخرها: ﴿ **ودخل جنته** ﴾ فأفرد بعد ما ثنى وهي هي، وقد حمل العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ والقول في هذه الآية يتسع.

وفي البيت: حديثك أن أرى منه خروجا. قوله « منه »: الهاء راجعة على الحديث، وحرف الجر متعلق بالخروج، وإن كره النحويون ذلك؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم، فلا يتقدم عليه؛ لأن المصدر مقدَّر بأن والفعل، فما يعمل فيه هو من صلة «أن» فلا يتقدم، فمن أطلق القول في هذا الأصل؛ ولم يخصص مصدراً من مصدر، فقد أخطأ المفصل وتاه في تضلل؛ ففي التنزيل: ﴿ **أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم** ﴾ ومعناه: أكان عجباً للناس أن أوحينا، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب؛ لأنها ليست في موضع صفة، ولا موضع حال لعدم العامل فيها — انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠.

(١) هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء وأن الضياء وهو المنتشر عن النور، وأن النور هو الأصل للضوء، ومنه مبدؤه، وعنه يصدر، وفي التنزيل: ﴿ **فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم** ﴾ وفيه: ﴿ **جعل الشمس ضياء، والقمر نوراً** ﴾ لأن نور=

فيلْقَى من يحاربُه خَساراً ... ويلقى من يسالمه فُلوجَا

فيا ليتي إذا ما كان ذَاكمْ ... شَهِدْتُ فكنتُ أوَّلَهم وُلوجَا[1]

وُلوجا في الذي كرهتْ قريشٌ ... ولو عجَّت بمكتِها عجيجَا

أُرَجِّي بالذي كرِهوا جميعاً ... إلى ذي العرشِ إن سفلوا عُروجَا

وهل أمرُ السَّفالةِ غيرُ كُفرٍ ... بمن يختار مَنْ سَمَكَ البروجَا[2]

فإن يبقوا وَأبْقَ تكنْ أمورٌ ... يَضُجُّ الكافرون لها ضَجيجَا

وإن أهلكْ فكلُّ فتى سَيَلْقَي ... من الأقدارِ مَتْلَفةً حَرُوجَا

= القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس، ولا سيما في طرفي الشهر. وفي الصحيح: « الصلاة نور، والصبر ضياء » وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو: الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن، والذكر. وفي أسماء الباري سبحانه « الله نور السموات والأرض » ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه ـــ سبحانه.

(١) ليتي: بحذف نون الوقاية، وحذفها مع ليت رديء، وهو في لعل أحسن منه؟ لقُرب مخرج اللام من النون، حتى لقد قالوا: لعل ولعن ولأن بمعنى واحد، ولا سيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل، وهذا يؤكد حذف النون من لعلني، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إن وأن ولكن وكأن لاجتماع النونات، وحسنه في لعل أيضا كثرة حروف الكلمة.
وفي التنزيل: ﴿ **لعلي أرجع إلى الناس** ﴾ بغير نون، ومجيء هذه الياء وليتي بغير نون مع أن ليت ناصبة، يدلك على أن الاسم المضمر في ضربني هو الياء، دون النون كما هو في ضربك، وضربه حرف واحد، وهو الكاف، ولو كان الاسم هو النون مع الياء ـــ كما قالوا في المخفوض: منيّ وعنّي بنونين. نون: من، ونون أخرى من الياء، فإذاً الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض، وفي حال النصب.

(٢) البروجا: جمع برج وهو في السماء؛ قيل منزلة القمر وقيل الكوكب وقيل باب السماء. [المصباح]

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحجر

سبب هذا البنيان: قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قُريش لبنيان الكعبة[1] وكانوا يهمُّون

---

(١) وكان بناؤها في الدهر خمس مرات الأولى: حين بناها شيث بن آدم، والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى، والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس، فوقعت في أستارها، فاحترقت، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها، فطارت شرارة من الجمر في أستارها، فاحترقت، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره، فهابوا هدمها، وقالوا: نرى أن تصلح ما وَهَى، ولا تهدم. فقال: لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاح، ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها؛ فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر؛ فحركوا حجرا فرأوا تحته نارا وهو ما أفزعهم، فأمرهم أن يقروا القواعد، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر. فلما قام عبد الملك ابن مروان، قال لسنا من تخليط أبي خبيث بشيء (كذا) فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إن الكعبة بيت الله، ولا بد للبيت من فناء، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها، وبنى المسجد المحيط بها، ثم كان عثمان، فاشترى دورا أخرى، وأغلى في ثمنها، وزاد في سعة المسجد، فلما كان ابن الزبير زاد في إتقانه، لا في سعته، وجعل فيه عمداً من الرخام، وزاد في أبوابه، وحسنها، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد، وحمل إليه السواري في البحر إلى جدة.

بذلك، ليسقفوها ويهابون هدمَها، وإنما كانت رَضْماً[1] فوق القامة[2]، فأرادوا رفعَها وتسقيفَها، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وُجد عنده الكنز دُوَيْكاً مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خزاعة.

قال ابن هشام: فقطعت قريش يده.

وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْك، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار[3]، فتهيأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصلحها، وكانت حَيَّةٌ تخرجُ من بئر الكعبة التي كان يُطرَح فيها ما يُهدَى لها كل يوم، فتتشرق[4] على جدار الكعبة، وكانت مما يَهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلَّتْ وَكَشَّتْ[5]، وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبينا هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائراً

---

(١) الرضم: أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال:

رُزْئتُهم في ساعة جَرَّعتُهُم　　كئوس المنايا تحت صخر مُرَضَّمِ

(٢) فوق القامة: كلام كثير مُبيّن لمقدار ارتفاعها إذ ذاك، وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل، ولم يكن لها سقف، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع، فكانت ثمان عشرة ذراعا، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يُصعد إليها إلا في دَرَج أو سلم، وأول من عمل لها غَلقاً، وهو تُبَّع. ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع. فكانت سبعا وعشرين ذراعا.

(٣) وذكر غيره أنه كان علجاً ــ الكافر من العجم ــ في السفينة التي قذفتها الريح إلى الشُّعَيْبة، وأن اسم ذلك النجار: ياقوم، وكذلك روي أيضا في اسم النجار الذي عمل منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة، ولعله أن يكون هذا، فالله أعلم.

(٤) تتشرق: تبرز للشمس.

(٥) احزألت، أي رفعت ذنبها، وكشّت، أي: صوتت.

فاختطفها[1]، فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضيَ ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحيةَ.

أبو وهب ــ خال أبي رسول الله ﷺ ــ وما حدث له عند بناء الكعبة : فلمّا أجمعوا أمرَهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بنُ عَمرو ابن عائذ بن عَبْد بن عمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كَسْبِكم إلا طَيِّباً، لا يدخل فيها مَهر بَغِيٍّ، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، والناس ينحلون هذا الكلام الوليدَ بنَ المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني عبدالله بن أبي نجيح المكي أنه حُدِّث عن عبدالله بن صفوان بـن أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي أنه رأى ابنا لجَعْدة بن هُبَيْرة بن أبي وهب بن عَمرو يطوف بالبيت، فسُئل عنه، فقيل: هذا ابن لجَعْدة بـن هُبَيْرة، فقال عبدالله بن صفوان عند ذلك: جَدُّ هذا، يعني: أبا وهب الذي أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يا معشر قريش، لا تُدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا

(١) وقال غيره: طرحها الطائر بالْحَجُونِ، فالتقمتها الأرض. وقال محمد بن الحسن المقري هذا القول، ثم قال: وهي الدابة التي تكلم الناس قبل يوم القيامة. واسمها: أَقْعى. غير أنه قد روي في حديث آخر أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة التي تكلم الناس، فأخرجها له من الأرض، فرأى منظراً هاله وأفزعه، فقال: أيْ رَبِّ: ردها، فردها. (عن الروض الأنف) بتحقيقنا.

لا تدخلوا فيها مهرَ بغيٍّ ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس[1].

شعر في أبي وهب: قال ابن إسحاق: وأبو وهب: خال أبي رسول الله ﷺ وكان شريفا، وله يقول شاعر من العرب:

ولو بأبي وهبٍ أنختُ مَطِيتي	غَدَتْ من نَدَاه رحلُها غيرَ خائبِ
بأبيضَ من فَرْعَيْ لؤيٍّ بن غالب	إذا حُصِّلت أنسابُها في الذوائبِ
أَبِيٍّ لأخذ الضيم يرتاحُ للنَّدَى	توسَّطَ جَدَّاه فروعَ الأطايبِ
عظيم رَمادِ القِدْرِ يملأُ جفانَه	من الخبزِ يعلوهنَّ مثلُ السبائبِ

نصيب قبائل قريش في تجزئة الكعبة: ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة، فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف وزُهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم، وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمح وسَهْم، ابنيْ عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي، وكان شِقُّ الحِجْر لبني عبد الدار بن قُصَي، ولبني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي، ولبني عَدِي بن كعب بن لُؤَي وهو الحَطيم.

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة: ثم إن الناس هابوا هدمها وفَرِقُوا منه. فقال الوليدُ بن المغيرة: أنا أبدؤُكم في هدمها، فأخذ المِعْوَلَ، ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم لم تُرَعْ[2] ـ **قال ابن**

---

(١) وقال غير ابن إسحاق: ضربوا بالمعول في حجر من أحجارها، فلمعت برقة كادت تخطف أبصارهم، وأخذ رجل منهم حجراً، فطار من يده، وعاد إلى موضعه.

ومهر البغي: وهي الزانية، وهي فَعُول من البِغاء، فأدغمت الواو في الياء. وقوله: ولا بيع ربا، يدل على أن الربا كان محرماً عليهم في الجاهلية، كما كان الظلم والبغاء ـ وهو الزنا ـ محرما عليهم.

(٢) اللهم لم تُرَعْ، وهي كلمة تقال عند تسكين الرَّوع، وإظهار اللين والبر في القول، ولا روع في هذا الموطن فيُنْفى، ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البر؛ فلذلك =

هشام: ويقال: لم نزغ ــ اللهم إنا لا نريدُ إلا الخيرَ، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناسُ تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء، فقد رضي اللهُ صنعَنا، فهدمنا!! فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساسِ إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارةٍ خُضْرٍ كأَسْنمةٍ[٢] آخذٍ بعضُها بعضاً.

امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه: قال ابن إسحاق: فحدثني بعض من يروي الحديثَ: أن رجلا من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عتلة بين حَجرين منها ليقلعَ بها أحدَهما، فلما تحرك الحجرُ تنقَّضت مكةُ بأسْرِها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

الكتاب الذي وُجد في الركن: قال ابن إسحاق: وحُدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجلٌ من يهودَ، فإذا هو: «أنا اللهُ ذو بكةَ، خلقتها يومَ خلقتُ السمواتِ والأرضَ، وصورتُ الشمسَ والقمرَ، وحففتها بسبعةِ

= تكلموا بها، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام، وإن كان فيها ذكر الرَّوع الذي هو محال في حق الباري تعالى، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا، جاز النطق بها. ويروى أيضاً: اللهم لم نزغ، وهو جَليٌّ لا يشكل.

(١) وليست هذه رواية السيرة الأصلية: إنما الصحيح في الكتاب: كالأسنة وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحاق والله أعلم؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره، وقد ذكر البخاري في بنيان الكعبة هذا الخبر، فقال فيه عن يزيد بن رومان: فنظرت إليها، فإذا هي كأسنمة الإبل، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا في الزرقة وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمها. راجع فتح الباري بتحقيقنا.

أملاكٍ حُنفاء، لا تزول حتى يزولَ أخشباها، مُبَاركٌ لأهلها في الماءِ واللبن »[1].

قال ابن هشام: أخشباها: جبلاها.

الكتاب الذي وجد في المقام: قال ابن إسحاق: وحُدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه: « مكةُ بيت الله الحرام يأتيها رزقُها من ثلاثةِ سُبلٍ، لا يحلُّها أولُ مِنْ أهلِها »[2].

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة: قال ابن إسحاق: وزعم ليث بن أبي سُلَيْم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مَبْعثِ النبي ﷺ بأربعين سنةً ــ إن كان ما ذُكر حقّاً ــ مكتوباً فيه: « من يزرع خيراً، يحصد غبطةً، ومن يزرع شرّاً، يحصد ندامة، تعملون السيئاتِ، وتُجزَوْن الحسنات؟! أجل، كما لا يُجتنى من الشوك العنب ».

الاختلاف بين قريش في وضع الحجر: قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع

---

(١) روي مَعْمَرُ بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال: بلغني أن قريشاً حين بَنَوْا الكعبة، وجدوا فيها حجرا، وفيه ثلاث صُفُوح، في الصفح الأول: أنا الله ذو بكة صغتها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق، وفي الصفح الثاني: أنا الله ذو بكة، خلقت الرحم، واشتققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتتُّه، وفي الصفح الثالث: أنا الله ذو بكة، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن كان الخير على يديه، وويل لمن كان الشر على يديه.

(٢) لا يُحلّها أولُ من أهلها، يريد ــ والله أعلم ــ ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْنِ بن نُمَيْر، ثم الحجاج بعده، ولذلك قال ابن أبي ربيعة:

ألا مَــن لقــلبٍ مُعَنــى غَــزِلْ ... بِــحُبِّ المُحِلّــة أخت المُحِــلّ

يعني بالمحل: عبد الله بن الزبير، لقتاله في الحرم.

على حِدَةٍ، ثم بَنَوْها، حتى بلغ البنيانُ موضعَ الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعَه إلى موضعِه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا؛ وأَعدُّوا للقتال.

لعَقَة الدم: فقرَّبتْ بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً؛ ثم تعاقدوا هم وبنو عَدي بن كعب بن لُؤَي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجَفْنة، فسُمُّوا: لَعَقَةَ الدم، فمكثت قريش على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً، ثم إنهم اجتمعوا في المسجدِ، وتشاوروا وتناصفوا.

أبو أمية بن المغيرة يجد حلا: فزعم بعضُ أهل الرواية: إن أبا أُميَّة بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، وكان عَامئذٍ أسنَّ قريش كلِّها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم ــ فيما تختلفون فيه ــ أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا.

الرسول ﷺ يضع الحجر: فكان أولَ داخل عليهم رسولُ الله ﷺ فلما رَأَوْه قالوا: هذا الأمين، رَضِينا، هذا محمدٌ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ قال ﷺ: هَلُمّ إليَّ ثوبا، فأُتي به، فأخذ الركنَ فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوْب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بني عليه[1].

---

(١) وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدي، وأنه صاح بأعلى صوته: يا معشر قريش: أرضيتم أن يضع هذا الركن ــ وهو شرفكم ــ غلام يتيم دون ذوي أسنانكم؟ فكاد يثير شراً فيما بينهم، ثم سكَّنوا ذلك. وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير، وأبوه يصلي بالناس في المسجد اغتنم تشغل الناس عنه بالصلاة لما أحسَّ منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف، فأقره أبوه.

وكانت قريش تُسمِّي رسولَ الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين.

شعر الزبير في الحية التي كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة: فلما فرغوا من البنيان، وبَنَوْها على ما أرادوا، قال الزبيرُ ابن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيانَ الكعبة لها:

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبتِ العُقَاب ... إلى الثعبانِ وهْيَ لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشِيشٌ ... وأحياناً يكونُ لها وِثابُ
إذا قُمنا إلى التأسيسِ شدَّت ... تُهيِّبنا البناءَ وقد تُهابُ
فلما أن خَشينا الرِّجزَ جاءت ... عقابُ تَتْلَئِبُّ لها انصبابُ[1]
فضمَّتها إليها ثم خَلَّتْ ... لنا البنيانَ ليس له حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناءٍ ... لنا منه القواعدُ والترابُ
غَداةَ نُرَفِّع التأسيسَ منه ... وليس على مُسَوِّينا ثيابُ[2]
أعزَّ به المليكُ بني لُؤَيٍّ ... فليس لأصلِه منهم ذهابُ
وقد حَشَدَتْ هناك بنو عَدِيٍّ ... ومُرةُ قد تقدَّمها كلابُ
فَبوَّأنا المليكُ بذاكَ عِزّاً ... وعندَ اللهِ يُلتَمس الثوابُ

---

(١) تَتْلَئِبُّ، يقال: اتلأبَّ على طريقه إذا لم يُعَرّج يَمْنَةً ولا يَسْرة، وكأنه منحوت من أصلين من تلا: إذ اتبع، وألَبَ: إذا أقام، وأبَّ أيضا قريب من هذا المعنى. يقال: أب إبابة إذا استقام وتهيأ، فكأنه مقيم مستمر على ما يتلوه ويتبعه مما هو بسبيله، والاسم من اتْلأبَّ: التُّلأبيبة على وزن الطُّمأنينة والقُشَعْريرة قاله أبو عبيد. (وانظر كتاب العين).

(٢) وليس على مُسَوّينا ثياب. أي: مُسَوّي البنيان. وهو في معنى الحديث الصحيح في نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عراة، ويرون ذلك دِيناً، وأنه من باب التشمير والجد في الطاعة على قولهم.

قال ابن هشام: ويروى:

وليس على مَساوِينا ثياب[1]

ارتفاع الكعبة وكسوتها: وكانت الكعبةُ على عهدِ رسول الله ﷺ ثماني عَشْرةَ ذِراعاً، وكانت تُكْسى القِباطيَّ، ثم كُسيت البرودَ، وأولُ من كساها الديباجَ: الحجاجُ بن يوسف.

حديث الحُمس

قريش تبتدع الحُمس: قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش — لا أدري أقبل الفيل أم بعده — ابتدعت رأي الْحُمْس[2] رأيا رأوه وأداروه فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحُرمة، ووُلاة البيت، وقُطَّان مكة وساكنُها، فليس لأحد من العرب مثلُ حقِّنا، ولا مثلُ منزلتنا، ولا تعرفُ له العرب مثلَ ما تعرِفُ لنا، فلا تعظِّموا شيئاً من الحِلِّ كما تُعظمون الحرَمَ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفَّت العربُ بحُرمتِكم، وقالوا: قد عظموا من الحلِّ مثل ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ﷺ ويَرَوْن لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهلُ الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرجَ من الحرمة، ولا

---

(١) وقول ابن هشام: ويروي: مَساوِينا، يريد السوءات، فهو جمع مساءة، مفعلة من السَّوءة والأصل مساوئ، فسهلت الهمزة.

(٢) والتحمس: التشدد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهد والتأله، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشَّعْر ولا الوبر، وكانوا لا يَسْلَئون السمن، وسلأ السمن أن يُطْبخ الزبد، حتى يصير سمناً، قال أبرهة:

إن لنا صِرْمَةً مُخَيَّسَةَ نشرب ألبانها ونسلؤها

نعظم غيرَها، كما نعظمها نحن الحُمْس، والحمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن وُلدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم، بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويَحرُم عليهم ما يَحرُم عليهم.

القبائل التي آمنت مع قريش بالْحُمْس: وكانت كِنانة وخُزَاعة قد دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيْدة النحوي: أن بني عامر بن صَعْصَعة ابن معاوية بن بكر بن هَوازن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعَمْرو ابن مَعْدِيكَرِب :

أعباسُ لو كَانتْ شِيَاراً جيادُنا بتثليثِ ما ناصَيْتَ بعدي الأحامِسا[1]

قال ابن هشام: تثليث: موضع من بلادهم. والشِّيَار: الحسان. يعني بالأحامس: بني عامر بن صَعْصَعة. وبعباس: عباس بن مِرْداس السُّلَمِيّ، وكان أغار على بني زُبَيْد بتثليث. وهذا البيت في قصيدة لعمرو.

وأنشدني للَقِيط بن زُرارة الدَّارِمي في يوم جَبَلة[2]:

أَجْذِمْ إليك إنها بنو عَبْس المعْشَرُ الحِلَّةُ في القَوْمِ الحُمْس[3]

لأن بني عَبْس كانوا يوم جَبَلة حلفاء في بني عامر بن صَعْصَعة.

يوم جبلة: ويومُ جَبَلة: يومٌ كان بين بني حَنْظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم، وبين بني عامر بن صَعْصَعة، فكان الظَّفَر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حَنْظلة، وقُتل يومئذ لَقِيطُ بن زُرارة بن

(١) شياراً: من الشَّارة الحسنة يعني: سمانا حسانا وبعد البيت:

ولكنهـا قِيـدَتْ بصعـدة مَـرَّةً فأصبحن ما يمسّين إلا تَكارُما

(٢) يوم جَبَلة، وجبلة هضبة عالية، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس نجران، وهو ابن الجَوْنِ الكندي، وأخ للنعمان بن المنذر، واسمه: حسان بن وبرة، وهو أخو النعمان لأمه، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله ﷺ.

(٣) أَجْذِمْ: زَجْرٌ معروف للخيل وكذلك: أرحب، وهَبْ وهِقِطْ وهِقَطْ وهِقَبْ.

عُدُس[1]، وأُسر حاجبُ بن زُرارة بن عُدُس، وانهزم عَمرو بن عمرو ابن عُدُس بـن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة. ففيه يقول جرير للفرزدق:

كأنك لم تشهدْ لَقيطاً وحاجباً ... وعَمرو بنَ عَمرٍو إذا دَعَوْا: يا لَدَارِمِ

وهذا البيت في قصيدة له.

يوم ذي نَجَب: ثم التقوا يومَ ذي نَجَب فكان الظَّفر لحنظلة على بني عامر، وقُتل يومئذٍ حسانُ بن معاوية الكِنْديُّ وهو أبو كَبْشة. وأُسر يزيد بن الصَّعِق الكلابي وانهزم الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفَيْل. ففيه يقول الفرزدق:

ومنهنَّ إذ نجَّى طُفَيل بن مالك ... على قُرْزُل رَجْلا ركوضَ الهزائم[2]
ونحن ضربنا هامةَ ابنِ خُوَيْلدٍ ... نزيدُ على أمِّ الفِراخ الجواثم[3]

وهذان البيتان في قصيدة له.

---

(١) هو: عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عُبَيدة، فإنه كان يفتح الدال منه، وكل عَدَس في العرب سواه فإنه مفتوح الدال.

(٢) قُرْزُل: اسم فرسه، وكان طُفَيل يسمى: فارس قُرْزل، وقرزل: القيد سمي الفرس به، كأنه يقيِّد ما يسابقه كما قال امرؤ القيس:

* بمنجرد قيد الأوابد هيكل *

وطُفَيْل هذا هو: والد عامر بن الطفيل، عدو الله وعدو رسوله، وأخو طفيل هذا: عامر ملاعب الأسنَّة.

(٣) وقوله: على أم الفراخ الجواثم. يعني: الهامة، وهي البوم، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قُتل خرجت من رأسه هامة تصيح: اسقوني، اسقوني، حتى يؤخذ بثأره. قال ذو الإصبع العدواني :

* أضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسقوني *

فقال جرير:

ونحن خَضَبْنا لابنِ كبشةَ تاجَه ... ولاقى امرأً في ضَمةِ الخيلِ مِصْقَعَا(١)

وهذا البيت في قصيدة له.

وحديث يوم جَبَلة، ويوم ذي نَجَب أطولُ مما ذكرنا. وإنما منعني من استقصائه ما ذكرتُ في حديث يومِ الفِجَار.

ما زادته قريش في الحُمْس: قال ابن إسحاق: ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي للحُمْس أن يأْتَقِطوا الأَقِط، ولا يَسْلَئُوا السمنَ وهم حُرم، ولا يدخلوا بيتا من شعر، ولا يستظلوا ــ إن استظلوا ــ إلا في بيوت الأَدَم ما كانوا حُرُماً، ثم رفعوا في ذلك، فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحِلِّ إلى الحَرم إذا جاءوا حُجاجاً أو عُمَّاراً، ولا يطوفون بالبيت إذا قَدِموا أولَ طوافهم إلا في ثياب الحُمْس. فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً.

اللَّقَى عند الحمس: فإن تكرَّم منهم مُتكرِّم من رجل أو امرأة، ولم يجدوا ثياب الحمس؛ فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم ينتفعْ بها، ولم يَمَسَّها هو، ولا أحدٌ غيرُه أبداً.

وكانت العرب تُسمي تلك الثياب: اللَّقَى، فحملوا على ذلك العربَ.

---

(١) المعروف في اللغة أن المِصْقَع: الخطيب البليغ، وليس هذا موضعه، لكن يقال في اللغة: صقعه: إذا ضربه على شيء مُصْمت يابس، قاله الأصمعي، فيشبه أن يكون مصقع في هذا البيت من هذا المعنى، فيقال منه: رجل مصقع كما يقال: محرب وفي الحديث: « إن سعدا لمحرب » يعني ابن أبي وقاص رضي الله عنه.

فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عُراةً، أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع إحْدَاهن ثيابَها كلَّها إلا درعا مُفَرَّجا عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب[1]، وهي كذلك تطوف بالبيت:

اليومَ يَبْدو بَعْضُهُ، أوْ كلُّه وما بدا منه فلا أُحِلُّه

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحلِّ ألقاها، فلم ينتفع بها هو ولا غيره. فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه، فلا يقربه — وهو يحبه:

كفى حَزَناً كَرِّي عليها كأنها لَقًى بين أيدي الطائفين حَرِيمُ

يقول: لا تمس[2].

---

(١) ويذكر أن هذه المرأة هي: ضُبَاعة بنت عامر بن صعصعة، ثم من بني سلمة بن قُشَيْر.
وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله ﷺ خطبها، فذُكرت له عنها كبرة، فتركها، فقيل: إنها ماتت كمداً وحُزنا على ذلك. قال ابن حبيب: إن كان صح هذا، فلما أخرها عن أن تكون أُمّاً للمؤمنين، وزوجاً لرسول رب العالمين إلا قولها: اليوم يبدو بعضُه أو كلُّه، تَكرِمة من الله لنبيه وعِلماً منه بغَيْرته، والله أغير منه.

(٢) ومن اللَّقَى: حديث فاختة أم حكيم بن حزام، وكانت دخلت الكعبة وهي حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام، فأجاءها المخاض، فلم تستطع الخروج من الكعبة، فوضعته فيها، فلُفَّت في الأنطاع هي وجنينها، وطرح مثبرها وثيابها التي كانت عليها، فجعلت لقَى لا تُقرب.
ولم يذكر الطُّلْس من العرب، وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس، كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلْساً من الغبار، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطُّلْس، فسُموا بذلك. ذكره محمد بن حبيب.
وفي البيت كلمة لقي: وهو الثوب الذي كان يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد. وكلمة حريم: أي محرم، لا يؤخذ، ولا يُنتفع به، وكل شيء مطرح، فهو لقي. ومما ذُكر من تعريهم في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك، فانضم الرجل =

الإسلام يُبطل عادات الحُمْس: فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً ﷺ فأُنزل عليه حين أُحكم له دينُه، وشُرع له سَنن حجه: ﴿ **ثم أَفيضوا من حيثُ أفَاض الناسُ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ يعني قريشاً، والناس: العرب، فرفعهم في سنَّة الحجِّ إلى عرفات، والوقوف عليها والإفاضة منها.

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرَّموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت، حين طافوا عُراةً، وحرَّموا ما جاءوا به من الحلِّ من الطعام: ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتَكم عندَ كلِّ مسجد، وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا. إنه لا يحب المسرفين. قل: مَنْ حرَّم زينةَ الله التي أخرج لعبادِهِ والطيباتِ من الرزقِ. قل: هي للذين آمنوا في الحياةِ الدنيا خالصةً يومَ القيامةِ. كذلك نفصِّل الآياتِ لقوم يعلمون** ﴾[1]،

= إلى المرأة تلذذاً واستمتاعاً، فلصق عضده بعضدها، ففزعا عند ذلك، وخرجا من المسجد، وهما ملتصقان، ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها، حتى قال لهما قائل: توبا مما كان في ضميركما، وأخلِصا لله التوبة، ففعلا، فانحل أحدُهما من الآخر.

(١) وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الحمس، وهو قوله تعالى: ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا** ﴾ الآية. فقوله: ﴿ **وكلوا واشربوا** ﴾ إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلا طعامَ أحْمَس، و﴿ **خذوا زينتكم** ﴾: يعني اللباس، ولا تتعروا، ولذلك افتتح بقوله: ﴿ **يا بني آدم** ﴾ بعد أن قص خبر آدم وزوجه. إذ يخصفان عليهما من ورق الجنة، أي: إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم، فآدم أبوكم، ودينه: ستر العورة، كما قال: ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ أي إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم، فإبراهيم أبوكم، ولم يكن من المشركين، ومما نزل في ذلك: ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاءً وتصدية** ﴾. ففي التفسير أنهم كانوا يطوفون عراة، ويصفِّقون بأيديهم ويصفرون، فالمكاء: الصفير، والتصدية التصفيق. =

فوضع الله تعالى أمر الحُمْس، وما كانت قريش ابتدعت منه — عن الناس بالإسلام، حين بعث الله به رسولَه ﷺ.

الرسول ﷺ يخالف الحُمْس قبل الرسالة: قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم، عن عثمان ابن أبي سليمان بن جُبَيْر بن مُطْعِم، عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جُبير بن مُطْعِم. قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفعَ معهم منها توفيقا من الله له، ﷺ تسليماً كثيراً[1].

إخبار الكهان من العرب، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى ببعثته ﷺ

الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه: قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبلَ مبعثه، لما تقاربَ من زمانه.

أما الأحبارُ من يهودَ، والرهبان من النصارى، فعمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. وأما الكهانُ من العرب: فأتتهم به الشياطين من الجنِّ فيما تسترق من

= ومما نزل من أمر الحمس: ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورِها**﴾ لأن الحمس لا يدخلون تحت سقف، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها، فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسنَّم البيت من ظهره، ولم يدخل من الباب.

(١) حتى لا يفوته ثوابَ الحج، والوقوف بعرفة. قال جُبَيْر بن مُطْعِم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس: هذا رجل أحمس، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون؟!

السمع إذ كانت هي لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكرُ بعضِ أمورِه، لا تلقي العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون؛ فعرفوها.

قذف الجن بالشُّهُب دلالةً على مبعثه ﷺ: فلما تقارب أمرُ رسول الله ﷺ وحضر مبعثُه، حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينَها وبين المقاعد التي كانت تقْعدُ لاستراقِ السمع فيها فرُموا بالنجوم، فعرفت الجنُّ أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد[1] يقول اللهُ تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ حين بعثه، وهو يقص عليه خبرَ الجنِّ إذ حُجبوا عن السمع، فعَرفوا ما عَرَفوا، وما أنكروا من ذلك حين رَأَوْا ما رَأَوْا: ﴿ **قل أُوحيَ إليَّ أنه استمع نفرٌ من الجنِّ**[2]. **فقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد، فآمنَّا به، ولن نشرك بربِّنا أحدا، وأنه تعالى جَدُّ ربِّنا؛ ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً. وأنه كان يقول سفيهُنا على الله شططاً، وأنا ظننا أن لن تقول الإنسُ والجنُّ على الله كذباً. وأنه كان رجالٌ من الإنسِ يعوذون برجالٍ من الجنِّ،**

---

(١) رُوي في مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى، فلما بُعث عيسى، أو وُلد، حجب عن ثلاث سموات، فلما وُلد محمد حجب عنها كلها، وقذفت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم: قامت الساعة، فقال عتبة ابن ربيعة: انظروا إلى العيوق فإن كان رُمي به، فقد آن قيام الساعة، وإلا فلا، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر.

(٢) وفي الحديث أنهم كانوا من جن نصيبين. وفي التفسير أنهم كانوا يهوداً ؛ ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى، ذكره ابن سلام. وكانوا سبعة، قد ذكروا بأسمائهم في التفاسير والمسندات، وهم: شاصر، وماصر، ومنشي، ولاشي والأحقاب، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد ومسروق وعمرو. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٣٤ــ٢٣٧. أيضا الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

فزادوهم رهقاً ﴾. إلى قوله: ﴿ **وأنا كنا نقعدُ منها مقاعدَ للسمعِ فمن يستمع الآنَ يجدْ له شهاباً رصداً. وأنا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرضِ، أم أراد بهم ربُّهم رشداً** ﴾.

فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عَرفتْ أنها إنما مُنعت من السمع قبل ذلك، لئلا يُشْكل الوحيُ بشيء من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجَّة، وقطْع الشُّبْهة[1]. فآمنوا وصدقوا، ثم: ﴿ **ولَّوْا إلى قومِهم منذرين. قالوا: يا قومَنا إنا سمعنا كتاباً أُنْزِل من بعدِ موسى، مصدِّقا لما بين يديْه، يهدي إلى الحقِّ، وإلى طريقٍ مستقيم** ﴾.. الآيات.

وكان قولُ الجن: ﴿ **وأنه كان رجالٌ من الإنسِ يعوذون برجالٍ من الجنِّ، فزادوهم رهقا** ﴾. أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنزل بطنَ وادٍ من الأرض ليبيتَ فيه، قال: إني أعوذُ بعزيزِ هذا الوادي من الجنِّ الليلةَ من شرِّ ما فيه.

قال ابن هشام: الرَّهَق: الطغيان والسَّفَه. قال رُؤْبة بن العَجَّاج:

إذ تَسْتَبـي الهيَّامـة المُرَهَّقَـا

---

(١) الذي يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم ــ وجد بظهور الإسلام، لكن القذف بالنجوم قد كان قديماً، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية. منهم: عوف ابن الجزع، وأوس بن حجر، وبشر بن أبي حازم، وكلهم جاهلي، وقد وصفوا الرمي بالنجوم، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مشكل ابن قتيبة في سورة الجن، وذكر عبد الرزَّاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سُئل عن هذا الرمي بالنجوم: أكان في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه إذا جاء الإسلام غلظ وشدد، وفي قول الله سبحانه: ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشُهباً** ﴾ ولم يقل: حُرست دليل على أنه قد كان منه شيء، فلما بعث النبي ﷺ ملئت حرسا شديدا وشهبا، وذلك لينحسم أمر الشياطين، وتخليطهم، ولتكون الآية أبين، والحجة أقطع.

وهذا البيت في أرجوزة له. والرَّهق أيضاً: طلبك الشيء حتى تدنوَ منه، أو لا تأخذه. قال رُؤْبة بن العَجَّاج يصف حمير وحش:

بَصْبَصْنَ واقْشَعرَرْنَ من خَوف الرَّهَـقْ

وهذا البيت في أرجوزة له. والرَّهق أيضاً: مصدرٌ لقول الرجل: رَهِقْتُ الإثم أو العُسْر الذي أرهقتني رهقا شديدا؛ أي: حملتُ الإثم أو العُسر الذي حملني حملا شديدا، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **فخشِينا أن يُرْهِقَهما طُغياناً وكفراً** ﴾ وقوله: ﴿ **ولا تُرهقني من أمري عُسراً** ﴾.

ثقيف أول من فَزِعت برمي الجن: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن أولَ العرب فَزِع للرمي بالنجوم ـــ حين رُمي بها، هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عَمرو بن أمية أحد بني عِلاَج ـــ قال: وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً ـــ فقالوا له: يا عَمرو، ألم ترَ ما حدث في السماءِ من القذف بهذه النجوم. قال: بَلَى، فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التي يُهْتَدى بها في البرِّ والبحر، وتُعرَف بها الأنواءُ من الصيف والشتاء لما يُصلح الناسَ في معايشهم، هي التي يُرْمَى بها، فهو والله طيُّ الدنيا، وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرَها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق، فما هو[1]؟

---

(١) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لهب عند فزعهم الرَّمْي بالنجوم، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له: خطر، فبين لهم الخبر، وما حدث من أمر النبوة.

الرسول يسأل الأنصار عن قولهم في رجم الجن بالشهب وتوضيحه للأمر

قال ابن إسحاق: وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن علي بن الحُسين بن علي بن أبي طالب، عن عبدالله بن العباس، عن نفر من الأنصار: أن رسولَ الله ﷺ، قال لهم: « ماذا كنتم تقولون في هذا النَّجْم الذي يُرْمَى به قالوا: يا نبي الله كنا نقول حين رأيناها يُرْمَى بها: مات مَلِكٌ، مُلِّك مَلِك، وُلد مولود، مات مولود، فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك كذلك، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قَضى في خلقِه أمراً سَمِعه حملةُ العرش، فسبَّحوا، فسبَّح مَنْ تَحتَهم، فسبح لتسبيحِهم مَن تحتَ ذلك، فلا يزال التسبيح يهبطُ حتى ينتهيَ إلى السماء الدنيا، فيسبحوا، ثم يقول بعضُهم لبعض: مِمَّ سبحتم؟ فيقولون: سَبَّحَ مَن فوقنا فسبحنا لتسبيحهم، فيقولون: ألا تسألون مَنْ فوقَكم: مِمَّ سبحوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حملةِ العرشِ، فيُقال لهم: مِمَّ سبحتم؟ فيقولون: قضى اللهُ في خلقه كذا وكذا، للأمرِ الذي كان، فيهبطُ به الخبرُ من سماءٍ إلى سماء

حتى ينتهي إلى السماءِ الدنيا، فيتحدثوا به، فتسترقه الشياطينُ بالسمع، على توهّم واختلاف، ثم يأتوا به الكهان من أهلِ الأرض فيحدثوهم به.. فيخطئون ويصيبون، فيتحدث به الكهانُ فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً. ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقْذَفون بها، فانقطعت الكهانةُ اليومَ فلا كهانةَ »[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني عَمرو بن أبي جعفر، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لَبيبة، عن علي بن الحُسين بن علي رضي الله عنهم، بمثل حديث ابن شهاب عنه.

الغَيْطَلة وصاحبها: قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أهل العلم: أن امرأةً من بني سَهْم يقال لها الغَيْطَلة كانت كاهنة في الجاهلية، فلما جاءها صاحبُها في ليلة من الليالي، فأنْقَض تحتها، ثم قال: أدْرِ ما أَدْرِ. يوم عَقْر ونَحْر، فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلةً أخرى، فأنْقَض تحتها، ثم قال: شُعوب، ما شُعوب؛ تُصْرَع فيه كَعْب لجُنوب. فلما بلغ ذلك قريشا، قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن، فانظروا ما هو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشِّعْب، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته.

---

(١) والذي انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة، أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهْلاء، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يروْنه في الأرض، مما لا نراه نحن كسرقة سارق، أو خبئية في مكان خفي، أو نحو ذلك، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وتظنياً، فيصيبون قليلا، ويخطئون كثيرا. وذلك القليل الذي يصيبون هو مما تتكلم به الملائكة في العَنان، كما في حديث البخاري « فينظرون دون بالنجوم، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة » ــ انظر كتابنا مفاتيح القـاري لأبواب فتح الباري ــ بشرح صحيح البخاري.

نسب الغيطلة: قال ابن هشام: الغَيْطلة من بني مُرة بن عبد مُناة بن كنانة، إخوة مُدْلج بن مُرة[1] وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله:

لقد سَفُهَت أحلامُ قومٍ تبدَّلوا   بني خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغياطل

فقيل لولدها: الغياطل، وهم من بني سهم بن عمرو بن هُصَيْص. وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها ـــ إن شاء الله تعالى.

كاهن جَنْب يذكر خبر الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني علي بن نافع الجُرَشِيُّ: أن جَنْبا[2] بطناً من اليمن، كان لهم كاهن في الجاهلية، فلما ذُكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب، قالت له جَنْب: انظر لنا في أمر هذا الرجل، واجتمعوا له في أسفل

---

(١) يقال في نسبها: الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِق بن شنوق ابن مرة وشنوق أخو مدلج، وهكذا ذكر نسبها الزبير.

وذكر قولها: شُعُوب وما شعوب، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُوب. كعب هاهنا هو: كعب بن لؤي، والذي صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش، معظمهم من كعب بن لؤي، وشُعوب هاهنا بضم الشين، ولم أجده مقيدا، وكأنه جمع شعب، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال: فلم يُدْرَ ما قالت، حتى قُتل من قُتل ببدر وأحد بالشِّعب.

(٢) جنب: وذكر أن جنباً وهم حي من اليمن اجتمعوا إلى كاهن لهم، فسألوه عن أمر النبي ﷺ حين رُمي بالنجوم إلى آخر الحديث: جنب هم من مَذْحِج، وهم: عَيِّذ الله، وأنس الله، وزيد الله، وأوس الله، وجُعْفِي، والحكم، وجِرْوة، بنو سعد العشيرة ابن مَذْحج، ومَذْحِج هو: مالك بن أدد، وسموا: جنباً لأنهم جانبوا بني عمهم صُداء ويزيد ابني سعد العشيرة بن مذحج. قال الدارقطني. وذكر في موضع آخر خلافا في أسمائهم، وذكر فيهم بني غَليٍّ بالغين، وليس في العرب غلي غيره، قال مهلهل:

أنكحها فقدها الأراقم في   جنب، وكان الحباء من أدم

جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلا، ثم جعل ينزو، ثم قال أيها الناس، إن الله أكرم محمداً واصطفاه، وطهَّر قلبَه وحشاه، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل، ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء.

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبدالله بن كعب، مولى عثمانَ بن عفان، أنه حُدِّث: أن عمر بن الخطاب، بينا هو جالس في مسجد رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل[١] من العرب داخلا المسجد، يريد عمرَ بنَ الخطاب، فلما نظر إليه عمر رضي الله عنه، قال: إن هذا الرجل لعلَى شِركه ما فارقه بعدُ، ولقد كان كاهناً في الجاهلية. فسلَّم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر رضي الله عنه: هل أسلمتَ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كُنتَ كاهنا في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْتَ فيَّ[٢]، واستقبلتني بأمرٍ ما أراك قلتَه لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما

(١) هو سواد بن قارب الدوسيُّ في قول ابن الكلبي، وقال غيره: هو سدوسي.

(٢) خِلْت فيَّ: هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلت وظننت، كقولهم في المثل: « من يسمع يَخَل »، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر، فإذا حذفت الجملة كلها جاز؛ لأن حكمهما حكم المفعول، والمفعول قد يجوز حذفه، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد، ففي قولهم: من « يسمع يَخَل » دليل يدل على المفعول، وهو يسمع، وفي قوله، « خلت في » دليل أيضاً، وهو قوله: فِيَّ، كأنه قال: خلت الشر فيَّ أو نحو هذا.

وليتَ، فقال عمر: اللهمَّ غُفراً، قد كنا في الجاهلية على شَرٍّ من هذا، نعبد الأصنامَ، ونعتنق الأوثانَ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام، قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية، قال: فأخبرْني ما جاءك به صاحبُك، قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه[1]، فقال: ألم تر إلى الجن وإبلاسها، وأياسها من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلامها.

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع، وليس بشعر.

قال عبدالله بن كعب: فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس: والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش، قد ذَبح له رجلٌ من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قَسْمَه ليقْسِم لنا منه، إذ سمعتُ من جوف العجل صوتاً ما سمعتُ صوتاً قطُّ أنفذ منه، وذاك قُبَيْل الإسلام بشهر أو شَيْعه، يقول: يا ذَريح[2]، أمرٌ نجيح، رجلٌ يصيح، يقول: لا إله إلا الله.

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إله إلا الله. وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشعر:

---

(١) شَيْعه أي: دونه بقليل، وشيع كل شيء: ما هو تبع له، وهو من الشّياع وهي: حطب صغار تجعل مع الكبار تبعا لها، ومنه: المُشَيَّعة، وهي: الشاة تتبع الغنم، لأنها دونها في القوة.

(٢) ويروي أن الصوت الذي سمعه عمر من العجل: يا جليح وهو اسم شيطان، والجليح في اللغة: ما تطاير من رءوس النبات وخف، نحو القطن وشبهه، والواحدة: جليحة، والذي وقع في السيرة: يا ذريح، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم. أحمر ذَرِيحِيٌّ، أي: شديد الحمرة، فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم: ومن رواه: يا جليح، فمآله إلى هذا المعنى؛ لأن العجل قد جُلح أي: كُشف عنه الجلد.

عجبتُ للجنِّ وإبلاسِها وشَدِّها العِيسَ بأحلاسِها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهُدَى ما مؤمنو الجنِّ كأنجاسِها

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب[1].

---

(١) وروى غير ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه، وأن عمر مازحه، فقال: ما فعلت كهانتك يا سواد؟! فغضب، وقال: قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات، أفتعيرني بأمر تبتُ منه؟! فقال عمر حينئذ: اللهم غَفْراً.

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله ﷺ فقام حينئذ سواد، فقال: يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقائهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم، ومن لم تنفعه التجارب ضرته، ومن لم يَسَعْه الحق لم يسعه الباطل، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس، وقد علمتم أن النبي ﷺ قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم، ولم يمنعه منكم عُدَّة ولا عدد، وكل بلاء مَنْسِي إلا ما بقي أثره في الناس، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية، وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهلُ البلاء، داخلين مما فيه أهل العافية، حتى قدم على رسول الله ﷺ خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد، ونقَّب النقيب عن الغائب، ولست أدري لعله تكون للناس جولة، فإن تكن فالسلامة منها: الأناة، والله يحبها، فأحبوها، فأجابه القوم وسمعوا قوله.

فقال في ذلك سواد بن قارب شعراً مطلعه:

جَلَّت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فَقْدُ النبيّ محمد صلى عليه الله ما يعتادُ
حزنا لَعَمْرُك في الفؤاد مُخَامراً أَوَ هَلْ لمَنْ فَقَدَ النبيّ فؤادُ

انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٤٤ـ٢٤٥.

إنذار يهود برسول الله ﷺ

اليهود ـ لعنهم الله ـ يعرفونه ويكفرون به: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهُداه، لما كنا نسمع من رجال يهود، كُنا أهلَ شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نِلْنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرَم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث اللهُ رسولَه ﷺ أجبناه، حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة: ﴿ **ولما جاءهم كتابٌ من عندِ الله مُصدِّق لما معهم، وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عَرَفوا كفروا به، فلعنةُ اللهِ على الكافرين** ﴾.

قال ابن هشام: يستفتحون: يستنصرون، ويستفتحون أيضاً: يتحاكمون، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **ربنا افتحْ بيننا وبينَ قومِنا بالحقِّ، وأنت خيرُ الفاتحين** ﴾.

سَلَمة يذكر حديثَ اليهوديِّ الذي أَنذر بالرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف، عن محمود بن لَبيد أخي بني عبد الأشْهل عن سَلَمة بن سلامة بن وقش[1] ــ وكان سَلَمة من أصحاب بدر ــ قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشْهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته، حتى وقف على بني عبد الأشهل ــ قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنّاً، عليَّ بُردة لي، مضطجع فيها بفناء أهلي ــ فذكر القيامةَ والبعث والحسابَ والميزان والجنةَ والنار، قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرَوْن أن بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحكَ يا فلان!! أوَترى هذا كائناً، أن الناس يُبْعثون بعدَ موتِهم إلى دار فيها جنة ونار، يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحلَف به، ولَوَدَّ أن له بحظِّه من تلك النار أعظمَ تَنور في الدار، يحمونه ثم يُدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن ينجوَ من تلك النار غداً، فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آيةُ ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد ــ وأشار بيده إلى مكة واليمن. فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليَّ، وأنا من أحدثهم سناً، فقال: إن يَسْتنفدْ هذا الغلام عمرَه يدركْه قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللهُ محمداً رسوله ﷺ وهو حَيٌّ بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً. قال: فقلنا له. وَيْحك يا فلانُ!! ألستَ الذي قلتَ لنا فيه ما قلتَ؟ قال: بلى ولكن ليس به.

ابن الهيبان اليهودي يتسبب في إسلام ثعلبة وأسيد ابني سعية وأسد بن عبيد: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر ابن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: قال لي: هل تدري عمَّ كان

---

(١) وَقَش: بتحريك القاف وتسكينها، والوقش: الحركة.

إسلام ثعلبة بن سَعْية وأَسِيد بن سَعْية[1] وأسد بن عبيد نفر من بني هَدْل، إخوة بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام، قال: قلت: لا، قال: فإن رجلاً من يهود من أهل الشام، يقال له: ابن الهيِّبان[2]، قَدِم علينا قُبَيْل الإسلام بسنين، فَحَلَّ بينَ أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضلَ منه، فأقام عندنا فكنا إذا قحَط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيِّبان فاستسق لنا، فيقول: لا والله، حتى تُقدِّموا بين يدَيْ مخرجِكم صدقةً، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعا من تمر، أو مُدَّيْن من شعير. قال: فنخرجها،

---

(١) وأما أسيد بن سعية، فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني، عن ابن إسحاق، وهو أحد رواة المغازي عنه: أُسيد بن سعية بضم الألف، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق، وهو قول الواقدي وغيره أَسيد بفتحها قال: الدارقطني: وهذا هو الصواب، ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل: ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة** ﴾ الآية، وسعية أبوهم يقال له: ابن العريض، وهو بالسين المهملة، والياء المنقوطة باثنتين.

وأما سُعْنَة بالنون، فزيد بن سعنة حبر من أحبار يهود كان قد داين النبي ﷺ فجاءه يتقاضاه قبل الأجل، فقال: ألا تقضيني يا محمد؟! فإنكم يا بني عبد المطلب مُطْلٌ، وما أردت إلا أعلم علمكم، فارتعد عمر، ودار، كأنه في فلك، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً، وقال: تقول هذا لرسول الله يا عدو الله؟! فقال له رسول الله ﷺ: إنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التِّبِعَة، قم فاقضه عني، فوالله ما حل الأجل وزده عشرين صاعاً بما روعته. وفي حديث آخر: أنه قال: دعه؛ فإن لصاحب الحق مقالا، ويذكر أنه أسلم لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة، وكان يجده موصوفا بالحلم، فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم، وتوفي غازيا مع رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، ويقال في اسمه: سَعْية بالياء كما في الأول ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون.

(٢) والهيبان من المسمين بالصفات، يقال: قُطْن هَيِّبان أي: منتفش، وأنشد أبو حنيفة الدينوري:

تُطِيرُ اللُّغَامَ الْهَيَّبانَ، كأنه ... جَنَى عُشَرٍ تنفيه أشداقها الْهُدْل

والْهَيبَان أيضاً: الجبان.

ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا، فيستسقي الله لنا، فوالله ما يبرح مجلسه، حتى تمرَّ السحابةُ ونُسْقَى، قد فعل ذلك غيرَ مرة ولا مرتين ولا ثلاث. قال: ثم حضرته الوفاةُ عندَنا، فلما عَرَف أنه ميِّت، قال: أيا معشر يهود، ما ترونَه أخرجني من أرضِ الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم، قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكَّف خروج نبي قد أظلَّ زمانُه. وهذه البلدة مُهاجَرُه، فكنتُ أرجو أن يُبْعث، فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يُبعث بسفك الدماء، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بُعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قُرَيْظة، قال هؤلاء الفتية، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قريظة، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيِّبان، قالوا: ليس به، قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم.

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود.

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

سلمان ــ رضي الله عنه ــ يتشوَّف إلى النصرانية بعد المجوسية: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبيد، عن عبدالله بن عباس، قال: حدثني سَلْمان الفارسي من فِيه قال: كنتُ رجلاً فارسيّاً من أهل إِصْبهان[1] من أهل قرية يقال لها: جَيّ، وكان أبي دِهْقَان قريته، وكنتُ أحبَّ خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية. واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطْنَ النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي ضَيْعة عظيمة، قال: فشُغل في بنيان له يوما، فقال لي: يا بُني، إني قد شُغلت في بنياني هذا اليوم عن ضَيْعتي فاذهب إليها، فاطَّلِعْها ــ وأمرني فيها ببعض ما يريد ــ ثم قال لي: ولا تحتبسْ عني؛ فإنك إن احتبست عني كنتَ أهمَّ إليَّ من ضَيْعتي، وشغلْتني عن كل شيء من أمري. قال: فخرجتُ أريد ضَيْعتَه التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس، لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعتُ أصواتَهم دخلت عليهم، أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم، أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما بَرِحْتُهم حتى غَرَبت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني أين كنت ؟ أَوَلَمْ أكن عهدتُ

---

(١) إصبهان: هكذا قيده البكري في كتاب المعجم بالكسر في الهمزة، وإِصْبَه بالعربية: فرس، وقيل: هو العسكر، فمعنى الكلمة: موضع العسكر أو الخيل، أو نحو هذا.

إليك ما عهدت؟ قال: قلت له: يا أبت، مررتُ بأناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غَرَبت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت له: كلاَّ والله، إنه لخير من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رجليَّ قَيداً؛ ثم حبسني في بيته.

سلمان يهرب إلى الشام: قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قَدِم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبروني بهم فقلتُ لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعةَ إلى بلادِهم، فآذِنوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعةَ إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجليَّ، ثم خرجت معهم، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا: الأسْقُفُّ في الكنيسة.

سلمان مع أسقف النصارى السيِّئ: قال: فجئته، فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه، ولم يعْطه المساكين، حتى جمع سبعَ قِلال من ذهب ووَرِق. قال: فأبغضته بُغضاً شديداً، لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى، ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجلَ سوءٍ، يأمركم بالصدقة، ويرغِّبكم فيها، فاذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه، ولم يعطِ المساكين منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما عِلْمُك بذلك؟ قال: فقلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدُلَّنا عليه قال: فأريتهم موضعَه، فاستخرجوا سبعَ قِلال مملوءة ذهباً ووَرِقاً. قال: فلما

رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. قال: فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه.

سلمان مع أسقف النصارى الصالح: قال: يقول سلمانُ: فما رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمسَ، أرى أنه كان أفضلَ منه، وأزهدَ في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أدأبَ ليلا ولا نهاراً منه. قال: فأحببتُه حبا لم أحبه شيئا قبله مثله. قال: فأقمت معه زمانا، ثم حضرتْه الوفاةُ، فقلتُ له: يا فلان، إني قد كنت معك، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه، فقد هلك الناسُ، وبدَّلوا وتركوا أكثرَ ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالمَوْصِل، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به.

سلمان يلحق بأسقف الموصل: فلما مات وغُيب لحقتُ بصاحب المَوْصل، فقلت له يا فلان، إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده: فوجدته خير رجل على أمرِ صاحبه، فلم يلبثْ أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له يا فلان: إن فلاناً أوصي بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه، إلا رجلا بنَصِيبين، وهو فلان فالحق به.

سلمان يلحق بأسقف نصيبين: فلما مات وغُيب لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحباي، فقال: أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت. فلما حُضِر، قلت له: يا فلان! إن فلاناً

كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلمه بَقِيَ أحدٌ على أمرِنا آمرك أن تأتيَه إلا رجلاً بعَمُّورِية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا.

سلمان يلحق بصاحب عمورية: فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب عَمُّورِية، فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل، على هَدْيِ أصحابه وأمرِهم، قال: واكتسبتُ حتى كان لي بقرات وغُنَيْمة. قال: ثم نزل به أمرُ الله، فلما حُضِر، قلت له: يا فلانُ، إني كنت مع فلان، فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مِثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيَه، ولكنه قد أظل زمانُ نبيٍّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مُهَاجَرُه إلى أرض بين حَرَّتَيْن، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهديةَ، ولا يأكل الصدقةَ، وبين كتفيه خاتَمُ النبوة، فإن استطعتَ أن تلحقَ بتلك البلاد فافعلْ.

سلمان يذهب إلى وادي القرى: قال: ثم مات وغُيِّب، ومكثت بَعَمُّورِية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كَلب تجار، فقلتُ لهم: احملوني إلى أرض العربِ، وأعطيكم بقراتي هذه وغُنَيْمتي هذه، قالوا: نعم فأعطَيْتُهُموها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخلَ، فرجوْتُ أن يكون البلدَ الذي وَصف لي صاحبي، ولم يحق في نفسي.

سلمان يذهب إلى المدينة: فبينا أنا عندَه، إذ قدم عليه ابنُ عم له من بني قُرَيْظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة،

فوالله ما هو إلا أن رأيتُها، فعرفتها بصفةِ صاحبي، فأقمت بها، وبُعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرقّ، ثم هاجر إلى المدينة.

سلمان يسمع بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة: فوالله إني لفي رأس عذْق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلانُ، قاتل الله بني قَيْلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي.

نسب قَيْلة: قال ابن هشام: قَيْلة: بنت كاهل بن عُذْرَة بن سعد ابن زيد بن ليث بن سَوْد بن أَسْلم بن الْحاف بن قُضاعة، أم الأوْس والخزرج.

قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج:

بهاليلُ من أولادِ قَيْلة لم يَجِدْ   عليهم خليطٌ في مُخالطةٍ عُتْبا
مساميحُ أبطالٌ يُرَاحُون للندَى   يَرَوْنَ عليهم فِعلَ آبائهم نحبا

وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبيد، عن عبدالله بن عباس، قال سَلْمان: فلما سمعتها أخذني العُرَوْراء . **قال ابن هشام:** العُرَوْراء: الرعدة من البرد والانتفاض، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرُّحَضاء، وكلاهما ممدود — حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمةً شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبِلْ على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ: قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُبَاء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيرِكم، قال: فقرَّبته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفتُ عنه، فجمعت شيئا، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئتُه به، فقلت له: إني قد رأيتُك لا تأكل الصدقة، فهذه هديةٌ أكرمتُك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه، فأكلوا معه[1]. قال فقلت في نفسي: هاتان ثنتان، قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغَرْقَد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه[2]، عليَّ شملتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته، عَرَف أني أستثبت في شيءٍ وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره. فنظرت إلى الخاتم فعرَفته، فأكببتُ عليه أقبله، وأبكي، فقال لي رسول الله

---

(١) وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئاً، فجاء به النبي ﷺ ليختبره: أيأكل الصدقة، أم لا، فلم يسأله رسول الله ﷺ أحر أنت أم عبد؟ ولا: من أين لك هذا؟ ففي هذا من الفقه: قبول الهدية وترك سؤال الْمُهْدِي، وكذلك الصدقة ما دام يغلب على الظن أنه ليس من حرام. وهذا من أدب الرسول ﷺ في الحديث.

وفي الحديث: من قُدِّمَ إليه طعام فليأكل، ولا يسأل، وحديث سليمان هاهنا حجة على من قال إن العبد لا يملك. ووجب أكل صدقته. وفيها خلاف.

(٢) صاحبه الذي مات في تلك الأيام: كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي ﷺ قال الطبري: أول من مات من أصحاب النبي ﷺ بعد قدومه المدينة بأيام قليلة: كلثوم ابن الهدم ثم مات بعده أسعد بن زرارة.

ﷺ: تحول، فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يسمع ذلك أصحابُه. ثم شَغل سلمانَ الرقُّ حتى فاته من رسول الله ﷺ بدر وأحد.

سلمان يفتكُّ نفسه من الرق بأمر رسول الله ومساعدته ﷺ :

قال سلمان : ثم قال لي رسول الله ﷺ : كاتبْ يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أُحييها له بالفَقِير[1]، وأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيَّة، والرجل بعشرين وَدِيَّة. والرجل بخمس عشرة وَدِيَّة، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلثمائة وَدِيَّة، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقِّرْ لها، فإذا فرغت فأتني، أكن أنا أضعها بيدي. قال ففقَّرْت، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسولُ الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الوَدِيَّ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده حتى فرغنا. فوالذي

---

(١) وقوله: أحييها له بالفقير وفي حاشية الشيخ: الوجه التَّفْقِير. والفقير للنخلة. يقال لها في الكَرْمَة: حَيِيَّة، وجمعها: حيَايَا، وهي الحفيرة، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي: عَرِيسة، ثم يقال لها: ودية، ثم فسِيلة، ثم أشَاءَة، فإذا فاتت اليد فهي: جَبَّارة، وهي العضيد، والكتيله، ويقال للتي لم تخرج من النواة، لكنها اجتثت من جنب أمها: قلعة وجثيثة، وهي الجثائث والهِرَاء، ويقال للنخلة الطوِيْلة: عَوَانة بلغة عمان، وعَيْدَانة بلغة غيرهم، وهي فيعالة من عدن بالمكان ــ أقام به ــ واختلف فيها قول صاحب كتاب العين، فجعلها تارة: فَيْعالة من عدن، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعْلانة.
ومن الْفَسِيلة حديث أنس: أن رسول الله ﷺ قال « إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة، فليغرسها ». وهذا اهتمام من الإسلام بشأن العمل والعاملين لا ما يفعله الكسالى والمتواكلون.

نفس سلمان بيده، ما ماتت منها وَدِيَّة واحدة[1].

قال: فأدَّيت النخل، وبقي عليَّ المال، فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتَب؟ قال: فدُعيت له، فقال: خذ هذه، فأدِّها مما عليك يا سلمان. قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ؟ فقال: خذْها، فإن الله سيؤدي بها عنك. قال: فأخذتها، فوزَنْتُ لهم منها ــ والذي نفس سلمان بيده ــ أربعين أوقية، فأوفيتهم حقَّهم منها، وعُتق سلمان. فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندقَ حُرّاً، ثم لم يفتني معه مشهد.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن رجل من عبد القيس عن سلمان: أنه قال: لما قلتُ: وأين تقع هذه من الذي عليَّ يا رسول الله؟ أخذها رسول الله ﷺ فقلبها على لسانِه، ثم قال: خذها فأوفهمْ منها، فأخذتها، فأوفيتُهم منها حقَّهم كلَّه، أربعين أوقية.

حديث سلمان مع الرجل الذي بعمورية: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: حدثني من لا أتهم عن عمر ابن عبد العزيز بن مروان، قال: حُدثت عن سلمانَ الفارسيِّ: أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره خبره: إن صاحب عمورية قال له: أئت

---

(١) وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق. غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة، وغرس رسول الله ﷺ سائرها، فعاشت كلها إلا التي غرس سلمان. هذا معنى حديث البخاري. وانظر كتابنا ــ مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

كذا وكذا من أرضِ الشام، فإن بها رجلاً[1] بين غَيْضَتين، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحد منهم إلا شُفِيَ، فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي، فهو يخبرك عنه، قال سلْمانُ: فخرجت حتى أتيتُ حيثُ وُصف لي، فوجدت الناسَ قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه الناس بمرضاهم، لا يدعو لمريض إلا شُفِيَ، وغلبوني عليه، فلم أخْلُص إليه حتى دخل الغَيْضةَ التي يريد أن يدخل، إلا منكبه. قال: فتناولته. فقال: من هذا؟ والتفت إليَّ، فقلتُ: يرحمك الله، أخبرني عن الحَنِيفيَّة دينِ إبراهيم. قال: إنك لتسألني عن شيء ما يسأل عنه الناسُ اليومَ، قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فَأْتِهِ فهو يحملك عليه. قال: ثم دخل. قال: فقال رسول الله ﷺ لسلمان: لئن كنت صدقتني يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم.. على نبينا وعليه السلام.

---

(١) ذكر داود بن الحصين قال: حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال: قال سليمان للنبي ﷺ وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مستجيزاً من غيضة إلى غيضة، ويلقاه الناس بمرضاهم، فلا يدعو لمريض إلا شفي، وأن النبي ﷺ قال: إن كنت صدقتني يا سليمان، فقد رأيت عيسى ابن مريم. إسناد هذا الحديث مقطوع، وفيه رجل مجهول، ويقال: إن ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة، وهو ضعيف بإجماع منهم، فإن صح الحديث، فلا نكارة في متنه، فقد ذكر الطبري أن المسيح — عليه السلام — نزل بعد ما رُفع، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب يتكئان، فكلمهما، وأخبرهما أنه لم يقتل، وأن الله رفعه وأرسل إلى الحواريين، ووجههم إلى البلاد، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مراراً، ولكن لا يعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم.

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وعُبَيْد الله ابن جحش وعثمان بن الحُوَيْرث وزَيْد بن عمرو بن نُفَيْل

تشككهم في الوثنية: قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده، ويُديرون به، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً، فخلَص منهم أربعة نفر نَجِيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا، وليكتم بعضُكم على بعض، قالوا: أجل، وهم: وَرَقَةُ بن نَوْفل بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وعُبَيْد الله بن جحش بن رِئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خُزيمة، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب. وعثمان بن الحوَيْرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وزيد[1] بن

---

(١) وأم زيد هي: الحيداء بنت خالد الفَهْمية، وهي امرأة جده نُفَيْل، وَلدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لأمه، وابن أخيه، وكان ذلك مباحاً في الجاهلية بشرع متقدم، ولم تكن من الحرمات التي انتهكوها، ولا من العظائم التي ابتدعوها، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله ﷺ فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة، وهي برة بنت مُر، فولدت له النضر بن كنانة، وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة، ولكن هو خارج عمود نسب رسول الله ﷺ لأنها لم تلد جدا له، أعني: واقدة، وقد قال عليه السلام: أنا من نكاح لا من سفاح، ولذلك قال سبحانه: ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف** ﴾ أي: إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام: وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب لنسب رسول الله ﷺ وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لغية ــ أي لزنا ــ ولا من سفاح، ألا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن: إلا ما قد سلف، نحو قوله: ﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾ ولم يقل إلا ما قد سلف: ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله** ﴾ ولم يقل إلا ما =

عَمرو بن نُفَيْل بن عبد العزى بن عبدالله بن قُرْط بن رِياح بن رَزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي[1]. فقال بعضهم لبعض: تعلَّموا والله ما قومكم على شيء! لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم.

تنصر ورقة وابن جحش: فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية، واتبع الكتبَ من أهلها، حتى علم علما من أهل الكتاب. وأما عُبَيد الله بن جحش، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصَّر، وفارق الإسلام، حتى هلك هنالك نصرانيا.

ابن جحش يغري مهاجري الحبشة على التنصر: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: كان عُبَيد الله

= قد سلف، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه، وفي الجمع بين الأختين؛ لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحاً أيضاً في شرع من قبلنا، وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها ليا، فقوله: إلا ما قد سلف التفاتة إلى هذا المعنى، وتنبيه على هذا المغزى، وهذه النكتة لَقِنْتُها من شيخنا الإمام الحافظ أبي بكر محمد ابن العربي ــ رحمه الله ــ وزيد هذا هو: والد سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة، وأم سعيد: فاطمة بنت نَعْجَة بن خلف الخزاعي. هذا كلام الإمام السهيلي في الروض الأنف ــ انظره من تحقيقنا.

(١) والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب: نفيل بن رياح بن عبدالله ابن قرط بن رزاح بتقديم رياح على عبدالله، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح، وإنما رزاح بالكسر: رزاح بن ربيعة أخو قصي لأمه الذي تقدم ذكره.

ابن جحش ــ حين تنصر ــ يمر بأصحاب رسول الله ﷺ وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول: فقَّحْنا وصَأْصَأتم، أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر، ولم تُبصروا بعد، وذلك أن ولد الكلب، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صأصأ، لينظر. وقوله: فقَّح: فتح عينيه[1].

رسول الله ﷺ يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته:

قال ابن إسحاق: وخلف رسول الله ﷺ بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بنَ حُسين: أن رسول الله ﷺ بعث فيها إلى النجاشي عَمْرَو بن أمية الضَّمْري، فخطبها عليه النجاشي؛ فزوجه إياها، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار. فقال محمد بن علي: ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك. وكان الذي أملكها النبي ﷺ خالد بن سعيد بن العاص.

تنصر ابن الحُوَيْرث وقدومه على قيصر: قال ابن إسحاق:

وأما عثمان بن الحُوَيْرث، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصَّر، وحسنت منزلتُه عندَه.

---

(١) فقَّحْنا وصَأصَأتُم، وشرح فقحنا بقوله: فقح الجروُ: إذا فتح عينيه، وهكذا ذكره أبو عبيد، وزاد: جصص أيضا، وذكر أبو عبيد: بصص بالباء حكاها عن أبي زيد، وقال القالي: إنما رواه البصريون عن أبي زيد بياء منقوطة باثنتين، لأن الياء تبدل من الجيم كثيرا كما تقول: أيل وأجل، ولرواية أبي عبيد وجه، وهو أن يكون بصص من البصيص، وهو البريق.

قال ابن هشام: ولعثمان بـن الحُوَيْرث عند قيصر حديث، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفجار[1].

زيد يتوقف عن جميع الأديان: قال ابن إسحاق: وأما زيد ابن عَمرو بن نُفَيْل فوقف، فلم يدخل يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذْبَح على الأوثان[2].

---

(١) ويذكر أن قيصر كان قد توج عثمان، وولاه أمر مكة، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى: ألا إن مكة حي لَقَاحٌ لا تدين لملك. فلم يتم له مراده، قال: وكان يقال له: البطريق، ولا عقب له، ومات بالشام مسموما، سمه عمرو بن جفْنَة الغساني الملك.

(٢) روي البخاري عن محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا فضيل بن سليمان، قال: أخبرنا موسى، قال: حدثني سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن يُنزل على النبي ـــ عليه السلام ـــ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ، سُفرة أو قدمها إليه النبي ﷺ فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء ماءً، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟ إنكاراً لذلك، وإعظاماً له.

وفيه سؤال يقال: كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على النصب، وما لم يذكر اسم الله عليه، ورسول الله ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: أنه ليس في الحديث حين لقيه ببلدح، فقدمت إليه السفرة أن رسول الله ﷺ أكل منها، وإنما في الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة: لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه.

الجواب الثاني: أن زيداً إنما فعل ذلك برأي رآه، لا بشرع متقدم، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذبح لغير الله، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام.

وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة، فإن قلنا بهذا ⟸

ونهى عن قَتْل الموءودة[1]، وقال: أعبدُ ربَّ إبراهيم، وبادَى قومه بعيْب ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه، عن أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قال: لقد رأيتُ زيدَ بن عمرو بن نُفَيْل شيخاً كبيراً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة، وهو يقول: يا معشرَ قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده: ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أيَّ الوجوه أحبّ إليك عبدتُك به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته.

= وقلنا: إن رسول الله ﷺ كان يأكل مما ذبح على النصب، فإنما فعل أمراً مباحاً، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال، وإن قلنا أيضاً: إنها ليست على الإباحة، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير، ونحو ذلك، مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا، ولم يقدم في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه، حتى جاء الإسلام، وأنزل الله سبحانه: ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من الكفر، وعبادة الصلبان، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان محلا بالشرع المتقدم، حتى خصه القرآن بالتحريم.

(١) وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق ــ رحمه الله ــ يفعل مثل ذلك، ولما أسلم سأل رسول الله ﷺ: هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصح الروايتين: لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام. وهذا الحديث أخرجه البخاري، والموءودة مفعولة من وأده إذا أثقله. قال الفرزدق:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد، فلم يُوأدِ

يعني: جده صَعْصَعة بن معاوية بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع.

وقد قيل: كانوا يفعلون ذلك غَيْرة على البنات، وما قاله الله في القرآن هو الحق من قوله: ﴿ **خشية إملاق** ﴾ وذكر النقاش في التفسير: أنهم كانوا يئدون من البنات، ما كان منهن زرقاء أو بَرْشاءَ أو شَيماءَ أو كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال الله تعالى: ﴿ **وإذا المؤودة سُئلت: بأي ذنب قُتلت** ﴾.

قال ابن إسحاق: وحُدثت أن ابنه سعيد بن زيْد بن عمرو بن نُفَيْل وعمر بن الخطاب، وهو ابن عمه، قالا لرسول الله ﷺ: أتستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: نعم، فإنه يُبْعث أمةً وحدَه.

شعر زيد في فراق الوثنية: وقال زَيْد بن عمرو بن نُفَيل في فراق دين قومه، وما كان لقي منهم في ذلك:

أَرَبّاً واحداً، أم ألفَ رب أدِينُ إذا تُقُسِّمت الأمورُ
عَزَلْتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً كذلك يفعلُ الجَلْدُ الصبورُ[1]
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنتيْها ولا صَنَمَيْ بني عمرٍو أزورُ
ولا هُبَلاً أدين، وكان ربًّا لنا في الدهر إذ حِلمي يسيرُ
عجبت وفي الليالي مُعْجَبات وفي الأيام يعرفها البصيرُ
بأن اللهَ قد أفنى رجالاً كثيراً كان شأنَهمُ الفجورُ
وأبقى آخرين ببرِّ قومٍ فَيَرْبِلُ منهمُ الطفلُ الصغيرُ[2]

---

(١) فأما اللات فقد تقدم ذكرها، وأما العزى، فكانت نخلات مجتمعة، وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم ــ فيما ذكر ــ أن الرب يُشَتِّي بالطائف عند اللات، ويُصَيِّف بالعزى، فعظموها وبنوا لها بيتاً، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة، وهي التي بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ليكسرها، فقال له سادنُها : يا خالد احذرها؛ فإنها تجذع وتكنع ــ تشل ــ فهدمها خالد وترك منها جذمها ــ أصلها ــ وأساسها، فقال قيمها: والله لتعودن ولتنتقمن فمن فعل بها هذا، فذُكر ــ والله أعلم ــ أن رسول الله ﷺ قال لخالد: هل رأيت فيها شيئاً؟ فقال: لا، فأمره أن يرجع، ويستأصل بقيتها بالهدم، فرجع خالد، فأخرج أساسها فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها، فقتلها، وهرب القيم، وهو يقول: لا تُعبد العُزَّى بعد اليوم. هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النيسابوري في المبعث. وذكره الأزرقي أيضاً ورزين.

(٢) ربل الطفل يربل إذا شب وعظم. يربل بفتح الباء أي يكبر وينبت، ومنه أخذ تربيل الأرض.

وبَيْنا المرءُ يعثر ثابَ يوماً كما يَتروَّح الغصنُ المطيرُ[1]
ولكنْ أعبدُ الرحمنَ ربِّي ليغفرَ ذنبيَ الربُّ الغفورُ
فتقوى اللهِ ربِّكم احفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرارَ دارَهُم جِنانٌ وللكفارِ حاميةٌ سعيرُ
وخزْيٌ في الحياة وإن يموتوا يلاقوا ما تضيقُ به الصدورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل أيضا ــ **قال ابن هشام:** هي لأمية ابن أبي الصلت في قصيدة له إلا البيتين الأولين، والبيت الخامس، وآخرها بيتا. وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق:

إلى اللهِ أهْدِي مِدْحتي وثنائيا وقولاً رصيناً لا يني الدهرَ باقيَا
إلى الملكِ الأعلى الذي ليس فوقَه إلهٌ ولا رب يكونُ مُدانيَا
ألا أيها الإنسان إياك والرَّدَى فإنك لا تخفى من الله خافيَا[2]
وإياكَ لا تجعلْ مع اللهِ غيرَهُ فإن سبيلَ الرُّشْد أصبحَ باديَا
حَنَانَيْكَ إن الجنَّ كانت رجاءَهم وأنتَ إلهي ربنا ورجَائيَا[3]
رضيتُ بك ــ اللهمَّ ــ ربًّا فلن أرَى أدينُ إلهاً غيرَك اللهُ ثانيَا[4]

---

(١) يتروح الغصن: أي: ينبت ورقه بعد سقوطه.

(٢) إياك والردى: هنا تحذير من الردى، والردى هو الموت، فظاهر اللفظ متروك، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت، ويبديه ويكشف من جزاء الأعمال؛ ولذلك قال: فإنك لا تخفى من الله خافياً.

(٣) حنانيك بلفظ التثنية، قال النحويون: يريد حنانا بعد حنان، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد. قال المؤلف رحمه الله: ويجوز أن يريد حنانا في الدنيا، وحنانا في الآخرة، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة:
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانَيْك بعض الشر أهون من بعض
فإنما يريد: حنان دَفْعٍ، وحنان نَفْعٍ، لأن كل من أمَّل مَلكا، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيرا، أو ليجلب إليه خيرا. (عن الروض الأنف) بتحقيقنا.

(٤) أدين إلهاً، أي: أدين لإله، وحذف اللام وعدى الفعل؛ لأنه في معنى: أعبد إلها. =

وأنت الذي من فَضْلِ مَنٍّ ورحمةٍ	بعَثتَ إلى موسى رسولاً مناديَا
فقلت له يا اذْهب وهارون فادْعُوَا	إلى الله فرعونَ الذي كان طاغيا[1]
وقولا له: آأنْتَ سَوَّيتَ هذه	بلا وَتدٍ، حتى اطمأنَّت كما هيا[2]
وقُولا له: آأنْتَ رفَّعْت هذه	بلا عَمَدٍ، أرفقْ ــ إذاً ــ بك بانيَا[3]
وقولا له: آأنْتَ سوَّيت وَسْطَها	مُنيراً، إذ ما جَنَّه الليلُ هاديَا
وقولا له: من يرسلُ الشمس غُدوةً	فيُصبح ما مست من الأرض ضاحيا

= وقوله: غيرك الله برفع الهاء، أراد: يا ألله، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول: يا أيها الرجل، ولا ينادي اسم الله بيأيها، وتقطع همزته في النداء، أي تجعلها همزة قطع فتقول: يا ألله، ولا يكون ذلك في اسم غيره، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة.

(١) ألا يا اذهب على حذف المنادى. كأنه قال: ألا يا هذا اذهب، كما قرئ: ﴿ **ألا يا اسجدوا** ﴾، يريد: يا قوم اسجدوا، وكما قال غيلان:

ألا يا اسلمي يا دارَ مَيٍّ على البِلَى

وفيه: « اذهب وهارون »، عطفا على الضمير في اذهب، وهو قبيح إذا لم يؤكد، فيقال: « اذهبْ أنت وهارون » ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً.

(٢) اطمأنت كما هيا، وزنه افلعلت، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف، لأنه من تطامن أي: تطأطأ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل، فتكون أخف عليهم في اللفظ، كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فراراً من تقارب الهمزتين.

كما هيا؛ ما: زائدة لتكف الكاف عن العمل، وتهيئها للدخول على الجمل، وهي: اسم مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: كما هي عليه، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه، اطمأن، كما تقول: سرت مثل سير زيد؛ فمثل حال من سَيْرك الذي سرته.

وانظر كتاب تصريف الأفعال للدكتور عبد الحميد السيد عبد الحميد.

(٣) أرفق: تعجب، « وبك » في موضع رفع لأن المعنى: رفقت، « وبانياً » تمييز، لأنه يصلح أن يُجر بمن، كما تقول: « أحسن بزيد من رجل »، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب؛ إذ قد علم أنك متعجب منه.

وقولا له: من يُنبتُ الحبَّ في الثرَى فيصبحُ منه البقلُ يهتزُّ رابيَا
ويُخرج منه حبَّه في رءوسِهِ وفي ذاك آياتٌ لمن كان وَاعيَا
وأنتَ بفضلٍ منك نجَّيت يونساً وقد بات في أضعافِ حوتٍ لياليَا[١]
وإني ولو سبحت باسمك ربنا لأُكْثِر ــ إلا ما غفرتَ ــ خطائيَا[٢]
فربَّ العبادِ ألق سَيْباً ورحمةً عليَّ، وبارِكْ في بَنيَّ وماليَا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحَضْرَمي:

نسب الحضرمي: قال ابن هشام: واسم الحضرمي: عبدالله بن عباد أحد الصَّدِف، واسم الصَّدِف: عمرو بن مالك أحد السَّكون ابن أشرس بن كِنْدى، ويقال: كِندة بن ثَوْر بن مُرَتِّع بن عُفَير بن عَدي بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: مُرَتِّع بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ.

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية: قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ﷺ فكانت صفيةُ بنت الحضرمي كلما رأته قد تهيأ للخروج، وأراده، آذنت به الخطاب بن نُفَيل، وكان

(١) وبعد قوله: وقد بات في أضعاف حوت لياليا
بيت لم يذكره ابن إسحاق، ووقع في جامع ابن وهب وهو:
وأنبَتَّ يَقْطِيناً عليه برحمة من الله لولا ذاك أصبح ضاحيا
(٢) معنى البيت: إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا ما غفرت « وما » بعد « إلا » زائدة، « وإن سبحت »: اعتراض بين اسم إن وخبرها، كما تقول: إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، أي: لا أعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي.

الخطاب بن نُفَيل عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وكَّل صفية به. وقال: إذا رأيتيه قد هَمَّ بأمر فآذِنيني به ــ فقال زيد:

لا تَحبسيني في الهوا ن صَفيَّ ما دابي ودابُهْ
إني إذا خِفت الهوا نَ مُشَيَّع ذُلُل ركابه
دُعْموص أبوابِ الملو كِ وجانبٌ للخرق نابه[1]
قَطَّاع أسبابٍ تذ لّ بغيرِ أقرانٍ صِعابه
وإنما أخذ الهوا ن العِيرُ إذ يُوهَى إهابُه
ويقول: إني لا أُذلُّ بصك جَنْبيه صِلابه[2]
وأخي ابنُ أمي، ثم عَـ ـمِّي لا يُواتيني خطابُه
وإذا يعاتبني بسو ءٍ قلت: أعياني جوابُه
ولو أشاء لقلتُ: ما عندي مفاتحُهُ وبابه

قول زيد حين يستقبل الكعبة: قال ابن إسحاق: وحُدثت عن بعض أهلِ زيدٍ بن عمرو بن نُفَيل أن: أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخلَ المسجد، قال: لبيك حقّاً حقّاً، تعبداً ورقّاً.

عُذتُ بما عاذ به إبراهيمْ مستقبلَ القبلة، وهو قائم

---

(١) دُعْموص أبواب الملوك. يريد: ولاَّجاً في أبواب الملوك، وأصل الدعموص: سمكة صغيرة كَحَيَّة الماء، فاستعاره هنا، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه: « صغاركم دعاميص الجنة »، وكما استعارت عائشة العصفور حين نظرت إلى طفل صغير قد مات، فقالت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءاً، فقال لها النبي ﷺ: « وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة، وخلق لها أهلا، وخلق النار، وخلق لها أهلا » أخرجه مسلم.

(٢) إني لا أُذلُّ أي: يقول العير ذلك بِصَكِّ جَنْبَيْه صِلابُهْ، أي: صلاب ما يوضع عليه، وأضافها إلى العير لأنها عِبْؤه وحمله.

إذ قال:

أَنْفِي لك اللهمَّ عانٍ راغـمْ مهما تجشَّمني فإني جاشـمْ

البر أبغي لا الخال، ليس مهجِّر كمن قال[1]

قال ابن هشام: ويقال: البر أبقى لا الخال، ليس مهجر كمن قال. قال وقوله: « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: وقال زيدُ بن عمرو بن نفيل:

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ له الأرضُ تحملُ صخراً ثقالاَ

دَحاها فلمـا رآهـا استـوتْ على الماءِ، أرسى عليها الجبالاَ

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ له المزْنُ تحمل عَذْباً زُلالا

إذا هي سِيقت الى بلـدةٍ أطاعتْ، فصبَّت عليها سِجالا

الخطاب يؤذي زيداً ويحاصره: وكان الخطاب قد آذى زيداً؛ حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابلَ مكة، ووكَّل به الخطاب شباباً من شباب قُريش وسفهاء من سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سراً منهم، فإذا علموا بذلك، آذنوا به الخطاب، فأخرجوه، وآذوه كراهيةَ أن يُفسدَ عليهم دينهم، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه فقال ــ وهو يعظم حرمته على من استحلَّ منه ما استحل من قومه:

---

(١) البر أبغي: بالنصب، والخال: الخُيَلاءُ والكبر.

وقوله: ليس مهجر كمن قال، أي: ليس من هجَّر وتكيَّس، كمن آثر القائلة والنوم، فهو من: قال يقيل؛ وهو ثلاثي، ولكن لا يتعجب منه، لا يقال: ما أقيله!! قال أهل النحو: استغنَوْا عنه: بما أنومه.

لا هُمَّ إني مُحرِمٌ لا حِلّهْ وإن بيتي أوسطُ المَحِلَّهْ[1]
عند الصَّفا ليس بذي مَضَلَّهْ

زيد يرحل إلى الشام وموته: ثم خرج يطلبُ دينَ إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبانَ والأحبار، حتى بلغ الموصِل والجزيرةَ كلَّها، ثم أقبل فجالَ الشامَ كلَّه، حتى انتهى إلى راهب بميْفَعة[2] من أرض البلقاء، كان ينتهي إليه عِلْمُ أهلِ النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفيةِ دين إبراهيم، فقال: إنك لتطلب دِيناً ما أنت بواجدٍ من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ يخرج من بلادك التي خرجتَ مِنها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحقْ بها، فإنه مبعوثٌ الآنَ، هذا زمانُه، وقد كان شَامَّ اليهودية والنصرانية[3]، فلم يرضَ شيئاً منهما، فخرج سريعاً، حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكةَ، حتى إذا توسط بلادَ لخم، عَدَوْا عليه فقتلوه.

ورقة يرثي زيدا: فقال ورقةُ بنُ نوفل بنِ أسد يبكيه:

رشدتَ، وأنعمت ابن عمرو، وإنما تجنبْتَ تَنُّوراً من النار حاميا[4]

---

(١) إني محرم لا حِلَّة: محرم أي. ساكن بالحرم، والحلة: أهل الحل. يقال للواحد والجميع: حلة.

(٢) بميفعة: تقيد في الأصل بكسر الميم من ميفعة، والقياس فيها: الفتح؛ لأنه اسم لموضع أخذ من الْيَفَاع، وهو المرتفع من الأرض. وكذلك أثبتناه.

(٣) وقوله: شام اليهودية والنصرانية، هو فاعل من الشم كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابة من قضاعة، ثم انصرف، فقال له النسابة: شاممتنا مشامة الذئب الغنم، ثم تنصرف. في حديث ذكره أبو علي القالي في النوادر، ومعناه: استخبر، فاستعاره من الشم، فنصب اليهودية والنصرانية نصب المفعول، ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شَمَمْت، والفعل أولى بهذا الموضع.

(٤) رشدت وأنعمت ابن عمرو، أي: رشدت وبالغت في الرشد، كما يقال: أمعنت النظر وأنعمته.

بدينك ربًّا ليس رب كمثلِه　　وتركك أوثانَ الطواغي كما هيَا
وإدراكك الدينَ الذي قد طلبتَه　　ولم تكُ عن توحيدِ ربِّك ساهيَا
فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مقامُها　　تُعلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهيَا
تُلاقي خليلَ اللهِ فيها، ولم تكنْ　　من الناسِ جَبَّاراً إلى النارِ هاويَا
وقد تدركُ الإنسانَ رحمةُ ربِّه　　ولو كان تحتَ الأرضِ سبعين واديَا[1]

قال ابن هشام: يروى لأُمية بن أبي الصَّلْت البيتان الأوَّلان منها، وآخرها بيتاً في قصيدة له. وقوله: « أوثان الطواغي » عن غير ابن إسحاق.

(١) قوله: ولو كان تحت الأرض سبعين واديا * بالنصب. نصب سبعين على الحال، لأنه قد يكون صفة للنكرة، كما قال: * فلو كنت في جب ثمانين قامة * وما أصله صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة، وهو هنا حال من البعد، كأنه قال: ولو بَعُد تحت الأرض سبعين، كما تقول: بَعُد طويلا، أي: بُعداً طويلاً، وإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا.

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

يُحَنَّس الحواري يثبت بعثة الرسول ﷺ من الإنجيل: قال ابن إسحاق: وقد كان ــ فيما بلغني عما كان وَضَعَ عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل ــ من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحَنَّس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الربَّ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بَطِرُوا وظنوا أنهم يَعُزُّونني، وأيضا للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمةُ التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجانا[1]، أي: باطلا. فلو قد

---

(١) قوله: أبغضوني مجانا، أي: باطلاً، وكذلك جاء في الحكمة: يا ابن آدم علِّم مجاناً، كما عُلِّمت مجاناً، أي: بلا ثمن، وفي وصايا الحكماء: شاور ذوي الأسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجاناً ما أخذوه بالثمن، أي بطول التجارب، ومن صفة النبي ﷺ يقول الله سبحانه: أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سَخّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، فيفتح به عيوناً عمياً وآذانا صماً، وقلوبا غُلْفاً؛ بأن يقول: لا إله إلا الله. =

جاء المنْحمنّا هذا الذي يرسله اللهُ إليكم من عند الربِّ، وروح القُدس هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شهيد عليَّ وأنتم أيضا؛ لأنكم قديما كنتم معي في هذا، قلت لكم: لكيما لا تشكوا.

والمُنْحَمَنَّا بالسريانية: محمد: وهو بالرومية: الْبرقْلِيطِس، ﷺ.

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان به ﷺ: قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال: فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ

= ومما وجد من صفته ﷺ عند الأحبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التَّيمي. قال: وكان من أحبار يهود باليمن، فلما سمع بذكر النبي ﷺ قدم عليه، فسأله عن أشياء، ثم قال: إن أبي كان يختم على سِفْرٍ، ويقول: لا تَقرأه على يهود حتى تَسمع بنبي قد خرج بيثرب، فإذا سمعت به فافتحه. قال نعمان: فلما سمعت بك فتحت السِّفر، فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، وإذا فيه: ما تُحِلُّ وما تُحَرِّم، وإذا فيه: إنك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم، واسمك: أحمد، وأمتك الحامدون. قربانهم: دماؤهم، وأناجيلهم: صدورهم، وهم لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم، يتحنن الله عليهم كتحنن النسر على فراخه، ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه، وآمِنْ به، وصدق به، فكان النبي ﷺ يحب أن يسمع أصحابه حديثَه، فأتاه يوما، فقال له النبي ﷺ يا نعمان حدثنا، فابتدأ النعمان الحديث من أوله، فرُؤي رسول الله ﷺ يومئذ يبتسم، ثم قال: أشهد أني رسول الله، وهو الذي قتله الأسود الْعَنْسِيُّ، وقطعه عضوا عضوا، وهو يقول: إن محمداً رسول الله، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله، ثم حَرَّقه بالنار.

أربعين سنة بعثه اللهُ تعالى[1] رحمةً للعالمين، وكافةً للناس بشيراً، وكان اللهُ تبارك وتعالى قد أخذ الميثاقَ على كلِّ نبي بعثه قبلَه بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدُّوا ذلك إلى كلِّ من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحقِّ فيه. يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ **وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ النبيين لِمَا آتيتكم من كتابٍ وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم، لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه، قال: أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري** ﴾: أي ثقل ما حملتكم من عهدي: ﴿ **قالوا أقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾[2] فأخذ الله ميثاق النبيين

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام، وهذا مروي عن ابن عباس، وجُبَيْر بن مطعم وقباث بن أشيم، وعطاء وسعيد بن المسيب، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السِّيَر والعلم بالأثر.

وقد روي أنه نبيء لأربعين وشهرين من مولده، وقيل لقباث بن أشيم: من أكبر، أنتَ أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله أكبر مني، وأنا أَسَنُّ منه، وولد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقفت بي أمي على رَوْثِ الفيل، ويروى: خَزْقِ الطير، فرأيته أخضر مُحِيلاً، أي قد أتى عليه حَوْل، وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أن رسول الله ﷺ قال لبلال: لا يفتك صيام يوم الاثنين؛ فإني قد ولدت فيه، وبعثت فيه، وأموت فيه. الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٦٥.

(٢) وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه: ﴿ **وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة** ﴾ الآية. وما في هذه الآية: اسم مبتدأ بمعنى: الذي، والتقدير: للذي آتيناكم من كتاب وحكمة، ولا يصح أن يكون في موضع نصب على إضمار فعل، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيها ما قبلها، وما لا يجوز أن يعمل فيه ما قبله، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه، وقد قيل: إن هذه شرط. والتقدير: لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به، وهو ظاهر قول سيبويه، لأنه جعلها بمنزلة: إن، وقول الخليل: إنها بمنزلة الذي، أي: إنها اسم لا حرف. ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا، فتكون اسما، وتكون شرطا، ويحتمل أيضا أن تكون على قول الخليل: خبرية في موضع رفع بالابتداء، ويكون الخبر: لتؤمنن به ولتنصرنه، وإن كان الضميران عائدين على الرسول، =

جميعا بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم، وصدقهم من أهل هذين الكتابين.

الرؤيا الصادقة أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ: قال ابن إسحاق: فذكر الزهريُّ عن عُروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته: أن أولَ ما بُدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به: الرؤيا الصادقةُ، لا يرى رسولُ الله ﷺ رؤيا في نومِه إلا جاءت كفلق الصبح قالتْ: وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلوَ وحدَه.

سلام الحجر والشجر عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عُبَيْد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعيةً، عن بعض أهل العلم:

أن رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسَّرَ عنه البيوتُ، ويُفضي إلى شِعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرٍ، إلا قال: السلامُ عليك يا رسولَ الله[1]. قال: فيلتفتُ رسول الله ﷺ

= لا على الذي، ولكن لما قال: ﴿ **رسول مُصدِّق لما معكم** ﴾، ارتبط الكلام بعضه ببعض، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ، وله نظير في التنزيل، منه قوله تعالى: ﴿ **والذين يُتَوَفَّوْن منكم** ﴾ خبره: ﴿ **يتربصْنَ بأنفسهنَّ** ﴾، ولم يعد على المبتدأ شيء، لتشبث الكلام بعضه ببعض، وقد لاح لي بعد نظري الكتابَ أن الذي قاله الخليل وقول سيبويه قول واحد، غير أنه قال: ودخول اللام على ما، كدخولها على إن، يعني: في الجزاء، ولم يرد أن يعمل ما جزاء، وإنما تكلم على اللام خاصة. والله أعلم. عن الروض الأنف ـــ انظره من تحقيقنا.

(١) وفي مصنف الترمذي ومسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عَليَّ قبل أن ينزَّل عَلَيَّ » وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، =

حولَه، وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجرَ والحجارة، فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع، ما شاء اللهُ أن يمكثَ، ثم جاءه جبريل عليه السلام[1] بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء في شهر رمضان.

= وأن يكون الله أنطقه إنطاقا كما خلق الحنين في الجذع، ولكن ليس من شروط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عَرَض في قول الأكثرين، ولم يخالف فيه إلا النَّظَّام، فإنه زعم أنه جسم، وجعله الأشعري اصطكاكاً في الجواهر بعضها لبعض، وقال أبو بكر بن الطيب: ليس الصوت نفس الاصطكاك، ولكنه معنى زائد عليه، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر، والصوت عبارة عنه، لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام، والله أعلم أي ذلك كان، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمنا، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة؟ وفي كلا الوجهين، هو علم من أعلام النبوة. وأما حنين الجذع فقد سمي حنينا، وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن، ويعمرونها، فيكون مجازا من قوله تعالى: ﴿ **واسئل القرية** ﴾ أي أهلها والأول أظهر، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها عَلَمٌ على نبوته — عليه السلام — غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق، فيعجزون عن معارضته. الروض الأنف جـ ١ ص ٢٦٦—٢٦٧.

(١) اسم جبريل سرياني، ومعناه: عبد الرحمن، أو عبد العزيز. هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً، والوقف أصله، وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله وهو: إيل، وكان مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة في كلام العجم، يقولون في غلام زيد: زيد غلام، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى، ألا ترى كيف قال جبريل وميكائيل، كما تقول: عبد الله وعبد الرحمن، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد، والأسماء ألفاظها مختلفة. واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه، وإن كان أعجمياً؛ فإن الجبر هو إصلاح ما وهَى وجبريل موكل بالوحي، وفي الوحي إصلاح ما فسد، وجبر ما وَهَى من الدين، ولم يكن معروفا بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي ﷺ خديجة به =

نزول جبريل عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني وَهْب بن كَيْسان، مولى آل الزبير. قال: سمعتُ عبدَالله بن الزبير وهو يقول لعُبَيد ابن عُمَيْر بن قَتادة الليثي: حدثنا يا عبيد، كيف كان بدْءُ ما ابتُدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال عُبيد ـــ وأنا حاضر يحدث عبدالله بن الزبير، ومن عنده من الناس: كان رسول الله ﷺ يجاور في حِراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحنَّث به قريشٌ في الجاهلية. والتحنث: التبرُّر[1].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وثَوْرٍ ومن أرسى ثَبيراً مكانَه ... وراقٍ ليَرْقَى في حِراءَ ونازِلِ

التحنث والتحنف: قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنف، يريدون الحَنِيفية فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جَدَفَ وجَدَث. يريدون: القبرَ. قال رؤبةُ بن العَجّاج:

= انطلقت تسأل من عنده علم من الكتاب كعدَّاس ونَسْطُور الراهب، فقال لها: قدوس قدوس! أنى لهذا الاسم أن يذكر في هذه البلاد.

وفي كتاب المعيطي عن أشهب قال: سئل مالك عن التسمي بجبريل أو من يسمي به ولده فكره ذلك، ولم يعجبه.

(١) التحنث: التَّبرُّر. تفعُّل من البر، وتفعل: يقتضي الدخول في الفعل، وهو الأكثر فيها مثل: تَفَقَّه وتعبَّد وتنسَّك، وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطِّراحه، كالتأثم والتحرج. والتحنث بالتاء المثلثة، لأنه من الحِنْث وهو الحمل الثقيل، وكذلك التقذر، إنما هو تباعد عن القذر، وأما التحنف بالفاء، فهو من باب التبرر؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم، وإن كان الفاء مُبدلة من الثاء، فهو من باب التقذر والتأثم، وهو قول ابن هشام، واحتج بجدف وجدث. وانظر في ذلك: الأشباه والنظائر النحوية للإمام السيوطي ـــ من تحقيقنا.

لو كان أحجاري مع الأجْداف[1]

يريد: الأجداث: وهذا البيت في أرجوزة له. وبيت أبي طالب في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيدة أن العرب تقول: فُم، في موضع: ثُم، يبدلون الفاء من الثاء.

قال ابن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان قال: قال عُبَيد: فكان رسول الله ﷺ يجاور[2] ذلك الشهرَ من كل سنة، يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جوارَه، من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به ــ إذا انصرف من جواره ــ الكعبة، قبل أن يدخلَ بيتَه، فيطوفُ بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته.

---

(١) وفي رجز رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جني حيث زعم في سر صناعة الإعراب أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداف، واحتج بهذا لمذهبه في أن الثاء هي الأصل، وقول رؤبة رد عليه، والذي نذهب إليه أن الفاء هي الأصل في هذا الحرف، لأنه من الجدف وهو القطع، ومنه مجداف السفينة، وفي حديث عمر في وصف الجن: « شرابهم الجَدَفُ » وهي الرَّغْوَة، لأنها تُجْدَف عن الماء، وقيل: هي نبات يقطع ويؤكل. وقيل: كل إناء كشف عنه غطاؤه: جدف والجدف: القبر من هذا، فله مادة وأصل في الاشتقاق، فأجدر بأن تكون الفاء هي الأصل والثاء داخلة عليها.

(٢) الجوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف إلا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد، كذلك قال ابن عبد البر؛ ولذلك لم يُسَمَّ جواره بحراء اعتكافا، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم، وهو الجبل الذي نادى رسول الله ﷺ حين قال له ثَبِيرُ وهو على ظهره: اهبط عني؛ فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذَّب، فناداه حِراء: إليَّ إليَّ يا رسول الله. (عن الروض الأنف) للإمام أبي عبد الرحمن السهيلي.

حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهرُ: شهرُ رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حِراء، كما كان يخرج لجوارِه ومعه أهلُه، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه اللهُ فيها برسالته ورحم العبادَ بها، جاءه جبريلُ ــ عليه السلام ــ بأمر الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: فجاءني جبريلُ، وأنا نائم[1]، بِنَمَطٍ من

---

(١) قال في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهببت من نومي، فكأنما كُتِبَت في قلبي كتابا، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل نزل بسورة اقرأ، كان في اليقظة؛ لأنها قالت في أول الحديث: « أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حَبَّب الله إليه الخلاء ــ إلى قولها ــ حتى جاءه الحق وهو بغار حراء، فجاءه جبريل »، فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي ــ عليه السلام ــ بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به، لأن أمر النبوة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه.

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وُكل به إسرافيل، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وُكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه ﷺ في أحوال مختلفة، فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحاق، وكما قالت عائشة أيضا: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة، وقد قال إبراهيم عليه السلام: « إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى » فقال له ابنه: « افعل ما تؤمر » فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام؛ كما يأتيهم في اليقظة.

ومنها: أن يُنْفثَ في روعه الكلام نَفْثاً، كما قال عليه السلام: « إن روح القدس نفث في رُوعِي أن نفساً لن تموت، حتى تستكمل أجلها ورزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ». وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه: ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً** ﴾. قال هو أن ينفث في روعه بالوحي. =

دِيباجٍ[1] فيه كتاب، فقال: اقرأْ[2]، قال: قلت: ما أقرأُ[3]؟ قال فغتَّني

= ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه. وقيل: إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون أوعى لما يسمع، وألقن لما يُلَقَّى.

ومنها: أن يتمثل له الملك رجلا، فقد كان يأتيه في صورة دِحْية بن خليفة الكلبي، ويروى: أن دِحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر ــ المرأة إذا اكتملت أنوثتها ــ إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله. وقال ابن سلام في قوله تعالى: ﴿ **وإذا رأَوْا تجارة أو لهواً** ﴾ قال: كان اللهو نظرهم إلى وجه دِحْية لجماله.

ومنها: أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت.

ومنها: أن يكلمه الله من وراء حجاب: إمّا في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء، وإما في النوم، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي، قال: « أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى، فقلت: لا أدري فوضع كفَّه، فوجدت بردها بين ثُنْدُوَتيَّ ــ جمع ثندوة: لحم الثدي ــ وتجلى لي علم كل شيء، وقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى، فقلت: في الكفارات، فقال: وما هن!؟ فقلت: الوضوء عند الكريهات، ونقل الأقدام إلى الحسنات، وانتظار الصلوات بعد الصلوات، وإن فعل ذلك عاش حميداً، ومات حميداً، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث فهذه ستة أحوال.

وحالة سابعة، وهي نزول إسرافيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل، فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على محمد ﷺ.

(١) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زينهم وزينتهم، وبه أيضا ينال مُلك الآخرة، ولباس الجنة وهو الحرير والديباج.

(٢) قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ **ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾ إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاءه به جبريل حين قال: اقرأ، وفي الآية أقوال غير هذه، منها: أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه: ألم؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله، فهي كالترجمة له.

(٣) وقوله: ما أنا بقارىء، على إحدى الروايات: أني أُمِّيٌّ، فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثا =

به[1]، حتى ظننت أنه الموتُ، ثم أرسلني؛ فقال: اقرأْ، قال قلت: ما أقرأُ؟ قال: فغتَّني به، حتى ظننتُ أنه الموتُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ، قال: قلت: ماذا أقرأُ؟ قال فغتَّني به، حتى ظننتُ أنه الموتُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ، قال: فقلت: ماذا أقرأُ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي. فقال: ﴿ **اقرأْ باسم ربِّك[2] الذي خلق. خلق الإنسانَ من علق. اقرأ وربُّك الأكرمُ. الذي علَّم بالقلم. علم الإنسانَ ما لم يعلم** ﴾. قال: فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا. قال: فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسطٍ من الجبل سمعت صوتاً من السماءِ يقول: يا محمدُ أنت رسولُ الله، وأنا جبريلُ، قال: فرفعتُ رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريلُ في صورة رجل صافٍّ قدميه[3] في أفق السماء يقول: يا

= فقيل له: ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾، أي: إنك لا تقرؤه بحولك، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربك مستعيناً به، فهو يعلمك كما خَلقك وكما نزع عنك علق الدم، ومَغْمَزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك، كما خلقه في كل إنسان.

أما على رواية: ما أقرأ؟ يحتمل أن تكون « ما » استفهاماً، يريد أي شيء، أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفياً، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي، أي ما أحسن أن أقرأ، كما قد تقدم من قوله: ما أنا بقارىء.

(١) ويروى: فسأبني، ويروى: سأتني، وأحسبه أيضا يروى: فذعتني وكلها بمعنى واحد، وهو الخنق والغم.

(٢) في قوله: ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ من الفقه: وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم، غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسماء ربه يفتتح، حتى جاء البيان بعدُ في قوله: ﴿ **بسم الله مجريها** ﴾ ثم قوله تعالى: ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، على بعض الآراء ــ وانظر تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني ط مؤسسة الحلبي ــ من تحقيقنا.

(٣) وفي حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض، ويروى: على عرش بين =

محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلتُ أصرفُ وجهي عنه في آفاقِ السماء، قال: فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلتُ واقفا ما أتقدم أمامي، وما أرجع ورائي حتى بَعثَتْ خدِيجةُ رُسلَهَا في طلبي، فبلغوا أعلى مكةَ، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني.

الرسول ﷺ يخبر خديجة رضي الله عنها بنزول جبريل عليه: وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي، حتى أتيتُ خديجةَ، فجلست إلى فخذها مُضيفا إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنتَ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك، حتى بلغوا مكةَ ورجعوا لي، ثم حدثتها بالذي رأيتُ، فقالت: أبشرْ يا ابن عمٍّ واثبُتْ فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة.

خديجة رضي الله عنها تخبر ورقة بن نوفل: ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ابن قُصي، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصَّر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل. فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع. فقال ورقةُ بن نوفل: قَدُّوس قدوس، والذي نفسُ ورقةَ بيده لئن كنتِ صدقتيني يا خديجةُ لقد جاءه الناموسُ[1] الأكبر

= السماء والأرض، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحي، كان يأتي شواهق الجبال يهمُّ بأن يلقي نفسه منها، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض، يقول له أنت رسول الله، وأنا جبريل ـ وانظر لنا مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(١) الناموس: صاحب سر الملك، قال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس: هو صاحب سر الشر، وقد فسره أبو عبيد وأنشد:

فأبلغ يزيد إن عرضت ومُنْذِراً وعَمَّهُمَا والْمُسْتَشِزَّ الْمُنامِسَا

الذي كان يأتي موسى[1]، وإنه لنبيُّ هذه الأمة. فقولي له: فليثبت.

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ. فأخبرته بقول ورقةَ بن نَوْفَل. فلما قضي رسولُ الله ﷺ جوارَه وانصرف، صنع كما كان يصنع: بدأ بالكعبة، فطاف بها. فلقيه ورقةُ بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة. فقال: يا ابن أخي أخبِرْني بما رأيتَ وسمعتَ: فأخبره رسول الله ﷺ. فقال له ورقةُ: والذي نفسي بيده، إنك لنبيُّ هذه الأمة، وقد جاءك الناموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى. ولتُكَذِّبنَّهْ، ولتُؤْذَيَنَّهْ، ولتُخْرَجَنَّهْ، ولَتُقَاتلنَّهْ[2]. ولئن أنا أدركتُ[3] ذلك اليوم لأنصرنَّ اللهَ نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسَه منه، فقبل يافوخَه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

تثبُّت خديجة رضي الله عنها من الوحي: قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيلُ بن أبي حكيم مولى آلِ الزبير: أنه حُدِّث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عَم، أتستطيع

---

(١) ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب، لأن ورقة كان قد تنصر، والنصارى لا يقولون في عيسى إنه نبي يأتيه جبريل، وإنما يقولون فيه: إن أقنوماً من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح، واتحد به على اختلاف بينهم في ذلك الحلول، وهو أقنوم الكلمة، والكلمة عندهم: عبارة عن العلم، فلذلك كان المسيح عندهم، يعلم الغيب، ويخبر بما في غد، فلما كان هذا من مذهب النصارى المدعين المحال، عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى، لعلمه أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى، لكن ورقة قد ثبت إيمانه بمحمد ــ عليه السلام ــ.

(٢) الهاءات الأربعة لا ينطق بها إلا ساكنة فإنها هاءات سكت وليست بضمائر.

(٣) وقوله: إن أُدرك ذلك اليوم أنصرك نصراً مؤزراً، وقال في الحديث: إن يدركني يومك وهو القياس، لأن ورقة سابق بالوجود، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده، كما جاء في الحديث: « أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي »، ورواية ابن إسحاق أيضا لها وجه، لأن المعنى: أنرى ذلك اليوم، فسمى رؤيته إدراكا، وفي التنزيل: ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ أي: لا تراه على أحد القولين، وقوله: مُؤَزَّراً من الأزر وهو القوة والعون.

أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريلُ عليه السلام، كما كان يصنعُ، فقال رسول الله ﷺ لخديجةَ: يا خديجةُ، هذا جبريلُ قد جاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلسْ على فَخذي اليسرى، قال: فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحولْ، فاجلسْ على فخذي اليمنى، قالت: فتحول رسولُ الله ﷺ فجلس على فخذي اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحولْ فاجلسْ في حجري، قالت: فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال: فتحسَّرت وألقت خمارَها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت يا ابن عم، أثبتْ وأبشرْ، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان.

قال ابن إسحاق: وقد حَدثتُ عبدَالله بن حسن[1] هذا الحديث، فقال: قد سمعتُ أمي فاطمة بنت حُسين تُحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أني سمعتها تقول: أدخلتْ رسولَ الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عندَ ذلك جبريل، فقالت لرسول الله ﷺ: إن هذا لملك، وما هو بشيطان.

---

(١) عبد الله هذا هو: عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت الحسين أخت سُكَينة: واسمها: آمنة، وسكينة لقب لها، التي كانت ذات دعابة ومزح، وفي سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن علي رضي الله عن جميعهم:

كأن الليل موصول بليل إذا زارت سكينة والرباب

أي: زارت قومها، وهم: بنو عُلَيْم بن جناب، من كلب، ثم من بني كعب بن عليم، ويعرف بنو كعب بن عليم ببني « زيد » غير مصروف ؛ لأنه اسم أمهم، وعبدالله ابن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس، وهم: محمد ويحيى وإدريس، مات إدريس بإفريقية فاراً من الرشيد، ومات مسموماً في دلاعة ــ نوع من المحار ــ أكلها.

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن: قال ابن إسحاق: فابتُدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان، بقول الله عز وجل: ﴿ **شهرُ رمضانَ الذي أُنْزِلَ فيه القرآنُ هُدًى للناسِ، وبَيناتٍ من الهدَى والفرقانِ** ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلةِ القدرِ. وما أدْراك ما ليلةُ القدرِ. ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ. تنَزَّل الملائكةُ والروحُ فيها بإذْنِ ربِّهم مِن كُلِّ أمرٍ. سلامٌ هيَ حَتى مَطْلَعِ الفَجْرِ** ﴾. وقال الله تعالى: ﴿ **حمٓ. والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ إنا كنا منذرين. فيها يُفْرق كُلُّ أمرٍ حكيم. أمراً من عِندِنا إنا كنا مُرْسِلينَ** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **إن كنتم آمنتم باللهِ وما أَنزلنا علَى عبدِنا يَوْمَ الفُرقانِ يَوْمَ التقَى الجمعانَ** ﴾. وذلك مُلْتَقَى رسولِ الله ﷺ والمشركين ببدر.

تاريخ وقعة بدر: قال ابن إسحاق: وحدثني أبو جعفر محمد ابن علي بن حُسَين: أن رسول الله ﷺ، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة، صبيحةَ سَبْعَ عَشْرةَ من رمضان.

قال ابن إسحاق: ثم تتامَّ الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله مُصدِّق بما جاءه منه، قد قَبله بقَبوله، وتحمَّل منه ما حُمِّله على رضَا العباد وسخطهم، والنبوة أثقال ومؤنة، لا يحملها، ولا يستطيع بها، إلا أهل القوة والعزم من الرسل، بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلْقَوْن من الناسِ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

قال: فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

إسلام خديجة بنت خويلد

وقوفها بجانبه ﷺ: وآمنت به خديجة بنت خُوَيْلد، وصدَّقت بما جاءه من الله، ووازرَتْه على أمره، وكانت أولَ من آمن بالله وبرسوله، وصدَّق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبِّته وتخفف عليه، وتصدِّقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى.

تبشير خديجة ببيت من قصب: قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه عُروةَ بن الزبير، عن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « أُمرتُ أن أبشِّر خديجةَ ببيت من قَصَبٍ، لا صخبَ فيه ولا نصب »[1].

(١) حديث مرسل، وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: « ما غرت على أحد ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله ﷺ بثلاث سنين، ولقد أُمر أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة ».

وفي حديث آخر أن عائشة قالت: « ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدَّهْر، قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب، وقال: والله ما أبدلني الله خيراً منها؛ آمنت بي حين كذبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس ورُزقت منها الولد، وحُرمتُه من غيرها ».

=

= وأما قوله: بيت من قصب، فقد رواه الخطاب مفسراً، وقال فيه. قالت خديجة: يا رسول الله، هل في الجنة قصب؟ فقال: إنه قصب من لؤلؤ مجَبَّى. قال الخطابي: يجوز أن يكون معناه: مُجوَّباً من قولك: جبْت الثوب إذا خرقته، فيكون من المقلوب، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجَبّ وهو القطع أي: قُطع داخله، وقلبت الباء ياء، كما قالوا: تظنيت من الظن، وتقصيت أظفاري.

وتكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث، وقالوا: كيف لم يبشرها إلا ببيت، وأدنى أهل الجنة منزلة من يُعْطَى مسيرة ألف عام في الجنة، كما في حديث ابن عمر، خرجه الترمذي، وكيف لم يُنعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفي الصخب وهو: رفع الصوت.

فأما أبو بكر الإسكاف، فقال في كتاب فوائد الأخبار له: معنى الحديث: أنه بُشرت ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها؛ ولذلك قال: لا صخب فيه ولا نصب، أي: لم تنصب فيه، ولم تصخب. أي: إنما أعْطِيَتْه زيادة على جميع العمل الذي نصبت فيه.

قال السهيلي: لا أدري ما هذا التأويل؛ ولا يقتضيه ظاهر الحديث، ولا يوجد شاهد يعضده.

وأما الخطابي، فقال: البيت هاهنا عبارة عن قصر، وقد يقال لمنزل الرجل: بيته، والذي قاله صحيح، يقال في القوم: هم أهل بيت شرف وبيت عز، وفي التنزيل ﴿**غير بيت من المسلمين**﴾.

ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله: ببيت، ولم يقل: بقصر معنى لائق بصورة الحال، وذلك أنها كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت، وأيضا فإنها أول من بنى بيتاً في الإسلام بتزويجها رسول الله ﷺ ورغبتها فيه، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل، وإن كان أشرف منه لما جاء: « من كسا مسلماً على عُرْيٍ كساه الله من حُلل الجنة، ومن سقي مسلماً على ظمأ سقاه الله على الرحيق ». فهاهنا وقعت المماثلة، من كونه قابل الكسوة، بالكُسوة، والسُّقْيا بالسُّقْيا، وقعت المماثلة، لا في ذات المَكْسُوِّ، وإذا ثبت هذا، فمن ههنا اقتضت الفصاحة أن يعبر لها عما بُشِّرت به بلفظ البيت، وإن كان فيه ما لا عين رأته، ولا أذن سمعته، ولا خطر على قلب بشر. =

قال ابن هشام: القصب اللؤلؤ المجوف.

جبريل يُقرئ خديجة السلام من ربها: قال ابن هشام: وحدثني من أثق به، أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ؛ فقال: أَقرئ خديجةَ السلام من ربها، فقال رسول الله ﷺ: يا خديجةُ، هذا جبريل يقرِئُك السلامَ من ربك، فقالت خديجة: اللهُ السلامُ، ومنه السلامُ، وعلى جبريلَ السلامُ[1].

= أما قوله: لا صخب فيه، ولا نصب، فإنه أيضاً من باب ما كُنا بسبيله، لأنه ـــ عليه السلام ـــ دعاها إلى الإيمان، فأجابته عفواً، لم تُحْوِجْه إلى أن يصخب كما يصخب البعل إذا تعصبت عليه حليلته، ولا أن ينصب، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وَحشة، وهونت عليه كل مكروه، وأراحته بمالها من كل كد ونصب، فوصف منزلها الذي بُشرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته.

وأما قوله: من قصب، ولم يقل: من لؤلؤ، وإن كان المعنى واحداً، ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها ـــ رضي الله عنها ـــ كانت قد أحرزت قصب السبق إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنساء، والعرب تسمي السابق مُحْرِزاً للقصب.

(١) علمت بفقهها أن الله سبحانه لا يرد عليه السلام، كما يرد على المخلوق؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها: « الله السلام »، فكيف أقول عليه السلام، والسلام منه يُسْئل، ومنه يَأْتي؟ ولكن على جبريل السلام، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه، فجعلت مكان رد التحية على الله ثناءً عليه، كما عملوا في التشهد حين قالوا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقيل لهم: لا تقولوا هذا، ولكن قولوا: التحيات لله.

وقولها: ومنه السلام، إن كانت أرادت السلام التحية، فهو خبر يراد به التشكر، كما تقول: هذه النعمة من الله، وإن كانت أرادت بالسلام السلامة من السوء، فهو خبر يراد به المسألة، كما تقول: منه يُسْئَل الخير. وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة، وعمهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جار على نظام الحكمة، وكذلك سلم الثَّقَلان من جَوْر وظلم أن يأتيهم من قِبَله سبحانه في الكل مُدَبَّرٌ بفضل أو عدل، أما الكافر فلا يجري عليه إلا عدله، وأما المؤمن فيغمره فضله، فهو سبحانه من جميع أفعاله سلام.

فَتْرة الوحي ونزول سورة الضحى: قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترةً من ذلك، حتى شقَّ ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريلُ بسورة الضحى، يُقسم له ربُّه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به، ما ودَّعه وما قَلاَه، فقال تعالى: ﴿ **والضحَى وَالليْلِ إذا سَجَى. ما ودَّعك ربُّك وما قلى** ﴾. يقول: ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبك. ﴿ **وللآخِرَةُ خيرٌ لك من الأولَى** ﴾. أي لمَا عندي من مرجعك إليَّ، خيرٌ لك مما عَجَّلْت لك من الكرامة في الدنيا. ﴿ **ولسوف يُعطيك ربُّك فترضَى** ﴾ من الفُلح في الدنيا، والثواب في الآخرة. ﴿ **ألم يجدْكَ يتيماً فآوى. ووجدك ضالا فهدَى. ووجدكَ عائلاً فأغنى** ﴾ يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره، ومَنِّه عليه في يتمه وعَيْلَته وضلالته، واستنقاذه من ذلك كلِّه برحمته[١].

تفسير مفردات سورة الضحى: قال ابن هشام: سَجَى: سكن. قال أمية بن أبي الصلت الثقفي:

إذ اتى مَوْهِناً وقد نام صحبي   وسجا الليلُ بالظلامِ البهيمِ[٢]

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال للعَيْن إذا سكن طرفُها: ساجية، وسجا طرفُها.

قال جرير:

ولقد رَمَيْنَك حين رُحْن بأعينٍ   يَقْتُلْنَ مِن خَلَلِ الستور سَواجِي

---

(١) كانت فترة الوحي سنتين ونصفاً.

(٢) سجا: دام وسكن.

وهذا البيت في قصيدة له. والعائل: الفقير. قال أبو خِرَاش الهُذلي:

إلى بيتِه يَأْوَي الضَّريكُ إذا شَتا   ومُسْتَنبحٌ بالِي الدَّرِيسَيْنِ عائلُ[1]

وجمعه: عالة وعيل. وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها ـــ إن شاء الله: والعائل أيضا: الذي يعول العيال. والعائل أيضا: الخائف. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **ذلك أدنى ألاَّ تَعُولوا** ﴾. وقال أبو طالب:

بميزانِ قِسطٍ لا يُخِسُّ شَعيرةً   له شاهدٌ من نفسِه غيرُ عائلِ

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها ـــ أن شاء الله في موضعها. والعائل أيضا الشيء المُثْقِل الْمُعْيِي يقول الرجل: قد عالني هذا الأمر: أي أثقلني وأعيى. قال الفرزدق:

ترى الغُرَّ الجَحَاجِحَ من قريشٍ   إذا ما الأمرُ في الحَدَثانِ عَالاَ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ **فأما اليتيمَ فلا تقهرْ. وأما السائلَ فلا تنهرْ** ﴾: أي لا تكن جباراً ولا متكبراً، ولا فحَّاشا فَظًّا على الضعفاء من عباد الله. ﴿ **وأما بنعمةِ ربِّك فحدثْ** ﴾: أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته

---

(١) الضريك: الضعيف المضطر، والمستنبح: الذي يضل عن الطريق في ظلمة الليل، فينبح ليسمع نباح كلب فيعرف مكان العمران. والدريس: الثوب الخلق.

(٢) أنشد بعد البيت بيتاً آخر هو:

قياماً ينظرون إلى سعيد   كأنهم يرون به هلالا

يعني: سعيد بن العاص بن أمية، ويقال: إن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده، فقال له: قل: « قعودا ينظرون إلى سعيد، يا أبا فراس». فقال له الفرزدق: والله يا أبا عبد الملك: إلا قياما على الأقدام.

الغر: المشهورون والجحاجيح: السادة وحذف الياء لإقامة الوزن. والحدثان: حوادث الدهر.

من النبوة فحدثْ، أي اذكرْها وادْعُ إليها، فجعل رسول الله ﷺ يذكرُ ما أنعم اللهُ به عليه وعلى العبادِ به من النبوةِ سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله[1].

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ من الصلاة وأوقاتها

وافتُرضت الصلاةُ عليه فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

افتُرضت الصلاة ركعتين ثم زيدت: قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كَيْسَان عن عُرْوة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: افتُرضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افتُرضت عليه ركعتين ركعتين، كل صلاة؛ ثم إن الله تعالى أتمها في الحضَر أربعاً وأقرها في السفر على فَرْضها الأول ركعتين[2].

---

(١) وذكر سبب نزول سورة الضحى، وأن ذلك لفترة الوحي عنه، وخرَّج البخاري من طريق جندب بن سفيان أن رسول الله ﷺ اشتكى، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فقالت له امرأة: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، فأنزل الله تعالى سورة الضحى. وانظر فهارسي لأطراف أحاديث البخاري في كتابي مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(٢) ذكر المزني أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها، ويشهد لهذا القول قول سبحانه: ﴿ **وسبح بحمد ربِّك بالعَشيِّ والإبكار** ﴾ وقال يحيى بن سلام مثله، وقال: كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة =

جبريل يعلم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة: قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أهل العلم: أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله ﷺ، آتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين؛ فتوضأ جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ ينظر إليه، ليُرِيَه كيف الطُّهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل توضأ. ثم قام به جبريلُ فصلى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريلُ عليه السلام.

الرسول ﷺ يُعلم خديجة الوضوء والصلاة: فجاء رسول الله ﷺ خديجة، فتوضأ لها ليرِيَها كيف الطُّهورُ للصلاة كما أراه جبريلُ، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته[1].

= بعام، فعلى هذا يحتمل قول عائشة: فزيد في صلاة الحضر، أي زيد فيها حين أكملت خمساً فتكون الزيادة في الركعات، وفي عدد الصلوات، ويكون قولها: « فُرضت الصلاة ركعتين » أي: قبل الإسراء. ويجوز أن يكون معنى قولها: فرضت الصلاة: أي ليلة الإسراء، حين فُرضت الخمس فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك.

وقد ذكر البخاري من رواية مَعْمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ففرضت أربعاً » هكذا لفظ حديثه. انظر مفاتيح القاري ــ للمحقق.

(١) وهذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلا في الأحكام الشرعية، ولكنه قد روي مُسنداً إلى زيد بن حارثة ــ يرفعه ــ غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لَهِيعَة وقد ضُعِّف ولم يخرج عنه البخاري ومسلم؛ لأنه يقال: إن كتبه احترقت، فكان يحدث من حفظه، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول. وانظر تمام القول في هذا الموضوع ــ في الروض الأنف للسهيلي ــ من تحقيقنا جـ ١ ص ٢٨٤.

جبريل يعين للرسول ﷺ أوقات الصلاة: قال ابن إسحاق: حدثني عُتبةُ بن مُسْلم مولى بني تميم، عن نافع بن جُبَيْر بن مُطعِم، وكان نافع كثير الرواية، عن ابن عباس قال: لما افتُرضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثلَه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمسُ، ثم صلى به العِشاءَ الآخرةَ حين ذهب الشَّفقُ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجرُ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظلُّه مثلَه، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثليه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمسُ لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفراً غيرَ مُشْرِقٍ، ثم قال: يا محمد، الصلاةُ فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس[1].

ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلى معه وصدَّق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب

---

(١) وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع؛ لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة، كانت في الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نُبِئَ بخمسة أعوام وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف، وقيل: بعام، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي، وأول أحوال الصلاة.

ابن عبد المطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين[1].

نعمة الله على عليٍّ بنشأته في كَنَف الرسول: وكان مما أنعم الله به على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

سبب هذه النشأة: قال ابن إسحاق: وحدثني عبدُالله بن أبي نَجيح، عن مُجاهد بن جَبْر بن أبي الحَجَّاج، قال: كان من نعمةِ الله على عليٍّ بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدة، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثير؛ فقال رسول الله ﷺ للعباس عمِّه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة، فانطلقْ بنا إليه، فلنخففْ عنه من عياله: آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكلهما عنه؛ فقال العباسُ: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخففَ عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه؛ فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عَقيلاً فاصنعا ما شئتما ــ **قال ابن هشام:** ويقال: عقيلاً وطالباً.

فأخذ رسول الله ﷺ عليًّا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى

---

(١) سيأتي قول من قال: أول من أسلم أبو بكر، ولكن ذلك ــ والله أعلم ــ من الرجال؛ لأن عليا كان حين أسلم صبيّاً لم يدرك، ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله، وصدق رسوله، وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، وكلهم أسلم إلا طالباً يقال إن الجن اختطفته، فذهب ولم يعلم بإسلامه، وأم علي: فاطمة بنت أسد بن هاشم، وقد أسلمت.

نبيًّا، فاتَّبعه علي رضي الله عنه، وآمن به وصدقه؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

الرسول ﷺ وعليّ يخرجان إلى الصلاة في شعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما: قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه عليٌّ بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يُصليان، فقال لرسولِ الله ﷺ: يابن أخي! ما هذا الدينُ الذي أراك تَدين به؟ قال: أي عمّ! هذا دين الله ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم ــ أو كما قال ﷺ ــ بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت أي عم، أحقُّ من بذلتُ له النصيحة، ودعوتُه إلى الهدَى، وأحقُّ من أجابني إليه وأعانني عليه، أو كما قال؛ فقال أبو طالب: أي ابن أخي! إني لا أستطيع أن أفارقَ دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخْلَصُ[1] إليك بشيء تكرهه ما بَقيتُ.

وذكروا أنه قال لعليٍّ: أي بني! ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسولِ الله، وصدقتُه بما جاء به وصليتُ معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير فألزمه.

---

(١) لا يخلص: لا يوصل.

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب ابن عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكلبي، مولى رسول الله ﷺ، وكان أولَ ذكر أسلم، وصلى بعد عليٍّ بن أبي طالب.

نسب زيد: قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شَرَاحيل بن كعب ابن عبد العُزَّى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرَة بن زيْد اللات بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كلب بن وَبْرة[1]. وكان حكيم بن حزام ابن خُوَيلد قدم من الشام برقيق، فيهم زيد بن حارثة[2] وصيف. فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه، وذلك قبل أن يُوحَى إليه.

شعر حارثة أبي زيد عندما فقده: وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جَزَعاً شديداً، وبكى عليه حين فقده، فقال:

بكيتُ على زيدٍ ولمْ أدْرِ ما فعلْ ... أحَيٌّ فيُرْجَى أم أتى دونَه الأجلْ
فواللهِ ما أدري وإني لسائلٌ ... أغَالَكَ بعدي السهلُ أم غالَكَ الجبلْ
ويا ليتَ شِعْري هل لك الدهرُ أوبةٌ ... فحسبي من الدنيا رجوعُك لي بَجَلْ[3]؟

---

(١) ابن شرحبيل: وقال ابن هشام: شراحيل، قال أصحاب النسب: كما قال ابن هشام، ورفع نسبه إلى كلب بن وبرة، ووبرة هو: ابن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة.

(٢) لأن أم زيد: سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيِّئ، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها، فأصابته خيل من بني القَيْن بن جِسْر، فباعوه بسوق حُباشة، وهو من أسواق العرب، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق.

(٣) بجل: حسم.

تُذَكِّرْنيه الشمسُ عندَ طلوعِها وتَعْرِضُ ذكراه إذا غربُها أفلْ
وإن هَبَّت الأرواحُ هَيَّجْنَ ذكرَه فيا طولُ ما حزْني عليه وما وَجَلْ[1]
سأعمل نَصَّ العيس في الأرض جاهداً ولا أسأمُ التَّطْوَافَ أو تسأمُ الإبلْ[2]
حَياتيَ أو تأتي عليَّ مَنِيتي فكلُّ امرئ فانٍ وإن غرَّه الأملْ[3]

ثم قَدِم عليه وهو عند رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: إن شئتَ فأقمْ عندي، وإن شئتَ فانطلقْ مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك. فلم يزل عندَ رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه؛ فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ **ادعوهم لآبائِهم** ﴾. قال: أنا زيد بن حارثة.

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ـ وشأنه

نسبه: قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، واسمه عَتيق، واسم أبي قحافة عُثمان بن عَمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم ابن مُرَّة بن لُؤَي بن غالب بن فِهر.

---

(١) الأرواح: جمع ريح.
(٢) النص: السير السريع.
(٣) زاد السهيلي بعد هذا البيت قوله:
سأوصي به قَيْساً وعَمراً كليهما وأوصي يزيداً ثم أوصي به جَبَل
يعني زيد بن كعب وهو ابن عم زيد وأخوه، ويعني بجبل: جبلة بن حارثة أخا زيد. ولما بلغ زيداً قول أبيه قال بحيث يسمعه الركبان:
أحن إلى أهلي وإن كنت نائيا بأني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معدّ كابراً بعد كابر
انظر تمام الموضوع في الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٨٦ـ٢٨٧.

اسمه ولقبه: قال ابن هشام: واسم أبي بكر: عبدالله، وعتيق: لقبٌ لحُسنِ وجهه وعتقه(١).

إسلامه: قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله(٢).

إيلاف قريش له ودعوته للإسلام: وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسبَ قريش لقريش، وأعلمَ قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلا تاجراً، ذا خُلق ومعروف، وكان رجالُ قومِه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وَثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه(٣).

---

(١) واسمه: عبد الله، وسمي عتيقا لعتاقة وجهه، والعتيق: الحسن كأنه أعتق من الذم والعيب ــ وقيل: سمي عتيقا؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت إن وُلد لها ولد أن تسميه: عبد الكعبة، وتتصدق به عليها، فلما عاش وشب، سمي: عتيقا، كأنه أُعتق من الموت، وكان يسمى أيضا: عبد الكعبة إلى أن أسلم، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الله، وقيل: سُمي: عتيقا؛ لأن رسول الله ﷺ قال له حين أسلم: أنت عتيق من النار، وقيل: كان لأبيه ثلاثة من الولد: مُعْتَق ومُعَيْتق وعَتِيقٌ، وهو: أبو بكر. وسئل ابن معين عن أم أبي بكر فقال: أم الخير عند اسمها، وهي أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة، واسمها: سَلْمى، وتكنى: أم الخير، وهي من المبايعات.

وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمه: قَيْلَةُ ــ بياء باثنتين منقوطة من أسفل ــ بنت أذاة بن رياح بن عبدالله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب. وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء: قتيلَة بنت عبد العُزَّى ــ بتاء منقوطة باثنتين من فوق ــ وقيل فيها: بنت عبد أسعد بن نصر بن حسل بن عامر وهو قول الزبير.

(٢) وذكر أن رسول الله ﷺ عرض عليه الإسلام، فما عكم عند ذلك، أي ما تردد.

(٣) وفي مدح حسان الذي قاله فيه، وسمعه النبي ﷺ، ولم ينكره دليل على أنه أول =

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

عثمان: قال: فأسلم بدعائه ــ فيما بلغني ــ عثمانُ بن عفان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب.

الزبير: والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

عبد الرحمن بن عوف: وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي(١).

سعد بن أبي وقاص: وسعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص: مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهرة بن مُرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي(٢).

= من أسلم من الرجال، وفيه:

خير البريـة أتقاهـا، وأفضلهـا ... بعد النبي، وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمـود مشهـره ... وأول الناس قدمـاً صدَّق الرسلا

(١) أحد العشرة المبشرين بالجنة، يكنى: أبا محمد، أمه: الشفاء بنت عوف بن عبد ابن الحارث وهي بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف. فأبوها: عوف عم عوف وأخو عبد عوف.

(٢) اسم أبي وقاص: مالك بن أُهَيْب، وأهيب: هو عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ والوقاص في اللغة، هو واحد الوقاقيص وهي شباك يصطاد بها الطير، وهو أيضاً فَعَّال من وقَصَ إذا انكسر عنقه، وأم سعد: حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، يكنى أبا إسحاق.

طلحة: وطلحة بن عُبَيْدالله بن عثمان بن عَمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصَلُّوا. وكان رسول الله ﷺ يقول، فيما بلغني: ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوَة[1]، ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قُحَافة، ما عَكم عنه حين ذكرتُه له، وما تَردد فيه.

قال ابن هشام: قوله: « بدعائه » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: قوله: عَكَم: تلبَّث. قال رُؤْبة بن العَجَّاج:

وانصاعَ وثابَ بها وما عَكَمْ[2]

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناسَ بالإسلام فصَلُّوا وصدَّقُوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله.

إسلام أبي عبيدة: ثم أسلم أبو عُبَيْدة بن الجراح، واسمه عامر ابن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر[3].

إسلام أبي سلمة: وأبو سَلَمة، واسمه عبدالله بن عبد الأَسَد بن هلال بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي.

إسلام الأرقم: والأرقم بن أبي الأرقم. واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أَسَد ــ وكان أسد يُكْنَى أبا جُنْدُب ــ بن عبدالله بن

---

(١) الكبوة: التأخر وعدم الإجابة.

(٢) انصاع: ذهب.

(٣) وقد اختلف فيه، فقيل: عبد الله بن عامر، وقيل: عامر بن عبد الله. وأمه: أميمة بنت غَنْم بن جابر بن عبد العُزّى بن عامرة بن وديعة بن الحارث بن فهر، قاله الزبير.

عُمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي.

إسلام عثمان بن مظعون وأخويه: وعثمان بن مَظْعون بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذَافة بـن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي. وأخواه قُدامة وعبدالله ابنا مظعون بن حبيب.

إسلام عبيدة بن الحارث: وعُبَيْدة بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف بن قُصَي بـن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَي.

إسلام سعيد بن زيد وامرأته: وسعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّي بـن عبدالله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدي ابن كعب بن لؤي؛ وامرأته فاطمة بنت الخطاب بـن نُفيل بن عبد العزى بن عبدالله بن قُرْط بن رِياح بن رَزَاح بن عَدي بن كعب ابن لُؤَي، أخت عمر بن الخطاب[1].

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الأرت: وأَسْماء بنت أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة. وخَبَّاب بن الأَرَتّ، حليف بني زُهْرة.

قال ابن هشام: خَبَّاب بن الأَرَتّ من بني تميم، ويقال: هو من خزاعة.

---

(١) وأم سعيد: هي: فاطمة بنت بَعْجة بن خلف الخزاعية، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير، ومن الفتح في رَزاح بن عدي والكسر، وأن رزاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه، ويكنى سعيد: أبا الأعور، توفي بأرضه بالعقيق، ودفن بالمدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

إسلام عُمَير وابن مسعود وابن القاري: قال ابن إسحاق: وعُمَيْر بن أبي وقَّاص، أخو سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود ابن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صَاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هُذَيْل. ومسعود بن القَارِي، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حَمالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سُبَيْع بن الهَوْن بن خزيمة من القَارَةِ.

قال ابن هشام: والقارة: لقب، ولهم يقال:

قد أنصف القارَةَ من راماها

وكانوا قوما رُماة[1].

إسلام سليط وأخيه، وعياش وامرأته وخنيس وعامر: قال ابن إسحاق: وسَلِيط بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر؛ وأخوه حاطب بن عَمرو وعَيَّاش بن ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر ابن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرة بن كعب بن لؤي؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مُخَرِّبة التميمية. وخُنَيْس بن حُذافة بن عدي بن سعد بن سهم بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي. وعامر بن ربيعة، من عَنْز بن وائل، حليف آل الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى.

---

(١) وسمي بنو الهون بن خُزيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب:

دعونا قارة لا تُذْعرونا ... فنجْفِلَ مثل إجفالِ الظَّليم

هكذا أنشده أبو عبيد في كتاب الأنساب، وأنشده قاسم في الدلائل:

دعونا قارة لا تذعرونا ... فَتَنْبَتكَ القرابة والذّمام

وكانوا رُمَاةَ الحدق ــ أي رماة أشداء ــ فمن راماهم فقد أنصفهم، والقارة: أرض كثيرة الحجارة، وجمعها قور، فكأن معنى المثل عندهم: أن القارة لا تَنْفدُ حجارتها إذ رُمي بها، فمن راماها فقد أنصفها.

قال ابن هشام: عَنْز بن وائل أخو بكر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

إسلام ابنيْ جحش، وجعفر وامرأته، وحاطب وإخوته ونسائهم، والسائب، والمطلب وامرأته: قال ابن إسحاق: وعبدالله ابن جحش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم ابن دُودَان بن أَسد بن خُزَيمة. وأخوه أبو أحمد بن جحش، حليفا بني أمية بن عبد شمس. وجعفر بن أبي طالب؛ وامرأته أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة، من خَثْعم. وحاطب ابن الحارث بن مَعْمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي، وامرأته فاطمة بنت المُجَلَّل ابن عبدالله بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل ابن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهر وأخوه خطَّاب بن الحارث، وامرأته فُكَيْهة بنت يَسار. ومَعْمَر بن الحارث بن حبيب بن وهب ابن حُذَافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي. والسائب ابن عثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب. والمطَّلِب بن أزْهَر بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَي، وامرأته: رَمْلَة بنت أبي عوف بن ضُبَيْرة بن سَعيد ابن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي.

إسلام نعيم: والنَّحَّام، واسمه نُعَيْم بن عبدالله بن أَسَد، أخو بني كعب بن لؤي.

نسب نعيم: قال ابن هشام: هو نُعَيم بن عبدالله بن أُسَيْد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي، وإنما سُمِّي النَّحَّام، لأن رسول الله ﷺ قال: لقد سمعت نَحْمَه في الجنة.

قال ابن هشام: نَحْمه: صوته أو حِسّه.

اسلام عامر بن فهيرة: قال ابن إسحاق: وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1].

نسبه: قال ابن هشام: عامر بن فُهَيْرة مُوَلَّد من مُوَلِّدي الأُسْد، أَسْوَد اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم.

إسلام خالد بن سعيد ونسبه واسلام امرأته: قال ابن إسحاق: وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قُصي بن مُرَّة بن كعب بن لؤي. وامرأته أُمَيْنة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيْع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عَمرو، من خُزاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَيْنة بنت خلف.

إسلام حاطب وأبي حُذَيفة: قال ابن إسحاق: وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر. وأبو حُذَيْفة، واسمه مُهْشِم — فيما قال ابن هشام — ابن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَي.

إسلام واقد وشيء من خبره: وواقد بن عبدالله بن عبد مناف ابن عَرِين بن ثَعْلبة بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تميم، حليف بني عدي بن كعب.

قال ابن هشام: جاءت به باهلة، فباعوه من الخطاب بن نُفَيْل،

---

(١) فهيرة: أمه، وهي تصغير فهر، لأن الفهر مؤنثة، وكان عبداً أسود للطُّفَيْل بن الحارث ابن سَخْبرةَ اشتراه أبو بكر فأعتقه وأسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

فتبناه، فلما أنزل الله تعالى: ﴿ **ادعوهمْ لآبائهم** ﴾ قال: أنا واقد بن عبدالله، فيما قال أبو عَمرو المدني.

إسلام بني البكير: قال ابن إسحاق: وخالد وعامر وعاقل وإياس بَنُو البُكَيْر بن عبد يَاليل بن ناشِب بن غِيَرَة بن سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي بن كعب.

إسلام عمار: بن ياسر، حليف بني مخزوم بن يقظة.

قال ابن هشام: عمار بن ياسر عَنْسِي من مَذْحِج.

إسلام صُهَيب: قال ابن اسحاق: صُهَيْب بن سِنَان، أحد النَّمِر ابن قَاسِط، حليف بني تَيْم بن مرة.

نسب صهيب: قال ابن هشام: النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفصَى بن دُعْمِيٍّ ابن جديلة بن أسد؛ ويقال: صُهَيب: مولى عبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

ويقال: إنه رومي. فقال بعضُ مَن ذكر أنه من النَّمِر بن قَاسط، إنما كان أسيراً في أرض الروم، فاشتُرِيَ منهم. وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: « صُهَيب سابق الروم ».

مباداة رسول الله ﷺ قومَه، وما كان منهم

أمر الله له ﷺ بمباداة قومه: قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أَرْسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكرُ الإسلام بمكة، وتُحدِّث به. ثم إن الله عز وجل أمر رسولَه ﷺ أن يَصْدعَ بما جاءه منه،وأن يباديَ الناس بأمره، وأن يدعوَ إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين ــ فيما بلغني ــ من مبعثه؛ ثم قال الله تعالى له: ﴿ **فاصدعْ بما تُؤْمَر، وأعرضْ عن المشركين** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وأنذرْ عشيرتَك الأقربين. واخفضْ جناحَك لمن اتبعك من المؤمنين، وقل إني أنا النذير المبين** ﴾.

معنى ﴿ اصدع بما تؤمر ﴾: قال ابن هشام: اصدع: افْرُقْ بين الحقِّ والباطل. قال أبو ذُؤَيْب الهُذَلي، واسمه خُوَيْلد بن خالد، يصف أُتن[2] وحْش وفحلَها:

وكأنهـــنَّ رِبابَـــةٌ وكأنـــه ... يَسَرٌ يفيضُ على القِداحِ ويَصْدُعُ[3]

---

(١) المعنى: اصدع بالذي تؤمر به، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها، وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه « الذي »، وقولهم: (ما) مع الفعل بتأويل المصدر، راجع إلى المعنى الذي إذا تأملته، وذلك أن (الذي) تصلح في كل موضع تصلح فيه (ما) التي يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر:

عســـى الأيـــام أن يرجعـــ ... ــــن يومـــاً كالـــذي كانـــوا

انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٦.

(٢) الأتن: مفردها أتان وهي أنثى الحمر.

(٣) الربابة: جلدة تلف فيها قداح الميسر، واليسر الذي يدخل في الميسر. والقداح مفردها قدح وهو السهم.

أي يُفَرِّق على القداح ويبين أنصباءَها. وهذا البيت في قصيدة له، وقال رُؤْبَة بن العَجَّاج:

أنتَ الحليمُ والأميرُ المنتقمْ   تَصدَعُ بالحقِّ وتَنْفِي مَنْ ظَلَمْ

وهذان البيتان في أرجوزة له.

خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة في الشِّعْب: قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا، ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبيْنَا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شِعْب من شِعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْي بعير[1] فشجَّه، فكان أول دم هُرِيقَ في الإسلام.

عداوة قومه ومساندة أبي طالب له: قال ابن إسحاق: فلما بادَى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام وصدَع به كما أمره اللهُ، لم يبعد منه قومه، ولم يردُّوا عليه ــ فيما بلغني ــ حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافَه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستَخْفُون، وحَدِب[2] على رسول الله ﷺ عمُّه أبو طالب، ومنعه وقام دونَه،

---

(١) لحي البعير: العظم الذي على فخذه.

(٢) أصل الحدب: انحناء في الظهر، ثم استعير فيمن عطف على غيره، ورق له كما قال النابغة:

حدبت على بطون ضبة كلها   إن ظالماً فيهم، وإن مظلوما

ومثل ذلك الصلاة، أصلها: انحناء وانعطاف من الصلوين وهما: عرقان في الظهر إلى الفخذين، ثم قالوا: صلي عليه، أي: انحني عليه، ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة، =

ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مظهراً لأمرِه، لا يرده عنه شيء. فلما رأت قريش، أن رسول الله ﷺ لا يُعْتِبهم[1] من شيء أنكروه عليه، من فراقهم وعَيْب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه، وقام دونَه، فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، عُتبة وشَيْبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام:واسم أبي سفيان صَخْر.

قال ابن إسحاق: وأبو البَخْتري، اسمه العاص بن هشام بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

قال ابن هشام: أبو البَخْتري: العاص بن هاشم[2].

قال ابن إسحاق: والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزي ابن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وأبو جهل — واسمه عَمْرو، وكان يكنى أبا الحكم — بن هشام بن المغيرة بن

= إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك: صلى الله على محمد، هو أرق وأبلغ من قولك: رحم الله محمدا في الحنو والعطف. والصلاة أصلها في المحسوسات عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر:

فما زلت في ليني لـه وتعطفـي عليه، كما تحنو على الولد الأمُّ.

(١) لا يعتبهم: لا يرضيهم.

(٢) والذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبي، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير ابن أبي بكر وقول مصعب، وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: سفيان بن العاص. عن الروض الأُنف.

عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرة بن كعب بن لؤي. والوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرة ابن كعب بن لؤي. ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي. والعاص بن وائل.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي.

وفد قريش يعاتب أبا طالب: قال ابن إسحاق: أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب دينَنا، وسفَّه أحلامَنا، وضلَّل آباءَنا؛ فإما أن تكفَّه عنا، وإما أن تُخَلِّيَ بينَنَا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنَكْفِيكه. فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه.

الرسول ﷺ يستمر في دعوته: ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يُظهر دينَ الله، ويدعو إليه، ثم شرى[1] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا[2]، وأكثرت قريش ذِكرَ رسول الله ﷺ بينَها، فتذامروا فيه، وحضَّ بعضُهم بعضاً عليه[3].

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرةً ثانيةً: ثم إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرةً أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سِناً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنا، وإنا والله لا نصبرُ على هذا من شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى

---

(١) شري: اشتد.

(٢) تضاغنوا: تعادوا.

(٣) تذامروا: حض بعضهم بعضا، والعطف للتفسير.

تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلَك أحد الفريقين — أو كما قالوا له — ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خِذلانه.

ما دار بين الرسول ﷺ وأبي طالب: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخْنَس أنه حُدِّث: أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخي، إن قومَك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، الذي كانوا قالوا له، فابق عليَّ وعلى نفسك، ولا تُحمّلْني من الأمر ما لا أطيق؛ قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاءٌ[1] أنه خاذله ومُسْلِمُه، وأنه قد ضَعُف عن نُصرته والقيام معه. قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري[2] على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته. قال: ثم استعبر رسولُ الله ﷺ، فبكى ثم قام؛ فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبلْ يابن أخي؛ قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهبْ يابن أخي، فقلْ ما أحببتَ، فوالله لا أُسْلمك لشيء أبداً.

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلانَ رسول

---

(١) أي ظهر له رأي، فسمي الرأي بداء، لأنه شيء يبدو بعد ما خفي، والمصدر البدء والبدو، والاسم البداء، لا يقال في المصدر، بدا له بدو، كما لا يقال له ظهر ظهور بالرفع، لأن الذي يظهر، ويبدو هاهنا هو الاسم، نحو البداء وأنشد أبو علي القالي:

لعلك والموعود حق وفاؤه ... بدا لك في تلك القلوص بداء

(٢) خص الشمس باليمن لأنها الآية المبصرة، وخص القمر بالشمال، لأنها الآية الممحوّة.

الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مَشَوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له ــ فيما بلغني ــ يا أبا طالب، هذا عُمارةُ بن الوليد، أنْهدُ[1] فتى في قريش وأجملُه، فخذه فلك عَقْلُه ونَصْرُه. واتخذْه ولداً فهو لك وأسلمْ إلينا ابن أخيك هذا، الذي قد خالف دينَك ودينَ آبائك، وفرق جماعة قومك وسفَّه أحلامَهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل؛ فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذُوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبداً. قال: فقال المُطْعِم بن عدي بن نَوْفل بن عبد مناف بن قُصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؛ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعتَ خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال. قال: فحقب الأمر[2]، وحميت الحربُ، وتنابذ القوم، وبادَى بعضُهم بعضا.

شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرض بالمطْعِم بن عَدِيّ، ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

ألا قل لعمرٍو والوليدِ ومُطْعِم   ألا ليت حَظِّي من حياطِتِكم بكرُ[3]

---

(١) أنهد: أشد.

(٢) حقب الأمر، أي: اشتد، وهو من قولك: حقب البعير إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحقب على ذلك الموضع، فيقال منه: حقب البعير، ثم يستعمل في الأمر إذا عسر.

(٣) يريد أن يقول إن بكرا من الإبل أنفع لي منكم، فليته لي بدلا من حياطتكم ذلك، كما قال طرفة في عمرو بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو   رغوثاً حول قبتنا تخور

من الخُور حَبْحَاب كثيرٌ رُغاؤُه ... يُرَشُّ على الساقَيْن من بولِه قَطْـرُ[1]
تَخلَّف خلفَ الوِرْدِ ليس بلاحق ... إذا ما علا الفَيْفاء قيل له وَبْرُ[2]
أرى أخويْنَا من أبينا وأمِّنـا ... إذا سُئلا قالا إلى غيرِنا الأمرُ
بلَى لهما أمرٌ ولكن تَجَرْجَمَا ... كما جُرْجِمَتْ من رأسِ ذي عَلَقٍ صخرُ[3]
أخُصُّ خصوصاً عبدَ شمس ونَوْفلاً ... هما نبذانا مثلَ ما يُنبَذُ الجمرُ
هما أغمزَا القومَ في أخَوَيْهما ... فقد أصبحا منهم أكفُّهما صِفْرُ[4]
هما أشركا في المجدِ من لا أبا له ... من الناسِ إلا أن يُرَسَّ لـه ذِكْـرُ[5]
وتَيْم ومخزوم وزُهـرة منهـمُ ... وكانوا لنا مَوْلًى إذا بُغِيَ النصرُ
فواللهِ لا تنفكُّ منـا عَـداوةٌ ... ولا منهمُ ما كان من نَسْلِنا شَفْرُ[6]
فقد سَفُهَتْ أحلامُهم وعقولُهم ... وكانوا كجَفْرٍ بئسَ ما صنعتْ جَفْرُ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قريش تُظهر عداوتها للمسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تذامروا بينَهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ الذين

---

(١) الخور: الضعاف، والحبحاب بالحاء: الصغير. وفي حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: جبجاب بالجيم، وفسره فقال: هو الكثير الهدر — عن الروض الأنف.

(٢) أي يشبه بالوبر لصغره، ويحتمل أن يكون أراد، أن يصغر في العين لعلو المكان وبعده، والفيفاء فعلاء، ولولا قولهم: الفيف، لكان حمله على باب القصاص والجرجاء أولى، ولكن سمع الفيف، فعلم أن الألفين زائدتان وأنه من باب قلق وسلس الذي ضوعفت فيه فاء الفعل دون عينه.

(٣) تجرجم: انحدر، وذو علق: جبل في ديار بني أسد، وترك صرف علق إما لأنه جعله اسم بقعة، وإما لأنه اسم علم، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر، وإن لم يكن مؤنثا ولا أعجمياً.

(٤) أغمز: استضعف. والصفر: الخالي.

(٥) يرس: يذكر.

(٦) شفر: أحد.

أسلموا معه، فوثبت كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومنع اللهُ رسولَه ﷺ منهم بعمِّه أبي طالب، وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه، من مَنْع رسول الله ﷺ، والقيام دونَه؛ فاجتمعوا إليه، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب، عدو الله الملعون.

شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته: فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه في جهدهم معه، وحَدَبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضلَ رسول الله ﷺ فيهم، ومكانَه منهم، ليشد لهم رأيهم، وليَحْدَبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمفخر ... فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها[1]
وإن حُصِّلت أشرافُ عبد منافها ... ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإن فخَرَتْ يوماً فإن محمداً ... هو المصطَفى من سرِّها وكريمها
تداعتْ قريشٌ غثُّها وسمينُها ... علينا فلم تَظْفَرْ وطاشتْ حلومُها
وكنا قديماً لا نُقِرُّ ظلامةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخدودِ نقيمُها[2]
ونحمي حِماها كلَّ يومٍ كريهةٍ ... ونضربُ عن أحجارِها من يرومُها[3]
بنا انتعش العُود الذَّوَاء وإنما ... بأكنافِنا تندَى وتَنْمى أرُومُها[4]

---

(١) سرها: أي: وسطها، وسر الوادي وسرارته: وسطه وذلك مدح في موضعين في وصف الشهود، وفي النسب.

(٢) ثنوا: عطفوا. وصعَّر خده: أماله إلى جهة مثل فعل المتكبر.

(٣) ونضرب عن أحجارها من يرومها: أي ندفع عن حصونها ومعاقلها، ووردت الرواية أحجارها بتقديم الجيم فهو جمع حجر والحجر هنا مستعار، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها.

(٤) الذواء: الذي جفت رطوبته. الأروم: مفرده أرمة وهي الأصل.

الوليد بن المغيرة: كيده للرسول، وموقفه من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشرَ قُرَيْش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدَمُ عليكم فيه، وقد سمعوا بأمرِ صاحبِكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذِّب بعضُكم بعضاً، ويردّ قولُكم بعضَه بعضاً؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقول به؛ قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن؛ قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بَزَمْزَمة[1] الكاهن ولا سَجْعه؛ قالوا: فنقول: مجنون؛ قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخَنْقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته؛ قالوا: فنقول: شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجَزَه، وهَزَجه[2] وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول: ساحر؛ قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّار وسحرَهم، فما هو بنَفْثِهم ولا عَقْدِهم[3] قالوا؛ فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوةً وإن أصلَه لعَذْقٍ، وإن فرعه لجَناة ــ **قال ابن هشام:**

---

(١) الزمزمة: صوت ضعيف كنحو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء، ويقال أيضاً: زمزم الرعد، وهو صوت له قبل الهدر، وكذلك الكهان، كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها، وأما زمزمة الفرس، فكانت من أنوفهم.

(٢) الهزج: من أعاريض الشعر معروف عن العروضيين، ولا أعرف له اشتقاقاً إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب: هزج، أي مترنم، وإما الرجز فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرجازة، وهو شيء يعدل به الحمل، وكذلك الرجز في الشعر أشطار معدلة، ويجوز أن يكون من رجزت الناقة إذا أصابتها رعدة عند قيامها.

(٣) العقد والنفث: هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بفمه.

ويقال لغَدْق[1] ـــ وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرِّق به بين المرءِ وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدموا الموسم، ولا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة في ذلك من قوله: ﴿ **ذرني ومن خَلقتُ وحيداً. وجعلتُ له مالا ممدوداً، وبنين شهوداً، ومهدت له تمهيداً، ثم يطمع أن أزيد، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً** ﴾[2] أي خصيما.

(١) قول الوليد: إن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة. استعار من النخلة التي ثبت أصلها، وقوي وطاب فرعها إذا جني، والنخلة هي: العَذق بفتح العين، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام، لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله، ورواية ابن هشام: إن أصله لغدق، وهو الماء الكثير، ومنه يقال: غيدق الرجل إذا كثر بصاقه. وأحد أعمام النبي ﷺ كان يسمى: الغيداق لكثرة عطائه ـــ والغيدق أيضا ولد الضب، وهو أكبر من الحسل، قاله قطرب في كتاب الأفعال والأسماء له.

(٢) ذكر ابن إسحاق قول الله تعالى: ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً** ﴾ الآيات التي نزلت في الوليد، وفيها له تهديد ووعيد شديد، لأن معنى: ﴿ **ذرني ومن خلقت** ﴾ أي دعني وإياه، فسترى ما أصنع به، كما قال: ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** ﴾ وهي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه، وكره أن يشفع لمن اغتاظ عليه، فمعنى الكلام: أي: لا شفاعة تنفع لهذا الكافر، ولا استنصار يا محمد منك، ولا من غيرك وقوله: ﴿ **وبنين شهوداً** ﴾ أي: مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه، لأن ماله كان ممدوداً، والمال الممدود عندهم: اثنا عشر ألف دينار، فصاعداً ﴿ **ومهدت له تمهيداً** ﴾ أي: هيأت له، وقدمت له مقدمات استدراجاً له، وقوله تعالى: ﴿ **سأرهقه صعوداً** ﴾ هي عقبة في جهنم، يقال لها: الصعود مسيرها سبعين سنة، يُكلف الكافر أن يصعدها، فإذا صعدها بعد عذاب طويل صُب من أعلاها، ولا يتنفس، ثم لا يزال كذلك أبداً، كذلك جاء في بعض التفاسير.

قال ابن هشام: عنيد: معاند مخالف. قال رؤبة بن العجاج:

ونحـن ضرَّابـون رأسَ العُنَّـد

وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿ سأرهِقُه صَعُوداً، إنه فكَّر وقدَّر، فقُتِل كيف قدَّر. ثم قُتل كيف قدَّر. ثم نظر، ثم عبس وبسر ﴾.

قال ابن هشام: بسر: كرَّه وجهه. قال العَجَّاج:

مُضبَّر اللَّحْيين بَسْراً مِنْهَسا[1]

يصف كراهية وجهه. وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿ ثم أدبرَ واستكبر، فقال إنْ هذا إلا سحرٌ يُؤْثَر، إن هذا إلا قولُ البشر ﴾.

رد القرآن على صحب الوليد: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في رسوله ﷺ وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنِّفون القول في رسول الله ﷺ، وفيما جاء به من الله تعالى: **﴿ كما أنزلنا على المُقتَسِمين. الذين جعلوا القرآنَ عِضِين. فوربِّك لنسئلنهمْ أجمعين، عما كانوا يعملون ﴾.**

قال ابن هشام: واحدة العِضين: عِضَة، يقول: عَضَّوْه: فرقوه. قال رُؤْبة بن العُجاج:

ولـيس ديـنُ الله بالمعضَّـى

وهذا البيت في أرجوزة له.

---

(١) المضبر: الشديد. واللحيان عظمان في الوجه. والنهس: أخذ اللحم بمقدم الأسنان.

قال ابن إسحاق: فجعل أوئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس، وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ؛ فانتشر ذكرُه في بلادِ العربِ كلِّها.

شعر أبي طالب في معاداة خصومه: فلما خشي أبو طالب دَهْماءَ العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشرافَ قومه، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم في ذلك من شعره أنه غير مُسْلِم رسولَ الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونَه، فقال:

ولمـا رأيتُ القـومَ لا وُدَّ فيهـمُ ... وقد قطعوا كـلَّ العُرَى والوسائـلِ
وقـد صارحونـا بالعـداوةِ والأذَى ... وقـد طاوعـوا أمرَ العـدوِّ المزايـلِ
وقـد حالفـوا قومـاً علينـا أَظِنَّـةً ... يَعَضُّـونَ غَيْظـاً خلفَنـا بالأنامـلِ
صبرتُ لهم نفسي بسمـراء سَمْحة ... وأبيضَ عَضْب من تُراث المقاولِ[1]
وأحصرتُ عندَ البيت رَهْطي وإخوتي ... وأمسكتُ مـن أثوابـه بالوصائـلِ[2]
قيامـاً معـاً مستقبليـن رِتاجَـه ... لدى حيثُ يَقْضي حلفه كلُّ نافلِ[3]
وحيثُ يُنيـخ الأشعـرون ركابَهـم ... بمُفْضِيِّ السيولِ من إسـافَ ونائـلِ

---

(١) تراث أصله: وراث من ورثت، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة، وعلتها كثرة وجود التاء في تصاريف الكلمة، فالتراث مال قد تُوورث، وتوارثه قوم عن قوم، فالتاء مستعملة في التوريث والتوارث.

وأراد بالمقاول: آباءه، شبههم بالملوك، ولم يكونوا ملوكاً، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل: هل كان في آبائه من ملك؟ فقال: لا. ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكره أبو طالب من هبات الملوك لأبيه، فقد وهب ابن ذي يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش، يهنئونه بظفره بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بعامين.

(٢) الوصائل: ثياب مخططة حمراء، كان يكسى بها البيت الحرام.

(٣) النافل: المتبرىء.

مُوَسَّمَـة الأعضـادِ أو قَصَراتهـا — مُخَيَّسـة بيـنَ السَّـديس وبـازلِ[1]
تـرى الـوَدْع فيهـا والرخـامَ وزينـةً — بأعناقِهـا معقـودةً كالعثاكـلِ[2]
أعوذ بربِّ النـاسِ مـن كـلِّ طاعـن — علينـا بسـوءٍ أو مُلِـحٍّ بباطـلِ
ومـن كاشـحٍ يسعَـى لنـا بمعيبـةٍ — ومن مُلْحِقٍ في الدين ما لم نُحاولِ
وثَـوْرٍ ومـن أَرسَى ثَبيـراً مكانَـه — وراقٍ ليرقـى فـي حِـراءَ ونـازلِ[3]
وبالبيتِ، حقِّ البيتِ، من بطنِ مكة — وبـالله إن اللهَ لـيس بغافِـل
وبالحجـرِ المسْـوَدِّ إذ يمسحونـه — إذا اكتنفوه بالضُّحَـى والأصائـلِ[4]
وموطئِ إبراهيمَ في الصخـرِ رَطْبـة — علـى قدميْـه حافيـاً غيـر ناعـلِ[5]

---

(١) موسمة الأعضاد أو قصراتها: يعني معلمة بسِمَةٍ في أعضادها، ويقال للوسم الذي في الأعضاد: السطاع والرقمة، والذي في الفخذ: الخياط، وفي الكشح: الكشاح ولما في قصرة العنق: العلا، والعلطتان، والشعب أيضا في العنق، وهو كالمحجن، وفي العنق وسم آخر أيضاً يقال له: قيد الفرس. والقصرات جمع قصرة، وهي أصل العنق، وخفضها بالعطف على الأعضاد، ولا يجوز أن تكون موضع نصب. والمخيسة: المذللة. والسديس: الذي دخل في السنة السادسة. والبازل: الذي دخل في التاسعة فخرج نابه.

(٢) الودع: بالسكون والفتح: خرزات تنظم ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال:

* والحلم حلم صبي يمرس الودعة *

ويقال: إن هذه الخرزات يقذفها البحر، وأنها حيوان في جوف البحر، فإذا قذفها ماتت، ولها بريق ولون حسن، وتصلب صلابة الحجر، فتثقب، ويتخذ منها القلائد، واسمها مشتق من ودعته أي: تركته، لأن البحر ينصب عنها ويدعها. والودْع بالسكون هو المصدر.

والرخام أي: ما قطع من الرخام، فنظم وهو حجر أبيض ناصع: والعثاكل : أراد العثاكيل، فحذف الياء للضرورة الشعرية. إقامة للوزن.

(٣) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.

(٤) الحجر المسود، فيه زحاف يسمى : الكف، وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود. الأصائل: جمع أصيلة والأصل جمع أصيل، وذلك أن فعائل جمع فعيلة، انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٤،٢٥ — من تحقيقنا.

(٥) موطئ إبراهيم في الصخر رطبة. يعني موضع قدميه حين غسلت كنته « زوج ابنه » =

وأشْواط بيـنَ المروَتَيْـن إلـي الصَّفَـا — وما فيهمـا مـن صُـورةٍ وتَماثـلِ[1]
ومن حجَّ بيتَ اللهِ مـن كـلِّ راكـبٍ — ومن كلِّ ذي نَذْرٍ ومن كـل راجـل
وبالمشْعَـرِ الأقْصَى إذا عَمـدوا له — إلالٌ إلى مُفْضَى الشِّراجِ القوابلِ[2]
وتَوْقافِهـم فـوقَ الجبـالِ عَشِيَّـةً — يُقيمون بالأيـدي صـدورَ الرواحـلِ
وليلةِ جَمْـعٍ والمنـازلِ مـن مِنًـى — وهـل فوقهـا مـن حُرْمـة ومنـازلِ[3]
وجَمْـعٍ إذا مـا المُقْرَبـات أجَزْنَـه — سِراعا كما يخرجنَ من وقـعِ وابـلِ[4]
وبالجمرةِ الكبـرى إذا صَمـدوا لهـا — يَؤُمُّـون قذفـاً رأسَهـا بالجَنـادلِ
وكِنـدةَ إذ هُـم بالحِصـاب عشيـة — تُجيز بهم حُجاجُ بكرِ بنِ وائـلِ[5]
حليفـان شـدًّا عَقْـدَ مـا احتلفـا لـه — وردًّا عليـه عاطفـاتِ الوسائـلِ
وحَطْمِهـم سُمـرَ الرمـاحِ وسرحـه — وشِبْرِقَـه وَخْـدَ النعـامِ الجوافـلِ[6]

= رأسه، وهو راكب، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين استأذنها في أن يطالع تركته بمكة، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابة، ولا يزيد على السلام، واستطلاع الحال غَيْرة من سارة عليه من هاجر، فحين اعتمد على الصخرة أبقي الله فيها أثر قدميه آية. قال الله سبحانه: ﴿ **فيه آيات بينات مقام إبراهيم** ﴾.

(١) الأشواط: جمع شوط، الجري من البداية إلى الغاية مرة واحدة، والمرتين الصفا والمروة فهو من باب التغليب كالأبوين للأب والأم. والتماثل: التماثيل أسقط ياءها ضرورة.

(٢) المشعر: عرفة. الإل: جبل بعرفات. والشراج: جمع شرج وهو مسيل الماء. والقوابل: المقابلة.

(٣) جمع: المزدلفة.

(٤) المقربات: الخيل الكريمة التي تقرب مرابطها من البيوت. الوابل: المطر الشديد.

(٥) الحصاب: مكان رمي الجمار.

(٦) الحطْم: الكسر. والسمر: يقال فيه: سمر وسمر بضم الميم وسكونها ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين. وكذا وقع في الأصل بضم السين، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح. كما قال: حسن ذا أدبا. وجائز أن يراد بالسمر ههنا جمع أسمر وسمراء ويكون وصفا للنبات ـــ وانظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري. وشبرقة: وهو نبات يقال ليابسه: الحل، والرطبة: الشبرق.

فهل بعد هذا من مَعَاذٍ لعائذٍ وهل من مُعيذٍ يتقي اللهَ عاذل

يُطاع بنا أمرُ العدوّ ودَّ أننا تُسدُّ بنا أبوابُ تُركٍ وكابلِ [(١)]

كذبتمْ وبيتِ الله نترك مكة ونَظْعنُ إلا أمرُكم في بلابلِ [(٢)]

كذبتم وبيتِ الله نُبْزي محمداً ولمَّا نطاعنْ دونَه ونناضل [(٣)]

ونسلمه حتى نُصَرَّع حولَه ونُذْهَل عن أبنائِنا والحلائلِ

وينهض قومٌ في الحديد إليكمُ نهوضَ الرَّوايا تحتَ ذات الصلاصل [(٤)]

وحتى ترى ذا الضِّغْنِ يركب رَدْعَه من الطَّعنِ فعلَ الأنْكَبِ المتحَامِلِ [(٥)]

وإما لعَمْرُ الله إن جَدَّ ما أرى لَتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثلِ

بكَفَّيْ فتى مثل الشهاب سَمَيْدع أخي ثقةٍ حامي الحقيقةِ باسل [(٦)]

شهوراً وأياماً وحولاً مُجَرَّماً علينا وتأتي حِجَّةٌ بعدَ قابل [(٧)]

وما تركُ قومٍ، لا أبا لك، سيداً يحوط الذِّمارَ غير ذَرْب مُوَاكِل [(٨)]

وأبيضُ يُستسقَى الغمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عِصْمةٌ للأرامل [(٩)]

يلوذُ به الهُلاَّف من آلِ هاشم فهم عندَه في رَحْمةٍ وفواضلِ

---

(١) ترك وكابل: جيلان من الناس.

(٢) البلابل: وساوس الهموم.

(٣) نبزي: نسلب ونغلب، ونبزي محمداً أي نسلبه ونغلب عليه.

(٤) نهوض الروايا. هي الإبل تحمل الماء واحدتها: راوية، والأسقية أيضا يقال لها: روايا، وأصل هذا الجمع: رواوي ثم يصير في القياس: روائي مثل حوائل جمع: حول، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها، والصلاصل: المزادات يسمع لها صلصة بالماء.

(٥) الضغن: العداوة، ويركب ردعه: يخر على وجهه صريعا. والأنكب: المائل.

(٦) السميدع: السيد من الرجال.

(٧) المجرَّم: الكامل.

(٨) الذمار: الحمى. الذرب: هو مخفف من ذرب والذرب، اللسان الفاحش المنطق، والمواكل الذي لا جد عنده فهو يكل أموره إلى غيره.

(٩) ثمال اليتامى، أي: يثملهم، ويقوم بهم، يقال: هو ثمال مال أي يقوم به.

لَعَمْري لقد أجرى أُسَيد وبَكْرُه ... إلى بُغضِنا وجزّآنا لآكلِ

وعثمانُ لم يَرْبع علينا وقُنفُذٌ ... ولكن أطاعَا أمرَ تلك القبائلِ [1]

أطاعا أُبَيًّا وابنَ عبدِ يغوثِهم ... ولم يَرْقُبا فينا مَقالةَ قائلِ

كما قد لَقِينا من سُبَيْعٍ ونَوْفلٍ ... وكُلٌّ تولَّى مُعْرِضاً لم يجاملِ

فإن يُلْقيا أو يُمكنِ اللهُ منهما ... نَكِلْ لهما صاعاً بصاعِ المُكايلِ

وذاك أبو عمرٍو أبَى غيرَ بُغْضِنا ... ليظْعَنا في أهلِ شاءٍ وجاملِ [2]

يناجي بنا في كلِّ مَمْسَى ومُصْبَحٍ ... فناجِ أبا عمرٍو بنا ثم خاتِلِ

ويُؤْلي لنا باللهِ ما إن يَغُشُّنا ... بَلى قد نراه جهرةً غيرَ حائلِ [3]

أضاق عليه بغضُنا كلَّ تَلْعَةٍ ... من الأرضِ بين أخْشُبٍ فمجادِلِ [4]

وسائلْ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتَنا ... بِسَعْيِك فينا مُعْرِضاً كالمخاتِلِ

وكنتَ امرأً ممن يُعاش برأيه ... ورحمتِه فينا ولسْتَ بجاهلِ

فعتبةُ لا تسمعْ بنا قولَ كاشحٍ ... حسودٍ كذوبٍ مُبْغِضٍ ذي دَغاوِلِ [5]

ومَرَّ أبو سفيان عني مُعْرِضاً ... كما مَرَّ قَيْلٌ من عِظامِ المَقاوِلِ

---

(١) لم يربع: لم يقم.

(٢) ليظعننا في أهل شاء وجامل. الشاء والشوي: اسم للجمع مثل الباقر والبقير، ولا واحد لشاء والشوي من لفظه، وإذا قالوا في الواحد: شاة، فليس من هذا، لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير: شويهة، وفي الجمع شياه، والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر.

(٣) يؤلي: يقسم.

(٤) التلعة: ما شرف من الأرض. والأخشب: أراد الأخاشب وهي جبال مكة وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبل، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد ويصغر كذلك، والمجادل: القصور والحصون في رؤوس الجبال. كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام والعراق، والفاء في مجادل تعطي الاتصال بخلاف الواو كقوله * بين الدَّخول فحومل *. وتقول: مطرنا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا الى هذه، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى.

(٥) الدغاول: الغوائل.

يَفِـر إلـى نَجْـدٍ وبَـرْدِ مياهِـه ... ويزعُـم أنّني لستُ عنكـم بغافـلِ
ويخبرُنـا فِعْـلَ المُناصِـح أنّـه ... شفيقٌ ويُخفي عارماتِ الدواخلِ [1]
أمِطْعمُ لم أخْذُلْك فـي يـومِ نجـدةٍ ... ولا مُعْظِـم عنـدَ الأمـورِ الجلائـلِ
ولا يـومَ خَصْـمٍ إذا أتـوك ألِـدَّةً ... أُولِي جَدَلٍ من الخصـوم المَساجلِ [2]
أمُطْعِـمُ إن القـومَ ساموك خُطَّـةً ... وإني متـى أوكَـلْ فلستُ بوائـلِ [3]
جزى اللهُ عنا عبدَ شـمسٍ ونَوْفَـلاً ... عقوبـةَ شَـرٍّ عاجـلاً غيـرَ آجـلِ
بميـزانِ قِسْـطٍ لا يُـخَسُّ شعيـرةً ... لـه شاهـدٌ مـن نفسِـه غيـرَ عائـلِ [4]
لقـد سَفُـهتْ أحـلامُ قـومٍ تبدَّلـوا ... بنـي خلـفٍ قَيْضـاً بنـا والغَياطـلِ [5]
ونحنُ الصميـمُ مـن ذؤابـةِ هاشـمٍ ... وآل قُصَـيٍّ فـي الخُطـوبِ الأوائـلِ
وسهـمٌ ومخـزومٌ تمالـوا وألَّبُـوا ... علينا العِدَا من كلِّ طِمْلٍ وخاملِ [6]

---

(١) العارمات: الشديدات. والدواخل: التمائم.

(٢) أُولي جدل من الخصوم المساجل: يروى بالجيم وبالحاء فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول، وأصله في استقاء الماء بالسجل، فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل، أو جمع مسجل بكسر الميم، وهو من نعت الخصوم، ومن رواه المساحل بالحاء، فهو جمع مسحل وهو اللسان، وليس بصفة للخصوم، وإنما هو مخفوض بالإضافة، أي، خصماء الألسنة.

(٣) سامه خطة: كلفه بها. والوائل: الناجي.

(٤) العائل: الحائر. يخس شعيرة، أي: ينقص، والخسيس: الناقص من كل شيء، ويروى في غير السيرة: يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر: إذا أذهبه.

(٥) القيض: العوض، والغياطل: بنو سهم، لأن أمهم الغيطلة، وقد نسبها، وقيل: إن بني سهم سموا بالغياطل، لأن رجلا منهم قتل جانا طاف بالبيت سبعاً، ثم خرج من المسجد فقتله، فأظلمت مكة، حتى فزعوا من شدة الظلمة التي أصابتهم. والغيطلة: الظلمة الشديدة، والغيطلة أيضاً: الشجر الملتف، والغيطلة: اختلاط الأصوات، والغيطلة: البقرة الوحشية، والغيطلة: غلبة النعاس.

(٦) الطمل: اللص، كذا وجدته في كتاب أبي بحر، وفي العين. الطمل: الرجل الفاحش، والطمل والطملال: الفقير، والطمل: الذئب (عن الروض الأنف).

فعبدُ منـاف أنتـم خيـرُ قومِكـم ... فلا تُشركوا في أمرِكم كلَّ واغِلِ[1]
لعَمْـري لقـد وهنتـمُ وعَجَزْتـم ... وجئتمْ بأمرٍ مُخْطِئٍ للمفـاصلِ[2]
وكنتم حديثاً حَطْبَ قدرٍ وأنتم الـ ... ـآن حِطـابُ أقـدُرٍ ومَراجـل
ليَهْنِئْ بني عبد مناف عقوقُنـا ... وخذلانُنـا وتركُنـا فـي المعَاقـلِ
فـإن نك قومـا نَتَّئِر مـا صنعتـمُ ... وتَحتلبوهـا لِقْحَـةً غيـرَ باهـلِ[3]
وسائط كانت في لُؤيٍّ بـن غـالبٍ ... نفاهـم إلينـا كـلُّ صقـرٍ حُلاحِـل[4]
ورهط نُفَيل شَرُّ مَنْ وطئَ الحصَى ... وألأم حـافٍ مِـنْ مَعَـدٍّ ونَاعـل
فأبلـغْ قُصَيًّـا أن سيُنشـر أمرُنـا ... وبَشِّر قصيّـاً بعدَنـا بالتخـاذل
ولـو طـرَقت ليـلاً قُصيـا عظيمـةٌ ... إذا ما لجأنـا دونَهـم فـي المَداخلِ
ولـو صَدقـوا ضَرْبـا خـلالَ بيوتِهـم ... لكنَّـا أُسًـى عنـدَ النسـاءِ المَطافِلِ[5]
فكـلُّ صديـقٍ وابـنِ أختٍ نعـدُّه ... لَعَمْـري وَجَدْنـا غِبَّـه غيـرَ طائـلِ
سوى أنَّ رهطاً من كلابِ بنِ مُرةٍ ... بَـراءٌ إلينـا مـن معقَّـةِ خـاذلِ[6]

---

(١) الواغل: الهاجم على القوم في شرابهم ولم يُدْع.

(٢) مخطئ للمفاصل: بعيد عن الصواب.

(٣) نتئر: نأخذ بثأرنا. واللقحة: الناقة ذات اللبن والباهل: الناقة المباحة للحلب. يقال: ناقة مصرورة، إذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع، وليست المصراة من هذا المعنى، وإنما هي التي جمع لبنها في ضرعها، فهو من الماء الصري، وقد غلط أبو علي في البارع، فجعل المصداة بمعنى المصرورة، وله وجه بعيد، وذلك أن يحتج له بقلب إحدى الراءين ياء مثل، قصيت أظفاري، غير أنه بعيد في المعنى، وقالت امرأة المغيرة تعاتب زوجها، وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهلة التي لا صرار على أخلافها، أطعمتك مأدومي وأبثثتك مكتومي، وجئتك باهلا غير ذات صرار، وفي الحديث: «لا تورد الإبل بهلا، فإن الشياطين ترضعها» أي، لا أصرة عليها.

(٤) الحلاحل: السيد الشجاع.

(٥) الأسى: جمع أسوة، والمطافل: ذوات الأطفال.

(٦) قوله: براء إلينا من معقة خاذل. يقال قوم براء وبراء بالفتح، وبراء بالكسر، فأما براء بالكسر فجمع بريء، مثل كريم وكرام، وأما براء فمصدر، مثل سلام والهمزة =

وهَنَّا لهم حتى تبددَّ جمعُهم ... ويَحْسُر عنا كلُّ باغٍ وجاهلِ

وكان لنا حوضُ السقايةِ فيهمُ ... ونحنُ الكُدى من غالبٍ والكَواهلِ [(١)]

شبابٌ من المطيِّبين وهاشم ... كبيضِ السيوفِ بينَ أيدِي الصَّياقِلِ

فما أدركوا ذَحْلاً ولا سفكوا دماً ... ولا حالفوا إلا شِرارَ القبائلِ

بضرْبٍ ترى الفِتيانَ فيه كأنهم ... ضَوَاري أسودٍ فوق لحمٍ خَرادِلِ [(٢)]

بني أمَةٍ محبوبةٍ هِنْدِكيَّةٍ ... بني جُمَح عُبَيْد قيسِ بنِ عاقلِ [(٣)]

ولكننا نسلٌ كرامٌ لسادةٍ ... بهم نُعِيَ الأقوامُ عندَ البَواطلِ

ونعم ابنُ أختِ القومِ غيرَ مُكَذَّبٍ ... زُهَيرٌ حُساماً مُفْرَداً من حَمائلِ

أَشَمُّ مِنَ الشُّمِّ البهاليلِ ينتَمِي ... إلى حسبٍ في حَوْمةِ المجدِ فاضلِ

لعَمْري لقد كُلفتُ وَجْداً بأحمد ... وإخوتِه دَأْبَ المحِبِّ المواصلِ

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلِها ... وزَيْناً لمن والاه ربُّ المَشاكلِ

فمن مِثلُه في الناس أيُّ مُؤَمَّلٍ ... إذا قاسه الحكامُ عندَ التفاضلِ

حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ ... يوالي إلاهاً ليسَ عنه بغافلِ

فواللهِ لولا أن أجيءَ بسُبَّةٍ ... تُجَرُّ على أشياخِنا في المحافلِ

لكنا اتبعناه على كلِّ حالةٍ ... من الدهرِ جِدًّا غير قولِ التهازلِ

لقد علموا أن ابنَنا لا مُكَذَّبٌ ... لدينا ولا يُعْنَى بقَوْلِ الأباطلِ

= فيه وفي الذي قبله لام الفعل، ويقال: رجل براء ورجلان براء، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا في الجمع، وأما براء بضم الباء: فالأصل فيه برءاء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين، فحذفوا الأولى، وكان وزنه فعلاء، فلما حذفوا التي هي لام للفعل صار وزنه فعاء، وانصرف لأنه أشبه فعالا، والنسب إليه إذا سميت به، براوي، والنسب إلى الآخرين بَرائي وبِرائي، [بفتح الباء وكسرها] وزعم بعضهم إلى أن بُراء بضم أوله من الجمع الذي جاء على فُعال، ومنها هذه الألفاظ، فرير وفرار وعرن وعران، وقال النحاس: براء بضم الباء.

(١) الكُدى: جمع كُدية، وهي الصخرة العظيمة، والكواهل جمع كاهل: وهو سند القوم.

(٢) الخرادل: القطع العظيمة.

(٣) الهندكي: منسوب إلى الهند.

فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ تُقَصِّر عنه سَوْرةُ المتطاولِ[1]
حَدِبْتُ بنفسي دونَه وحَميْتُه ودافعتُ عنه بالذُّرَا والكَلاكِلِ[2]
فأيَّده ربُّ العبادِ بنصره وأظهرَ ديناً حقُّه غيرُ باطلِ
رجالٌ كرامٌ غيرُ ميلٍ نَماهُمُ إلى الخيرِ آباءٌ كرامُ المحاصلِ[3]
فإن تكُ كعبٌ من لُؤَيٍّ صُقَيْبَةً فلا بُدَّ يوماً مرةً من تَزايُلِ[4]

قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويود لو أن أبا طالب حي ليرى ذلك: **قال ابن هشام:** وحدثني من أثق به، قال: أقحط أهلُ المدينة، فأتَوْا رسول الله ﷺ، فشكوا ذلك إليه، فصعد رسولُ الله ﷺ المنبر فاستسقى[5] فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحي[6] يشكون منه الغرق؛ فقال رسول الله ﷺ: « اللهم حوالينا ولا علينا »[7]، فانجاب السحاب عن المدينة فصار

---

(١) السورة: الشدة والبطش.
(٢) حدبت: عطفت. والذرا: جمع ذروة أعلى ظهر البعير، والكلاكل: عظام الصدور.
(٣) الميل: جمع أميل وهو الذي لا يحسن الركوب.
(٤) صقيبة: قريبة.
(٥) حديث استسقاء رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو حديث مروي من طرق كثيرة، وبألفاظ مختلفة ــ انظر للمحقق: مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
(٦) الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر، ولا منجاة من السيول، وقيل: ضاحية كل بلد، خارجه.
(٧) وقوله عليه السلام: « اللهم حوالينا، ولا علينا » كقوله في حديث آخر « اللهم منابت الشجر، وبطون الأودية، وظهور الآكام »، فلم يقل، اللهم ارفعه عنا هو من حسن الأدب في الدعاء، لأنها رحمة الله، ونعمته المطلوبة منه، فكيف يطلب منه رفع نعمته، وكشف رحمته، وإنما يسئل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء.

حواليها كالإكليل، فقال رسول الله ﷺ: « لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره »، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهِه ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

قال: « أجل ».

قال ابن هشام: وقوله « وشبرقة » عن غير ابن إسحاق.

ذكر الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب: قال ابن إسحاق: والغياطل: من بني سهم بـن عمرو بنْ هَصيص، وأبو سفيان ابن حرب بن أمية. ومُطْعِم بن عَدِيٍّ بن نوفل بن عبد مناف. وزُهير ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، أمه عاتكة بنت عبد المطلب.

قال ابن إسحاق: وأسيد، وبِكْره: عَتَّاب بن أُسيد بن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بـن قصي. وعثمان بن عُبيد الله، أخو طلحة بن عُبيد الله التيْمي. وقنفذ بن عُمَير بن جُدْعان بـن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة. وأبو الوليد عتبة بن ربيعة. وأبو الأخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زُهرة بن كلاب.

قال ابن هشام: وإنما سمي الأخنس. لأنه خنس بالقوم يوم بدر، وإنما اسمه أُبيّ، وهو من بني علاج، وهو عِلاج بن أبي سلمة بن عَوْف بن عقبة. والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زُهرة بن كلاب. وسُبيع بن خالد، أخو بَلْحَارث بن فهر. ونَوْفل ابن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى بـن قصي، وهو ابن العدوية. وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بـن عُبَيْـد الله رضي الله عنهما في حبل حين أسلما، فبذلك كانا يسميان

القرينين؛ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر. وأبو عمرو قُرْظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف.

«وقومٌ علينا أظنَّة»: بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، فهؤلاء الذين عدَّد أبو طالب في شعره من العرب.

انتشار ذكر الرسول خارج مكة: فلما انتشر أمرُ رسول الله ﷺ في العرب، وبلغ البلدان، ذُكر بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذُكر، وقبل أن يُذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود، وكانوا لهم حلفاء، ومعهم في بلادِهم. فلما وقع ذكره بالمدينة، وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قيس بن الأَسْلَت[1]، أخو بني واقف:

نسب ابن الأسلت: قال ابن هشام: نسب ابنُ إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف، ونسبه في حديث الفيل إلى خَطْمة، لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخي جده الذي هو أشهر منه.

---

(١) واسم الأسلت: عامر، والأسلت: هو الشديد الفطس يقال: سلت الله أنفه، ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله، فلما كتب له عهده أبى أن يقبله، وقال: لا حاجة لي به. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الولاة يجاء بهم يوم القيامة، فيقفون على جسر جهنم، فمن كان مطاوعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيه، ومن كان عاصياً لله انحرف به الجسر إلى واد من نار تلتهب التهاباً، قال: فأرسل عمر إلى أبي ذر وإلى سلمان، فقال لأبي ذر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال: نعم والله، وبعد الوادي واد آخر من نار. قال: وسأل سلمان، فكره أن يخبره بشيء، فقال عمر: من يأخذها بما فيها؟ فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وعينيه، وأضرع خده إلى الأرض. ذكره ابن أبي شيبة.

قال ابن هشام: حدثني أبو عُبَيدة: أن الحكم بن عمرو الغِفاري من ولد نُعَيْلة أخي غِفار وهو غِفار بن مُلَيْل، ونُعَيلة بن مُلَيل بن ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة، وقد قالوا عتبة بن غزوان السُّلَمي وهو من ولد مازن بن منصور وسُلَيْم بن منصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت: من بني وائل؛ ووائل، وواقف، وخَطْمة إخوة من الأوس.

شعر ابن الأسلت في الدفاع عن الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: فقال أبو قيس بن الأسلت ــ وكان يحب قريشاً، وكان لهم صهراً، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته ــ قصيدة يعظم فيها الحرمة، وينهى قريشا فيها عن الحرب، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض، ويذكر فضلَهم وأحلامَهم، ويأمرهم بالكفِّ عن رسول الله ﷺ، ويذكِّرهم بلاءَ الله عندهم، ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم، فقال:

يـا راكبـاً إمـا عَـرَضتَ فبلِّغـنْ ... مُغَلغلَةً عنـي لُـؤيَّ بـنَ غـالبِ[1]

رسول امرئٍ قد راعـه ذات بينِكـم ... على النأْيِ محزونٍ بذلكِ ناصبِ[2]

وقـد كـان عنـدي للهمـومِ مَعرَّسٌ ... فلم أقضِ منها حاجتـي ومآربـي[3]

نُبِّيتُكـم شَرْجَيْـن كـل قبيلـةٍ ... لها أزْمَلٌ من بين مُـذْكٍ وحـاطبِ[4]

---

(١) المغلغلة: الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها، ومنه تغلغل في البلاد: إذا بالغ في الدخول فيها، وأصله: تغلل ومغللة، ولكن قلبوا إحدى اللامين غيناً، كما فعلوا في كثير من المضاعف، وأصله من الغلل والغلالة، فأما الغلل فماء يستره النبات والشجر، وأما الغلالة فساترة لما تحتها. ويراد بالمغلغلة في البيت الرسالة.

(٢) الناصب: المعيي.

(٣) أصل المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافرون ليلا للاستراحة.

(٤) شرجين. أي: فريقين مختلفين، « ونبئتكم » لفظ مشكل وفي حاشية الشيخ: نبيتكم =

أعيذكم بالله من شرِّ صنعِكم ... وشرِّ تباغيكم ودسِّ العقاربِ
وإظهارِ أخلاقٍ ونجْوَى سقيمةٍ ... كوخزِ الأشافي وقعُها حقٌّ صائب(١)
فذكِّرْهم باللهِ أولَ وهلةٍ ... وإحلال أحرام الظِّباءِ الشوازبِ(٢)
وقل لهم والله يحكمُ حُكْمَهُ ... ذروا الحربَ تذهبْ عنكم في المَراحبِ(٣)
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... هي الغُولُ للأقصينَ أو للأقاربِ(٤)
تُقطِّعُ أرحاماً وتُهلك أمةً ... وتُبري السَّديفَ من سَنامٍ وغاربِ(٥)
وتستبدلوا بالأتحميةِ بعدَها ... شَليلاً وأصداءً ثيابَ المحاربِ(٦)
وبالمسكِ والكافورِ غُبْراً سوابغاً ... كأن قَتِيرَيْها عيونُ الجنادبِ(٧)
فإياكُم والحربَ لا تَعْلَقَنَّكُمْ ... وحَوْضاً وخيم الماءِ مُرَّ المشاربِ

= شرجين، وهو بين في المعنى، وفيه زحاف خرم، ولكن لا يعاب المعنى بذلك، وأما لفظ النبيت في هذا البيت، فبعيد من معناه، والأزمل: الصوت، والمذكى: الذي يوقد النار، والحاطب: الذي يحطب لها، ضرب هذا مثلا لنار الحرب، كما قال الشاعر:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام

(١) الأشافي: المخارز.
(٢) إحلال أحرام الظباء الشوازب: أي، إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التي تأتيه من بعد، لتأمن فيه فهي شازبة أي، ضامرة لبعد المسافة، وإذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم، وإحرام الظباء، كونها في الحرم، يقال لمن دخل في الشهر الحرام، أو في البلد الحرام، محرم.
(٣) المراحب: الأماكن المتسعة.
(٤) الغول: أي: هي الهلاك، يقال: الغضب. غول الحلم؛ أي يهلكه، والغول بفتح الغين: وجع البطن، قاله البخاري في تفسير قوله ﴿ **لا فيها غول** ﴾ انظر كتاب التفسير في فتح الباري من تحقيقنا حـ ١٨. راجع مفاتيح القارئ.
(٥) تبري: تقطع. السديف: لحم السنام، الغارب: أعلى الظهر.
(٦) الأتحمية: ثياب رقاق تصنع باليمن. والشليل: درع قصيرة، والأصداء: جمع صدأ الحديد.
(٧) القتير: حلق الدرع شبهها بعيون الجراد وأخذ هذا المعنى التنوخي فقال:

كأثواب الأراقم مزقتها ... فخاطتها بأعينها الجراد =

تَزَيَّنَ للأقوامِ ثم يَرَوْنَها بعاقبةٍ إذ بَيَّنَتْ، أمَّ صاحبِ[(١)]

تحرِّق لا تُشْوِي ضعيفاً وتنتحي ذوي العزِّ منكم بالحُتوف الصوائبِ[(٢)]

ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ فتعتبروا أو كان في حربِ حاطبِ[(٣)]

وكم قد أصابت من شريفٍ مُسَوَّدٍ طويلِ العمادِ ضيفُه غيرُ خائِب

عظيمِ رمادِ النارِ يُحمَدُ أمرُه وذي شيمةٍ محضٍ كريمِ المضاربِ[(٤)]

وماء هُريق في الضلالِ كأنما أذاعت به ريحُ الصَّبا والجنائبِ[(٥)]

يُخبِّركم عنها امرؤٌ حقٌّ عالمٍ بأيامِها والعلمُ علمُ التجاربِ

فبيعوا الحرابَ مِلْمُحَارِبِ واذكروا حسابَكمُ واللهُ خيرُ محاسبِ

= وكقول عمرو بن معدي كرب في وصف الحرب:

الحرب أول ما تكون فتية تسعى ببذتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزا غير ذات خليل

شمطاء جزت رأسها، فتنكرت مكروهة للشم والتقبيل.

(١) أم صاحب، أي عجوزا كأم صاحب لك، إذا لا يصحب الرجل إلا رجل في سنه، وفي جامع البخاري. كانوا إذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هذه الأبيات، يعني أبيات عمرو بن معدي كرب المتقدمة.

(٢) لا تشوى: لا تخطئ. وتنتحي: تقصد.

(٣) ألم تعلموا ما كان في حرب داحس: يذكر معنى داحس إذ ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى.

(٤) كريم المضارب، وفي حاشية كتاب الشيخ: لعله الضرائب، يريد: جمع ضريبة، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال: المضارب. يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم.

(٥) وماء هريق في الضلال: ويروى في الصلال جمع صلة، وهي الأرض التي لا تمسك الماء، أي رب ماء هريق في الضلال من أجل السراب، لأن من يهريق ماء من أجل السراب إلا ضال غير مميز بمواضع الماء، وأذاعت به، أي: بددته، فلم ينتفع به، وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الأمور، ويروى: وما أهريق في أمر، ومعناه: والذي أهريق في أمر الضلال، فوصل ألف القطع ضرورة، ويقال: أريق الماء، وأهريق بالجمع بين الهمزة والهاء، وهي أقلها.

وليّ امرئٍ فاختار دينا فلا يَكنْ عليكم رقيباً غيرُ ربِّ الثواقبِ[1]
أقيموا لنا دِيناً حنيفاً فأنتمُ لنا غايةٌ قد يُهتَدى بالذوائبِ[2]
وأنتم لهذا الناسِ نورٌ وعصمةٌ تُؤَمُّون، والأحلامُ غيرُ عوازبِ[3]
وأنتم، إذا ما حُصِّل الناسُ، جوهرٌ لكم سُرَّةُ البطحاءِ شُمُّ الأرانبِ[4]
تصونون أجساداً كراماً عتيقةً مهذَّبةَ الأنسابِ غيرَ أشائبِ[5]
ترى طالبَ الحاجاتِ نحوَ بيوتِكم عصائبَ هَلْكَى تهتدي بعصائبِ
لقد علم الأقوامُ أن سَراتَكم على كلِّ حالٍ خيرُ أهلِ الجباجِبِ[6]
وأفضلُه رأياً وأعلاه سُنة وأقولُه للحقِّ وسطَ المواكبِ
فقوموا فصلوا ربَّكم وتمسَّحوا بأركان هذا البيتِ بينَ الأخاشبِ[7]
فعندكمُ منه بلاءٌ ومصْدَق غداةَ أبي يَكْسومَ هادي الكتائبِ
كتيبتُه بالسهلِ تُمسي ورَجْلُه على القاذفاتِ في رءوسِ المناقبِ[8]
فلما أتاكم نصرُ ذي العرشِ ردَّهم جنودُ المليكِ بين سافٍ وحاصبِ[9]

---

(١) ولي امرئ فاختار دينا فإنما. أي: هو ولي امرئ اختار ديناً، والفاء زائدة على أصل أبي الحسن، قال في قولهم: زيدا فاضرب: الفاء معلقة أي: زائدة، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر، كأنه قال: ولي امرئ تدين، فاختار ديناً، أو نحو هذا. والثواقب: النجوم. انظر الروض الأنف من تحقيقنا.

(٢) الذوائب: الأعالي.

(٣) الأحلام: العقول، والعوازب: البعيدة.

(٤) السرة: العلو، والشم المرتفعة.

(٥) الأشائب: المختلطة، ويريد بغير الأشائب أن نسبهم خالص لا عيب فيه.

(٦) الجباجب: وهي منازل منى. كذا قال ابن إسحاق، وقال البرقي: هي حفر بمنى، يجمع فيها دم البدن، والهدايا، والعرب تعظمها وتفخر بها، وقيل الجباجب: الكروش. يقال للكرش: جبجبة بفتح الجيم، والذي تقدم واحده: جبجبة بالضم.

(٧) الأخاشب: جبال مكة.

(٨) القاذفات: قمم الجبال، والمناقب: الطرق التي فيها.

(٩) بين ساف وحاصب: السافي: الذي يرمى بالتراب، والحاصب الذي يقذف بالحصباء.

فَوَلَّوْا سِراعا هاربين ولم يَؤُبْ إلى أهلِه مِلْحُبْشِ غيرِ عصائب
فإن تَهْلِكوا نَهْلِكْ وتهلكْ مواسمٌ يُعاش بها. قولُ امرئٍ غيرِ كاذبِ

قال ابن هشام: أنشدني بيته، « وماء هريق »، وبيته: « فبيعوا الحراب »، وقوله: « ولي امرئ فاختار »، وقوله:

* على القاذفات في رءوس المناقب *

أبو زيد الأنصاري وغيره.

حرب داحس والغبراء: قال ابن هشام: وأما قوله:

* ألم تعلموا ما كان في حرب داحس *

فحدثني أبو عُبَيدة النحوي: أن داحساً فرس كان لقيس بن زُهَير ابن جَذيمة بن رَواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عِبْس بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان؛ أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عَمرو بن زيد بن جُؤَيَّة بن لُوذان بن ثعلبة بن عدي بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقال لها: الغبراء. فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقاً، فجاء داحس سابقاً فضربوا وجهه، وجاءت الغبراء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيساً الخبر، فوثب أخوه مالك بن زُهَيْر فلطم وجه الغبراء، فقام حَمَلُ بن بدر فلطم مالكاً. ثم إن أبا الجُنَيْدب العَبْسي لقي عوفَ بنَ حذيفة فقتله، ثم لقي رجلٌ من بني فزارة مالكاً فقتله[1]، فقال حَمَل بن بدر أخو حذيفة بن بدر:

---

(١) داحس بمعنى: مدحوس، كما قيل: ماء دافق، أي: مدفوق، والدحس: إدخال اليد بقوة في ضيق، كما روي أن رسول الله ﷺ مر بغلام يسلخ شاة، فأمره أن يتنحى ليريه، ثم دحس عليه السلام بيده بين الجلد واللحم، حتى بلغ الإبط ثم صلى، =

قتلنا بعوف مالكاً وهو ثأْرُنا فإن تطلبوا منا سوى الحقِّ تَنْدَموا

وهذا البيت في أبيات له. وقال الربيع بن زياد العَبْسي:

أفبعدَ مقتل مالكِ بن زُهَير ترجو النساءُ عواقبَ الأطهارِ

وهذا البيت في قصيدة له.

فوقعت الحربُ بين عَبْس وفَزارة، فقُتل حذيفةُ بن بدر وأخوه حَمَلُ ابن بدر، فقال قيس بن زُهير بن جَذِيمة يرثي حُذيفة، وجزع عليه:

كم فارس يُدْعَى وليس بفارسٍ وعلى الهَباءةِ فارس ذو مَصْدق[1]

= ولم يتوضأ، فداحس: سمي بهذا الاسم، لأن أمه كانت لرجل من بني تميم، ثم من بني يربوع اسمه: قرواش بن عوف؛ وكان اسم الفرس: جلوى، وكان ذو العقال فرساً عتيقاً لحوط بن جابر، فخرجت به فتاتان له، لتسقياه، فبصر بجلوى، فأدلى حين رآها، فضحك غلمة كانوا هناك؛ فاستحيت الفتاتان، ونكستا رأسيهما، فأفلت ذو العقال حتى نزا على جلوى، وقيل ذلك لحوط فأقبل مغضباً، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب؛ ثم دحسها في رحم الفرس؛ فسطا عليها، فأخرج ماء الفحل منها: واشتملت الرحم على بقية الماء، وحملت بمهر فسموه: داحساً.

وأظهر ما فيه أن يكون مثل لابن وتامر، وأن لا يكون فاعلا بمعنى مفعول، فهو داحس بن ذي العقال بن أعوج الذي تنسب إليه الخيل الأعوجية من قول بعضهم. يقال: إن حرب داحس دامت أربعين سنة، لم تحمل فيها أنثى، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين، وذكر الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة، وكان آخر أيام حرب داحس بقلهي من أرض قيس، وهناك اصطلحت عبس ومنولة، وهي أم بني فزارة، شمخ وعدي ومازن، فيقال لهذا الموضع: قلهى، وأما قلهي فبالحجاز، وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان، وأمر ألا يحدث بشيء من أخبار الناس، وألا يسمع منها شيئاً، حتى يصطلحوا، ويقال، إن الحنفاء كانت فرس حذيفة، وأنها أجريت مع الغبراء في ذلك اليوم ــ قال الشاعر:

إذا كان غير الله للمرء عدة أتته الرزايا من وجوه الفوائد

فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عدة للشدائد

(١) الهباءة: مكان في بلاد غطفان.

فابكوا حذيفةَ لن تُرَثُّوا مثلَه حتى تبيدَ قبائلٌ لم تُخْلَق

وهذان البيتان في أبيات له. وقال قيس بن زهير:

على أن الفتى حَمَلَ بنَ بدر بغى والظلمُ مرتعُه وخيمُ

وهذا البيت في أبيات له. وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير:

تركتُ على الهباءةِ غيرَ فَخْرٍ حُذيفةَ عندَه قِصَدُ العوالي[1]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: ويقال: أرسل قيس داحساً والغبراء، وأرسل حذيفة الخَطَّار والحَنْفاء، والأول أصح الحديثين. وهو حديث طويل، منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله ﷺ.

حرب حاطب: قال ابن هشام: وأما قوله: « حرب حاطب ». فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أمية ابن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهوديا جاراً للخزرج، فخرج إليه يزيد بن الحارث ابن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كَعْب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج ـ وهو الذي يقال له: ابن فُسْحُم، وفُسْحُم أمه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر ـ ليلا في نفر من بني الحارث ابن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً، فكان الظَّفَر للخزرج على الأوس، وقُتل يومئذ سُوَيد بن صامت ابن خالد بن عطية بن خَوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، قتله المُجَذَّر بن زياد البلوي، واسمه عبدالله، حليف بني عَوْف بن الخزرج. فلما كان يوم أحد خرج المجَذَّر بن زياد

(١) القصد: القطع المتكسرة. والعوالي: الرماح.

مع رسول الله ﷺ، وخرج معه الحارث بن سُوَيْد بن صامت، فوجد الحارث بن سُوَيْد غِرَّة من المجذر فقتله بأبيه. وسأذكر حديثه في موضعه ــ إن شاء الله تعالى. ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس.

شعر حكيم بن أمية في نهي قومه عن عداوة الرسول:

قال ابن إسحاق: وقال حكيم بن أُمية بن حارثة بن الأوْقَص السُّلَمي، حليف بني أمية وقد أسلم، يُوَرِّع[1] قومَه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريفا مطاعا:

هل قائلٌ قولاً من الحقِّ قاعد ... عليه وهل غضبانُ للرشْدِ سامعُ
وهل سيِّدٌ ترجو العشيرةُ نفعَه ... لأقصى الموالي والأقارب جامعُ
تبرأتُ إلا وجه من يملك الصَّبَا ... وأهجرُكم ما دام مُدْلٍ ونازع[2]
وأُسْلم وجهي للإله ومنطقي ... ولو راعني مِنَ الصَّديقِ روائع

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه

سفهاء قريش يأذونه: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا اشتد أمرُهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغْـرَوْا برسول الله ﷺ سفهاءَهـم ؛ فكذَّبـوه وآذَوْه، ورموه بالشِّعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مُظهِر لأمر الله لا يستخفي به، مبادٍ لهم بما يكرهون من عَيْب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

---

(١) يورع: يصرف.

(٢) المدل: المرسل للدلو في البئر، والنازع: الجاذب لها.

أشد ما أوذي به الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟ قال: حضرتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ، سفَّه أحلامَنا، وشتم آباءَنا، وعاب دينَنا، وفرَّق جماعَتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا. فبينَا هُم في ذلك إذْ طلع رسولُ الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركنَ، ثم مَرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفتُ ذلك في وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلِها، فعرفتُ ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ثم مرَّ الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشرَ قُريش، أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذَّبْح[1]. قال: فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة قبل ذلك لَيرْفَؤُه[2] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرفْ يا أبا القاسم، فوالله ما كنتَ جهولاً. قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضُهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادَاكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسولُ الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؛ لما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: نعم: أنا الذي

---

(١) يعرض ﷺ بهلاكهم.

(٢) رفأه: هدأه.

أقول ذلك. قال: فلقد رأيتُ رجلا منهم أخذ بمجْمَع ردائه. قال: فقام: أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربيَ الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدُّ ما رأيتُ قريشا نالوا منه قطّ.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ آل أم كلثوم بنت أبي بكر، أنها قالت: رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فَرْقَ رأسِه؛ مما جبذوه بلحيته، وكان كثير الشعر.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: أشدُّ ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذَّبه وآذاه، لا حُر ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله، فتدثر من شدةِ ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿**يا أيها المدثِّر. قُمْ فأنذرْ**﴾[1].

إسلام حمزة رضي الله عنه

سبب إسلامه: قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم، كان واعيةً: أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العَيْب لدينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلمه رسولُ الله ﷺ، ومولاةٌ لعبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: في تسميته إياه بالمدثر: في هذا المقام ملاطفة وتأنيس ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها، كقوله عليه السلام لحذيفة: قم يا نَوْمان، وقوله لعلي بن أبي طالب ــ وقد ترب جنبه: قم أبا تراب.

سعد بن تَيْم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ[1] من قريش عند الكعبة، فجلس معهم. فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسَه، راجعاً من قَنَص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعزَّ فتى في قريش، وأشدَّ شكيمة. فلما مر بالمَوْلاةِ، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارة، ولو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام: وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجةً منكَرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُد ذلك عليَّ إنِ استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة، فإني والله قد سببتُ ابن أخيه سباً قبيحاً، وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسولَ الله ﷺ من قوله. فلما أسلم حمزة عرفت قريشٌ أن رسولَ الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[2].

---

(١) أي أهل ناد.

(٢) أم حمزة: هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زُهرة، وأهيب: عم آمنة بنت وهب تزوجها عبد المطلب، وتزوج ابنه عبد الله آمنة في ساعة واحدة، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله رسول الله ﷺ ثم أرضعتهما ثُوَيْبَة. =

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرظي، قال: حُدثتُ أن عُتبة بن ربيعة، وكان سيداً، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبلُ بعضَها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزةُ، ورأَوْا أصحابَ رسول الله ﷺ يزيدون ويكثُرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمْه؛ فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمتَ من السِّطَة[1] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك أتيت قومَك بأمر عظيم فرَّقتَ

= وزاد غير ابن اسحاق في إسلام حمزة أنه قال: لما احتملني الغضب، وقلت أنا على قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق ويذهب عني الريب فما استتممت دعائي حتى زاح عني الباطل، وامتلأ قلبي يقينا — أو كما قال — فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يثبتني الله، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم:

حمدتُ الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من ربٍّ عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا ... تحرر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم ... ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع ... عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف ... به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس حشر جزاء قوم ... ولا أسقاهم صَوْب الخريف

(١) السطة: الشرف.

به جماعتهم وسفهتَ به أحلامَهم وعِبتَ به آلهتهم ودينهم وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرضْ عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: قُلْ يا أبا الوليد، أسمعْ، قال: يا بنَ أخي، إن كنتَ إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا: وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا[1] تراه لا تستطيع ردّه عن نفسِك، طلبنا لك الطبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئَك منه، فإنه ربما غلب التابعُ على الرجل حتى يُدَاوَى منه أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم؛ قال: فاسمع مني؛ قال: أفعل.

فقال: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم. حمٓ. تنزيلٌ من الرحمنِ الرحيمِ. كتابٌ فصِّلت آياتُه قرآناً عربيا لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً، فأعرضَ أكثرُهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبُنا في أكنَّةٍ مما تدعونا إليه** ﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلفَ ظهره معتمداً عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك.

رأي عتبة: فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضُهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغيرِ الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعتُ قولا

---

(١) الرئي: ما يظهر للناس من الجن.

والله ما سمعت مثلَه قطُّ، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزِلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيم، فإن تصبْه العرب فقد كُفيتموه بغيرِكم، وإن يظهر على العرب فملُكه ملكُكم، وعزُّه عزكم، وكنتم أسْعَدَ الناس به؛ قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه؛ قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

قريش تفتن المسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء؛ وقريش تحبس من قدرت على حبسه، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة، كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد ابن جبير، وعن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال:

زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ: اجتمع عتبةُ بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سُفيان بن حرب، والنَّضْر بن الحارث، أخو بني عبد الدار، وأبو البَخْتَري بن هشام، والأسود بن المطَّلب بن أسد، وزَمَعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أُمية، والعاص بن وائل، ونُبَيْه ومُنبَّه ابنا الحجاج السهميان، وأمية بن خلف، أو من اجتمع منهم. قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه: إنَّ أشرافَ قومِك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فأتهمْ.

فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بَداء، وكان عليهم حريصا يحب رشدَهم، ويعز عليه عَنَتُهم،

حتى جلس إليهم؛ فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعِبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلامَ، وفرقت الجماعةَ، فما بقي أمرٌ قبيح إلا جئته فيما بينَنا وبينك ـــ أو كما قالوا له ـــ فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ـــ وكانوا يسمعون التابع من الجن رَئِيًّا ـــ فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالَنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نُعْذر فيك؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئتُ بما جئتكم به أطلب أموالَكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملكَ عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم، أو كما قال ﷺ.

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً، ولا أقل ماءً، ولا أشد عيشاً منا، فسَلْ لنا ربَّك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيَّقت علينا، وليبسط لنا بلادَنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم: قُصَيُّ بن كلاب، فإن كان شيخ صِدْق، فنسألهم عما تقول: أحقٌّ هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولا كما تقول.

فقال له صلوات الله وسلامه عليه: ما بهذا بُعثتُ إليكم من الله، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبرْ لأمر الله تعالى، حتى يحكم اللهُ بيني وبينكم.

قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سل ربَّك بأن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك وسَلْه فليجعل لك جِناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلَك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربَّه هذا، وما بُعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً — أو كما قال — فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبرْ لأمر الله حتى يحكمَ الله بيني وبينكم.

قالوا: فأسقط السماءَ علينا كِسفاً كما زعمت أن ربَّك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

قال: فقال رسول الله ﷺ: ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعلَه بكم فعل.

قالوا: يا محمد، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكَك، أو تهلكنا. وقال قائلهم:

نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا[1].

(١) وذكر ما سأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم، وإنزال الملائكة عليه، وغير ذلك، جهلا منهم بحكمة الله تعالى في امتحان الخلق، وتعبدهم بتصديق الرسل، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة، فيقع الثواب على حسب ذلك، ولو كشف الغطاء، وحصل لهم العلم الضروري، بطلت الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب، إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس من كسبه، كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضي النظر فيه العلم الكسبي، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب، وهو النظر في الدليل، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم، بكلام يسمعونه، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين، فجعل الأمر يعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار، لأنها دار تعبد واختبار، وجعل الأمر يُعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار، لا يستحق به ثواب ولا جزاء، وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى، حكمة دبرها، وقضية أحكمها، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون** ﴾ يريد ــ فيما قال أهل التأويل ــ إن التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة يوجب في حكم الله، ألا يُلبث الكافرين بها، وأن يعاجلهم بالنقمة، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون، فلو أعطيت قريش ما سألوه من الآيات، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا، ولكن الله أكرم محمداً في الأمة التي أرسله إليهم، إذ قد سبق في علمه أن يكذب به من يكذب، ويصدق به من يصدق، وابتعثه رحمة للعالمين بر وفاجر، أما البر فرحمته إياهم في الدنيا والآخرة، وأما الفاجر، فإنهم أمنوا من الخسف والغرق وإرسال حاصب عليهم من السماء. كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ مع أنهم لم يسألوا ما سألوا من الآيات الا تعنتاً واستهزاء، لا على جهة الاسترشاد، ودفع الشك، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف، قال الله سبحانه: ﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب** ﴾. وهم أهل الفصاحة والبلاغة. وقد ذكر ابن اسحاق في غير هذه الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يدعوَ الله لهم، فنزل جبريل، فقال لهم: ما شئتم فعلت ما سألتم، ثم لا نلبثكم إن كذبتم بعد معاينة الآية، فقالوا: لا حاجة لنا بها. عن الروض الأنف للإمام السهيلي من تحقيقنا ــ بتصرف.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ، قام عنهم، وقام معه عبدالله بن أبي أمية بـن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم ـــ وهو ابن عمته، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب ـــ فقال له: يا محمد، عرض عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبلْه منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعلْ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجلَ لهم بعضَ ما تخوِّفهم به من العذاب، فلم تفعل ـــ أو كما قال له ـــ فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلّما، ثم ترقَى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيهَا، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله، لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسولُ الله ﷺ إلى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه[1].

أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ: فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما تَرَوْنَ من عَيْب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامِنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حملَه ـــ أو كما قال ـــ فإذا سجد في صلاته فضَخْتُ به رأسَه، فأسْلِموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً، فامضِ لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخَذَ حجرا كما وصف، ثم جلس لرسول

---

(١) وقد أسلم عبدالله بن أبي أمية قبل فتح مكة، وسيأتي ذكر إسلامه.

الله ﷺ ينتظره، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يغدو. وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسولُ الله ﷺ يصلِّي وقد غدت قريشٌ فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجرَ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونُه مرعوباً قد يَبِست يداه على حجره، حتى قذف الحجرَ من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحةَ، فلما دنوتُ منه عَرض لي دونَه فحلٌ من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامتِه، ولا مثل قَصَرَته[1] ولا أنيابِه لفحلٍ قطُّ، فَهَمَّ بي أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذُكر لي أن رسول الله ﷺ، قال: ذلك جبريلُ عليه السلام لو دنا لأخذه.

النضر بن الحارث ينصح قريشاً: فلما قال لهم ذلك أبو جهل[2]، قام النَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي.

قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة ابن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: فقال يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم

---

(١) قصرته: أصل عنقه.

(٢) ذكر النسوي بإسناده إلى إبن عباس أن أبا جهل قال له: ألم أنهك؟ فوالله ما بمكة ناد أعز من ناديَّ، فأنزل الله تعالى: ﴿ **أرأيت الذي ينهى، عبداً** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فليدع ناديه، سندع الزبانية** ﴾.

أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعدُ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيْه الشيبَ، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرةَ ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالُجهم وسمعنا سَجْعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافَه كلَّها: هَزَجه ورجزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخَنْقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

أذى النضر للرسول ﷺ: وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوةَ، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديثَ ملوك الفرس، وأحاديث رُسْتم واسبنديار، فكان إذا جلس رسولُ الله ﷺ مجلساً فذكَّر فيه بالله، وحذَّر قومَه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نِقْمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهلمّ إليَّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُستم واسبنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟.

قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: « سأُنزل مثل ما أنزل الله ».

قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول، فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل: ﴿ **إذا تُتلَى عليه آياتُنا قال أساطيرُ الأولين** ﴾[1]. وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن[1].

---

(١) واحد الأساطير: أسطورة كأحدوثة وأحاديث، وهو ما سطره الأولون، وقيل: أساطير: =

قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام:

فلما قال لهم ذلك النضرُ بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عقبة بن أبي مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سَلاهم عن محمد، وصِفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله، فإنهم أهلُ الكتاب الأول، وعندهم علمٌ ليس عندَنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قَدِما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمرَه، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنَّ: فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فرَوْا فيه رأيكم. سَلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرُهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسَلوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ما كان نبؤُه، وسلوه عن الرّوحِ ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي، وإن لم يفعل، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضرُ بنُ الحارث، وعقبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بـن قُصي حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبارُ يهود أن نسألَه عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعلْ فالرجلُ متقوِّلٌ، فَرَوْا فيه رأيَكم.

= جمع أسطار، وأسطار جمع: سطر بفتح الطاء، وأما سطر بسكون الطاء، فجمعه: أسطر، وجمع الجمع: أساطر بغير ياء، وذكر أن النضر بن الحارث كان يحدث قريشا بأحاديث رستم وأسفنديار، وما تعلم في بلاد الفرس من أخبارهم، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله، وقد قيل فيه نزلت: ﴿ **ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله** ﴾.

قريش تسأل والرسول يجيب: فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصةٌ عجب، وعن رجل كان طوَّافاً قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها، وأخبرْنا عن الروح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يستثن[1]، فانصرفوا عنه.

فمكث رسول الله ﷺ ــ فيما يذكرون ــ خمسَ عشَرةَ ليلة لا يُحْدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أوجف أهلُ مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمسَ عشَرةَ ليلةً، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسولَ الله ﷺ مكثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبرُ ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجلُ الطواف، والروح.

الرد على قريش فيما سألوه: قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُؤْتُ ظنا؛ فقال له جبريل ﴿ **وما نتنزلُ إلا بأمرِ ربِّك، له ما بين أيدينا وما خلفَنا وما بينَ ذلك، وما كان ربُّك نَسِيًّا** ﴾. فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله، لما أنكروه عليه من ذلك، فقال: ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾، يعني محمدا ﷺ، إنك رسول مني: أي تحقيق لما سألوه عنه من

(١) فقال لهم: سأخبركم غدا، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عنه الوحي في قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً، وفي سيرة التيمي وموسى بن عقبة أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام، ثم جاء جبريل بسورة الكهف.

نبوتك. ﴿ **ولم يجعلْ له عوجا. قيما** ﴾: أي معتدلا، لا اختلاف فيه، ﴿ **ليُنذِرَ بأساً شديداً من لدنه** ﴾: أي عاجل عقوبته في الدنيا، وعذابا أليما في الآخرة: أي من عند ربك الذي بعث رسولا. ﴿ **ويبشرَ المؤمنين الذين يعملون الصالحاتِ أنَّ لهم أجراً حَسناً. ماكثين فيه أبداً** ﴾ أي دار الخلد. لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال، ﴿ **ويُنذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً** ﴾ يعني قريشاً في قولهم: إنا نعبد الملائكة وهي بناتُ الله ﴿ **ما لهم به من علم ولا لآبائهم** ﴾ الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم. ﴿ **كبرت كلمةً تخرج من أفواهِهم** ﴾: أي لقولهم: إن الملائكة بنات الله ﴿ **إن يقولون إلا كذبا. فلعلك باخع نفسك** ﴾ يا محمد ﴿ **على آثارِهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديثِ أسفاً** ﴾: أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، أي لا تفعل[1].

قال ابن هشام: باخع نفسك: أي مهلك نفسك فيما حدثني أبو عبيدة. قال ذو الرِّمَّة:

---

(١) وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه، وذكر نبوة نبيه حمده لنفسه تعالى خبر باطنه الأمر والتعليم لعبده كيف يحمده، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن تسميته، والعبارات عن جلاله، لقصور كل عبارة عما هناك من الجلال، وأوصاف الكمال، ولما كان الحمد واجباً على العبد قُدم في هذه الآية ليقترن في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه، وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه، وفي سورة الفرقان قال: ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده** ﴾ وبدأ بذكر الفرقان الذي هو الكتاب المبارك. قال الله سبحانه: ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك** ﴾ فلما افتتح السورة بـ ﴿ **تبارك الذي** ﴾، بدأ بذكر الفرقان، وهو الكتاب المبارك، ثم قال: ﴿ **على عبده** ﴾، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقان، وما في ذلك من تشاكل اللفظ والتئام الكلام تـرَ الإعجاز ظاهراً، والحكمة باهرة، والبرهان واضحاً.

ألا أيُّهذا الباخع الوَجْدُ نفسَه   لشيءٍ نَحَتْهُ عن يَدَيْه المقَادِرُ

وجمعه: باخعون وبَخَعة. وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العرب: قد بخعْتُ له نصحي ونفسي: أي جهدت له. ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرضِ زينةً لها لنبْلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملا** ﴾.

قال ابن إسحاق: أي أيهم أتبعُ لأمري، وأعملُ بطاعتي. ﴿ **وإنا لجاعلونَ ما عليها صَعيداً جُرُزاً** ﴾: أي الأرض، وإن ما عليها لفانٍ وزائل، وإن المرجع إليَّ، فأجزي كلا بعمله، فلا تأسَ ولا يحزنْك ما تسمع وترى فيها.

قال ابن هشام: الصعيد: الأرض، وجمعه: صُعُد. قال ذو الرِّمة يصف ظبياً صغيراً:

كأنه بالضُّحَى ترمي الصعيدَ به   دبَّابةٌ في عِظام الرأسِ خُرطومُ(١)

وهذا البيت في قصيدة له. والصعيد: الطريق. وقد جاء في الحديث: « إياكم والقعودَ على الصُّعَداتِ »، يريد الطرقَ. والجُرُز: الأرض التي لا تنبت شيئاً، وجمعها: أجْراز. ويقال؛ سَنة جُرز، وسنون أجْراز، وهي التي لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جدوبة ويُبس وشدة. قال ذو الرمة يصف إبلاً:

طوى النحْزُ والأجْراز ما في بُطونها   فما بقيتْ إلا الضُّلوعُ الجَراشِعُ(٢)

---

(١) الدبابة والخرطوم: من أسماء الخمر، أي كأنه من نشاطه دبت الخمر في رأسه، يصف ولد الظبية.

(٢) النحز النخس، والنحاز داء يأخذ الإبل والنحيزة: العزيزة، والنحيزة: نسيجة كالحزام والضلوع الجراشع. وهو جمع جرشع. قال صاحب العين. الجرشع: العظيم الصدر، فمعناه إذاً في البيت على هذا: الضلوع من الهزال قد نتأت، وبرزت كالصدر البارز.

وهذا البيت في قصيدة له.

أهل الكهف: قال ابن إسحاق: ثم استقبل قصةَ الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية، فقال ﴿ **أم حسبتَ أن أصحابَ الكهفِ والرَّقيمِ كانوا من آياتنا عجباً** ﴾: أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُججي ما هو أعجب من ذلك.

قال ابن هشام: والرقيم[1]. الكتاب الذي رُقِمَ فيه بخبرِهم، وجمعُه: رُقُم. قال العَجَّاج:

ومُسْتَقَر المصحفِ المرَقَّمِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿ **إذ أوى الفتيةُ إلى الكهفِ فقالوا ربَّنا آتنا من لَدُنْكَ رحمةً وَهَيِّئْ لنا من أمرِنا رشداً. فضربنا[2]**

---

(١) معنى الرقيم: روي عن أنس أنه قال: الرقيم: الكلب، وعن كعب أنه قال: هو اسم القرية التي خرجوا منها، وقيل: هو اسم الوادي وقيل: هو صخرة، ويقال: لوح كتب فيه أسماؤهم ودينهم وقصتهم، وقال ابن عباس: كل القرآن أَعْلَمُ إلا الرقيم والغسلين وحناناً والأوَّاه، وقد ذُكرت أسماؤهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهي: مليخا، كسليما، مرطوش، ابن أنس، أريطانس، أيونس، شاطيطوش. وقيل في اسم مدينتهم: أفوس، واختلف في بقائهم إلى الآن، فروي عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شيء منهم، بل صاروا ترابا قبل مبعث النبي ﷺ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا، وأن الأرض لم تأكلهم، ولم تغيرهم مثل أجساد الشهداء، وأنهم على مقربة من القسطنطينية، فالله أعلم. وروي أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى ابن مريم. ألفيت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة. عن الروض الأنف للإمام السهيلي ــ انظره من تحقيقنا. وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

(٢) فضربنا على آذانهم: أي أنمناهم، وإنما قيل في النائم: ضرب على أذنه؛ لأن النائم ينتبه من جهة السمع، والضرب هنا مستعار من ضرب القفل على الباب.

على آذانِهم في الكهفِ سنين عدداً. ثم بعثناهم لنعلم: أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾. ثم قال تعالى: ﴿ **نحن نقصُّ عليك نبأَهم بالحقِّ** ﴾: أي بصدق الخبر عنهم ﴿ **إنهم فتيةٌ آمنوا بربِّهم وزدناهم هُدى، وربطنا على قلوبِهم إذ قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السمواتِ والأرضِ لن ندْعُوَ مِن دونِه إلهاً، لقد قُلنا إذا شَططا** ﴾: أي لم يشركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم.

قال ابن هشام: والشطط: الغُلو ومجاوزة الحق. قال أَعْشَى بني قَيْس بن ثَعْلبة:

لا يَنْتهون ولا يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ **هؤلاءِ قومُنا اتخذوا من دونِه آلهةً لولا يأتونَ عليهم بسلطانٍ بيِّنٍ** ﴾.

قال ابن إسحاق: أي بحجة بالغة.

﴿ **فمن أظلمُ ممن افترى على اللهِ كذباً. وإذ اعتزلتُموهم وما يعبدون إلا الله فَأْوُوا إلى الكهفِ يَنْشُرْ لكم ربُّكم من رحمتِه، ويهيِّئْ لكم من أمرِكم مِرْفقاً. وترى الشمسَ إذا طلعت تَزَاوَرُ عن كهفِهم ذاتَ اليمينِ، وإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهم[1] ذَاتَ الشمالِ، وهم في فَجْوَةٍ منه** ﴾.

---

(١) تقرضهم: تحاذيهم وقيل: تتجاوزهم شيئاً شيئاً، من القرض، وهو القطع، أي: تقطع ما هنالك من الأرض. وهذا كل شرح اللفظ، وأما فائدة المعنى، فإنه بين أنهم في مقنوة من الأرض، لا تدخل عليهم الشمس، فتحرقهم، وتبلي ثيابهم، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال. لئلا تأكلهم الأرض، والفائدة العظمى في هذه الصفة =

قال ابن هشام: تَزَاور: تميلُ، وهو من الزور. وقال امرؤ القيس ابن جُحْر.

وإني زعيمٌ إن رجعتُ مُملَّكاً   بسَيْر ترى منه الفُرانِق أزْوَرَا

= بيان كيفية حالهم في الكهف، وحال كلبهم، وأين هو من الكهف، وأنه بالوصيد منه، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وان هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم، فإن المطَّلع يُملأ منهم رعباً، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من حالهم، والنبي عليه السلام لم يرهم قط، ولا سمع بهم، ولا قرأ كتاباً فيه صفتهم؛ لأنه أمي في أمة أمية، وقد جاءكم ببيان لا يأتي به من وصل إليهم حتى إن كلبهم قد ذكر، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوصيد، وهم في الفجوة، وفي هذا كله برهان عظيم على نبوته، ودليل واضح على صدقه، وأنه غير متقول، كما زعموا، فقف بقلبك على مضمون هذه الأوصاف، والمراد بها تعصم إن شاء الله مما وقعت فيه الملحدة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله، وقولهم: أي فائدة في أن تكون الشمس تزَّاور عن كهفهم، وهكذا هو كل بيت يكون في مقنوة، أي: بابه لجهة الشمال، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم، حيث جعلهم في مقنوة تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم، فيقال: لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم؟ فالجواب: ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب، فكيف من لم يرهم، ولا سمع بهم، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي، والبرهان الكافي، والرعب الذي كان يلحق المطلع عليهم قيل: كان مما طالت شعورهم وأظفارهم. ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه: ﴿ **في فجوة منه** ﴾ أي: في فضاء، ومع أنهم في فضاء منه، فلا تصيبهم الشمس. قال ابن سلام: فهذه آية. قال: وكانوا يقلبون في السنة مرتين، ومن فوائد الآية: أنه أخرج الكلب عن التقليب، فقال: باسط ذراعيه: ومع أنه كان لا يقلب لم تأكله الأرض: لأن التقليب كان من فعل الملائكة بهم، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والكلب خارج من هذه الآية، ألا تراه كيف قال بالوصيد، أي: بفناء الغار لا داخلا معهم؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام. قال ابن سلام: وإنما كانوا يقلبون في الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا.

وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو الزحف الكلبي يصف بلداً:

جَأْبُ المُندَّى عن هَوانا أزورُ   يُنْضِي المطايا خِمْسُه العَشَنْزرُ[1]

وهذا البيتان[2] في أرجوزة له. و﴿ **تَقْرِضُهم ذاتَ الشمال** ﴾: تجاوزهم وتتركهم عن شمالها. قال ذو الرِّمة:

إلى ظُعْنٍ يَقْرِضن أقْواز مُشرِف   شمالاً وعن أيمانِهن الفوارسُ[3]

وهذا البيت في قصيدة له. والفجوة: السِّعة، وجمعها: الفِجاء. قال الشاعر:

ألبسْتَ قومَك مَخْزاةً ومَنْقَصةً   حتى أُبيحوا وخَلَّوْا فجوةَ الدارِ

﴿ **ذلك من آياتِ الله** ﴾ أي في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم: ﴿ **مَن يَهْدِ اللهُ فهو المهْتَدِ، ومَن يُضْلِلْ فلنْ تجدَ له وَليّاً مُرشِداً. وتحسَبهم أيقاظاً وهم رقود، ونقلِّبُهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ وكلبُهم باسطٌ ذراعَيْه بالوَصيدِ** ﴾.

قال ابن هشام: الوصيد: الباب. قال العَبْسي، واسمه عُبَيْد بن وهب:

بأرضٍ فَلاةٍ لا يُسَدّ وَصيدُها   عليَّ ومعروفي بها غَيرُ مُنْكَرِ

وهذا البيت في أبيات له. والوصيد (أيضاً) الفناء، وجمعه: وصائد، ووُصُد، ووصْدان وأُصُد، وأُصْدَان.

﴿ **لو اطَّلعتَ عليهم لولَّيتَ منهم فراراً، ولملئْتَ منهم رُعباً** ﴾.

---

(١) الجأب: الغليظ، وينضى: يهزل، والعشنزر: المتين الخلق.

(٢) اعتبر الشطرتين بيتين من مشطور الرجز.

(٣) الأقواز: ما استدار من الرمل.

إلى قوله: ﴿ **قال الذين غَلبوا على أمرِهم** ﴾ أهل السلطان والملك منهم: ﴿ **لنتخذن عليهم مسجدا**[1]. **سيقولون** ﴾ يعني أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم: ﴿ **ثلاثةٌ رابِعُهم كلبُهم، ويقولون خمسةٌ سادسُهم كلبُهم، رجماً بالغيبِ** ﴾: أي لا علم لهم. ﴿ **ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبهم**[2]؛ **قل ربي أعلم بعدَّتِهم ما يعلمهم إلا قليل، فلا تمارِ فيهم إلا مراءً ظاهراً** ﴾: أي لا تكابرهم، ﴿ **ولا تستفتِ فيهم منهم أحداً** ﴾ فإنهم لا علم لهم بهم.

﴿ **ولا تقولن لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً. إلا أن يشاء الله، واذكر ربَّك إذا نسيتَ، وقل عسى أن يهدينِ ربي لأقرب من هذا رشداً** ﴾: أي ولا تقولن لشيء سألوك عنه كما قلت في هذا: إني مخبركم غداً. واستثن مشيئة الله، واذكر ربك إذا نسيت، وقل عسى أن يهدين ربي لخير مما سألتموني عنه رشداً، فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك.

﴿ **ولبثوا في كهفِهم ثلاثَ مئةٍ سنين وازدادوا تسعاً** ﴾[4]: أي

---

(١) استدل أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله: ﴿ **لنتخذن عليهم مسجداً** ﴾.

(٢) ﴿ **ويقولون سبعة وثامنهم كلب** ﴾: حرف الواو يدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مضمر، تقديره: نعم، وثامنهم كلب، وذلك أن قائلا لو قال: إن زيدا شاعر، فقلت له: وفقيه كنت قد صدقته، كأنك قلت: نعم هو كذلك، وفقيه أيضا.

(٣) ﴿ **ولا تقولن لشيء** ﴾: وفسره: فقال: أي استثن مشيئة الله.

(٤) ﴿ **ولبثوا في كهفهم** ﴾ فقال: معناه أي سيقولون ذلك، وهو أحد التأويلات فيها. وقالوا: لبثوا، بزيادة قالوا. ثم قال ابن إسحاق: قل: ربي أعلم بما لبثوا، وهم من المؤلف أو غيره، وإنما التلاوة: ﴿ **قل: الله أعلم بما لبثوا** ﴾ وقد قيل: إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار لبثهم، ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار، وعلم أن فيه تنازعا بين الناس، فمن ثم قال: ﴿ **قل: الله أعلم بما لبثوا** ﴾ وقوله: ﴿ **ثلاثمائة سنين، وازدادوا تسعا** ﴾ أي : إنها ثلاثمائة بحساب العجم، وإن حسبت الأهلة، فقد زاد العدد تسعا، لأن ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر. انظر الموضوع مفصلا في الروض الأنف بتحقيقنا.

سيقولون ذلك. ﴿ **قل اللهُ أعلمُ بما لبثوا، له غيبُ السمواتِ والأرضِ أبصرْ به وأسمِعْ ما لهم من دونِه من وليٍّ، ولا يُشركُ في حكمِه أحداً** ﴾ أي لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه.

ذو القرنين: وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطوَّاف: ﴿ **ويسئلونك عن ذي القرنينِ قل سأتلو عليكمْ منه ذكراً. إنا مكَّنَّا له في الأرضِ وآتيناه من كلِّ شيءٍ سبباً** ﴾[1] حتى انتهى إلى آخر قصة خبره.

خبر ذي القرنين: وكان من خبر ذي القرنين أنه أُوتي ما لم يؤتَ أحدٌ غيره، فمُدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضاً إلا سُلط على أهلِها، حتى انتهى من المشرقِ والمغربِ إلى ما ليس وراءَه شيءٌ من الخلق.

قال ابن إسحاق: فحدثني من يسوق الأحاديثَ عن الأعاجم فيما

---

(١) ﴿ **وآتيناه من كل شيء سبباً** ﴾ أي: عِلماً يتبعه، وفي قوله تعالى: ﴿ **فأتبع سبباً** ﴾ أي: طريقاً موصلة.

وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السبب: حبل من نور، كان ملك يمشي به بين يديه، فيتبعه، وقد قيل في اسم ذلك الملك: زاياقيل، وهذا يقرب من قول من قال: ﴿ **سبباً** ﴾ أي: طريقاً، ويقرب [illegible] تفسيراً لقول النبي ﷺ: مسح الأرض بالأسباب، واختلف في تسميته بذي القرنين، كما اختلف في اسمه، واسم أبيه، فأصح ما جاء في ذلك ما روي عن أبي الطفيل [illegible] قال: سأل ابن الكواء علي بن أبي طالب، فقال: أرأيت ذا القرنين، أنبياً كان أم ملكا؟ فقال: لا نبيا كان، ولا ملكا، ولكن كان عبداً صالحاً دعا قومه إلى عبادة الله، فضربوه على قرني رأسه ضربتين، وفيكم مثله. يعني: نفسه، وقيل: كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمي الخصلة من الشعر: قرنا، وقيل إنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بقرني الشمس، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب، وذكر هذا الخبر علي ابن أبي طالب القيرواني العابد في كتاب البستان له.

توارثوا من علمه: أن ذا القرنين كان رجلاً من أهلِ مصر. اسمُه مُرْزُبان بن مَرْذبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذي بني الإسكندرية فنسبت إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعيِّ، وكان رجلا قد أدرك: أن رسول الله ﷺ سُئل عن ذي القرنين فقال: مَلِك مسح الأرضَ من تحتِها بالأسبابِ.

وقال خالد: سمع عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال عمر: اللهم غُفْراً، أما رَضَيْتم أن تَسَمَّوْا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكةِ[1].

قال ابن إسحاق: الله أعلم أي ذلك كان، أقال ذلك رسول الله ﷺ، أم لا؟ فإن كان قاله، فالحق ما قال.

أمر الروح: وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح: ﴿ **ويسألونك عن الروحِ، قل الروحُ من أمر ربي، وما أُوتيتم من العلمِ إلا قليلاً** ﴾.

ما أوتيتم من العلم إلا قليلا: قال ابن إسحاق: وحُدثت عن ابن عباس، أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قالت أحبارُ يهود: يا محمدُ، أرأيت قولك: ﴿ **وما أوتيتم من العلمِ إلا قليلا** ﴾ إيانا تريد، أم قومَك؟ قال: كُلاًّ؛ قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك: أنا

---

(١) إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام، فهو ملك، لا يقول رسول الله ﷺ إلا الحق؛ وإن كان قاله بتأويل تأوله فقد خالف عليا في الخبر المتقدم، والله أعلم أي الخبرين أصح نقلا؛ غير أن الرواية المتقدمة عن علي يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذي القرنين. والله أعلم.

قد أوتينا التوراةَ فيها بيانُ كل شيء. فقال رسول الله ﷺ: إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه. قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿ **ولو أنَّ ما في الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ، والبحرُ يمدُّه من بعدِه سبعةُ أبحر ما نَفِدَتْ كلماتُ الله إن الله عزيز حكيم** ﴾: أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل.

تسيير الجبال وبعْث الموتى: قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومُه لأنفسِهم من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى: ﴿ **ولو أنَّ قرآناً سُيِّرتْ به الجبالُ، أو قُطِّعت به الأرضُ، أو كُلِّم به الموتى، بل للهِ الأمرُ جميعا** ﴾: أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت.

خذ لنفسك: وأنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك، ما سألوه أن يأخذ لنفسه، أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً، ويبعث معه ملكا يصدقه بما يقول، ويرد عنه: ﴿ **وقالوا مالِ هذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ، ويمشي في الأسواقِ لولا أُنزل إليه مَلَكٌ فيكون معه نذيراً. أو يُلْقَى إليه كنزٌ، أو تكونُ له جنةٌ يأكل منها، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً. انظرْ كيف ضربوا لك الأمثالَ فضلُّوا فلا يستطيعون سبيلا. تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك** ﴾: أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش ﴿ **جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ ويجعل لك قصوراً** ﴾.

لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي لفعلت: وأنزل عليه في ذلك من قولهم ﴿ **وما أرسلنا قبلَك من المرسلين إلا إِنَّهم ليأكلونَ الطعامَ، ويمشون في الأسواقِ، وجعلنا بعضُكم لبعضٍ فتنةً، أتصبرون**

وكان ربُّك بصيراً ﴾. أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يُخَالفوا لفعلتُ.

القرآن يرد على ابن أبي أمية: وأنزل الله عليه فيما قال عبدُالله ابن أبي أمية: **﴿ وقالوا لن نؤمنَ لك حتى تفجِّرَ لنا من الأرضِ ينبوعاً. أو تكونَ لك جنةٌ من نخيلٍ وعِنبٍ فتفجِّرَ الأنهارَ خلالَها تفجيراً. أو تُسْقِطَ السماءَ كما زعمت علينا كسفاً، أو تأتِيَ باللهِ والملائكةِ قبيلاً. أو يكونَ لك بيتٌ من زُخْرفٍ أو تَرْقَى في السماءِ، ولن نُومِنَ لِرُقِيِّك حتى تُنَزِّلَ علينا كتاباً نقرؤُه، قل سبحانَ ربِّي هل كنتُ إلا بشراً رسولاً ﴾**.

قال ابن هشام: الينبوع: ما نبع من الماء من الأرض وغيرها، وجمعه ينابيع. قال ابن هَرْمة واسمه إبراهيم بن علي الفِهري:

وإذا هَرقتَ بكلِّ دارٍ عَبْرةً نُزِفَ الشئونُ ودَمْعُك اليَنْبوعُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له. والكِسَف: القِطَع من العذاب، وواحدته: كِسْفة، مثل سِدْرة وسِدَر. وهي أيضاً: واحدة الكِسْف. والقبيل: يكون مقابلة ومعاينة، وهو كقوله تعالى: **﴿ أو يأتِيَهم العذابُ قُبُلاً ﴾**: أي عيانا. وأنشدني أبو عُبَيْدة لأعشَى بني قَيْس بن ثَعْلبة:

أصالحكم حتى تَبوءُوا بمثلِهَا كصرخةِ حُبْلَى يسَّرتها قبيلُها

---

(١) ابن هرمة: نسبه فقال: فهري، وإنما هو خلجي، والخلج اسمه: قيس بن الحارث ابن فهر، واختلف في تسمية بني قيس بن الحارث الخلج، فقيل: لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة، وقيل: لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء، ونسبوا إليه، وابن هرمة واسمه: إبراهيم بن علي بن هرمة، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية.
والشئون: مجاري الدمع، وهي أطباق الرأس، وهي أربعة للرجل، وثلاثة للمرأة، كذلك ذكروا عن أهل التشريح، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل، والله أعلم.

يعني القابلة، لأنها تقابلها وتَقبل ولدها. وهذا البيت في قصيدة له. ويقال: القبيل جمعه قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **وحشرنا عليهم كلَّ شيءٍ قُبلاً** ﴾ فقُبل: جمع قبيل مثل سُبل: جمع سبيل، وسُرر: جمع سرير، وقُمص: جمع قميص، والقبيل أيضاً: في مَثَل من الأمثال، وهو قولهم: ما يَعرف قبيلاً من دبيرٍ: أي لا يعرف ما أقبل مما أدبر، قال الكُميْت بن زيد:

تفـرقَت الأمـورُ بوَجْهَتَيْهـم فما عَرَفوا الدبيرَ من القبيلِ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنما أريد بهذا القبيل: الفَتل، فما فُتل إلى الذراع فهو القبيل، وما فُتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت. ويقال: فَتْل المِغْزَل. فإذا فُتل المِغْزل إلى الركبة فهو القبيل، وإذا فُتل إلى الوَرِك فهو الدَّبير. والقبيل أيضاً: قوم الرجل. والزُّخرف: الذهب. والمزخْرَف: المزيَّن بالذهب. قال العجاج:

مِن طللٍ أمسى تخال المصْحَفا رسومـه والمُـذْهَب المزخْرَفـا

وهذان البيتان[1] في أرجوزة له، ويقال أيضاً لكل مُزَيَّن: مُزَخْرَف.

نفي القرآن أن رجلا من اليمامة يعلمه: قال ابن إسحاق: وأنزل في قولهم: إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجلٌ باليمامة، يقال له الرحمنُ، ولن نؤمن به أبداً: ﴿ **كذلك أرسلناك في أمةٍ قد خلت من قبلِها أممٌ لتتلوَ عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمنِ، قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت، وإليه مَتاب** ﴾[2].

---

(١) اعتبر الشطرتين بيتين من مجزوء الرجز.

(٢) وذكر قول قريش: إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا لا نؤمن بالرحمن، فأنزل الله سبحانه: ﴿ **وهم يكفرون بالرحمن قل : هو ربي** ﴾ كان مسيلمة بن حبيب =

ما نزل في أبي جهل: وأُنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام، وما هَمَّ به ﴿ **أرأيتَ الذي ينهى عبدا إذا صلَّى. أرأيت إن كان على الهُدَى أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذَّب وتولى. ألم يعلم بأن اللهَ يرى. كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية. ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة. فليدعُ ناديه، سندع الزبانية. كلاَّ لا تطعه واسجد واقتربْ** ﴾.

قال ابن هشام: لنسفعاً: لنجذبن ولنأخذن. قال الشاعر:

قومٌ إذا سَمِعوا الصراخَ رأيتَهم   من بين مُلْجِمِ مُهْرِه أو سافِعِ

والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورَهم، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ وهو النديُّ. قال عَبيد بن الأبرص:

أذهبْ إليك فإني من بني أَسَدٍ   أهل النديِّ وأهل الجودِ والنادي

وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **وأحسن نَدِيّاً** ﴾ وجمعه: أندية. فليدع أهل ناديه. كما قال تعالى: ﴿ **واسأل القرية** ﴾[1] يريد أهل القرية. قال سلامة بن جَنْدَل، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم:

يومان يـومُ مقامـاتٍ وأنديـةٍ   ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداءِ تأويبِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الكُمَيْت بن زيد:

لا مهاذيرَ في النديّ مكاثيـ   ـر ولا مُصْمتيـن بالإفحـامِ

وهذا البيت في قصيدة له. ويقال النادي: الجلساء. الزبانية: الغلاظ

= الحنفي، ثم أحد بني الدؤل قد تسمى: بالرحمن في الجاهلية، وكان من المعمرين، وذكر وثيمة بن موسى أن مسيلمة تسمي بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أو رسول الله ﷺ.

(١) فيها مجاز مرسل علاقته المحلية.

(٢) التأويب: السير كل النهار.

الشداد، وهم في هذا الموضع خزنة النار. والزبانية أيضاً في الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه، والواحد: زِبْنِيَة. قال ابن الزِّبَعْرَى في ذلك:

مطاعيمُ في المَقْرَى مطاعينُ في الوَغَى　　زبانيةٌ غُـلْبٌ عظـامٌ حلومُهـا

يقول: شداد. وهذا البيت في أبيات له. وقال صخر بن عبدالله الهُذلي، وهو صخر الغي:

ومـن كبيـر نفـرٌ زبانيـهْ[1]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم: **﴿قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم، إن أَجْرِيَ إلا على الله، وهو على كلِّ شيءٍ شهيد﴾**.

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول ﷺ: فلما جاء رسولُ الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقَه فيما حدَّث، وموقع نبوتِه فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه، حال الحسدُ منهم له بينَهم وبين اتِّباعه وتصديقه: فعَتَوْا على الله وتركوا

---

(١) وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت: كبير: حي من هُذَيْل قال المؤلف: وفي أسد أيضا: كبير بن غنم بن دودان بن أسد، ومن ذريته: بنو جحش بن ريان ابن يعمر بن صبوة بن مرة بن كبير، ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء، فإنهم أشهر، والله أعلم، وبنو كبير أيضا: بطن من بني غامد، وهم من الأزد، والذي ذكره من هذيل هو: كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل ــ وانظر الروض الأنف من تحقيقنا.

أمرَه عياناً، ولجُّوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآنِ والغَوْا فيه لعلكم تَغْلبون** ﴾ أي اجعلوه لغوا وباطلا، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك. فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم.

فقال أبو جهل يوماً يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء من الحق: يا معشر قريش يزعم محمدٌ أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار يحبسونكم فيها تسعةَ عشرَ، وأنتم أكثر الناس عدداً، وكثرة، أفيعجز كلُّ مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله: ﴿ **وما جعلنا أصحابَ النارِ إلا ملائكةً، وما جعلنا عدَّتَهم إلا فتنةً للذين كفروا** ﴾ إلى آخر القصة، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلي، يتفرقون عنه، ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعضَ ما يتلُو من القرآن وهو يصلي، استرق السمعَ دونَهم فَرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشيةَ أذاهم فلم يستمعْ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوتَه فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمعُ منه.

قال ابن إسحاق: حدثني داود بن الحُصَيْن، مولى عُمر بن عثمان، أن عِكْرِمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حدثهم: إنما أنزلت هذه الآية: ﴿ **ولا تجهرْ بصلاتِك ولا تخافتْ بها وابتغِ بينَ ذلك سبيلا** ﴾ من أجل أولئك النفر يقول: لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك، ولا تخافتْ بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعَها ممن يسترق ذلك دونَهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به.

أول من جهر بالقرآن

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بنُ عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ، فقالوا: والله ما سمعتْ قريش هذا القرآن يجهر لها به قطُّ، فمَنْ رجل يُسْمِعهموه؟ فقال عبدالله بن مسعود أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه؛ قال دعوني فإن الله سيمنَعُني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عندَ المقام ثم قرأ: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ رافعاً بها صوته ﴿ **الرحمنُ علَّم القرآن** ﴾ قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوه فجعلوا يقولون: ما ذا قال ابنُ أمِّ عَبْد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلُو بعضَ ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجْهِه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغَ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خَشينا عليك؛ فقال: ما كان أعداءُ الله أهونَ عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً؛ قالوا لا، حَسْبُك، قد أسمعتَهم ما يكرهون.

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي ﷺ

قال ابن إسحاق : وحدثني محمدُ بنُ مسلمِ بنِ شهابٍ الزهريُّ أنه حُدِّث : أن أبا سُفْيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شَرِيق بن عَمرو بن وهب الثَّقفي، حليف بني زُهْرة خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في

بيته، فأخذ كلٌّ رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا فجمعهم الطريقُ، فتلاوموا، وقال بعضُهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثانية، عاد كلٌّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثالثةُ أخذ كلٌّ رجل منهم مجلسَه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا، فجمعهم الطريق. فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهدَ ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا.

الأخنس يستفهم عما سمعه: فلما أصبح الأخنسُ بن شَرِيق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعتُ أشياءَ أعرفها وأعرف ما يُراد بها، وسمعت أشياءَ ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها؛ قال الأخنسُ: وأنا والذي حلفتَ به.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيتَه، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سَمِعْتَ من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحازينا على الرُّكب[1]، وكنا كفرسَيْ رهان، قالوا: منا نبيٌّ يأتيه الوحيُ من السماء؛ فمتى ندرك مثلَ هذه، والله لا نؤمنُ به أبداً ولا نصدقه قال: فقام عنه الأخنسُ وتركه.

---

(١) فلما تحازينا على الركب: وقع في الجمهرة: « الجاذي »: المقعي على قدميه قال: وربما جعلوا الجاذي والجاثي سواء.

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله: قالوا يهزءون به: ﴿ **قلوبُنا في أَكِنَّةٍ مما تدعونا إليه** ﴾ لا نفقه ما تقول ﴿ **وفي آذانِنا وقر** ﴾ لا نسمع ما تقول ﴿ **ومن بيننا وبينك حجابٌ** ﴾ قد حال بيننا وبينك ﴿ **فاعمل** ﴾ بما أنت عليه ﴿ **إننا عاملون** ﴾ بما نحن عليه، إنا لا نفقه عنك شيئاً، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم: ﴿ **وإذا قرأت القرآنَ جعلنا بينَك وبينَ الذين لا يؤمنون بالآخرةِ حجاباً مستوراً** ﴾[1]... إلى قوله: ﴿ **وإذا ذكرتَ ربَّك في القرآنِ وحدَه ولَّوْا على أدبارِهم نفورا** ﴾: أي كيف فهموا توحيدَك ربَّك إن كنتَ جعلتَ على قلوبِهم أكنة هو في آذانهم وقراً، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم؛ أي إني لم أفعل ذلك. ﴿ **نحن أعلمُ بما يستمعون إليك، وإذ هم نَجْوَى، إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً** ﴾: أي ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثك به إليهم. ﴿ **انظر كيفَ ضربوا لك الأمثالَ فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً** ﴾: أي أخطئوا المثل الذي ضربوا لك، فلا يصيبون به هُدًى، ولا يعتدل لهم فيه قول ﴿ **وقالوا أءذا كنا عظاماً ورُفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً** ﴾: أي قد جئتَ تخبرنا أنا سنُبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا، وذلك ما لا يكون. ﴿ **قل كونوا حجارةً أو حديداً، أو خَلْقاً مما يَكْبُر في صدورِكم فسيقولون من يُعيدنا، قل الذي خلقكم أولَ مرةٍ** ﴾: أي الذي خلقكم مما تعرفون، فليس خلقكم من تراب بأعزٍّ من ذلك عليه.

---

(١) قول الله سبحانه خبراً عنهم: ﴿ **وجلعنا بينك، وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً** ﴾: قال بعضهم: « مستور » بمعنى: ساتر كما قال: ﴿ **وكان وعده مأتياً** ﴾ أي: آتياً، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه، لأنه حجاب على القلب، فهو لا يرى.

قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن أبي نَجيح، عن مُجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿**أو خلقاً مما يكبرُ في صدورِكم**﴾ ما الذي أراد به الله؟ فقال: الموت[1].

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم، واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرَمْضاء مكة إذا اشتد الحرُّ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفتَن من شدةِ البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصْلُب لهم، ويعصمه الله منهم.

ما لقيه بلال وتخليص أبي بكر له: وكان بلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، لبعض بني جُمَح، مُوَلَّدا من مُوَلِّديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه حمامة، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القلب، وكان أميةُ بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح يُخرجه إذا حَميت

---

(١) أراد ابن عباس أن الموت سيفني كما يفني كل شيء كما جاء أنه يُذبح على الصراط، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديدا لأدرككم الفناء والموت، ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم، فلا بد لكم من الفناء ـــ والله أعلم ـــ بتأويل ذلك.

الظهيرةُ، في بَطْحاءِ مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموتَ، أو تكفرَ بمحمد، وتعبد اللات والعُزَّى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَد أَحَد.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عُروة عن أبيه، قال: كان ورقة بن نَوْفلٍ يمر به وهو يُعَذَّب بذلك، وهو يقول: أَحَد أَحَد؛ فيقول: أَحَد أَحَد والله يا بلال، ثم يُقْبِل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جُمَح، فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حَنَاناً[1]، حتى مر به أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة رضي الله عنه يوما، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟! قال: أنت الذي أفسدتَه فأنقذْه مما ترى؛ فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلامٌ أسود أجلد منه وأقوى، على دينِك، أُعْطِيكه به؛ قال: قد قبلتُ فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامَه ذلك، وأخذه فأعتقه.

من أعتقهم أبو بكر: ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجرَ إلى المدينة سِتَّ رقابٍ، بلالٌ سابعهم: عامر بن فهيرة، شهد بدراً وأحدا، وقُتل يوم بئر معونة شهيداً؛ وأم عُبَيْس[2] وزِنِّيرة[3]، وأصيب

---

(١) حَنَّانا: أي إذا مات أجعل قبره مُتبركاً به.

(٢) أم عُمَيس، كانت لبني تيم بن مرة أعتقها أبو بكر، وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عُذبوا في الله لما أعطوا بألسنتهم ما سئلوا من الكفر، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الأُدم فيها الماء، فوضعوهم فيها وأخذوهم بأطراف الأنطاع، واحتملوهم إلا بلالا.

(٣) وذكر زنيرة التي أعتقها أبو بكر، وأول اسمها: زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فعيلة، هكذا صحت الرواية في الكتاب، والزنيرة: واحدة الزنانير، =

بصرُها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرَها إلا اللاتُ والعزَّى؛ فقالت: كذَبُوا وبيتِ الله ما تضرُّ اللاتُ والعزى وما تنفعان، فرد اللهُ بصرَها.

وأعتق الهَدِيةَ وبنتَها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهي تقول: والله لا أعتقهما أبداً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: حلٍّ[1] يا أم فلان؛ فقالت: حِلَّ، أنت أفسدتهما فأعتقهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا؛ قال: وقد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أونفرُغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما.

ومر بجارية بني مُؤَمَّل، حَيٍّ من بني كعب، وكانت مُسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربُها، حتى إذا ملَّ قال: إني أعتذر إليكِ، إني لم أترُكْك إلا ملالة؛ فتقول: كذلك فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر، فأعتقها.

أبو قحافة يلوم أبا بكر: قال ابن إسحاق: وحدثني محمدُ ابن عبد المطلب بن أبي عَتِيق، عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن بعض أهله، قال:

قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بُنَي، إني أراك تُعْتِق رقاباً ضِعافاً فلو أنك إذا ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونَك؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبتِ، إني إنما أريد ما أريد لله

= وهي الحصا الصغار، قاله أبو عبيدة، وبعضهم يقول فيها: زنبرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها، ولا تعرف زنبرة في النساء.

(١) أي تحللي من يمينك.

عز وجل. قال: فيُتَحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿ **فأمَّا من أعطَى واتَّقى وصدَّق بالحسنى** ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ **وما لأحدٍ عندَه من نعمةٍ تُجْزى. إلا ابتغاءَ وجهِ ربِّه الأعلى. ولسوف يرضى** ﴾.

تعذيب آل ياسر: قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يَخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وأمه، وكانوا أهلَ بيت إسلام، إذا حَمِيت الظهيرة، يعذبونهم برَمْضاء[1] مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول فيما بلغني: « صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة ». فأما أمه فقتلوها وهي تأبَى إلا الإسلامَ[2].

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغْرِي بهم في رجالٍ من قريش، إذا سمع بالرجلِ قد أسلم له شرف ومَنَعة، أنَّبه وأخْزاه وقال: تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك، لنُسَفهنَّ حلمَك، ولنفيِّلن[3] رأيك، ولنضعنَّ شرفَك؛ وإن كان تاجراً قال: والله لنُكْسِدَنَّ تجارتَك، ولنُهلكن مالك؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرَى به.

فتنة المسلمين: قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن جُبَير عن سعيد بن جُبَير، قال: قلتُ لعبدالله بن عباس: أكان المشركون يبلغون

---

(١) الرمضاء: الرمال شديدة الحرارة.

(٢) أم عمار بن ياسر: هي سُمية، وهي أول شهيدة في الإسلام، وروي أن عماراً قال لرسول الله ﷺ، لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ، فقال له النبي ﷺ: صبراً أبا اليقظان، ثم قال: اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار، وسُمية أمه، وهي بنت خياط، كانت مولاة لأبي حذيفة بن المغيرة، واسمه مهشم، وهو عم أبي جهل، ومن ولد عمار: عبد الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن عمار ابن ياسر، وهو المقتول بالأندلس، قتله عبد الرحمن بن معاوية.

(٣) لنفيلن: لنقبِّحن.

من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعْذَرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا لَيُضربون أحدَهم ويجيعونه ويُعَطِّشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيَهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له؛ آللاتُ والعُزَّي إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، حتى إن الجُعْلَ ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجُعْلُ إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده.

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش: قال ابن إسحاق: وحدثني الزبير بن عُكَّاشة بن أبي أحمد أنه حُدِّث أن رجالا من بني مخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، منهم: سَلَمة ابن هشام، وعياش بن أبي ربيعة. قال: فقالوا له وخَشَوْا شرَّهم: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا، فإنا نأمن بذلك في غيرهم. قال: هذا، فعليكم به، فعاتبوه وإياكم ونفسَه، وأنشأ يقول:

ألا لا يقتلنَّ أخي عُيَيْش ... فيبقى بيننا أبداً تلاحِي

احذروا على نفسِه، فأُقْسم بالله لئن قتلتموه لأقتلنَّ أشرفَكم رجلاً قال: فقالوا: اللهم العنْه، من يُغَرِّر بهذا الخبيث، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتلَ أشرفَنا رجلا. قال: فتركوه ونزعوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفع اللهُ به عنهم.

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابَه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أنْ يمنعَهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرضِ الحبشة فإن بها مَلَكاً[1] لا يُظْلَم عنده أحدٌ، وهي أرضُ صدقٍ، حتى يجعلَ اللهُ لكم فرجاً مما أنتم؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحابِ رسول الله ﷺ إلى أرضِ الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أولَ هجرة كانت في الإسلام.

أوائل المهاجرين إلى الحبشة: وكان أولَ من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهر: عثمانُ بن عفان بن أبي العاص بن أمية، معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة ابن عبد شمس، معه امرأته: سَهْلة بنت سُهَيْل بن عَمرو، أحد بني عامر بن لُؤَي، وَلَدت له بأرض الحبشة محمدَ بن أبي حُذَيفة. ومن بني أسد بن عبد العُزى بن قصي: الزبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد. ومن بني عبد الدار بن قصي: مُصْعَب بن عُمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار. ومن بني زهرة بن كلاب: عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة. ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن

---

(١) ملكاً: يطلق عليه النجاشي لأنه اسم لكل ملك يلي الحبشة، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس، وخاقان اسم لملك الترك كائنا من كان، وبطليموس: اسم لمن ملك اليونان، واسم هذا النجاشي: أصحمة بن أبحر وتفسيره: عطية.

عبدالله بن عُمر بن مخزوم، ومعه امرأته: أم سَلَمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم. ومن بني جُمَح بن عمرو ابن هُصَيْص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح. ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، من عَنْز بن وائل — معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف بن عبيد بن عُوَيج ابن عدي بن كعب. ومن بني عامر بن لؤي: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزى بن أبي قَيْس بن عبد وُد بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ويقال: هو أول من قدمها. ومن بني الحارث بن فهر: سُهَيْل ابن بيضاء، وهو سُهَيْل ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، فيما بلغني.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمانُ بن مظعون، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهلَ له معه.

المهاجرون من بني هاشم: ومن بني هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر: جعفر ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، معه امرأتُه أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خَثْعم، ولدت له بأرض الحبشة: عبدَالله بن جعفر، رجل.

المهاجرون من بني أمية: ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بـن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته: رقيةُ ابنة رسول الله ﷺ، وعَمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية، معه امرأته: فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرِّث بـن شِق بـن رَقَبَة بن مُخْدِج الكناني، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية، معه امرأته أُمَيْنة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ابن سبيع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو، من خزاعة.

قال ابن هشام: ويقال هُمَيْنة بنت خلف.

قال ابن إسحاق: ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد، وأمَةَ بنت خالد، فتزوج أمةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوام، فولدت له عمرو ابن الزبير، وخالد بن الزبير.

المهاجرون من بني أسد: ومن حلفائهم، من بني أسد بن خُزَيمة: عبدالله بن جَحْش بـن رِئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مرة بن كبير ابن غَنْم بن دُودان بن أسد؛ وأخوه عُبَيْد الله بن جَحْش، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية. وقيس بن عبدالله، رجل من بني أسد بن خُزَيمة، معه امرأته بركة بنت يسار، مولاة أبي سفيان ابن حرب بن أمية؛ ومعيقيب بن أبي فاطمة. وهؤلاء آل سعيد بن العاص، سبعة نفر.

قال ابن هشام: مُعَيْقيب من دوس.

المهاجرون من بني عبد شمس: قال ابن إسحاق: ومن بني عبد شمس[1] بن عبد مناف أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد

---

(١) عبد شمس أو عبشمس: ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال، وأما عبشمس بن =

شمس؛ وأبو موسى الأشعري، واسمه عبدالله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة، رجلان.

المهاجرون من بني نَوْفل: ومن بني نَوْفل بن عبد مناف: عُتبة ابن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نَسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة، بن قيس بن عَيْلان، حليف لهم، رجل.

المهاجرون من بني أسد: ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصي: الزبير بن العوام بن خُوَيْلد بن أسد، والأسْوَد بن نَوْفل بن خُوَيلد بن أسد، ويزيد بن زَمْعة بن الأسْوَد بن المطلب بن أسد. وعُمر بن أمية بن الحارث بن أسد، أربعة نفر.

المهاجرون من بني عبد بن قُصي: ومن بني عبد بن قُصي: طُلَيب بن عُمَيْر بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي، رجل.

المهاجرون من بني عبد الدار بن قصي: ومن بني عبد الدار ابن قُصي: مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسُوَيْبط بن حرملة بن مالك بن عُمَيْلة بن السبَّاق بن عبد الدار، وجَهْم بن قَيْس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، معه امرأته: أم حَرْملة بنت عبد الأسْود بن جُذيمة بن أُقْيش ابن عامر بن بَيَاضة بن سُبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو،

= سعيد بن زيد مناة بن تميم، فقال فيه أبو عبيد والقتبي: عبد شمس كما في الأول. وقال أكثر الناس فيه، عبشمس، ثم اختلفوا في معناه، فقيل، معناه: عبد شمس، لكن أدغمت الدال، وقيل: بل عبشمس وعب الشمس هو ضوؤها أو صفاؤها، وقيل في المثل: هو أبرد من عبقر أي: البرد. وفيه قول ثالث: أعني: عبشمس. وهو مروي عن ابن عمر. وقال معناه: عبء شمس بالهمزة، ثم حذفت الهمزة تسهيلا.

من خزاعة؛ وابناه: عَمرو بن جَهْم وخُزيمة بن جَهْم. وأبو الرُّوم بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ وفِراس بن النضْر بن الحارث بن كَلَدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بني زهرة: ومن بني زُهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة؛ وعامر بن أبي وقَّاص وأبو وقَّاص مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف ابن زُهرة؛ والمطَّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث ابن زُهْرة، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وَلدت له بأرض الحبشة: عبدَالله بن المطلب[1].

المهاجرون من بني هذيل: ومن حلفائهم من هُذَيل: عبدالله ابن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صَاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل: وأخوه: عُتبة بن مسعود.

المهاجرون من بهراء: ومن بهراء: المِقْداد بن عَمرو بن ثعلبة ابن مالك بن ربيعة بن ثُمامة بن مطرود بن عَمرو بن سعد بن زُهَير بن لُؤَي بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد بن أبي أهْوز بن أبي فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهود بن بهراء بن عَمرو بن الحاف ابن قضاعة.

قال ابن هشام: ويقال هزل بن فاس بن ذَر، ودَهِير بن ثَوْر.

قال ابن إسحاق: وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث

---

(١) ذكر من بني زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة، وهم ستة نفر، ولم يذكر السابع، وهو: عبد الله بن شهاب جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، وكان اسمه: عبد الجان، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين، ثم أسلم.

ابن وهب بن عبد مناف بـن زُهرة، وذلك أنه تبناه في الجاهلية وحالفه، ستة نفر.

المهاجرون من بني تَيْم: ومن بني تَيْم بن مرة: الحارث بن خالد بن صخر بن عَامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، معه امرأته: رَيْطة بنت الحارث بن جَبَلَة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، ولدت له بأرض الحبشة: موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث وفاطمة بنت الحارث. وعَمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، رجلان.

المهاجرون من بني مخزوم: ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، ومعه امرأته أم سَلَمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بـن عمر ابن مخزوم، ولدت له بأرض الحبشة: زينبَ بنت أبي سلمة، واسم أبي سلمة عبدالله، واسم أم سلمة: هند. وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّرِيد ابن سُوَيْد بن هَرْمِي بن مخزوم.

خبر الشماس: قال ابن هشام: واسم شَمَّاس: عثمان، وإنما سُمي شماسا، لأن شماسا من الشمامسة قَدِم مكة في الجاهلية، وكان جميلا فعجب الناس من جماله، فقال عتبة بن ربيعة، وكان خال شماس: أنا آتيكم بشماس أحسن منه، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان، فسمي شماسا، فيما ذكر ابن شهاب وغيره.

قال ابن إسحاق: وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسَد بن هلال بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، وأخوه عبدالله بن سفيان: وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم؛ وعَيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم؛ ومن حلفائهم، مُعَتِّب بن عَوْف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كُلَيب بن حَبشية ابن سلول ابن كعب بن عمرو، من خزاعة، وهو الذي يقال له: عَيْهامة، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال حُبْشية ابن سلول، وهو الذي يقال له معتِّب ابن حمراء.

المهاجرون من بني جُمح: ومن بني جُمح بن عَمرو بن هُصَيْص ابن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح؛ وابنه السائب بن عثمان: وأخواه قُدامة بن مظعون، وعبدالله ابن مظعون؛ وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، معه امرأته: فاطمةُ بنت المجلَّل بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر: وابناه: محمد ابن حاطب، والحارث بن حاطب، وهما لبنت المجلَّل؛ وأخوه حطاب ابن الحارث، معه امرأته فُكَيهة بنت يسار؛ وسفيان بن معمر بن حبيب ابن وهب بن حُذافة بن جُمَح، معه ابناه جابر بن سفيان، وجُنادة ابن سفيان، ومعه امرأته حَسنة، وهي أمهما، وأخوهما من أمهما شَرَحْبيل ابن حسنة، أحد الغوث.

قال ابن هشام: شرحبيل بن عبدالله أحد الغَوث بن مُرّ، أخي تميم بن مر.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح، أحد عشر رجلا.

المهاجرون من بني سهم: ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص ابن كعب، خُنَيْس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم؛

وعبدالله بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سهل، وهشام ابن العاص بن وائل بن سعد بن سهم.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم.

قال ابن إسحاق: وقَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عَدِي بن سعد ابن سهم، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، وعبدالله بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، والحارث ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، ومَعْمَر بن الحارث بن قَيْس ابن عدي بن سعد بن سهم؛ وبِشر بن الحارث بن قَيْس بن عَدِيٍّ ابن سعد بن سهم، وأخ له من أمه من بني تميم، يقال له: سعيد ابن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم؛ والسَّائب بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سهم. وعُمَيْر ابن رِئاب بن حُذيفة بن مُهَشِّم بن سعد بن سهم. ومَحْمِية بن جَزْء، حليف لهم، من بني زبيد، أربعة عشر رجلا.

المهاجرون من بني عدي: ومن بني عدي بن كعب: مَعْمر ابن عبدالله بن نَضْلَة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيد ابن عُوَيْج بن عدي؛ وعُروة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عَدِيّ، وعدي بن نَضْلَة بن عبد العُزى بن حُرْثان ابن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدي، وابنه النعمان بن عَدِيٍّ، وعامر ابن ربيعة، حليف لآل الخطاب، من عنز بن وائل، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم. خمسة نفر.

المهاجرون من بني عامر: ومن بني عامر بن لؤي: أبو سَبْرة ابن أبي رُهْم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأته: أم كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو

ابن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدالله بن مَخْرَمة بن عبد العُزى بن أبي قيس بن عبد وُد بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدالله بن سُهَيل بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن مالك بن حِسْل بن عامر، وسَلِيط بن عَمرو ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وأخوه السكران بن عمرو، معه: امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ومالك بن زَمْعَة بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه: امرأته عمرة بنت السَّعْدي بن وَقْدان ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر، وسعد بن خَولة، حليف لهم، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَولة من اليمن.

المهاجرون من بني الحارث: قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث ابن فِهْر: أبو عُبَيْدة بن الجراح، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهر، وسُهَيل ابن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، ولكن أمه غلبت على نسبه، فهو ينسب إليها، وهي دعد بنت جحدم ابن أمية من ظرب بن الحارث بن فِهْر، وكانت تدعى بيضاء، وعمرو ابن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث، ويقال: بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن مالك بن ضَبة بن الحارث، وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شداد بن

ربيعة بن هلال بن مالك بن ضَبة بن الحارث، وسعد بن عبد قيس ابن لَقيط بن عامر بن أمية بن ظَرَب بن الحارث، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أمية بن ظَرَب بن الحارث بن فهر. ثمانية نفر[1].

عدد مهاجري الحبشة: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يُشَك فيه[2].

شعر عبدالله بن الحارث في هجرة الحبشة: وكان مما قيل من الشعر في الحبشة أن عبدالله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سَهْم، حين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشيُّ جوارَهم حين نزلوا به قال:

يا راكباً بَلِّغَنْ عني مُغَلْغَلةً ... من كان يرجو بلاغَ اللهِ والدينِ[3]
كلُّ امرئٍ من عبادِ الله مضطهد ... ببطنِ مكةَ مقهورٍ ومفتونِ
أنا وجدنا بلادَ الله واسعةً ... تُنجي من الذلِّ والمَخْزاةِ والهونِ
فلا تقيموا على ذلِّ الحياةِ وخِز ... يٍ في المماتِ وعيبٍ غيرِ مأمونِ
إنا تبعنا رسولَ الله واطَّرحوا ... قولَ النبيِّ وعالوا في الموازينِ[4]

---

(١) لم يذكر فيهم تميم بن الحارث، وذكره الواقدي وغيره. والحارث بن قيس كان أبوه من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم: ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾.

(٢) شك ابن إسحاق في عمار بن ياسر: هل هاجر إلى أرض الحبشة، أم لا؟ والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة. وغيرهما أنه لم يكن فيهم.

(٣) المغلغلة: الرسالة.

(٤) عالوا: خانوا.

فاجعل عذابَك في القومِ الذين بَغَوْا — وعائــذاً بك أن يغلــوا فيطغونــي

وقال عبدالله بن الحارث أيضاً، يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم، ويعاتب بعض قومه في ذلك:

أبَتْ كَبِـدي، لا أكْذِبَنْكَ، قتالَهـم — علـيَّ وتأبــاه علــيَّ أناملــي
وكيــف قتالــي مَعشــراً أدَّبوكــمُ — على الحـقِّ أن لا تَأْشِبـوه بباطـلِ [(١)]
نفتهمْ عبادُ الجنِّ مـن حُـرِّ أرضِهـم — فأضْحَوْا على أمرٍ شديدِ البلابـلِ [(٢)]
فـإن تكُ كـانت فـي عَـدِيٍّ أمانـةٌ — عديّ بن سعد عن تُقًى أو تواصـلِ
فقـد كنت أرجــو أن ذلك فيكــمُ — بحمدِ الـذي لا يُطَّبـي بالجعائـلِ [(٣)]
وبُـدِّلت شِبـلاً شِبْـلَ كـلِّ خبيثـةٍ — بذي فَجَرٍ مأْوَى الضِّعافِ الأراملِ [(٤)]

وقال عبدالله بن الحارث أيضاً:

وتــلك قــريشٌ تجحَــدُ اللهَ حقَّــه — كما جحدت عادٌ ومدينُ والحِجْرُ [(٥)]
فـإن أنـا لـم أبْـرِقْ فـلا يَسَعَنَّنـي — من الأرضِ برٌّ ذو فضاءٍ ولا بحرُ [(٦)]
بـأرضٍ بهـا عَبـدَ الإلــهَ محمــدٌ — أبيِّنُ ما فـي النـفسِ إذ بلـغ النَّقْـرُ [(٧)]

---

(١) أن لا تأشبوه: أي أن لا تخلطوه.

(٢) البلابل: وساوس الأحزان.

(٣) لا يطبي بالجعائل: لا يستمال بالرِّشوة.

(٤) الفجر: العطاء.

(٥) الحجر: ليست بأمَّة. ولكنها ديار ثمود. أراد: أهل الحجر، وأما مدين فأنه شعيب، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام، وأمهم: قطورا بنت يقطان الكنعانية، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم، ذكرهم السهيلي في كتابه التعريف والإعلام ونقله السيوطي عنه.

(٦) وبالبيت سمي المبرق بهذا الاسم.

(٧) النقر: البحث.

فسمي عبدالله بن الحارث ــ يرحمه الله ــ لبيته الذي قال: « المُبْرِق ».

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أُمية بن خلف بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح، وهو ابن عمه وكان يؤذيه في إسلامه، وكان أمية شريفا في قومه في زمان ذلك:

أَتَيْمَ بنَ عمرو للذي جاء بغضُه ... ومن دونه الشَّرمان والبرك أكتع[1]
أأخرجتني من بطنِ مكةَ آمناً ... وأسكنتني في صرحِ بيضاءِ تقذع[2]
تَريشُ نبالاً لا يواتيك ريشُها ... وتَبْري نبالاً ريشُها لكَ أجمعُ
وحاربتَ أقواماً كراماً أعزَّةً ... أهلكتَ أقواماً بهم كنتَ تَفْزعُ
ستعلم إن نابتْك يوماً مُلِمَّةٌ ... وأسلمك الأوباشُ ما كنتَ تصنعُ[3]

وتَيْم بن عمرو، الذي يدعو عثمان، جمحُ، كان اسمه تَيْما.

(١) الشرمان: تثنية شرم وهو لجة البحر، والبرك: الإبل الباركة.

(٢) صرح بيضاء: مدينة الحبشة. وأصل الصرح: القصر، يريد: أنه ساكن عند صرح النجاشي. وتقذع: أي: تكره كأنه من أقذعت الشيء، إذا صادفته قذعاً، ويقال أيضاً: قذعت الرجل إذا رميته بالفحش، ويريد أن أرض الحبشة مقذوعة، وأحسب هذه الرواية تصحيفاً، والصحيح: عن قول الزبير وروايته، أنه بيطاء بالطاء وتقدع بالدال ــ وانظر: الروض الأنف للإمام السهيلي من تحقيقنا.

(٣) الأوباش: ويريد أخلاطا من الناس، يقال: أوشاب وأوباش، والأوباش أيضاً شجر متفرق والوبش بياض في أظفار الأحداث.

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

من أرسلتهما قريش في طلب المهاجرين: قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينَهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلْدَين إلى النجاشي، فيردهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارِهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها؛ فبعثوا عبدَالله بن أبي ربيعة، وعَمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته[1]، ثم بعثوهما إليه فيهم.

شعر أبي طالب للنجاشي: فقال أبو طالب، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتا للنجاشي يحضه على حسنِ جوارِهم والدفع عنهم:

ليتَ شِعْري كيفَ في النأْيِ جعفرٌ ... وعمرٌو وأعداءُ العدوِّ الأقاربُ[2]
وهل نالت افعالُ النجاشيِّ جعفراً ... وأصحابَه أو عاق ذلك شاغبُ

(١) بطارقته: قواده.
(٢) النأي: البعد.

تعلَّـم أبـيتَ اللعـنَ، أنك ماجــدٌ كريمٌ فلا يَشْقَى لديك المُجانِبُ[1]
تعلَّــم بــأن الله زادك بَسْطــةً واسبابَ خيرٍ كلُّهـا بك لاَزِبُ[2]
وأنك فَـيْضٌ ذو سِجــالٍ غزيــرةٍ ينــال الأعــادي نفعَهـا والأقـاربُ

حديث أم سلمة[3] عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي: قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهريّ عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خيرَ جار: النجاشيَّ، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا اللهَ تعالى لا نُؤْذَي ولا نسمعُ شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جَلْدَينِ؛ وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرِف من متاعِ مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَم[4]، فجمعوا له أَدَماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو ابن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كلِّ بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عندَه بخير دار، عند خيرِ جارٍ، فلم يبقَ من بطارقته بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل

---

(١) المجانب: الداخل في الحمى.
(٢) لازب: لاصق.
(٣) أم سلمة وبعلها أبو سلمة، توفي عنها بالمدينة، وخلف عليها رسول الله ﷺ وقيل في اسمها: رملة، وأبوها أبو أمية اسمه حذيفة يعرف بزاد الراكب. انظر الإصابة، للحافظ ابن حجر وعلى ذيلها الاستيعاب للإمام ابن عبد البر ــ تصدر قريباً من تحقيقنا.
(٤) الأدم: الجلود.

أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضَوَى[1] إلى بلد الملك منا غلمان سُفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدَع، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلَى بهم عيناً[2]، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفُه نحنُ ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو ابن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشيُّ. قالت: فقالت بطارقته حوله: صَدَقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمْهم إليهما فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لاهَا الله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومِهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتَهم منهما، وأحسنت جوارَهم ما جاوروني.

---

(١) ضوى: لجأ.

(٢) أي أبْصر بهم من غيرهم.

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي: قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه المِلل؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكُل الميتةَ، ونأتي الفواحشَ، ونقطع الأرحام. ونسيء الجوار ويأكل القويُّ منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبَه وصدقَه وأمانته وعفافَه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤُنا من الحجارةِ والأوثانِ وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلةِ الرَّحمِ وحسنِ الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ــ قالت: فعدد عليه أمور الإسلام ــ فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا اللهَ وحدَه، فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارِك، ورجونا أن لا نُظلَم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم؛ فقال له النجاشي: فاقرأه علي؛ قالت: فقرأ عليه صدراً من: « كهيعص » قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفَهم، حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلِقَا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكَادون.

رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشي: قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خَضْرَاءَهم. قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا؛ قال : والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْدٌ. قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسِلْ إليهم فسلْهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها قطّ. فاجتمع القوم، ثم قال بعضُهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته[1] ألقاها إلى مريم

---

(١) روح الله وكلمته: معنى: كلمته أي: قال له، كما قال لآدم حين خلقه من تراب، ثم قال له: كن فكان.

أما روح الله، فلأنه نفخه روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة، والقدس: الطهارة =

العذراء البتول قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عُوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العودَ. قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ــ والشيوم[1]: الآمنون ــ من سبَّكم غَرِم، ثم قال: من سبكم غَرِم، ثم قال: من سبكم غَرِم. ما أُحبُّ أن لي دَبراً من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم.

قال ابن هشام: ويقال دبري من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم. والدبر بلسان الحبشة: الجبل ــ ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله من الرِّشْوَة حين ردَّ عليَّ ملكي، فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مَقْبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار[2].

= من كل ما يشين، أو يعيب، أو تقذره نفس، أو يكرهه شرع، وجبريل: روح القدس، فهو مضاف إلى الله سبحانه إضافة تشريف وتكريم، لأنه صادر عن الحضرة المقدسة وعيسى عليه السلام صادر عنه، فهو: روح الله على هذا المعنى جل جلال الله.

(١) الشيوم: هم الآمنون، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية، وأن تكون من شمت السيف إذا أغمدته، لأن الآمن مغمد عنه السيف، أو لأنه مصون في صوان وحرز كالسيف في غمده. الروض الأنف جـ ٢ ص ٩٢.

(٢) حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي، فيه من الفقه: الخروج عن الوطن، وإن كان الوطن مكة على فضلها، إذا كان الخروج فراراً بالدين، وإن لم يكن إسلام، فإن الأحباش كانوا نصارى يعبدون المسيح، ولا يقولون: هو عبد الله. وقد تبين ذلك في هذا الحديث، وسموا بهذه مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق، فقال: ﴿ **والسابقون الأولون** ﴾ وجاء في التفسير: أنهم الذين صلوا القبلتين، وهاجروا الهجرتين، وقد قيل أيضاً: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم، ورجاء أنْ يخلي بينهم وبين عبادة ربهم، يذكرونه آمنين مطمئنين.

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي: قالت: فوالله إنا لعلى ذلك، إذا نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه. قالت: فوالله ما علمتُنا حَزِنَّا حزناً قطُّ كان أشدَّ علينا من حزن حزناه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقّنا ما كان النجاشيُّ يعرف منه. قالت: وسار إليه النجاشيُّ، وبينهما عَرضُ النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضرَ وقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت. فقال الزبير بن العوام. أنا. قالوا: فأنت. وكان من أحدث القوم سِنّاً. قالت: فنفخوا له قربةً فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيلِ التي بها ملتقَى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا اللهَ تعالى للنجاشيِّ بالظهور على عدوِّه، والتمكين له في بلاده.

قالت: فوالله إنا لعلَى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبيرُ وهو يسعَى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشيُّ، وأهلك اللهُ عدوَّه، ومكَّن له في بلاده. قالت: فوالله ما علمتنا فَرِحنا فرحةً قط مثلَها قالت: ورجع النجاشيُّ، وقد أهلك الله عدوَّه، ومكن له في بلاده، واستوثق عليه أمرُ الحبشة فكنا عنده في خير مَنْزِل، حتى قَدِمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

قصة تملك النجاشي على الحبشة

قتل أبي النجاشي وتملك عمه: قال ابن إسحاق: قال الزهري: فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرِّشْوَة حين رد عليَّ ملكي، فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه؟ قال: قلت: لا، قال: فإن عائشة أمّ المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم، له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشةُ بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا، فتوارثوا ملكَه من بعده، بقيت الحبشةُ بعدَه دهراً، فَغَدَوْا على أبي النجاشي فقتلوه، وملَّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينا.

الحبشة تبيع النجاشي: ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيبا حازما من الرجال، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزِلة، فلما رأت الحبشةُ مكانَه منه قالت بينها: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملِّكه علينا، وإن ملَّكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه. فمشَوْا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خِفناه على أنفسنا؛ قال: ويلكم! قتلت أباه بالأمس، وأقتله اليوم! بل أخرجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم؛ فقذفه في سفينة فانطلق به، حتى إذا كان العشيّ من ذلك اليوم، هاجت سحابةٌ من سحائبِ الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته. قالت: ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا

هو مُحمَّق، ليس في ولده خير، فمرج على الحبشة أمرُهم[1].

تولية النجاشي الملك: فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضُهم لبعض: تَعلَّموا والله أن مَلِكَكم الذي لا يقيم أمرَكم غيرُه للذي بعتم غَدوةً، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن قالت: فخرجوا في طلبه، وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه، فأخذوه منه؛ ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك، فملَّكوه.

حديث التاجر الذي اشتراه: فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلمه في ذلك؟ قالوا: لا نعطيك شيئا، قال: إذن والله أكلمه؛ قالوا: فدونَك وإياه. قالت: فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلاما من قوم بالسوق بست مئة درهم، فأسلموا إليَّ غلامي وأخذوا دراهمي، حتى إذا سرت بغلامي أدركوني، فأخذوا غلامي، ومنعوني دراهمي. قالت: فقال لهم النجاشي: لتُعْطُنَّه دراهمه، أو ليضعن غلامُه يدَه في يده، فليذهبن به حيث شاء؛ قالوا: بل نعطيه دراهمه قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله مني رِشوة حين ردَّ عليّ ملكي، فآخذ الرِّشوةَ فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه. قالت: وكان ذلك أول ما خُبر من صلابته في دينه، وعدله في حكمه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما مات النجاشي، كان يتحدث أنه لا يزال يُرَى على قبره نورٌ.

---

(١) مرج الأمر: اختلط.

إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشةُ فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقت دينَنا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سُفناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإذا هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرتُ فاثبتوا ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبدُه ورسولُه وروحُه، وكلمته ألقاها إلى مريم؛ ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفُّوا له؛ فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقَّ الناس بكم؟ قالوا. بلى؛ قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا. خير سيرة؛ قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت دينَنا، وزعمت أن عيسى عبدٌ؛ قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله؛ فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابن مريم، لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا[1]. فبلغ ذلك النبي ﷺ؛ فلما مات النجاشي صلى عليه، واستغفر له[2].

---

(١) فيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذباً صراحاً، ولا أن يعطي بلسانه الكفر، وإن أكره ما أمكنته الحيلة، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب.

(٢) كان موت النجاشي في رجب من سنة تسع، ونعاه رسول الله ﷺ إلى الناس في اليوم الذي مات فيه، وصلى عليه بالبقيع، رُفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه، وهو بالمدينة فصلى عليه، وتكلم المنافقون، فقالوا: أيصلي على هذا العلج؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم** ﴾ ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب، كان ابناً للنجاشي نفسه، وأن عليا وجده عند تاجر بمكة، فاشتراه منه، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين.

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: ولما قَدم عمرُو بنُ العاص وعبدُالله بن أبي ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، ورَدَّهما النجاشي بما يكرهون، وأسلم عُمر بن الخطاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحابُ رسول الله ﷺ وبحمزة حتى عازُّوا[1] قريشاً، وكان عبدالله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصليَ عند الكعبة، حتى أسلم عمرُ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه، وإن كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

قال البكائي: قال: حدثني مِسْعر بن كِدَام، عن سعد بن إبراهيم، قال: قال عبدالله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نُصلي عند الكعبة حتى أسلم عمرُ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه.

حديث أم عبدالله بنت أبي حَثْمَة عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عباس ابن أبي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أمِّه أم عبدالله بنت أبي حَثْمَة، قالت:

---

(١) عازوا: غلبوا.

والله إنا لنترحل إلى أرضِ الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليَّ وهو على شركه ـــ قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدةً علينا ـــ قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبدالله، قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجا. قالت: فقال: صحبكم اللهُ، ورأيت له رقةً لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه ـــ فيما أرى ـــ خروجُنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيتَ عُمر آنفا ورقته وحزنَه علينا. قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم؛ قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب. قالت: يأساً منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام.

سبب إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زَيْد بن عَمرو بن نُفَيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بَعْلُها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نُعَيم بن عبدالله النحام من مكة، رجل من قومه، من بني عَدِي بن كعب قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فَرَقا من قومه، وكان خَبَّابُ بن الأَرَتِّ[1] يختلف إلى فاطمة

(١) وخباب تميمي بالنسب، كما كان خزاعيا بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي، وكان قد وقع عليه سباء، فاشترته وأعتقته، فولاؤه لها، وكان أبوها حليفاً لعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، فهو زهري بالحلف، وهو ابن الأرت بن جندلة ابن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان قيْنا يعمل السيوف في الجاهلية، وقد قيل: إن أمه كانت أم سباع الخزاعية، ولم يلحقه سباء، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بني زهرة، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا يحيى، وقيل أبا محمد، مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع علي صفين والنهروان، وقيل: بل مات سنة سبع وثلاثين. ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقي في ذات الله، فكشف ظهره، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أوقدت لي نار، فما أطفأها إلا شحمي. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٩٨.

بنت الخطاب يُقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم، ممن كان أقام من رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة.

فلقيه نُعَيم بن عبدالله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا هذا الصابئ، والذي فرّق أمرَ قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله؛ فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرَهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خَتَنْك وابن عمك سعيد بن زيد بن عَمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب: فقد والله أسلما، وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما.

قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خبابُ بن الأَرَتِّ معه صحيفة، فيها: « طه » يُقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خَبَّاب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فَخِذِها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خَبَّاب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهَيْنَمَة[1] التي سمعتُ؟ قالا له: ما سمعتَ شيئا، قال: بلى والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بِخَتَنْه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة

---

(١) الهينمة: كلام لا يفهم، واسم الفاعل منه مهينم، كأنه تصغير، وليس بتصغير.

بنت الخطاب لتكفه عن زوجِها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وخَتْنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبا، فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردَّنَّها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهرُ[1]، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفةَ، وفيها: « طه » فقرأها، فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوةِ نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: « اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب »، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خبَّاب علي محمد حتى آتيَه فأسلم، فقال له خَبَّاب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه.

---

(١) قال السهيلي عند الكلام على تطهير عمر ليمس القرآن، وقول أخته له: ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾: والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطأ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس ولكنهم وإن كانوا الملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضي ألا يمسه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير، ولكنه حكم مندوب إليه، وليس محمولا على الفرض، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية، لأنه جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة. لأنه قال المطهرون، وفرق ما بين المتطهر والمطهر: أن المتطهر من فعل الطهور، وأدخل نفسه كالمتفقه من يدخل نفسه في الفقه، وكذلك المتفعل في أكثر الكلام. فالآدميون متطهرون إذا تطهروا، والملائكة مطهرون خلقة، والآدميات إذا تطهرن: متطهرات ـــ راجع الروض من تحقيقنا جـ ٢ ص ٩٨ــ٩٩.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خَلَلِ الباب فرآه متوشِّحا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فَزِعٌ، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشِّحاً السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأْذنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: ائذنْ له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حُجْزَته[1]، أو بمجمع ردائه، ثم جَبَذه به جَبْذةً شديدة، وقال: ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزلَ الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرةً عَرَف أهلُ البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم[2].

فتفرق أصحابُ رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عَزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سَيَمْنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوِّهم. فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم.

---

(١) موضع شد الإزار.

(٢) ذكر البزار في إسلام عمر أنه قال: فلما أخذت الصحيفة، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، فجعلت أفكر: من أي شيء اشتق، ثم قرأت فيها: ﴿ **سبح لله ما في السموات والأرض** ﴾. وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت: ﴿ **آمنوا بالله ورسوله** ﴾ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وذلك إن كانت وردت رواية أن ما في الصحيفة من سورة الحديد.

ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي نَجِيح المكي عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، أو عمن روى ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبها وأُسَر بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجالٌ من قريش بالحَزْوَرَة، عند دُور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي. قال : فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، قال : فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت: لو أني جئت فلانا الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلي أجد عنده خمراً فأشرب منها. قال: فخرجت فجئته فلم أجده. قال: فقلت: فلو أني جئت الكعبةَ فطفت بها سبعا أو سبعين قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليماني. قال: فقلت حين أتيته: والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمعَ ما يقول فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأُرَوِّعَنَّه؛ فجئت من قِبل الحِجْر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رُوَيْدا ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مُسْتقبلَه، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام فلم أزل قائما في مكاني ذلك، حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حُسَين، وكانت طريقَه، حتى يَجزع[1] المسْعَى، ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب، وبين دار ابن أزهر بن عبد عَوْف الزهري، ثم على دار الأخنس بن شَرِيق، حتى يدخل بيته. وكان مسكنُه ﷺ في

---

(١) يجزع: يقطع.

الدار الرَّقْطاء[1]، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان. قال عمر رضي الله عنه: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر، أدركتُه، فلما سمع رسول الله ﷺ حسي عَرَفني، فظن رسول الله ﷺ أني إنما تبعته لأوذيه فنهمني[2] ثم قال: ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة؟ قال: قلت: لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء به من عندالله قال: فحمد الله رسول الله ﷺ، ثم قال: قد هداك الله يا عمر، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفتُ عن رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ بيته.

قال ابن إسحاق، والله أعلم أي ذلك كان.

ثبات عمر في إسلامه: قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم أبي: عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن مَعْمر[3] الجُمحي. قال:

---

(١) الرقطاء: الملونة.

(٢) نهمني: زجرني، والنهيم: زجر الأسد، والنهامي: الحداد، والنهام: طائر. وهي كلمة معناها: الأمر بالتنحي، فليس يعمل فيها ما قبلها، كما يعمل إذا قلت: اجلس هكذا، أي: على هذه الحال، وإن كان لا بد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر، لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا، وها: تنبيه، فيقدر العامل إذاً مضمراً، كأنك قلت: ارجعوا هكذا، وتأخروا هكذا، واستغني بقولك: « هكذا » عن الفعل، كما استغني برويداً عن ارفق.

(٣) جميل هذا هو الذي كان يقال له: ذو القلبين، وفيه نزلت في أحد الأقوال ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ وفيه قيل:

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما ... قضى وطراً منها جميل بن معمر.

وهو البيت الذي تغنى به عبد الرحمن بن عوف في منزله، واستأذن عمر فسمعه، وهو يتغني، وينشد بالركبانية، وهو غناء يحدي به الركاب، فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن: إنا إذا خلونا، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم: وقلب المبرد هذا =

فغدا عليه. قال عبدالله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد صَبا. قال: يقول عمر من خلفه: كَذَب، ولكني قد أسلمتُ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم. قال: وطلح[1]، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك، إذا أقبل شيخ من قريش، عليه حُلة حبْرة[2]، وقميص مُوَشّى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر؛ فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يُسلمون لكم صاحبكم هكذا! خلّوا عن الرجل. قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كُشط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل: الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أي بُني، العاص بن وائل السهمي.

= الحديث، وجعل المنشد عمر، والمستأذن عبد الرحمن، ورواه الزبير. انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ١٠١ من تحقيقنا.

(١) طلح: تعب وأعيا

(٢) الحبرة: نوع من برود اليمن.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أنه قال: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا. قال: يا ابني ذلك، العاص بن وائل، لا جزاه الله خيراً.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدُ الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر، أو بعض أهله، قال: قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة، تذكرتُ أيَّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت؛ قال قلت: أبو جهل — وكان عمر لَحَنْتَمة بنت هشام بن المغيرة — قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إليَّ أبو جهل، فقال: مرحباً وأهلا بابن أختي، ما جاء بك؟ قلت؛ جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله ومحمد، وصدَّقت بما جاء به؛ قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك الله، وقبح ما جئتَ به.

خبر الصحيفة

ائتمار قريش بالرسول: قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشيَّ قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عُمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشُو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني المطَّلب، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا، ولا يبتاعوا منهم؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علَّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي.

قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث.

فدعا عليه رسول الله ﷺ، فَشُلَّ بعضُ أصابعه.

من انحاز إلى أبي طالب ومن خرج عنه: قال ابن إسحاق؛ فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ابن عبد المطلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من

بني هاشم أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش، فظاهرهم.

تهكم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن: قال ابن إسحاق: وحدثني حُسَيْن بنُ عبدالله: أن أبا لهب لقي هندَ بنت عُتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً فقال: يا بنت عتبة؛ هل نصرتِ اللات والعزى، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم: فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة.

قال ابن إسحاق: وحُدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول: يعدني محمد أشياءً لا أراها، يزعم أنها كائنة بعدَ الموت، فماذا وضع في يديَّ بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبّاً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾[1].

---

(١) ذكر فيه قول أبي لهب ليديه: تبّاً لكما، لا أرى فيكما، شيئاً مما يقول محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿ **تبت** ﴾، هذا الذي ذكره ابن إسحاق يشبه أن يكون سبباً لذكر الله سبحانه يديه، حيث يقول: ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ وأما قوله: ﴿ **وتب** ﴾، فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس، قال لما أنزل الله تعالى: ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى أتى الصفا، فصعد عليه، فهتف: يا صباحاه، فلما اجتمعوا إليه، قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيَّ؟! قالوا: ما جربنا عنك كذبا قال: فإني نذير لكم بين يدي، عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ و« قد تب ». في بعض القراءات غير السبعية.

وقال السهيلي: فسرت أنه خبر من الله تعالى، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء، كما قال تعالى: ﴿ **قاتلهم الله أنّى يُؤفكون** ﴾، أي: إنهم أهل أن يقال لهم هذا، فتبت يدا أبي لهب، ليس من باب: قاتلهم الله، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله، واليدان: آلة الكسب، وأهله وماله مما كسب فقوله: ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ تفسيره: قوله: ﴿ **ما أغنى عنه ماله وما كسب** ﴾ وولد الرجل من كسبه، =

قال ابن هشام: تبت: خسرت. والتباب: الخسران. قال حبيب بن خُدْرة الخارجي: أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة:

يا طيب إنا في معشرٍ ذهبت مَسْعاتُهم في التَّبارِ والتَّبَبِ

وهذا البيت في قصيدة له.

شعر أبي طالب في تظاهر قريش: قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش، وصنعوا فيه الذي صنعوا، قال أبو طالب:

ألا أبلغا عني عَلَى ذاتِ بيننا لُؤَيا وخُصًّا من لؤيٍّ بني كعبِ[1]
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبيا كموسى خُطَّ في أول الكتبِ
وأن عليه في العبادِ محبةً ولا خيرَ ممن خصه اللهُ بالحبِّ[2]
وأن الذي ألصقتمُ من كتابِكم لَكُم كائنٌ نحساً كراغيةِ السَّقْبِ[3]
أفيقوا أفيقوا قبلَ أن يُحْفَرَ الثرى ويصبحَ من لم يَجْنِ ذنباً كذي الذنْبِ
ولا تتبعوا أمرَ الوُشاةِ وتقطعوا أواصرَنا بعدَ المودةِ والقُربِ
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما أمرّ على من ذاقه جَلبُ الحربِ

= كما جاء في الحديث، أي: خسرت يداه هذا الذي كسبت، وقوله: ﴿ **وتب** ﴾ تفسيره: ﴿ **سيصلى ناراً ذات لهب** ﴾ أي: قد خسر نفسه بدخوله النار، وقول أبي لهب: تبا لكما، ما أرى فيكما شيئاً، يعني: يديه: سبب لنزول ﴿ **تبت يدا** ﴾ كما تقدم.

(١) قال قاسم بن ثابت: « ذات بيننا » وما كان نحوه. صفة لمحذوف مؤنث، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قال الله سبحانه: ﴿ **وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ فكذلك إذا قلت: « ذات يده ». يريد أمواله، أو مكتسباته، كما قال عليه السلام: « .. وأرعاه على زوج في ذات يده ». في حديثه عن نساء قريش.

(٢) قوله: « ممن ». من، متعلقة بمحذوف، كأنه قال: لا خير أخير ممن خصه الله، وخير وأخير: لفظان من جنس واحد، فحسن الحذف استثقالا لتكرار اللفظ.

(٣) كراغية السقب: يريد: ولد الناقة التي عقرها قدار فرغا ولدها، فصاح برغائه كل شيء له صوت، فهلكت ثمود عند ذلك والمراد بولد الناقة هنا ولد ناقة صالح عليه السلام.

فلسنا وربِّ البيتِ أسلمُ أحمداً لعزَّاءَ مِن عضِّ الزمان ولا كَرْب[1]
ولمَّا تَبِنْ منا ومنكم سوالفٌ وأيْدٍ أُترَّت بالقُساسيَّةِ الشُّهْب[2]
بمعتَرَكٍ ضَيْقٍ ترى كِسَرَ القَنَا به والنسورَ الطُّخْمَ يعكفن كالشَّرْب[3]
كأن مجالَ الخيلِ في حَجَراتِه ومَعْمَعة الأبطالِ معركة الحربِ[4]
أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزرَهُ وأوصى بنيه بالطِّعان وبالضربِ
ولسنا نَمَلُّ الحربَ حتى تَمَلَّنا ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النَّكْبِ
ولكننا أهلُ الحفائِظ والنُّهَى إذا طار أرواحُ الكُماةِ من الرعْبِ

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شيء، إلا سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش.

أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين: وقد كان أبو جهل ابن هشام ــ فيما يذكرون ــ لقي حكيم بن حزام بن خُوَيْلد بن أسد، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خُوَيلد، وهي عند رسول الله ﷺ، ومعه في الشِّعْب، فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرحْ أنت وطعامُك حتى أفضحك بمكة. فجاءه أبو البَخْتري بن هشام بن الحارث بن أسد، فقال: ما لك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم؛ فقال أبو البَخْتري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلِّ سبيلَ الرجل؛ فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البخْتري لَحْي

---

(١) العزاء: الشدة.

(٢) القساسية: سيوف تنسب إلى جبل يسمى قساس، السوالف: صفحات الأعناق، وأترت: قطعت.

(٣) الطخم: قيل، هي السود الرءوس، قاله صاحب العين، وقال أيضاً: الطخمة سواد في مقدم الأنف. والشراب، جماعة الشاربين.

(٤) الحجرات: النواحي.

بعير فضربه به فشجه، ووطئه وطأ شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فيشمتوا بهم، ورسولُ الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، منادياً بأمر الله لا يتقي فيه أحداً من الناس.

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من الأذى

ما نزل من القرآن في أبي لهب وامرأته حمالة الحطب:

فجعلت قريش حين منعه الله منها، وقام عمُّه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونَه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يَهْمِزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سَمى لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذَكر الله من الكفار، فكان ممن سُمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية[1]، حمالة الحطب وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت ــ فيما بلغني ــ تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث تمر، فأنزل الله تعالى فيهما:

(١) أم جميل بن حرب عمة معاوية، وذكر أنها كانت تحمل الشوك، وتطرحه في طرق رسول الله ﷺ فأنزل الله فيها: ﴿ **وامرأته حمالة الحطب** ﴾ فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب، والحطب لا يكون إلا في حبل، فمن ثـمَّ جعل الحبل في عنقها، ليقابل الجزاء الفعل.

﴿تبتْ يدا أبي لهب وتَبَّ. ما أغنى عنه مالُه وما كسب. سيصلى ناراً ذاتَ لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد﴾[1].

قالِ ابن هشام: الجِيد: العُنق، قال أَعْشَى بني قَيْس بن ثعلبة:

يومَ تُبدي لنا قتيلةُ عن جيـ ـدٍ أسيـلٍ تَزِينُه الأطـواقُ

وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: أجياد. والمسَد: شجر يُدَق كما يُدَق الكتان فتفتل منه حبال. قال النابغة الذُّبياني، واسمه زِياد ابن عَمرو بن معاوية:

مقذوفةٍ بدخيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صريفٌ صريفَ القَعْوِ بالمَسدِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له، وواحدته: مسدة.

أم جميل امرأة أبي لهب: قال ابن إسحاق: فذكر لي: أن أم جميل، حمالة الحطب، حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسولَ الله ﷺ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فِهْر[3] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرِها عن رسولِ الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبُك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو

---

(١) المسد: هو من مسدت الحبل إذا أحكمت فتله، إلا أنه قال: ﴿**من مسد**﴾ ولم يقل: حبل مسد ولا ممسود لمعنى لطيف، ذكره بعض أهل التفسير، قال: المسد يعبر به في العرف عن حبل الدلو، وقد روي أنه يصنع بها في النار ما يصنع بالدلو، ترفع بالمسد في عنقها إلى شفير جهنم، ثم يرمى بها إلى قعرها هكذا أبدا، وقولهم: إن المسد هو حبل الدلو في العرف صحيح فإنا لم نجده في كلام إلا كذلك.

(٢) الدخيس: اللحم الكثير. والنحض: اللحم. والبازل: الناب. والصريف: الصوت، والقعر: ما تدور فيه البكرة.

(٣) الفهر: المعروف في الفهر التأنيث، وتصغيره فهيرة؛ ووقع ههنا مذكرا.

وجدتُه لضربتُ بهذا الفِهْرِ فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّماً عَصَينا وأمرَه أَبَيْنَا
ودينَه قَلَيْنَا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني؛ لقد أخذ اللهُ ببصرِها عني.

قال ابن هشام: قولها « ودينَه قلَيْنا » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش إنما تُسمي رسول الله ﷺ مُذمما، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: « ألا تعجبون لِما صرف الله عني أذى قريش، يسبون مُذمما، وأنا محمدٌ »[1].

إيذاء أمية بن خلف للرسول: وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح، كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمزه ولَمزه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **ويلٌ لكلِّ هُمزةٍ لمزة. الذي جمع مالاً وعدَّده. يحسب أن مالَه أخلده. كلا ليُنبذنَّ في الحُطَمَة. وما أدراك ما الحطَمة. نارُ الله الموقدة. التي تطَّلعُ على الأفئدةِ، إنها عليهم مُؤْصَدة. في عَمَدٍ مُمددة** ﴾.

قال ابن هشام: الهُمزة: الذي يشتم الرجلَ علانية، ويُكسر عينيه

---

(١) أدخل النسوي هذا الحديث في كتاب الطلاق في باب: « من طلق بكلام لا يشبه الطلاق فأنه غير لازم » وهو فقه حسن لقول النبي ﷺ « ألا ترون إلى ما يدفع الله عني »؛ فجعل أذاهم مصروفا عنه؛ لما سبوا مُذمماً لا يشبه أن يكون اسما له، فكذلك إذا قال لها: كلي واشربي، وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفا عنه، لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق.

عليه، ويَغْمِز به، قال حسان بن ثابت:

همْزُتُك فاختُضِعْتَ لذلٍّ نفسٍ بقافيــةٍ تَأَجَّــجُ كالشُّــوَاظِ[1]

وهذا البيت في قصيدة له، وجمعه: همزات، واللُّمَزَة: الذي يعيب الناس سرّاً ويُؤْذيهم.

قال رؤبة بن العجاج:

في ظلِّ عَصْرَيْ باطلي ولمزي

وهذا البيت في أرجوزة له، وجمعه: لمزات.

إيذاء العاص الرسول ﷺ وما نزل فيه من قرآن: قال ابن إسحاق: والعاص بن وائل السَّهْمي، كان خَبَّاب بن الأَرَتّ، صاحبُ رسول الله ﷺ، قيناً بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص ابن وائل سيوفاً عملها له حتى كان له مال، فجاءه يتقاضاه فقال له يا خباب: أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب، أو فضة، أو ثياب أو خدم؟ قال خَباب: بلى. قال: فأنظرني إلى يوم القيامةِ يا خَباب، حتى أَرْجعَ إلى تلك الدار فأقضيَك هناك حقَّك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني، ولا أعظم حظّاً في ذلك؛ فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **أفرأيتَ الذي كفر بآياتِنا وقال لأُوتينَّ مالا وولدا. أطَّلع الغيبَ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **ونرثه ما يقولُ، ويأتينا فرداً** ﴾.

إيذاء أبي جهل الرسول: ولقي أبـو جهل بن هشام رسولَ الله ﷺ ــ فيما بلغني ــ فقال له: والله يا محمدُ، لتتركنَّ سبَّ آلهتنا،

---

(١) التأجج: التوقد.

أو لنسبنَّ إلهك الذي تعبد. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **ولا تَسُبُّوا الذين يدعون من دونِ الله فيسبوا الله عَدْواً بغيرِ علمٍ** ﴾ فذكر لي أن رسول الله ﷺ كف عن سب آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله.

إيذاء النضر الرسول: والنضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي، كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأممَ الخالية، خَلَفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رُستم السنديد، وعن أسفنديار[1]، وملوك فارس، ثم يقول والله ما محمد بأحسن حديثا مني، وما أحاديثُه إلا أساطير الأولين، اكتتبها كما اكتتبتها. فأنزل الله فيه: ﴿ **وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهي تُملَى عليه بُكرةً وأصيلاً، قل أنزله الذي يعلم السرَّ في السموات والأرض، إنه كان غفوراً رحيماً** ﴾. ونزل فيه: ﴿ **إذا تُتلى عليه آياتُنا قال أساطير الأولين** ﴾. ونزل فيه: ﴿ **ويلٌ لكلِّ أفاكٍ أثيم. يسمع آياتِ الله تُتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً، فبشره بعذاب أليم** ﴾.

قال ابن هشام: الأفاك: الكذاب. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **ألا إنهم من إفكِهم ليقولون. وَلَدَ اللهُ وإنهم لكاذبون** ﴾.

---

(١) حديث النضر: أنه تعلم أخبار رستم واسفنديار، وكان يقول: أكتتبتها كما اكتتبها محمد، كذا وقع في الأصول التي معنا، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد: أكتتبتها كما اكتتبها، ورستم السنديد بالفارسية معناه: ذو الضياء، والياء في السنديد والألف سواء، ومنه « أمِخشاذ » ومنه « جم شاذ »، وهو من أول ملوك الأرض، وهو الذي قتله الضحاك « بيوراسب » ثم عاش إلى مدة « أفريدون وأبيه جم » وبين « أفريدون » وبين « جم » تسعة آباء، وقال له حين قتله: ما قتلتك بجم، وما أنت له بكفء، ولكن قتلتك بثور كان في داره.

وقال رؤبة:

ما لامرئ أَفَّك قولاً إفْكا

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ يوماً ــ فيما بلغني ــ مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضْر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس، وفي المجلس غيرُ واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرضَ له النضرُ بنُ الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم: ﴿ **إنكم وما تعبدون من دونِ اللهِ حصبُ جهنم أنتم لها واردون، لو كان هؤلاءِ آلهة ما وردوها، وكلٌّ فيها خالدون، لهم فيها زفيرٌ، وهم فيها لا يسمعون** ﴾.

قال ابن هشام: حصب جهنم: كل ما أُوقدت به. قال أبو ذُؤيب الهذلي، واسمه خُوَيْلد بن خالد:

فأطفئ ولا توقد ولا تكُ مُحصباً   لنارِ العداةِ أن تطيرَ شداتُها

وهذا البيت في أبيات له. ويروى « ولاتك محضئاً ». قال الشاعر:

حضأت له ناري فأبصر ضوءَها   وما كان لولا حضأةُ النارِ يهتدي

ابن الزبعرى وما قيل فيه: قال ابن اسحاق: ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبدالله بن الزبعرى السَّهمي حتى جلس، فقال الوليد ابن المغيرة لعبدالله بن الزبعرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم[1]؛ فقال عبدالله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته

---

(١) حصب جهنم: هو من باب القبض والنفض والحصب بسكون الصاد كالقبض والنفض، ومنه الحاصب في قوله سبحانه: ﴿ **أن يرسل عليكم حاصباً** ﴾ ويروى: حضب جهنم بضاد معجمة في شواذ القراءات، وهو من حضيت النار بمنزلة حضأتها.

لخصَمته، فسلوا محمدا: أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم[1] عليهما السلام؛ فعجب الوليد، ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم: فذُكر لرسول الله ﷺ من قولِ ابنِ الزبعرى: فقال رسول الله ﷺ « كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته ». فأنزل الله تعالى عليه في ذلك: ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى، أولئك عنها مُبْعَدون، لا يسمعون حسيسَها، وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾ أي عيسى ابن مريم، وعزيراً، ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله.

ونزل فيما يذكرون، أنهم يعبدون الملائكة، وأنها بنات الله: ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمنُ ولداً سبحانَه، بل عبادٌ مُكْرَمون، لا يسبقونه بالقولِ، وهم بأمرِه يعملون** ﴾.. إلى قوله: ﴿ **ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونِه، فذلك نجزيه جهنمَ، كذلك نجزي الظالمين** ﴾.

---

(١) وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف، وأما عبادة اليهود عزيرا، وقولهم فيه: إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم، وسببه فيما ذكر عبد بن حميد الكشي، أن التوراة لما احترقت أيام بخت نصر، وذهب بذهابها دين اليهود، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب، فبينما عزير يبكي لفقد التوراة، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها، فقال لها عزير: من أنت؟ قالت: أنا إيليا أم القرى أبكي على ولدي، وأنت تبكي على كتابك، وقالت له: إذا كان غداً، فَأْتِ هذا المكان، فلما أن جاء من الغد للساعة التي وعدته، إذا هو بإنسان خارج من الأرض في يده كهيئة القارورة، فيها نور، فقال له: افتح فاك، فألقاها في جوفه، فكتب عزير التوراة ــ كما أنزلها الله، ثم قدر على التوراة بعدما كانت دفنت أن ظهرت، فعرضت التوراة، وما كان عزير كتب، فوجدوه سواء، فمنها قالوا: إنه ولد الله تعالى عن ذلك.

ونزل فيما ذكروا من أمر عيسى ابن مريم أنه يُعبد من دون الله، وعَجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته: ﴿ **ولما ضُرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يَصِدُّون** ﴾: أي يصدون عن أمرك بذلك من قولهم.

ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال: ﴿ **إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه، وجعلناه مثلا لبني إسرائيل. ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكةً في الأرض يَخْلُفون، وإنه لعلمٌ للساعةِ فلا تمترُنَّ بها واتبعونِ هذا صراطٌ مستقيم** ﴾: أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلا على علم الساعة، يقول: ﴿ **فلا تمتَرُنَّ بها واتبعون، هذا صراط مستقيم** ﴾.

الأخنس وما أُنزل فيه: والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زُهرة، وكان من أشراف القوم وممن يُستمع منه، فكان يصيبُ من رسول الله ﷺ، ويرد عليه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ **ولا تطعْ كلَّ حلاف مهين. همَّازٍ مشاءٍ بنميم** ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ **زنيم** ﴾ ولم يقل: « زنيم » لعيب في نسبه، لأن الله لا يعيب أحداً بنسب، ولكنه حقق بذلك نعتَه ليُعرف. والزنيم: العديد[1] للقوم. وقد قال الخَطِيم التميميُّ في الجاهلية:

زنيـمٌ تداعـاه الرجـالُ زيـادةً ... كما زِيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ

(١) زنيم: قيل نزلت في الوليد بن المغيرة، وقد قيل: في الأسود بن عبد يغوث الزهري، وقال ابن عباس: نزلت في رجل من قريش له زنمتان كزنمتي الشاة. رواه البخاري بإسناده عنه وفي رواية أخرى أنه قال: الزنيم الذي له زنمتان من الشر يعرف بهما، كما تعرف الشاة بزنمتها، وروي عن ابن عباس أيضاً مثل ما قال ابن إسحاق أن الزنيم الملصق بالقوم، وليس منهم، قال ذلك ابن الأزرق الحروري، وقال: أما سمعت قول حسان * زنيم تداعاه الرجال * البيت، وقد أنشد ابن هشام هذا البيت مستشهداً به ونسبه للخطيم التميمي، والأعرف أنه لحسان.

الوليد وما أنزل فيه: والوليد بن المغيرة، قال: أَيُنْزل على محمد وأُترَك وأنا كبير قريش وسيدُها! ويُترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين! فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني: ﴿ **وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيمٍ** ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ **مما يجمعون** ﴾.

أُبي بن خلف وعُقبة بن أبي مُعيط، وما أُنزل فيهما: وأُبي ابن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، وعقبة بن أبي مُعيط، وكانا متصافيين، حَسَناً ما بينهما. فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، فبلغ ذلك أُبيا، فأتى عقبة فقال: ألم يبلغني أنك جالستَ محمداً وسمعت منه! قال: وجهي من وجهك حرام أن أكلِّمَك — واستغلظ من اليمين — إن أنت جلستَ إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتَتْفل في وجهه. ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي مُعيط لعنه الله فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ **ويوم يَعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسولِ سبيلا** ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ **للإنسانِ خَذولا** ﴾.

ومشى أُبَيُّ بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بالٍ قد ارْفَتَّ فقال: يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أَرَمَّ[1]، ثم فتَّه بيده، ثم نفخه في الريح نحوَ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك اللهُ النارَ. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسي خلقَه قال: من يُحيي العظامَ وهي رميم؟ قال يحييها الذي أنشأها**

(١) أرم: بلي.

أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجرِ الأخضرِ ناراً، فإذا أنتم منه تُوقدون﴾.

سورة (الكافرون) وسبب نزولها: واعترض رسولَ الله ﷺ، وهو يطوف بالكعبة ــ فيما بلغني ــ الأسودُ بنُ المطلب بن أسَد ابن عبد العُزى، والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي، وكانوا ذَوي أسنان في قومِهم، فقالوا: يا محمد، هلمَّ فلنعبد ما تعبدُ، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظِّنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنت قد أخذت بحظِّك منه. فأنزل الله تعالى فيهما: **﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبدُ ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين﴾** أي إن كنتم لا تعبدون الله، إلا أن أعبد ما تعبدون، فلا حاجة لي بذلك منكم لكم دينكم جميعاً، ولي ديني[1].

أبو جهل وما نزل فيه: وأبو جهل بن هشام، لما ذكر الله عز وجل شجرةَ الزقوم تخويفاً بها لهم قال: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا؛ قال:

---

(١) **﴿قل: يأيها الكافرون﴾** إلى آخرها فقال: **﴿لا أعبد ما تعبدون﴾** أي: في الحال: **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾** أي: في المستقبل، وكذلك: **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** فإن قيل: كيف يقول لهم: **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾**، وهم قد قالوا: هلم فلنعبد ربك، وتعبد ربنا، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه علم أنهم لا يفعلون، فأخبر بما علم. الثاني: أنهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة، ولا يسمى عابداً لله من عبده سنة، وعبد غيره أخرى، انظر الموضوع مفسراً في الروض الأنف من تحقيقنا جـ ٢ ص ١١٧.

عَجْوة يثرب بالزُّبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها[1] تزقما. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿**إن شجرة الزقومِ. طعامُ الأثيم. كالمهلِ يَغلي في البطون. كغلي الحميم**﴾: أي ليس كما يقول.

تفسير لفظ المهل: قال ابن هشام المهل: كل شيء أذبته، من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك، فيما أخبرني أبو عُبيدة.

وبلغنا عن الحسن البصري أنه قال: كان عبدالله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة، وأنه أمر يوماً بفضة فأذيبت، فجعلت تَلَوَّنُ ألواناً، فقال: هل بالباب من أحد؟ قالوا: نعم؛ قال: فأدخلوهم، فأُدخلوا فقال: إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالمهل لهذا. وقال الشاعر:

يسقيه ربي حميمَ المهلِ يجرعُه يشْوِي الوجوهَ فهو في بطنِه صَهِرُ

ويقال: إن المهل: صديد الجسد.

وقال عبدالله بن الزبير الأسدي:

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يمتْ ففي النارِ يُسقَى مهلها وصديدها

وهذا البيت في قصيدة له.

---

(١) الزقوم: يقال: إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش، وأن رجلا أخبره أن أهل يثرب: يقولون تزقمت: إذا أكلت التمر بالزبد، فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء، وقيل: إن لهذا الاسم أصلا في لغة اليمن، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه. وذكر أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات: أن شجرة باليمن يقال لها: الزقوم، لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برءوس الحيات، فهي كريهة المنظر، وفي تفسير ابن سلام والماوردي أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعاذنا الله منها، وأن أهل النار ينحدرون إليها. قال ابن سلام: وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر.

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حُضر أمر بثوبين لبيسين يُغْسَلان فيُكَفن فيهما، فقالت عائشة: قد أغناك الله يا أبت عنهما، فاشترِي كفناً، فقال: إنما هي ساعة حتى يصير إلى المهل، قال الشاعر:

شابَ بالماءِ منه مُهلاً كَريها ثم علَّ المتونَ بعدَ النِّهالِ[1]

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **والشجرة الملعونة في القرآن، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً** ﴾.

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس: ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ يكلمه، وقد طمع في إسلامه، فبينا هو في ذلك، إذ مر به ابنُ أمِّ مكتوم[2] الأعمى، فكلم رسول الله ﷺ، وجعل يستقرئه القرآنَ، فشق ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه. فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه. فأنزل الله تعالى عليه فيه: ﴿ **عبس وتولَّى. أن جاءه الأعمى** ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ **في صحف مُكرَّمة. مرفوعةٍ مطهرة** ﴾ أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً، لم أخص بك أحداً، فلا تمنعْه ممن ابتغاه، ولا تتصدين به لمن لا يريده[3].

---

(١) شاب: خلط. والعلل: الشرب بعد الشرب، والمتون: الظهور، والنهال: جمع نهل، وهو الشرب الأول.

(٢) أم مكتوم: اسمها: عاتكة بنت عبد الله بن عامر بن مخزوم.

(٣) الرجل الذي كان شغل رسول الله ﷺ، وأنه الوليد بن المغيرة، وقد قيل: كان أمية بن خلف، وفي حديث الموطأ: عظيم من عظماء المشركين، ولم يسمِّه، وفي قوله سبحانه: ﴿ **أن جاءه الأعمى** ﴾ من الفقه أن لا عيب في ذكر الإنسان بما ظهرت في خلقته من عمى أو عرج، إلا أن يقصد به الازدراء، فيلحق المأثم به، لأنه من أفعال الجاهلين، قال الله تعالى: ﴿ **أتتخذنا هُزوا قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ وفي ذكره إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب، لأنه قال: ﴿ **أن جاءه الأعمى** ﴾ فذكر المجيء مع العمى، وذلك ينبئ عن =

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحابَ رسول الله ﷺ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلامُ أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دَنَوْا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً.

من عبد شمس: فكان ممن قدم عليه مكةَ منهم، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، فشهد معه بدراً ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره، ومن مات بمكة منهم من بني عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته: رقيَّة بنت رسول الله ﷺ. وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة ابن عبد شمس، وامرأته سَهلة بنت سُهَيْل.

ومن حلفائهم: عبدالله بن جحش بن رئاب.

من نوفل: ومن بني نوفل بن عبد مناف: عُتبة بن غَزْوان، حليف لهم، من قيس عيلان.

من أسد: ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصي: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

من عبد الدار: ومن بني عبد الدار بن قُصي: مُصْعَب بن عُمَير ابن هاشم بن عبد مناف، وسُوَيْبط بن سعد بن حريملة.

= تجشم القصد إليك على ضعفه، فحقك الإقبال عليه، لا الإعراض عنه، فإذا كان النبي ﷺ، معتوبا على توليه عن الأعمى، فغيره أحق بالعتب، مع أنه لم يكن آمناً بعد، ألا تراه يقول: ﴿**وما يدريك لعله يزكّى**﴾ الآية، ولو كان قد صح إيمانه، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله ﷺ ولو أعرض لكان العتب أشد، والله أعلم.

من عبد: ومن بني عبد بن قصي: طُلَيب بن وهب بن عبد.

من زهرة: ومن بني زهرة بن كلاب: عبدُ الرحمن بن عَوْف ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة. والمقداد بن عَمرو، حليف لهم، وعبدالله بن مسعود، حليف لهم.

من مخزوم: ومن بني مخزوم بن يَقَظة: أبو سَلمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبدالله بن عَمرو بن مخزوم، معه امرأته: أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وشمَّاس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمِي بن عامر بن مخزوم. وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبسه عمه بمكة، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق، وعَيَّاش بن أبي ربيعة ابن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة، ولحق به أخواه لأمه: أبو جهل ابن هشام، والحارث بن هشام، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضي بدر وأحد والخندق.

ومن حلفائهم: عمار بن ياسر، يُشَكُّ فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟ ومُعَتِّب بن عوف بن عامر من خزاعة.

من جمح: ومن بني جُمَح بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب: عثمان ابن مَظْعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح. وابنه السائب ابن عثمان، وقدامة بن مظعون، وعبدالله بن مظعون.

من سهم: ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب: خُنَيس ابن حذافة بن قيس بن عدي، وهشام بن العاص بن وائل، حبس بمكة بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق.

من عدي: ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف لهم، معه امرأته: ليلى بنت أبي حَثْمة بن حذافة بن غانم.

من عامر: ومن بني عامر بن لؤي: عبدالله بن مَخْرَمَة بن عبد العُزى بن أبي قيس. وعبدالله بن سُهَيْل بـن عمرو، وكان حُبس عن رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بدر، فانحاز من المشركين إلى رسول الله ﷺ فشهد معه بدراً، وأبو سَبْرة بـن أبي رُهْم بن عبد العُزى، معه امرأته: أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته: سَوْدة بنت زَمْعة ابن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته سَوْدة بنت زَمْعة.

ومن حلفائهم: سعد بن خولة.

من الحارث: ومن بني الحارث بن فِهر: أبو عُبَيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح، وعمرو بـن الحارث بن زُهير بن أبي شداد، وسُهَيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال.

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا.

من دخل مكة بجوار من مهاجري الحبشة: فكان من دخل منهم بجوار، فيمن سُمي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجُمحي، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب وكان خاله. وأم أبي سلمة: بُرَّة بنت عبد المطلب.

عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد: قال ابن إسحاق: فأما عثمانُ بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عمن حدثه عن عثمان، قال: لما رأى عثمانُ بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غُدُوِّي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقصٌ كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له يا أبا عبد شمس، وفَتْ ذمتُك، قد رددتُ إليك جوارَك، فقال له: يا بن أخي لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره؟ قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد عليَّ جواري علانيةً كما أجرتُك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردَّ عليّ جواري، قال: صدق، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جوارَه، ثم انصرف عثمان، ولبيد ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد:

* ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ *[1]

---

(١) هنا سؤال واحد، وهو قول رسول الله ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد: يقصد هذا البيت.

فصدقه في هذا البيت وهو — عليه السلام — يقول في مناجاته: «أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، والجنة حق، والنار حق، ولقاؤك حق». فكيف يجتمع هذا مع قوله:

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فالجواب ذو وجهين. أحدهما: أن يريد بقوله: ما خلا الله: ما عداه، وعدا رحمته التي وعد بها من رحمه، والنار وما توعد به من عقابه، وما سوى هذا فباطل أي: مضمحل. =

قال عثمان: صدقت. قال لبيد:

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ *

قال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يُؤذَى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شَرِيَ[1] أمرُهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينَه فخضَّرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يابن أخي كانتْ عينُك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمةٍ منيعة. قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، فقال

= والجواب الثاني: أن الجنة والنار وإن كانتا حقا، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما، وأنه يخلق الدوام لأهلهما على قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات، وهو قول الأشعري، وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال، وهو القديم الذي انعدامه محال؛ ولذلك قال عليه السلام: « أنت الحق »بالألف واللام، أي المستحق لهذا الاسم على الحقيقة، « وقولك الحق »؛ لأن قوله قديم، وليس بمخلوق فيبيد، « ووعدك الحق »، كذلك لأن وعده كلامه، هذا مقتضى الألف واللام، ثم قال: « والجنة حق، والنار حق » بغير ألف ولام، « ولقاؤك حق » كذلك، لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذي لا يجوز عليه الخلف، لا من جهة استحالة البقاء عليها، كما يستحيل على القديم ــ سبحانه ــ الذي هو الحق، وما خلاه باطل، فإما جوهر وإما عرض، وليس في الأعراض إلا ما يجب له الفناء، ولا في الجوهر إلا ما يجوز عليه الفناء والبطول، وإن بقي ولم يبطل فجائز أن يبطل، وأما الحق ــ سبحانه ــ فليس من الجواهر والأعراض: فاستحال عليه ما يجب لهما، أو يجوز عليهما ــ والله أعلم.

(١) شري: كثر وزاد.

له الوليد: هلم يابن أخي، إن شئت فعد إلى جوارك، فقال: لا.

أبو سلمة في جوار أبي طالب: قال ابن إسحاق: وأما أبو سَلَمة بن عبد الأسد، فحدثني أبي: إسحاقُ بن يَسار عن سَلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه: أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقالوا: يا أبا طالب، لقد منعتَ منا ابنَ أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابنَ أختي لم أمنع ابنَ أخي، فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جوارِه من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كلٍّ ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قال: فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبةَ، وكان لهم وليًّا وناصرا على رسول الله ﷺ، فأبقوا على ذلك، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ، فقال أبو طالب يحرِّض أبا لهب على نُصرتِه ونصرة رسول الله ﷺ:

وإن امرأً أبو عُتَيْبة عَمُّه ... لفي روضةٍ ما إن يُسامُ المَظالِمَا
أقول له، وأين منه نصيحتي ... أبا مُعْتب ثبتْ سوادَك قائمَا[1]
ولا تقبلنَّ الدهرَ ما عشتَ خُطةً ... تُسَب بها إما هَبطت المواسما
وولِّ سبيلَ العجزِ غيرَك منهمُ ... فإنك لم تُخلَقْ على العجزِ لازما
وحاربْ فإن الحربَ نُصْفٌ وما ترى ... أخا الحرب يُعطي الخسْفَ حتى يُسالما
وكيف ولم يَجْنُوا عليكَ عظيمةً ... ولم يخذلوك غانماً أو مُغارِما
جزى اللهُ عنا عبدَ شمسٍ ونَوْفلاً ... وتَيْماً ومخزوماً عُقوقا ومأثما
بتفريقِهم من بعدِ وُدٍّ وأُلْفةٍ ... جماعتنا كيما ينالوا المحارِما

---

(١) سوادك: شخصك.

كذبتم وبيتِ الله نُبزَى محمداً   ولما تَرَوْا يوماً لدى الشِّعْب قائما

قال ابن هشام: نبزى: نسلب. **قال ابن هشام**: وبقي منها بيت تركناه.

دخول أبي بكر في جوار ابن الدغنة ثم رده عليه: قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما حدثني محمد بن مُسلم الزهري عن عُروة عن عائشة رضي الله عنهما، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين، لقيه ابن الدُّغُنَّة، أخو بني عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش[1].

قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خُزيمة بن مُدركة، وبنو المصطلق من خزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسُموا الأحابيش للحلف.

ويقال: ابن الدُّغَيْنة.

قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقال ابن الدُّغُنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني، وضيقوا عليَّ، قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لتَزين العشيرة، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتُكسِب المعدوم[2]، ارجع فأنت في

(١) ابن الدغنة، واسمه: مالك، وهو سيد الأحابيش، وقد سماهم ابن إسحاق، وهم: بنو الحارث وبنو الهون من كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا، أي تجمعوا، فسموا الأحابيش. قيل: إنهم تحالفوا عند جُبيل، يقال له حبشي، فاشتق لهم منه الاسم.

(٢) إنك تكسب المعدوم، يقال: كسبت الرجل مالا، فتتعدى به إلى مفعولين. هذا قول =

جواري. فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدُّغنة[1] فقال: يا معشر قريش؛ إني قد أجرت ابن أبي قحافة، فلا يعرضنَّ له أحد إلا بخير. قالت: فكفوا عنه.

قالت: وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح، فكان يصلي فيه، وكان رجلا رقيقا؛ إذا قرأ القرآن استبكى. قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء، يعجبون لما يَرَوْن من هيئته. قالت: فمشى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغنَّة، فقالوا: يابن الدغنة، إنك تُجِيرُ هذا الرجل ليؤذيَنا! إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي؛ وكانت له هيئة ونحو؛ فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم؛ فأته فمرْه أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدغنة إليه؛ فقال له: يا أبا بكر؛ إني لم أجرْك لتؤذي قومَك؛ إنهم قد كرهوا مكانَك الذي أنت فيه وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك، فاصنع فيه ما أحببت قال : أَوَأرد عليك جوارَك وأرضى بجوار الله؟ قال فارددْ عليَّ جواري؛ قال: قد رددته عليك قالت. فقام ابن الدُّغنَّة، فقال، يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد ردَّ عليَّ جواري فشأنكم بصاحبكم.

قال ابن إسحاق:وحدثني عبدُ الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم ابن محمد، قال: لقيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة، فحثا على رأسه تراباً. قال: فمرَّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل. قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه؟ قال: أنت فعلتَ ذلك بنفسك. قال: وهو يقول: أي رب، ما أحلمك! أي رب، ما أحلمك! أي رب، ما أحلمك!.

= الأصمعي، وحكى غيره: أكسبته مالا، فمعنى تكسب المعدوم، أي: تكسب غيرك ما هو معدوم عنده.

(١) الدغنة: اسم امرأة عرف بها الرجال.

حديث نقض الصحيفة

هشام بن عمرو يسعى في نقض الصحيفة: قال ابن إسحاق: وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفرٌ من قريش، ولم يُبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبيب بن نصر بن جُذَيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نَضْلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، فكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، فكان — فيما بلغني — يأتي بالبعير[1]، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشِّعْب ليلاً، قد أوقره طعاماً حتى إذا أقبل به فم الشِّعْب خلع خطامه من رأسه، ثم ضرب على جنبه، فيدخل الشِّعْب عليهم ثم يأتي به قد أوقره بزاً أو براً، فيفعل به مثل ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبي أمية بن المغيرة ابن عبدالله بن عُمر بن مخزوم. وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زُهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثيابَ، وتَنكح النساء، وأخوالُك حيث قد علمتَ، لا يُباعون ولا يُبتاع منهم، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم؟ أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشام، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبدا، قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضِها حتى أنقضَها،

---

(١) ذكر أنه كان يأتي بالبعير قد أوقره « بزا » بالزاي المعجمة، وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر: « برا »، وفي رواية يونس: « بزا أو براً » على الشك من الراوي.

قال: قد وجدت رجلا قال: فمن هو؟ قال: أنا ، قال له زُهير: أبغنا رجلا ثالثا.

فذهب إلى المطْعِم بن عدي، فقال له: يا مُطعم أقد رضيتَ أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنَّهم إليها منكم سراعا، قال ويحك! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانيا، قال: من هو؟ قال: أنا، فقال: أبغنا ثالثا، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زُهَير بن أبي أمية، قال أبغنا رابعا.

فذهب إلى البَخْتري بن هشام، فقال له نحواً مما قال للمُطعم ابن عدي، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زُهير بن أبي أمية، والمُطْعِم بن عدي، وأنا معك، قال أبغنا خامسا.

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقَّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمَّى له القوم.

فاتَّعدوا خطم الحجون[1] ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك. فأجمعوا أمرَهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زُهير: أنا أبدؤكم، فأكون أولَ من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زُهير بن أبي أمية عليه حُلة، فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهلَ مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثيابَ، وبنو هاشم هلْكَى لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعدُ حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

---

(١) الخطم: المقدمة. والحجون: موضع بأعلى مكة.

قال أبو جهل: وكان في ناحية المسجد: كذبتَ والله لا تُشق، قال زَمْعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حيثُ كُتبت، قال أبو البختري: صدق زَمعة، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نقرّ به، قال المطعِم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأُ إلى الله منها، ومما كُتب فيها، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قُضِيَ بليلٍ، تَشُووِر فيه بغير هذا المكان. وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطْعِم إلى الصحيفة ليشقَّها، فوجد الأَرَضَة قد أكلتها، إلا « باسمك اللهم ».

شلت يد من كتب الصحيفة: وكان كاتب الصحيفة منصور[1] ابن عكرمة. فشُلت يده فيما يزعمون.

إخباره عليه الصلاة والسلام بأكل الأرضة الصحيفة: قال ابن هشام: وذكر بعضُ أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: يا عم؛ إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدعْ فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان؛ فقال: أربُّك أخبرك بهذا؟ قال: نعم، قال: فوالله ما يدخل عليك أحدٌ، ثم خرج إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلمّ صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي، فقال القوم: رضينا. فتعاقدوا على ذلك. ثم نظروا. فإذا هي كما

---

(١) قد ذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة، فشُلَّت يده، وللنساب من قريش في كاتب الصحيفة هو: بغيض بن عامر بن هشام بن عبد الدار، والقول الثاني: أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هشام من بني عبد الدار أيضا، وهو خلاف قول ابن إسحاق، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين، والزبيريون أعلم بأنساب قومهم.

قال رسولُ الله ﷺ. فزادهم ذلك شرّاً. فعند ذلك صنع الرهْط من قريش في نقض الصحيفةِ ما صنعوا[1].

قال ابن إسحاق: فلما مُزقت الصحيفة وبطل ما فيها. قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى بَحْرِيَّنا صُنْعُ ربنا … على نأيهم واللهُ بالناسِ أرْوَدُ[2]

فيخبرهم أن الصحيفةَ مُزقت … وأنْ كلُّ ما لم يَرْضه الله مُفسِد

تراوحها إفكٌ وسحرٌ مجمَّعٌ … ولم يُلفَ سِحر آخر الدهر يَصْعَد

تداعى لها من ليس فيها بقرقر … فطائرها في رأسها يتردد[3]

---

(١) وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله ﷺ في الشعب من ضيق الحصار لا يُبايعون ولا يُناكحون، وفي الصحيح: أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص. روي أنه قال: لقد جُعت، حتى أني وطئت ذات ليلة على شيء رطب، فوضعته في فمي وبلعته، وما أدري ما هو إلى الآن. وفي رواية يونس: أن سعداً قال: خرجت ذات ليلة لأبول، فسمعت قعقعة تحت البول، فإذا قطعة من جلد بعير يابسة، فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ثم رضضتها، وسففتها بالماء، فقويت بها ثلاثا، وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعياله، فيقوم أبو لهب عدو الله، فيقول: يا معشر التجار: غالوا على أصحاب محمد، حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة، قيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله، وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جهد المؤمنون، ومن معهم جوعاً وعرياً.

(٢) بحرينا: يعني الذين بأرض الحبشة، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه. أرود: أي: أرفق، ومنه: رويدك، أي رفقاً جاء بلفظ التصغير؛ لأنهم يريدون به تقليلا أي: ارفق قليلا، وليس له مكبر من لفظه.

(٣) من ليس فيها بقرقر: أي: ليس بذليل، لأن القرقر: الأرض الموطوءة التي لا تمنع سالكها، ويجوز أن يريد به: ليس بذي هزل، لأن القرقرة الضحك.. وطائرها في رأسها يتردد. أي: حظها من الشؤم والشر، وفي التنزيل: ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾.

وكانت كفاء رقعة بأثيمة ... ليقطع منها ساعد ومقلد[1]
ويَظْعنُ أهلُ المكَّتين فيهربوا ... فرائصُهم من خشيةِ الشرِّ تَرْعَد
ويُتْرَك حَرَّاثٌ يقلب أمرَه ... أَيُتْهِم منهم عند ذاك ويُنجِدُ[2]
وتصعد بين الأَخْشَبَيْن كتيبةٌ ... لها حُدُجٌ سهم وقوس ومِرْهد[3]
فمن يَنْشَ من حضَّار مكة عزه ... فعِزتنا في بطنِ مكة أُتلدُ
نشأنا بها والناسُ فيها قلائل ... فلم ننْفكك نزداد خيراً ونُحمد
ونُطعم حتى يترك الناسُ فضلَهم ... إذا جعلت أيدي المُفيضين تُرعَد[4]
جزى الله رهطاً بالحَجون تتابعوا ... على ملإٍ يهدي لحزم ويُرشِد
قُعوداً لدى خَطْمِ الحَجون كأنهم ... مقاولةٌ بل هم أعزُّ وأمجدُ[5]
أعان عليها كلُّ صقرٍ كأنه ... إذا ما مشى في رَفْرفِ الدرعِ أحردُ[6]
جرى على جُلَّى الخطوبِ كأنه ... شِهاب بكَفَّيْ قابسٍ يتوقدُ[7]
من الأكرمين من لُؤيٍّ بنِ غالب ... إذا سِيم خسفاً وجهُه يتربَّدُ
طويلُ النِّجاد خارجٌ نصفُ ساقِه ... على وجهِه يُسْقَى الغَمامُ ويُسْعَد
عظيمُ الرمادِ سيدٌ وابنُ سيدٍ ... يَحُضُّ على مَقْرَى الضيوفِ ويحْشِدُ
ويبني لأبناءِ العشيرةِ صالحاً ... إذا نحن طُفنا في البلادِ ويَمْهَدُ

---

(١) المقلد: العنق.

(٢) الحراث: المكتسب.

(٣) الحدج: الحمل. والمرهد: الناعم أي السيف الناعم بالري من الدماء.

(٤) المفيضون: الضاربون بقداح الميسر.

(٥) المقاولة: الملوك.

(٦) رفرف الدرع: ما فضل منه. وقيل في معنى: رفرف خضر: فضول الفرش والبسط، وهو قول ابن عباس، وعن علي أنها: المرافق، وعن سعيد بن جبير: الرفارف: رياض الجنة.. والأحرد الذي في مشيه تثاقل، وهو من الحرد وهو: عيب في الرجل. وقيل بطيء المشي لثقل ما عليه من لباس الحرب.

(٧) الجلي: الأمر العظيم.

أَلَظَّ بهذا الصِلح كل مُبَرإٍ عظيم اللواء أمرُه ثَمَّ يُحمدُ[1]
قَضَوْا ما قَضَوْا في ليلِهم ثم أصبحوا على مَهَلٍ وسائر الناس رُقَّدُ
همُ رَجعوا سهلَ بنَ بيضاء راضياً وسُر أبو بكرٍ بها ومحمدُ
متى شُرِّك الأقوامُ في جُلِّ أمرِنا وكنا قديماً قبلَها نتودَدُ
وكنا قديما لا نُقِرُّ ظلامةً وندرك ما شئنا ولا نتشددُ
فيا لَقُصيٍّ هل لكم في نفوسِكم وهل لكم فيما يجيءُ به غَدُ
فإني وإياكم كما قال قائل لديك البيانُ لو تكلمت أسودُ[2]

ما رثى به حسان المطعم بن عدي وذكره نقضه الصحيفة:

وقال حسان بن ثابت: يبكي المطْعِم بن عدي حين مات، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة:

أيا عينُ فابكي سيدَ القومِ واسفحي بدمعٍ وإن أنزَفْتِه فاسكبي الدمَا
وبكِّي عظيمَ المُشعرين كليْهما على الناسِ معروفاً له ما تكلما
فلو كان مجدٌ يُخلد الدهرَ واحداً من الناسِ، أبقى مجدُه اليومَ مُطْعِمَا[3]
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا عبيدَكَ ما لبَّى مُهِلٌّ وأحْرَمَا
فلو سُئلتْ عنه مَعَدٌّ بأسرِها وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرْهُمَا
لقالوا هو الموفِي بخُفْرَةِ جاره وذمتُه يوماً إذا ما تذمَّما[4]
فما تطلعُ الشمسُ المنيرةُ فوقَهم على مثلِه فيهم أعَزَّ وأعظمَا
وآبَى إذا يأبى وألْيَنَ شيمةً وأنومَ عن جار إذا الليلُ أظلما

---

(١) ألظ: ألح.

(٢) أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل، فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلا.

(٣) هذا عن النحويين من أقبح الضرورة، لأنه قدم الفاعل، وهو مضاف إلى ضمير المفعول؛ فصار في الضرورة.

(٤) الخفرة: العهد.

قال ابن هشام: قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وأما قوله: « أجرْت رسول الله منهم »، فإن رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف، ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من تصديقه ونصرته، صار إلى حراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير. فبعث إلى سُهيل ابن عمرو، فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب. فبعث إلى المطْعِم بن عدي فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح المطعم وأهلُ بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن أدخل، فدخل رسول الله ﷺ، فطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله. فذلك الذي يعني حسان بن ثابت.

حسان يمدح هشام بن عمرو لقيامه في نقض الصحيفة:

قال ابن إسحاق: وقال حسانُ بن ثابت أيضا: يمدح هشام بن عمرو لقيامه في الصحيفة:

هل يُوفينَّ بنو أُميةَ ذمةً عَقْداً كما أوْفَى جِوارُ هشامِ
من معشرٍ لا يَغْدِرون بجارِهم للحارث بن حُبَيِّب ابن سُخَامِ[1]
وإذا بنو حِسْلٍ أجاروا ذمةً أوفَوْا وأدَّوْا جارَهم بسلامِ

وكان هشام أحد سُحام.

قال ابن هشام: ويقال: سخام.

(١) ابن سخام، سخام: اسم أمه، وأكثر أهل النسب يقولون فيه: شحام بشين معجمة.

إسلام الطفيل بن عمرو الدَّوْسي

قريش تحذره من استماعه للرسول: قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ، على ما يرى من قومه، يبذل لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه. وجعلت قريش، حين منعه الله منهم يحذِّرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب.

وكان الطُّفَيْل بن عَمرو الدوسي يحدث: أنه قدم مكةَ ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطُّفيل رجلا شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادَنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضَل بنا[1]، وقد فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وإنما قوله كالسحرِ يفرِّق بين الرجلِ وبينَ أبيه، وبينَ الرجلِ وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجتِه، وإنا نخشى عليك وعلى قومِك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنَّه ولا تسمعنَّ منه شيئا.

استماعه للرسول ﷺ: قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوتُ في أذني حين غدوت إلى المسجِد كُرْسُفاً[2] فَرَقاً من أن يبلغني شيءٌ من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعَه. قال: فغدوْت إلى المسجدِ، فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعضَ قولِه. قال: فسمعت كلاماً حَسَناً. قال: فقلتُ في نفسي: وا ثُكْلَ أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي عليَّ الحسنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

---

(١) أعضل: اشتد أمره.

(٢) الكرسف: القطن.

إسلام الطفيل: قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومَك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا؛ فوالله ما بَرحوا يخوِّفونني أمرَك حتى سَددت أذني بكُرْسُف لئلا أسمعَ قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولَك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرَك. قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلامَ، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قطُّ أحسنَ منه، ولا أمراً أعدلَ منه. قال: فأسلمتُ وشهدت شهادة الحقِّ، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤٌ مطاعٌ في قومي وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعلَ لي آيةً تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: اللهم اجعلْ له آيةً.

آية للطفيل ليصدقه قومه: قال: فخرجتُ إلى قومي، حتى إذا كنت بِثَنيَّة[1] تُطلعني على الحاضر[2] وقع نور بين عينيَّ مثل المصباح؛ فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلةٌ وقعتْ في وجهي لفراقي دينَهم قال: فتحول فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سَوْطي كالقنديل المعلَّق، وأنا أهبط إليهم من الثَّنيةِ، قال: حتى جئتُهم فأُصبحتُ فيهم.

إسلام والد الطُّفيل وزوجه: قال: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: فقلت: إليكَ عني يا أبت، فلستُ منك ولستَ مني؛ قال: ولم يا بني؟ قال: قلت: أسلمتُ وتَابعت دين محمد ﷺ؛ قال: أي بني، فديني دينُك؛ قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت. قال: فذهب فاغتسل، وطهر ثيابه. قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم.

---

(١) الثنية: ما انفرج بين الجبلين.

(٢) الحاضر: القبيلة النازلة على الماء.

قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلتُ: إليك عني، فلستُ منك ولستِ مني؛ قالت: لم؟ بأبي أنت وأمي؛ قال: قلت: قد فرق بيني وبينَك الإسلامُ، وتابعتُ دينَ محمد ﷺ؛ قالت: فديني دينك؛ قال: قلت: فاذهبي إلى حِنَا ذِي الشَّرَى[1] ـــ قال ابن هشام: ويقال: حِمَى ذي الشَّرَى ـــ فتطهري منه.

قال: وكان ذو الشرى صنماً لدوس، وكان الحمى حمى حموه له، وبه وَشَل[2] من ماء يهبط من جبل.

قال: فقالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصِّبْية من ذي الشرى شيئاً؟ قال: قلت: لا، أنا ضامن لذلك، فذهبتْ فاغتسلت، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام، فأسلمت.

دعاؤه قومه للإسلام: ثم دعوت دَوْساً إلى الإسلام، فأبطئوا عليَّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت له: يا نبي الله، إنه قد غلبني على دوس الزِّنا[3]، فادعُ الله عليهم؛ فقال: اللهم اهدِ دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم. قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

---

(١) حنا ذي الشرى: وقد قال ابن هشام: هو حمى، وهو موضع حموه لصنمهم ذي الشرى، فإن صحت رواية ابن إسحاق، فالنون قد تبدل من الميم، كما قالوا: حلان وحلام للجدي، ويجوز أن يكون من حنوت العود، ومن محنية الوادي، وهو ما انحنى منه.

(٢) الوشل: الماء القليل.

(٣) الزنا: هنا: لهو مع شغل القلب.

ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ، حتى إذا فتح الله عليه مكة، قال: قلت يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين، صنم عَمرو بن حُمَمة حتى أحرقه.

إحراق صنم ذي الكفين: قال ابن إسحاق: فخرج إليه، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكفين لستُ من عبادِكا ميلادُنا أقدمُ من ميلادِكا[1]

إني حشوتُ النارَ في فؤادِكا

جهاده معه ﷺ وموته: قال: ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فكان معه بالمدينة حتى قبض اللهُ رسولَه ﷺ، فلما ارتدت العرب، خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيْحة، ومن أرض نجد كلها. ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبرُوها لي، رأيت أن رأسي حُلق، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجِها، وأرى ابني يطلبني حثيثاً ثم رأيته حُبس عني؛ قالوا: خيرا؛ قال: أما أنا والله فقد أولتها: قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تُحفر لي، فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقُتل رحمه الله شهيدا باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل[2] منها، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا.

---

(١) أراد: الكفين بالتشديد، فخفف للضرورة، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى: ذا الكفين، وخفف الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة، فدل أنه عنده مخفف من غير الشعر، فإن صح هذا فهو محذوف اللام. عن الروض الأنف.

(٢) استبل: شفي.

قصة أعشى بني قيس بن ثعلبة

قدومه على الرسول ومدحه: قال ابن هشام: حدثني خلاد ابن قُرَّة بن خالد السَّدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم: أن أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله ﷺ:

ألم تغتمضْ عيناك ليلةَ أرمدَا ... وبِتَّ كما بات السليمُ مُسهَّدَا[1]

وما ذاك من عشقِ النساءِ وإنما ... تناسيتَ قبلَ اليومِ خلةَ مَهْددَا[2]

ولكن أرى الدهرَ الذي هو خائنٌ ... إذا أصلحتْ كفايَ عاد فأفسدَا

كُهولاً وشبانا فقدتُ وثروةً ... فللّهِ هذا الدهرُ كيف ترددَا

وما زلت أبغي المالَ مذ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حين شبتُ وأمْردَا

وأبتذلُ العِيسَ المراقيلَ تُغْتلي ... مسافةَ ما بينَ النُّجَيْر فصَرْخَدا[3]

---

(١) لم ينصب ليلة على الظرف، لأن ذلك يفسد معنى البيت، ولكن أراد المصدر فحذفه، والمعنى: اغتماض ليلة أرمد، فحذف المضاف إلى الليلة، وأقامها مقامه، فصار إعرابها كإعرابه، وقد روي هذا البيت: ليلك بالكاف، ومعناه غمض أرمد، وقيل: بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل، أي حال منه على المجاز، كما تقول: ليلك قائم ونهارك صائم وقيل الأرمد: من يشتكي الرمد. والسليم: الملدوغ. والمسهد الذي منع من النوم.

(٢) « تناسيت قبل اليوم خلة مهدداً » فعلل من المهد؛ ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحكمنا بأنه مفعل؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميما أو همزة، فحملها على الزيادة، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية؛ والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف في الدال؛ إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف، ولقلت فيه: مهد كما تقول: مرد ومكر ومفر في كل ما وزنه مفعل من المضاعف، وإنما الدال في مهدد ضوعفت للإلحاق، ليلحق ببناء جعفر.

(٣) العيس: نوع من الإبل البيض التي تخالطها حمرة. والمراقيل: السريعة. وتغتلي: تتسابق. =

ألا أيُّهذا السائلي أين يَمَّمتْ | فإن لها في أهلِ يثربَ مَوْعدَا
فإن تسألي عني فيا رُبَّ سائلٍ | حَفِيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا
أجدَّتْ برجليها النجاءَ وراجعتْ | يداها خِنافاً لَيِّناً غيرَ أَحْرَدَا[1]
وفيها إذا ما هجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ | إذا خِلْتَ حَرْباءَ الظهيرةِ أَصْيدَا[2]
فآليتُ لا أرثي لها من كُلالةٍ | ولا من حَفًى حتى تُلاقي محمدَا[3]
متى ما تُنَاخِي عندَ بابِ ابنِ هاشمٍ | تُراحي وتَلْقَى من فواضِلِه نَدَى
نبيًّا يرى ما لا تروْن وذِكْرُه | أغار لَعَمْرِي في البلادِ وأنْجدَا[4]
له صدقاتٌ ما تُغِبُّ ونائِلٌ | وليس عطاءُ اليومِ مانعَه غدَا[5]

= والنجير والصرخة: مكانان بعينهما، وأهل النجير أول من ارتد في خلافة أبي بكر بعد أهل دبا وكان أهل دبا قد حاصرهم حذيفة بن أسيد. وحاصر أهل النجير زياد ابن لبيد بأمر أبي بكر.

(١) لينا غير أحردا. أي: تفعل ذلك من غير حرد في يديها. أي اعوجاج. وقيل الأحرد: الذي يبطئ في السير.
والنجاء: ضرب من السرعة. والخناف: لوي يديها في السير نشاطا.

(٢) هجرت: مشت في الهاجرة وهي الظهيرة. والعجرفية: التي لا تهاب شيئا. والحرباء: دويبة يدور وجهها مع الشمس كيفما دارت، كانت في وسط السماء في أول الزوال. والأصيد: المائل العنق.

(٣) أرثي: أشفق.

(٤) « أغار لعمري في البلاد وأنجدا »: المعروف في اللغة: غار وأنجد، وقد أنشد هذا البيت: « لعمري غار في البلاد وأنجدا ». والغور: ما انخفض من الأرض، والنجد: ما ارتفع منها، وإنما تركوا القياس في الغور، ولم يأت على أفعل إلا قليلا، وكان قياسه أن يكون مثل أنجد، لأنه من أُمِّ الغور، فقد هبط ونزل، فصار من باب غار الماء، ونحو ذلك.

(٥) وليس عطاء اليوم مانعه غدا: معناه على « رفع » العطاء « ونصب » مانع، أي: ليس العطاء الذي يعطيه اليوم مانعاً له غدا من أن يعطيه، فالهاء عائدة على الممدوح، فلو كانت عائدة على العطاء لقال: وليس عطاء اليوم مانعه هو، بإبراز ضمير الفاعل، لأن الصلة إذا جرت على غير من هي له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل، ولو =

أَجِدُّكَ لم تسمعْ وَصَاةَ محمدٍ نبيِّ الإلهِ حيثُ أوْصَى وأشْهدَا
إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقَى ولاقيْتَ بعدَ الموتِ من قَد تَزَوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلِه فَتُرْصِدُ للموتِ الذي كان أرْصَدا[1]
فإياك والميتَاتِ لا تقربنَّها ولا تأخذَنْ سهماً حديداً لتُفْصِدَا
ولا النَّصَب المنصوب لا تنسكُنَّه ولا تعبد الأوثانَ واللهَ فاعبُدَا[2]
ولا تَقْرَبَنْ حُرَّةً كان سِرُّها عليك حراماً فانْكَحَنْ أو تَأَبَّدَا[3]
وذا الرحِمِ القُرْبَى فلا تَقْطَعَنَّه لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيَّدَا
وسبِّح على حينِ العشياتِ والضُّحَى ولا تَحْمَدِ الشيطانَ واللهَ فاحمدَا
ولا تسْخَرَنْ من بائسٍ ذي ضَرارَةٍ[4] ولا تحسَبَنَّ المالَ للمرءِ مُخلِدَا

نهاية الأعشى: فلما كان بمكة أو قريبا منها، اعترضه بعضُ المشركين من قريش، فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم، فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرِّم الزنا، فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرَب، فقال له: يا أبا بصير، فإنه يحرم الخمر، فقال الأعشى: أما هذه فوالله إن في النفس منها لعُلالات، ولكني منصرف فأتروَّى منها عامي هذا، ثم آتيه فأُسْلم[5]، فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يَعُدْ إلى رسول الله ﷺ.

= نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره، ويكون اسم ليس على هذا مضمراً فيها عائداً على النبي ﷺ.

(١) أرصد: أعد.

(٢) وقف على النون الخفيفة بالألف ولذلك كتبت في الخط بالألف والوقف عليها بالألف وقيل إنه لم يرد النون الخفيفة، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين.

(٣) تأبد: بعد عن النساء.

(٤) ضراوة: ضرورة.

(٥) قال السهيلي: وهذه غفلة من ابن هشام، ومن قال بقوله: فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأُحد، وحرمت في =

أبو جهل يُذَل للرسول: **قال ابن إسحاق:** وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله ﷺ وبغضه إياه، وشدته عليه، يُذلُّه اللهُ له إذا رآه.

أبو جهل والإراشي

مماطلة أبي جهل الإراشي: **قال ابن إسحاق:** حدثني عبدُ الملك بن عبدالله بن أبي سفيان الثقفي، وكان واعيةً، قال: قدم رجل من إرَاش[1] — **قال ابن هشام:** ويقال إراشة[2] — بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها. فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤدِّيني[3] على أبي الحكم بن هشام فإني

= سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل؛ وفي الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها، وغنته القينتان * ألا يا حمز، للشرف النواء * فبقر خواصر الشارفين، واجتب سنميهما.

فإن صح خبر الأعشى، وما ذكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وإنما كان بالمدينة، ويكون القائل له: أما علمت أنه يحرم الخمر، من المنافقين، أو من اليهود، فالله أعلم. وفي القصيدة ما يدل على هذا قوله * فإن لها في أهل يثرب موعدا * وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي عبيدة قال: لقي الأعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس، وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ فذكر له أنه يحرم الخمر، فرجع، فهذا أولى بالصواب.

(١) وهو ابن الغوث أو ابن عمرو بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهو والد أنمار ولد بجيلة وخثعم.

(٢) إراشة: بطن من خثعم، وإراشة مذكورة في العماليق في نسب فرعون صاحب مصر، وفي بلي أيضاً بنو إراشة.

(٣) يؤديني: يساعدني على استرداد حقي، وهو من الأداة التي توصل الإنسان إلى ما =

رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ قال: فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس ـــ لرسول الله ﷺ، وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ـــ اذهب إليه فإنه يؤديك عليه.

الرسول ينصف الإراشي من أبي جهل: فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا عبدالله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حقٍّ لي قِبَلَه، وأنا رجل غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه، يرحمك الله؛ قال: انطلقْ إليه، وقام معه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قام معه. قالوا لرجل ممن معهم: اتبَعْه، فانظر ماذا يصنع.

قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إليَّ، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة[1]، قد انتُقع لونُه، فقال: اعط هذا الرجل حقه؛ قال: نعم، لا تبرحْ حتى أعطيَه الذي له، قال: فدخل، فخرج إليه قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي الحق بشأنك، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقي.

ما خافه أبو جهل من رسول الله ﷺ: قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال عجباً من العجب

= يريد، كأداة الحرب، وأداة الصانع، فالحاكم يؤدي الخصم، أي يوصله إلى مطلبه، وقد قيل: إن الهمزة بدل من عين، ويؤدي ويعدي بمعنى واحد، أي: يزيل العدوان، والعداء وهو: الظلم، كما تقول: يشكيك أي: يزيل شكواك.

(١) فخرج إليه، وما في وجهه رائحة، أي: بقية روح، فكان معناه: روح باقية، فلذلك جاء به على وزن فاعلة.

والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابَه، فخرج إليه وما معه روحُه فقال له: أعط هذا حقه فقال: نعم، لا تبرح حتى أُخرج إليه حقَّه. فدخل فخرج إليه بحقه، فأعطاه إياه. قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا: ويلك! ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قطُّ! قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي، وسمعت صوته، فملئت رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قَصَرته، ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني.

أمر ركانة المطلبي ومصارعته النبي ﷺ

من معجزاته ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني أبي: إسحاقُ بن يسار، قال: كان رُكَانة[1] بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش؛ فخلا يوما برسول الله ﷺ في بعض شِعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: يا رُكانة، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك؛ فقال له رسول الله ﷺ: أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم قال: فقم حتى أصارعَك. قال: فقام إليه ركانة يصارعه فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئاً، ثم قال: عُد يا محمد، فعاد فصرعه، فقال ـــ يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعني؟! فقال رسول الله ﷺ: وأعجب من ذلك

---

(١) ركانة: من مسلمة الفتح وتوفي في خلافة معاوية، وهو الذي طلق امرأته ألبتة، فسأله رسول الله ﷺ عن نيته فقال: إنما أردت واحدة، فردها عليه، ومن حديثه عن النبي ﷺ: أنه قال: «إن لكل دين خلقا، وخلق هذا الدين الحياء».

إن شئت أن أريكه، إن اتقيت الله واتبعت أمري؛ قال: ما هو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني، قال: ادعها، فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. قال: فقال لها ارجعي إلى مكانك. قال: فرجعت إلى مكانها.

قال: فذهب رُكانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهلَ الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قَطُّ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع.

قدوم وفد النصارى من الحبشة

أبو جهل يحاول ردهم عن الإسلام: قال ابن إسحاق: ثم قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكة، عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة. فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسُكم عندَه، حتى فارقتم دينَكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركْباً أحمق منكم. أو كما قالوا. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نألُ أنفسَنا خيراً.

ما نزل فيهم من القرآن: ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان. فيقال ــ والله أعلم ــ فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ **الذين آتيناهم الكتابَ من قبلِه هم به يؤمنون. وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنا به، إنه الحق من ربِّنا، إنا كنا من قبلِه مسلمين** ﴾.. إلى قوله: ﴿ **لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم، سلامٌ عليكم لا نبتغِي الجاهلين** ﴾.

قال ابن إسحاق: وقد سألت ابنَ شهاب الزهريَّ عن هؤلاء الآيات فيمن أُنزلن فقال لي: ما أسمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه. والآية من سورة المائدة من قوله: ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً، وأنهم لا يستكبرون** ﴾... إلى قوله: ﴿ **فاكتبْنا مع الشاهدين** ﴾.

تهكم المشركين بالمستضعفين وما نزل في ذلك: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خَبَّاب، وعمار، وأبو فَكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن مُحرِّث، وصُهَيب، وأشباههم من المسلمين، هزئت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه، كما ترون ؛ أهؤلاء مَنَّ اللهُ عليهم من بيننا بالهدى والحق! لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصهم الله به دوننا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ **ولا تطردِ الذين يدعون ربَّهم بالغَداة والعَشِيِّ يريدون وجهَه، ما عليك من حسابِهم من شيءٍ وما من حسابِك عليهم من شيءٍ فتطردَهُم فتكون من الظالمين. وكذلك فتنا بعضَهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا، أليس اللهُ بأعلمَ بالشاكرين. وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتِنا، فقل سلامٌ عليكم كتب ربُّكم على نفسِه**

الرحمةَ أنه من عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تاب من بعدِه وأصلحَ فإنه غفورٌ رحيمٌ ﴾.

ادعاء المشركين أنه يعلمه بشر ورد القرآن عليهم: وكان رسول الله ﷺ — فيما بلغني — كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مَبْيَعة غلام نصراني، يقال له: جبر، عبد لبني الحضرمي، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني، غلام بني الحَضْرمي، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: **﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ. لسانُ الذي يُلحدون إليه أعْجميٌّ، وهذا لسانٌ عربيٌّ مبينٌ ﴾.**

قال ابن هشام: يُلحِدون إليه: يميلون إليه. والإلحاد: الميل عن الحق.

قال رؤبة بن العَجَّاج:

إذا تَبِع الضحاكَ كُلُّ مُلْحِدِ

قال ابن هشام: يعني الضحاك الخارجي، وهذا البيت في أرجوزة له.

سبب نزول سورة الكوثر

نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل: قال ابن إسحاق: وكان العاص بن وائل السَّهْمي ـــ فيما بلغني ـــ إذا ذُكر رسول الله ﷺ، قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر[1] لا عَقِب له لو مات لا نقطع ذكرُه واسترحتم منه، فأنزل الله في ذلك: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ما هو خير لك من الدنيا وما فيها والكوثر: العظيم.

معنى الكوثر: قال ابن إسحاق: قال لَبيد بن ربيعة الكِلابيُّ:

وصاحبُ مَلْحوبٍ فُجعنا بيومِهِ وعندَ الرداعِ بيتُ آخر كوثر

يقول: عظيم.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له. وصاحبُ ملحوبٍ: عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، مات بملحوب. وقوله: « وعند الرداع بيت آخر كوثر »: يعني شُرَيح بن الأَحْوص بن جعفر بن كلاب، مات بالرّداع. وكوثر: أراد: الكثير. ولفظه مشتق من لفظ الكثير. قال الكُميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان:

وأنت كثيرٌ يابنَ مروان طيبٌ وكان أبوك ابنَ العقائل كوْثرا

وهذا البيت في قصيدة له. وقال أمية بن أبي عائذ الهُذلي يصف حمار وحش:

---

(١) رجل أبتر: إذا مات انقطع ذكره. قال: كان القاسم ابن رسول الله ﷺ قد بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيبة، فلما قبضه الله، قال العاص: أصبح محمد أبتر من ابنه، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ عوضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم.

يُحامي الحَقيقَ إذا ما احتدَمْن   وحَمْحَمْنَ في كوثرٍ كالجِلال[1]

يعني بالكوثر: الغبار الكثير، شبهه لكثرته عليه بالجلال. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: حدثني جعفر بن عمرو ــ **قال ابن هشام:** هو جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْري ــ عن عبدالله بن مسلم أخي محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن أنس بن مالك قال: « سمعت رسول الله ﷺ، وقيل له يا رسول الله: ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ قال: نهر كما بين صنعاء إلى أَيْلة، آنيته كعدد نجوم السماء، ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل. قال: يقول عمرُ بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، قال: آكلُها أنعم منها ».

قال ابن إسحاق: وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال ﷺ: من شرب منه لا يظمأ أبدا.

(١) الحقيق: ما يجب أن يحميه الإنسان ويريد هنا حماية أتنه، والاحتدام سرعة الجري. والجلال: ما تلبسه الدواب لحمايتها.

نزول ﴿ وقالوا لولا أُنزل عليه ملك ﴾

قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله ﷺ قومَه إلى الإسلام، وكلمهم فأبلغ إليهم، فقال زَمَعَة بن الأسود، والنضْر بن الحارث، والأسود ابن عبد يَغوث، وأبيُّ بن خلف، والعاص بن وائل: لو جُعل معك يا محمد مَلَك يحدث عنك الناس ويُرَى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿ **وقالوا لولا أُنزل عليه ملك؟ ولو أَنزلنا مَلَكاً لقُضِيَ الأمرُ ثم لا يُنْظَرون. ولو جعلناه مَلَكاً لجعلناه رجلاً، وللبَسنا عليهم ما يَلْبِسون** ﴾.

نزول ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك ﴾

قال ابن إسحاق: ومر رسول الله ﷺ ــ فيما بلغني ــ بالوليد ابن المغيرة، وأمية بن خلف وبأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزءوا به، فغاظه ذلك. فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: ﴿ **ولقد استُهزِئ برسلٍ من قبلِك، فحاق بالذين سَخِروا منهم ما كانوا به يستهزءون** ﴾[1].

---

(١) استهزئ برسل، أي: أُسمعوا من الكلام الذي يسمى استهزاء ما ساءهم تأنيساً له، ليتأسى بمن قبله من الرسل، وإنما سمي استهزاءً إذا كان مسموعاً، وهو من فعل الجاهلين. وأما السخر والسخري، فقد يكون في النفس غير مسموع، ولذلك تقول: سخرت منه. فالنبي يسخر: أي يعجب من كفر من يسخر به، ومن سخف عقولهم.

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام: حدثنا زياد بن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي قال: ثم أُسْري[1] برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام، بمكة في قريش، وفي القبائل كلها.

قال ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بلغني عن مَسراه ﷺ، عن عبدالله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وعائشة زوج النبي ﷺ؛ ومعاوية بن أبي سفيان، والحسن بن أبي الحسن البصري، وابن شهاب الزهري، وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانئ بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كلٌّ يحدِّث عنه بعض ما ذكر من أمرِه حين أُسري به ﷺ، وكان في مسراه، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص، وأمْر من أمر الله عز وجل في قدرته وسلطانه، فيه عِبرةٌ لأُولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله سبحانه

---

(١) اتفقت الرواة على تسميته إسراء، ولم يسمه أحد منهم: سري، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: سري وأسرى بمعنى واحد. والسرى من سريت إذا سرت ليلا.

وتعالى على يقين، فأسري به سبحانه وتعالى كيف شاء، ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرتِه التي يَصنعُ بها ما يريد.

رواية ابن مسعود عن الإسراء: فكان عبدالله بن مسعود ــ فيما بلغني عنه ــ يقول:

أُتي رسول الله ﷺ بالبراق ــ وهي الدابة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبلَه، تضع حافرَها في منتهى طرفِها ــ فحُمل عليها، ثم خرج به صاحبُه، يرى الآياتِ فيما بين السماءِ والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيمَ الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له، فصلى بهم. ثم أُتي بثلاثة آنية، إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. قال: فقال رسول الله ﷺ: فسمعت قائلا يقول حين عُرضتْ علي: إن أَخذ الماء غرق وغرقت أمتُه، وإن أخذ الخمر غَوي وغَوتْ أمتُه، وإن أخذ اللبن هُدِيَ وهُديت أمتُه. قال: فأخذتُ إناء اللبن، فشربت منه، فقال لي جبريل عليه السلام: هُديتَ وهُدِيت أمتُك يا محمد.

رواية الحسن: قال ابن إسحاق: وحُدثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم في الحِجْر، إذ جاءني جبريل، فهمزني بقدمه، فجلست فلم أرَ شيئاً فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمه، فجلست، فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست، فأخذ بعضدي، فقمت معه، فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز[1] بهما رجله، يضع يده في منتهى طرفه،

---

(١) الحفز: الدفع.

فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

رواية قتادة: قال ابن إسحاق: وحُدثتُ عن قتادة أنه قال: حُدثت أن رسول الله ﷺ قال: لما دنوت منه لأركبه شمس[1]، فوضع جبريل يده على مَعْرفته، ثم قال: ألا تستحي يا براق[2] مما تصنع، فوالله ما ركبك عبدٌ للهِ قبل محمد أكرم عليه منه. قال: فاستحيا حتى ارفضَّ[3] عرقا، ثم قرَّ حتى ركبته.

عودة إلى رواية الحسن: قال الحسن في حديثه: فمضى رسول الله ﷺ، ومضى جبريل عليه السلام معه، حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأمَّهم رسول الله ﷺ فصلى بهم، ثم أُتي بإناءين، في أحدهما خمر، وفي الآخر لبن. قال: فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن، فشرب منه، وترك إناء الخمر. قال: فقال له جبريل: هُديت للفطرة، وهُديَتْ أمتك يا محمد، وحُرمت عليكم الخمر. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر. فقال أكثر الناس: هذا والله الإِمْر[4] البين، والله إن العير لتطرد، شهرا من مكة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة؟! قال: فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة. قال: فقال لهم

---

(١) شمس: حرن.

(٢) وإنما نفر لبعد عهد البراق بركوب الأنبياء، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

(٣) ارفض: سال.

(٤) الإمر: العجب.

أبو بكر: إنكم تكذبون عليه؛ فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس؛ فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله. أحدَّثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم؛ قال: يا نبي الله، فصفه لي، فإني قد جئته ـــ قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: فرفع لي حتى نظرت إليه ـــ فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئاً، قال صدقت، أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصِّدِّيقُ؛ فيومئذ سماه الصديق.

قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، والشجرة الملعونة في القرآن، ونخوفهم، فما يزيد إلا طغياناً كبيراً** ﴾.

فهذا حديث الحسن عن مَسرَى رسول الله ﷺ. وما دخل فيه من حديث قتادة.

رواية عائشة: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض آل أبي بكر: أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تقول: ما فُقد جسدُ رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.

رواية معاوية: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سُئل عن مَسْرَى رسول الله ﷺ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة.

الإسراء رؤيا: فلم ينكر ذلك من قولهما، لقول الحسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك، قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾، ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه: ﴿ **يا بُني إني أرى في المنام أني أذبحك** ﴾ ثم مضى على ذلك. فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ — فيما بلغني — يقول: تنام عيناي وقلبي يقظان. والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه، وعاين فيه ما عاين، من أمر الله، على أي حاليه كان نائما، أو يقظان، كل ذلك حق وصدق[1].

---

(١) هنا يظهر سؤال. هل كان الإسراء في يقظة بجسده، أو كان في نومه بروحه؟ كما قال سبحانه: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حق، وأن عائشة قالت: لم تفقد بدنه، وإنما عرج بروحه تلك الليلة، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾. ولم يقل « الرؤية »، وإنما يسمى رؤيا ما كان في النوم في عرف اللغة، ويحتجون أيضا بحديث البخاري عن أنس بن مالك قال: « ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم، خذوا خيرهم فكان تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه، حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل ». الحديث بطوله، وقال في آخره: « واستيقظ، وهو في المسجد الحرام، وهذا نص لا إشكال أنها كانت رؤيا صادقة، وقال أصحاب القول الثاني: قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة، قالوا: في الآية بيان أنها كانت في اليقظة لأنه قال: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممَّنْ أسلم، ولو كانت رؤيا نوم، لم يستبعد أحد منهم هذا، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء، وفي المشرق والمغرب، فلا يستبعد منه ذلك. وذهبت طائفة ثالثة، منهم: شيخنا القاضي أبو بكر رحمه الله إلى تصديق المقالتين، وتصحيح =

وصفه ﷺ إبراهيم وموسى وعيسى: قال ابن إسحاق: وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ وصف لأصحابه إبراهيمَ وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة، فقال: أما إبراهيمُ، فلم أر رجلا أشبه قط بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى[١] كأنه من رجال شنوءة[٢]؛ وأما عيسى ابن مريم، فرجل أحمر، بين القصير والطويل، سبط الشعر، كثير خيلان[٣] الوجه، كأنه خرج من ديماس[٤]: تخال رأسه يقطر ماء، وليس به ما أشبِّه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي.

علي يصف الرسول ﷺ: قال ابن هشام: وكانت صفة رسول الله ﷺ فيما ذكر عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام: إذا نعت رسول الله ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغَّط[٥]، ولا القصير المتردِّد، وكان رَبْعة من القوم، ولم يكن بالجعْد القطط[٦] ولا السبط: كان جعداً رجلا[٧]، ولم يكن بالمطهَّم[٨] ولا المكلثم[٩]. وكان أبيض

= الحديثين، وأن الإسراء كان مرتين، إحداهما: كان في نومه توطئة له وتيسيراً عليه، ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء، وأنهم قالوا: كان الإسراء مرتين: مرة في نومه ومرة في يقظته ببدنه ﷺ. عن الروض الأنف من تحقيقنا، وانظر أقوالا أخرى شافية في فتح الباري لابن حجر ـــ من تحقيقنا أيضا. وراجع مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري ـــ للمحقق.

(١) الضرب: خفيف اللحم. والجعد: المتكسر الشعر. والأقنى: المرتفع الأنف.

(٢) شنوءة: قبيلة.

(٣) الخيلان: الشامات السوداء.

(٤) الديماس: الحمام.

(٥) الممغط: الممتد.

(٦) القطط: الشديد خشونة الشعر.

(٧) رجلا: مسرح الشعر.

(٨) المطهم: كثير اللحم، وقال الأصمعي: هو التام في كل شيء، فهو بارع الجمال.

(٩) المكلثم: المستدير الوجه، ويقول الأصمعي: ليس كذلك، ولكنه مسنون.

مشربا[1]، أدعج[2] العينين، أهدب الأشفار[3]، جليل المشاش والكتد[4]، دقيق المسربة[5]، أجرد[6]، شثن[7] الكفين والقدمين: إذا مشى تقلع[8]، كأنما يمشي في صبب، واذا التفت التفت معاً. بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين. أجود الناس كفا، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، ﷺ[9].

رواية أم هانئ[10] عن الإسراء: قال محمد بن إسحاق: وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، واسمُها هند، في مسرى رسول الله ﷺ: أنها كانت تقول ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي: نائم عندي تلك الليلة في بيتي، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبَّنا[11] رسول الله ﷺ؛ فلما صلى الصبح وصلينا معه، قال: يا أم هانئ، لقد

---

(١) مشربا: الذي أشرب حمرة.

(٢) الدعج: سواد العيون.

(٣) أهدب الأشفار: طويلها.

(٤) المشاش: عظام رءوس المفاصل. والكتد: ما بين الكتفين.

(٥) المسربة: الشعر الممتد من الصدر إلى السرة.

(٦) الجرد: قلة شعر الجسم.

(٧) شثن: غليظ.

(٨) تقلع: لم يثبت قدميه.

(٩) انظر صفة خُلقه الطاهر وخَلْقه الظاهر في الشمائل النبوية لابن كثير، والشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذي.. الاثنين من تحقيقنا.

(١٠) أم هانئ: بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنهما.

(١١) أهبنا: أيقظنا.

صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين، ثم قام ليخرج، فأخذت بطرف ردائه، فتكشف عن بطنه كأنه قبطية[1] مطوية، فقلت له: يا نبي الله: لا تحدث بهذا للناس فيكذبوك ويؤذوك؛ قال: والله لأحدثنهموه. قالت: فقلت لجارية لي حبشية: ويحك اتبعي رسول الله ﷺ حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم، فعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط؛ قال آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرهم حس الدابة، فندَّ لهم بعير، فدللتهم عليه، وأنا متوجه إلى الشام ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان[2] مررت بعير بني فلان: فوجدت القوم نياماً، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه. ثم غطيت عليه كما كان؛ وآية ذلك أن عيرهم الآن يصوِّب[3] من البيضاء، ثنية التنعيم، يقدمها جملٌ أورق، عليه غرارتان: إحداهما سوداء، والأخرى برقاء. قالت: فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل[4] كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماءً ثم غطوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطًّى كما غطوه، ولم يجدوا فيه ماء. وسألوا الآخرين وهم بمكة، فقالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وندّ لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه، حتى أخذناه.

---

(١) القبطية: ثياب كانت تنسج بمصر قديما من الكتان.

(٢) جبل يبعد عن مكة حوالي ٤٠ كيلومتراً.

(٣) يصوب: ينزل. البيضاء: مكان قرب مكة.

(٤) أي كان الجمل المذكور أول ما لقيهم.

قصة المعراج

الرسول ﷺ يصعد إلى السماء الأولى: وقال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما فرغت مما كان في بيت المقدس، أُتي بالمعراج، ولم أر شيئا قط أحسن منه: وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حُضر؛ فأصعدني صاحبي فيه؛ حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء، يقال له: باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة، يقال له: إسماعيل[1]، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك[2] — قال: يقول رسول الله ﷺ حين حَدَّث بهذا الحديث: ﴿ **وما يعلم جنودَ ربك إلا هو** ﴾ فلما دُخل بي قال: من هذا يا جبريل؟ قال: محمد. قال: أوَقد بُعث؟ قال: نعم. قال: فدعا لي بخير: وقاله.

صفة مالك خازن النار: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله ﷺ، أنه قال: تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقني ملك إلا ضاحكا مستبشرا[2]، يقول

---

(١) وقد جاء ذكر « إسماعيل » في مسند الحارث، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك، هكذا لفظ الحديث في رواية الحارث، وفي رواية ابن إسحاق: اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث.

(٢) وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكا مستبشراً إلا مالكا خازن جهنم، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله، ولا هو ضاحك لأحد، ومصداق هذا في كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿ **عليها ملائكة غلاظ شداد** ﴾ وهم موكلون بغضب الله تعالى، فالغضب لا يزايلهم أبداً، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في وصفه ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم، وكذلك يعارضه ما خرج الدارقطني « أن رسول الله ﷺ تبسم في الصلاة، فلما انصرف سُئل عن ذلك، فقال: رأيت ميكائيل راجعاً من طلب القوم، على جناحيه الغبار فضحك إليّ فتبسمت =

خيرا ويدعو به حتى لقيني ملك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت من غيره؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك، لضحك إليك، ولكنه لا يضحك، هذا مالك صاحب النار.

من صفات جهنم أعاذنا الله منهـا: فقال رسول الله ﷺ: فقلت لجبريل، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وُصف لكم ﴿ **مُطاع ثَمَّ أمين**﴾: ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال: بلى، يا مالك، أرِ محمداً النار. قال: فكشف عنها غطاءها، فقال: ففارت وارتفعت، حتى ظننت لتأخذن ما أرى. قال: فقلت لجبريل: يا جبريل، مره فليردها إلى مكانها. قال: فأمره، فقال لها: اخْبِي، فرجعتْ إلى مكانها الذي خرجت منه. فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل. حتى إذا دَخلت من حيث خرجت رَد عليها غطاءَها.

عرض الأرواح على آدم عليه السلام: قال أبو سعيد الخدري في حديثه: إن رسول الله ﷺ قال: لما دخلت السماء الدنيا، رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويُسَر به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيب؛ ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه: أفٍّ، ويعبس بوجهه ويقول: روح

= إليه »، وإذا صح الحديثان، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك من خزنة النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله ﷺ فيكون الحديث عاماً يراد به الخصوص، أو يكون الحديث الأول حدَّث به رسول الله ﷺ قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعد ما حَدث به من ضحكه إليه، والله أعلم.

خبيثة خرجت من جسد خبيث. قال: قلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، تُعرض عليه أرواح ذريته، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال: روح طيبة خرجت من جسد طيب. وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها، وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث.

أكلة أموال اليتامى ظلما: قال: ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل، في أيديهم قطع من نار كالأفهار[1]، يقذفونها في أفواههم، فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما.

أكلة الربا: قال: ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون[2]، يمرون عليهم كالإبل المهيومة[3] حين يُعرضون على النار، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا.

الزناة من بني آدم: قال: ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون السمين الطيب. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن.

---

(١) الأفهار: جمع فهر وهو الحجر.

(٢) وذلك أن آل فرعون أشد الناس عذابا يوم القيامة. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾.

(٣) المهيومة: العطاش. والهيام: شدة العطش.

من نسبت ابنا لزوجها من غيره: قال: ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن عمرو، عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ، قال: « اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فأكل حرائبهم[1]، وطلع على عوراتهم ».

صعوده ﷺ إلى السموات الأخر وما رأى منها : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري، قال : ثم أصعدني إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، قال : ثم أصعدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف ابن يعقوب. قال: ثم أصعدني إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته:

---

(١) الحرائب: الأموال. وهو من الحرب، وهو السلب، يريد أن الولد إذا كان لغير أبيه نسب إلى الذي ولد على فراشه، فيأكل من ماله صغيرا، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته، ولسن بعمات له، وإلى أمه وليست بجدة له، وهذا فساد كبير، وإنما قدم ذكر الأكل من ماله، قبل الاطلاع على عوراته.. وإن كان الاطلاع على العورات أشنع، لأن نفقته عليه أول حال صغره، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته، أو لا يبلغ، فإن الأم أرضعته بلبانها، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزوج أباً له من الرضاعة، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة، وفي ذلك نقصان من الشناعة، فإن بلغ الصبي، وتابت الأم، وأعلمته أنه لغير أبيه ليستعف عن ميراثهم، ويكف عن الاطلاع على عوراتهم، أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وإن كان شر الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزنا، وقد تؤول حديث شر الثلاثة على وجوه، هذا أقربها إلى الصواب، لقوله عليه السلام: أكل حرائبهم، واطلع على عوراتهم، ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس. وإن لم يعلم فأكله واطلاعه شر عمل، وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن في عمل خبيث، من منشئه إلى وفاته، فعمله شر عمل. فهو إذا علم أكثر شراً من الزاني والزانية.

من هو؟ قال: هذا إدريس ــ قال: يقول رسول الله ﷺ: « ورفعناه مكانا عليا »[1] ــ قال: ثم أصعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية، عظيم العثنون[2]، لم أر كهلا أجمل منه، قالت قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبَّب في قومه هارون ابن عمران. قال: ثم أصعدني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدم[3] طويل أقنى[4]، كأنه من رجال شنوءة؛ فقلت له: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران. ثم أصعدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة. لم أر رجلا أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. قال: ثم دخل بي الجنة، فرأيت فيها جارية لعساء[5] فسألتها: لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتها؛ فقالت: لزيد بن حارثة، فبشَّر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة.

---

(١) ورفعناه مكاناً علياً، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس، فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة، ورفعه ملك كان صديقا له، وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر، وكان إدريس سأله أن يريه الجنة، فأذن له الله في ذلك، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت، فعجب، وقال أمرت أن قبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة، فقبضه هنالك، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العلي خاص له دون الأنبياء.

(٢) عظيم اللحية.

(٣) الآدم: الأسود.

(٤) الأقني: المرتفع قصبة الأنف.

(٥) اللعساء: من لها حمرة في شفتيها تضرب إلى السواد.

فرض الصلاة عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فيما بلغني: أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد؛ فيقولون: أَوَقَدْ بعث إليه؟ فيقول: نعم؛ فيقولون: حيَّاه الله من أخ وصاحب، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم.

موسى بن عمران عليه السلام يطلب منه عليه الصلاة والسلام سؤال ربه التخفيف عن أمته في أمر الصلاة: قال رسول الله ﷺ: فأقبلت راجعا، فلما مررت بموسى بن عمران، ونعم الصاحب كان لكم، سألني: كم فُرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة كل يوم؛ فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشرا. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشراً. ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلما رجعت إليه، قال: فارجع، فاسأل ربك حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة. ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربي وسألته، حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل.

فمن أداهن منكم إيمانا بهن، واحتسابا لهن، كان له أجر خمسين صلاة.

المستهزئون بالرسول وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى صابرا محتسبا، مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى وكان عظماء المستهزئين[1]، كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، خمسة نفر من قومهم، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم.

أسماء المستهزئين: من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَي بن كلاب: الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، وكان رسول الله ﷺ — فيما بلغني — قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: اللهم أعم بصره، وأثكله ولده.

ومن بني زهرة بن كلاب: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: العاص بن وائل ابن هشام.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم.

---

(١) روي أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الأسود، فقال رسول الله ﷺ: خالي خالي، فقال له جبريل: خل عنك، ثم حنا، حتى قتله، ذكره الدارقطني.

ومن بني خزاعة: الحارث ابن الطلاطلة[1] بن عمرو بن الحارث ابن عبد عمرو بن ملكان.

فلما تمادوا في الشر، وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: ﴿ **فاصدعْ بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون** ﴾.

ما فعل الله بالمستهزئين: قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله ﷺ، وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي. ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه فمات منه حَبْنا[2]. ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله، كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يجر سبله[3]، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نَبلا له، فتعلق سهم من نبله بإزاره، فخدش في رجله ذلك الخدش، وليس بشيء، فانتقض به فقتله. ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله وخرج على حمار له يريد الطائف، فربض به على شبارقة[4]، فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحارث ابن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا، فقتله.

---

(١) الحارث ابن الطلاطلة، والطلاطلة: أمه، قاله أبو الوليد الوقشي، والطلاطلة في اللغة: الداهية، قال أبو عبيد: كل داء عضال فهو: طلاطلة.

(٢) الحبن: انتفاخ من داء.

(٣) فضول ثيابه.

(٤) شجرة عالية.

قصة أبي أزيهر الدوسي

وصية الوليد أولاده: قال ابن إسحاق: فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة: هشام بن الوليد، والوليد بن الوليد، وخالد ابن الوليد، فقال لهم: أي بني، أوصيكم بثلاث، فلا تضيعوا فيهن: دمي في خزاعة فلا تطلنَّه[1]، والله إني لأعلم أنهم منه برآء، ولكني أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم، ورباي في ثقيف، فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعقري عند أبي أزيهر[2]، فلا يفوتنكم به. وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتا، ثم أمسكها عنه، فلم يدخلها عليه حتى مات.

عقل الوليد عند خزاعة: فلما هلك الوليد بن المغيرة وثب بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد، وقالوا: إنما قتله سهم صاحبكم ـــ وكان لبني كعب حلف من بني عبد المطلب ابن هاشم ـــ فأبت عليهم خزاعة ذلك، حتى تقاولوا أشعاراً، وغلظ بينهم الأمر ـــ وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلا من بني كعب ابن عمرو من خزاعة ـــ فقال عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم:

ما قيل من الأشعار في مقتل الوليد:

إني زعيم أن تسيروا فتهربوا وأن تتركوا الظهرَان تعوي ثعالبُهْ[3]

وأن تتركوا ماءً بجزعة أطرقا وأن تسألوا أي الأراك أطايبه؟[4]

---

(١) لا تهدرنه.

(٢) وأصل عقري: من العقر. والعقر: دية الفرج المغصوب، وأصله في الفتاة البكر من أجل التدمية، ومنه عقر السرج الفرس: إذا أدماه، وقيل: عقر بضم العين، لأنه بمعنى بضع.

(٣) الزعيم: الضامن. والظهران: واد قريب من مكة.

(٤) الجزاعة: والجزع بمعنى واحد، وهو معظم الوادي، وقال ابن الأعرابي: هو ما انثنى =

فإنا أناسٌ لا تُطَلُّ دماؤُنا ولا يتعالى صاعداً من نحاربه[1]

وكانت الظهران والأراك منازل بني كعب، من خزاعة. فأجابه الجون ابن أبي الجون، أخو بني كعب بن عمرو الخزاعي، فقال:

والله لا نُؤتَى الوليد ظُلامةً ولما تروا يوما تزول كواكبه
ويُصرع منكم مُسمن بعد مسمن وتُفتح بعد الموت قسراً مشاربه[2]
إذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم فكلكم باكي الوليد ونادبه[3]

ثم إن الناس ترادوا وعرفوا إنما يخشى القوم السَّبة فأعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض. فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبي الجون:

وقائلةٍ لما اصطلحنا تعجبا لما قد حملنا للوليد وقائل
ألم تُقسموا تؤتوا الوليد ظلامة ولما تروا يوما كثير البلابل[4]
فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت فأمَّ هواه آمنا كل راحل

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد، وذكر أنهم أصابوه، وكان ذلك باطلا. فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك

= منه، وأطرقا: اسم علم لموضع سمي بفعل الأمر للاثنين، فهو محكي لا يعرب، وقيل أن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر مروا بها خائفين، فسمع أحدهم صوتا، فقال لصاحبيه: أطرقا، أي: أنصتا، حتى نرى ما هذا الصوت، فسمي المكان بأطرقا، والله أعلم.

(١) تطل: تهدر.

(٢) المسمن: الشريف الظاهر بين الناس.

(٣) الخزير: نوع من الحساء.

(٤) تؤتوا: أراد: أن تؤتوا، ومعناه: أن لا تؤتوا كما جاء في التنزيل: ﴿ **يبين الله لكم أن تضلوا** ﴾ في قول طائفة، ومعناه: كره لكم أن تضلوا، وإذا كان الكلام محمولا على معناها فالنصب جائز، والرفع جائز أيضا. والبلابل: الوساوس الفكرية.

ما حذر، فقال الجون بن أبي الجون:

ألا زعم المغيرة أن كعبا بمكة منهم قدر كبير
فلا تفخر مغير أن تراها بها يمشي المعلهج والمهير[1]
بها آباؤنا وبها وُلدنا كما أرسي بمثبته ثبير[2]
وما قال المغيرةُ ذاك إلا ليعلمَ شأنَنا أو يستثير
فإن دمَ الوليد يُطَلُّ إنا نطل دماء أنت بها خبير
كساه الفاتك الميمون سهما زعافا وهْو ممتلئ بهير[3]
فخر ببطن مكة مُسلحبا كأنه عند وجبته بعير
سيكفيني مطال أبي هشام صغار جعدة الأوتار خور

قال ابن هشام: تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه.

مقتل أبي أزيهر: قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر، وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سفيان بن حرب عاتكة؛ بنت أبي أزيهر، وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه — فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده، لوصية أبيه إياه، وذلك بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر، وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين، فخرج يزيد بن أبي سفيان، فجمع بني عبد مناف، وأبو سفيان بذي المجاز، فقال الناس: أخفر أبو سفيان في صهره، فهو ثائر به. فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد — وكان أبو سفيان رجلا حليما منكراً يحب قومه حبا

(١) المعلهج: المتردد في الإماء كأنه منحوت من أصلين: من العلج لأن الأمة: عالجة، ومن اللهج، كأن واطئ الأمة قد لهج بها، فنحت لفظ المعلهج من هذين اللفظين — والمهير: ابن المهيرة الحرة.

(٢) ثبير: جبل بمكة.

(٣) البهير: منقطع النفس.

شديداً ـــ انحط سريعاً إلى مكة، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر، فأتى ابنه وهو في الحديد، في قومه من بني عبد مناف والمطيبين، فأخذ الرمح من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربة هدَّه منها، ثم قال له: قبحك الله! أتريد أن تضرب قريشاً بعضَهم ببعض في رجل من دَوْس. سنؤتيهم العَقْل إن قبلوه، وأُطفئ لك الأمرَ.

فانبعث حسانُ بن ثابت يحرض في دم أبي أُزَيْهر، ويعير أبا سفيان خُفْرَته ويُجْبِنه، فقال:

غدا أهلُ ضَوْجَيْ ذى المجاز كليهما ... وجار ابنِ حربٍ بالمغمَّس ما يغـدُو[1]
ولم يمنع العيرُ الضَّروطُ ذمارَه ... وما منعت مخزاةَ والدِها هندُ[2]
كساك هشام بنُ الوليد ثيابَه ... فأبْلِ وأخْلِفْ مثلَها جدداً بَعْدُ
قضى وطراً منه فأصبح ماجداً ... وأصبحتَ رخواً ما تُخبُّ وما تعـدُو[3]
فلو أن أشياخاً ببدرٍ تشاهدوا ... لَبَلَّ نعالَ القومِ مُعْتَبِطٌ وَرْدُ[4]

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال: يريد حسان أن يضرب بعضَنا ببعض في رجل من دوس، بئس والله ما ظن.

ولما أسلم أهلُ الطائف كلَّم رسولَ الله ﷺ خالدُ بنُ الوليد في ربا الوليد، الذي كان في ثقيف، لما كان أبوه أوصاه به.

---

(١) ضوجى: ما انعطف من الوادي، وذو المجاز: سوق عند عرفة كانت العرب إذا حجت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا، ويقال: عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة، فسميت عكاظ لذلك. والمغمس: موضع بطريق الطائف.
(٢) الذمار: ما تجب رعايته. وهند: بنت أبي سفيان.
(٣) الخبب: ضرب من السير.
(٤) المعتبط الورد: الدم العبيط وهو الطري.

خالد يطالب بتنفيذ وصية أبيه وما نزل في ذلك من القرآن:

قال ابن إسحاق: فذكر لي بعضُ أهلِ العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا: ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وذَروا ما بقيَ من الربا إن كنتم مؤمنين** ﴾ إلى آخر القصة فيها.

دوس تحاول الثأر لأبي أزيهر: ولم يكن في أبي أزيهر ثأر نعلمه، حتى حجز الإسلام بين الناس؛ إلا أن ضرار بن الخطاب بن مِرْداس الفِهْري خرج في نفر من قريش إلى أرض دَوْس، فنزلوا على امرأة يقال لها أمُّ غَيْلان، مولاة لدوس، وكانت تمشِّط النساء، وتجهِّز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر، فقامت دونهم أمُّ غيلان ونسوة معها، حتى منعتهم، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك:

جزى اللهُ عنا أمَّ غَيْلان صالحاً	ونسوَتها إذ هن شُعْثٌ عواطلُ
فهن دفعن الموتَ بعدَ اقترابِه	وقد برزتْ للثائرين المقاتـلُ
دعت دعوةً دوساً فسالت شعابُها[1]	بعزٍّ وأدَّتها الشَّـراجُ القوابـلُ[2]
وعَمراً جزاه اللهُ خيراً فما وَنَى	وما بردتْ منه لديَّ المفاصلُ
فجردت سيفي ثم قمتُ بنصلِه	وعن أيِّ نفسٍ بعدَ نفسي أُقاتلُ

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن التي قامت دون ضرار أمّ جميل، ويقال أم غيلان؛ قال: ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه.

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل، وهي ترى أنه أخوه. فلما انتسبت له عرف القصة فقال: إني لست بأخيه إلا في الإسلام،

---

(١) الشعاب: جمع شعب وهو مسيل الماء في الحرة.

(٢) الشراج: جمع شرج: مسيل الماء. والقوابل: المتقابلة.

وهو غازٍ، وقد عرفت منّتك عليه، فأعطاها على أنها ابنة سبيل.

قال الراوي: قال ابن هشام: وكان ضِرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد، فجعل يضربه بعَرض الرمح ويقول: انج يا ابن الخطاب لا أقتلك؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه.

وفاة أبي طالب وخديجة، وما عاناه رسول الله ﷺ بعدهما

من كان يؤذي الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته: أبا لهب، والحَكم بن العاص ابن أمية، وعُقْبة بن أبي مُعَيْط، وعَدِي بن حمراء الثقفي، وابن الأصْداء الهذلي؛ وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص، فكان أحدهم ـــ فيما ذكر لي ـــ يطرح عليه ﷺ رحِم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمته[1] إذا نُصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حِجْراً[2] يستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ـــ كما حدثني عُمر بن عبدالله بن عروة بن الزبير، عن عروة بن الزبير ـــ يخرج به رسول الله ﷺ على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوار هذا! ثم يلقيه في الطريق.

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا

---

(١) البرمة: القدر من الحجر.

(٢) الحجر: كل ما حجرته من حائط ونحوه.

في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهُلْك خديجة، وكانت له وزير صِدْق على الإسلام، يشكو إليها؛ وبُهلْك عمه أبي طالب، وكان له عَضَداً وحِرْزاً في أمره، ومَنَعة وناصراً على قومه، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً.

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال:

لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب، دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك. قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب.

المشركون يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب: قال ابن إسحاق: ولما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشاً ثِقَلُه، قالت قريش بعضُها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلِّها، فانطلِقوا بنا إلى أبي طالب، فيأخذ لنا على ابن أخيه، وليعطِه مِنَّا، والله ما نأمَن أن يبتزُّونا[١] أمرَنا.

قال ابن إسحاق: فحدثني العباس بن عبدالله بن مَعْبد بن عباس

---

(١) ابتزه أمره: غلبه عليه.

عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: مشوا إلى أبي طالب فكلموه؛ وهم أشرافُ قومه: عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأُمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، في رجال من أشرافهم فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمتَ، وقد حضرك ما ترى، وتخوَّفْنا عليك، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادْعه فخذ له منا، وخذ لنا منه، ليكفَّ عنا، ونكفَّ عنه، وليدعَنا ودينَنَا، وندَعه ودينَه؛ فبعث إليه أبو طالب، فجاءه، فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشرافُ قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم. قال: فقال أبو جهل: نعم وأبيكَ، وعشر كلمات؛ قال: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه قال: فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهةَ إلهاً واحداً، إن أمرَك لعَجب! قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلِقُوا وامضُوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثم تفرقوا.

رجاء الرسول إسلام أبي طالب: فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله يا ابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً، قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه، فجعل يقول له: أي عمّ، فأنت فقُلْها أستحلّ لك بها الشفاعة يومَ القيامة قال: فلما رأى حِرص رسول الله ﷺ عليه، قال: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جَزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرّك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرك شفتيه، قال: فأصغى إليه بأذنِه، قال: فقال يا ابن أخي، والله لقد قال أخي

الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال. فقال رسول الله ﷺ: لم أسمعْ[1].

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب.

قال: وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا قد اجتمعوا إليه، وقال لهم ما قال، وردوا عليه ما ردوا: ﴿ **والقرآن ذي الذِّكْر ، بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ **أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً، إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا[2] واصبروا على آلهتكم، إن هذا لشيءٌ يُراد. ما سمعنا بهذا في الملةِ الآخرة** ﴾ يعنون النصارى، لقولهم: ﴿ **إن الله ثالثُ ثلاثة** ﴾ ﴿ **إن هذا إلا اختلاق** ﴾ ثم هلك أبو طالب.

سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثقيف منه

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحدَه.

---

(١) قال السهيلي: شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم؛ لكانت مقبولة، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الأثر، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه: ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ١٧٠ــ١٧١.

(٢) ﴿**أن امشوا**﴾ الآية: ذكر بعض أهل التفسير أن قولهم: امشوا من المشاء، لا من المشي، والمشاء: نماء المال وزيادته، يقال مشى الرجل؛ وأمشي: إذا نما ماله.

الثلاثة الذين نزل بهم رسول الله ﷺ: قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عَمَد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد يَالِيل بن عَمرو بن عُمَير، ومسعود بن عَمرو بن عُمَير، وحبيب بن عمرو بن عُمَير بن عوف ابن عُقْدة بن غِيَرَة بن عَوْف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمَح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يَمْرُط[1] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم ـ فيما ذكر لي ـ: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه، فيُذْئرهم[2] ذلك عليه.

قال ابن هشام: قال عَبيد بن الأبْرص:

ولقد أتاني عن تميمٍ أنهم ... ذَئِروا لقَتْلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدَهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجئوه إلى حائط[3] لعُتبة بن ربيعة وشَيْبة ابن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد

(١) يمرطه: ينزعه ويرمي به.

(٢) يذئرهم: يثيرهم.

(٣) الحائط: الحديقة.

إلى ظل حَبَلة[1] من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ ـــ فيما ذكر لي ـــ المرأة التي من بني جُمَح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟

شكواه ﷺ إليه تعالى: فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال ـــ فيما ذكر لي ـــ: « اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قوتي، وقلة حيلتي، وهـواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيد يتجَهَّمني[2]؟ أم الى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلماتُ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سُخْطُك، لك العُتْبَى حتى ترضَى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك ».

قصته ﷺ مع عداس: قال: فلما رآه ابنا ربيعة، عُتبة وشَيْبة، وما لقي، تحركت له رحمهما[3]، فدعوَا غلاما لهما نصرانيا، يقال له عَدَّاس، فقالا له: خذ قِطفا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عَدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يديْ رسول الله ﷺ، ثم قال له: كُلْ، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عَدَّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عَدَّاس، وما دينُك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نِينَوى؛ فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى؛ فقال له عَدَّاس:

(١) حبلة: شجرة العنب.

(٢) تجهم فلاناً: أي استقبله بوجه كريه.

(٣) الرحم: الصلة والقرابة.

وما يُدريك ما يونس بن مَتَّى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبيا وأنا نبي، فأكب عَدَّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه[1].

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامُك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عَدَّاس قالا له: ويلك يا عَدَّاس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي؛ قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينِك، فإن دينَك خير من دينه.

وفد جن نصيبين[2]: **قال**: ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة، حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنَخْلة[3] قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم ــ فيما ذُكر لي ــ سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنِّ يستمعون القرآن** ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿ **ويُجِرْكم من عذابٍ أليم** ﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿ **قل أوحيَ إليَّ أنه استمع نفرٌ من الجنِّ** ﴾.. إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة.

---

(١) في قصة عداس غلام بني ربيعة من فقه السنة قبول هدية المشرك، وأن لا يتورع عن طعامه، وفيه تعجب عداس لمعرفة النبي ﷺ أخبار يونس بن مَتَّى وهو أمي وفي أمة أمية.

(٢) نصيبين: هي مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله ﷺ روي أنه قال: رُفعت إلى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها، وينضر شجرها، ويطيب ثمرها أو قال: ويكثر ثمرها، وروي في أسمائهم ما ذكره ابن دريد قال: هم منشي وماشي وصاصر وماصر والأحقب.

(٣) هناك واديان بهذا الاسم على ليلة من مكة أحدهما نخلة الشامية والثاني نخلة اليمانية.

عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

عرض نفسه في المواسم: قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة: وقومه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافِه وفراق دينه، إلا قليلاً مستضعَفين ممن آمن به. فكان رسول الله ﷺ يَعْرِض نفسَه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبيٌّ مُرْسَل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبينَ لهم ما بعثه به الله.

قال ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا، من لا أتهم، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عِبَاد الدِّيلي، أو من حدثه أبو الزناد عنه ــ **قال ابن هشام:** ربيعة بن عِبَاد.

أبو لهب يفرق الناس من حوله ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني حُسين بن عبدالله بن عُبيدالله بن عباس، قال سمعت ربيعة ابن عِبَاد، يحدثه أبي، قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به. قال: وخلفه رجل أحول وضيء، له غديرتان[1] عليه حلة عدنية. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه.

---

(١) الغديرتان: ذؤابتان من شعر.

قال: فقلت لأبي: يا أبت، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب.

قال ابن هشام: قال النابغة:

كأنك من جمال بني أُقَيْشٍ يُقَعْقِعُ خلفَ رِجْليه بِشَن[1].

عرضه ﷺ نفسه على كندة: قال ابن إسحاق: حدثنا ابن شهاب الزهري: أنه أتى كِنْدة[2] في منازلهم، وفيهم سيد لهم يقال: مُلَيْح، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه ، فأَبَوْا عليه.

عرضه ﷺ نفسه على كلب: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حُصين: أنه أتى كلبا في منازلهم، إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبدالله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: يا بني عبدالله، إن الله عز وجل قد أحسن اسمَ أبيكم، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

عرضه ﷺ نفسه على بني حنيفة: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة[3] في منازلهم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليهم ردا منهم.

---

(١) الشن: القربة الخلق. ويريد بالقعقعة حدوث الصوت لتفزع الإبل.

(٢) كندة: هم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ على أحد الأقوال بين النسابين في كندة. وسمي كندة لأنه كند أباه، أي عقه، وسمي ابنه مرتعاً لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً، فهم بنو مرتع بن ثور، وقيل إن ثوراً هو مرتع، وكندة أبوه.

(٣) واسم حنيفة: أثال بن لُجَيم، ولجيم: تصغير اللجم، وهي دويبة، وسمي حنيفة لحنف كان في رجليه، وقيل: بل حنيفة أمهم، وهي بنت كاهل بن أسد عرفوا بها، وهم أهل اليمامة، وأصحاب مسيلمة الكذاب.

عرضه ﷺ نفسه على بني عامر: قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسَه، فقال رجل منهم ــ يقال له: بَيْحَرة بن فراس. **قال ابن هشام:** فراس بن عبدالله بن سلمة الخير بن قُشَير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ــ: والله، لو أني أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب، ثم قال: أرأيتَ إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال: فقال له: أفتُهدَف[1] نحورُنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبوا عليه.

فلما صدر الناسُ رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السنُّ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تَلافٍ، هل لذُنَاباها من مَطْلب[2]، والذي نفس فلان بيده، ما تقوَّلها إسماعيليٌّ قط[3] وإنها لحق، فأين رأيُكم كان عنكم.

---

(١) تهدف: تصير هدفا يرمى عليه ــ سهامهم ــ؛ والهدف: الغرض.

(٢) هل لها من تلاف، أي: تدارك، وهو تفاعل من: تلافيتهم، وهل لذناباها من مطلب: مثل ضرب لما فاته منها، وأصله: من ذنابى الطائر: إذا أفلت من الحبالة، فطلبت الأخذ بذناباه.

(٣) ما تقوَّلها إسماعيلي قط. أي: ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بني إسماعيل.

عرضه ﷺ نفسه في المواسم: قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويَعْرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف، إلا تصدَّى له، فدعا إلى الله، وعرَض عليه ما عنده.

عرضه ﷺ نفسه على سويد بن صامت: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، ثم الظَّفري عن أشياخ من قومه قالوا:

قدم سُويد بن صامت، أخو بني عمرو بن عَوْف، مكة حاجاً أو معتمراً، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم: الكامل، لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وهو الذي يقول:

ألا رُبَّ من تدعو صديقاً ولو ترى ... مقالتَه بالغيب ساءك ما يَفْري[1]
مقالتُه كالشهدِ ما كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغْرَةِ النحرِ[2]
يَسرك باديه وتحتَ أديمه ... نميمةُ غشٍّ تبتري عَقَبَ الظهرِ[3]
تُبين لك العينان ما هو كاتمٌ ... من الغلِّ والبغضاءِ بالنظرِ الشَّزْرِ
فرِشْنِي بخير طالَما قد بَرَيْتَني ... وخيرُ الموالي من يَريشُ ولا يَبْرِي[4]

وهو الذي يقول ــ ونافر رجلا من بني سُلَيم، ثم أحد بني زِعْب ابن مالك على مائة ناقة، إلى كاهنة من كهان العرب، فقضت له،

---

(١) يفري: يختلق.
(٢) المأثور: من الأثر، وهو السيف الموشى.
(٣) تبتري عقبه: تقطع ظهره.
(٤) يريش: يقوي، ويبري: يضعف.

فانصرف عنها هو والسَّلمي، ليس معهما غيرها، فلما فرقت بينهما الطريق، قال: مالـي يا أخا بني سُلَيم قال: أبعث إليك به، قال: فمن لي بذلك إذا فُتِّني به؟ قال: كلا، والذي نفس سُوَيد بيده، لا تفارقني حتى أوتَى بمالي، فاتَّخـذا فضرب به الأرض، ثم أوثقه رباطا، ثم انطلق به إلى دار بني عَمرو بن عوف، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُلَيم بالذي له، فقال في ذلك:

لا تحسبنِّي يابـنَ زِغْبِ بن مالك كمن كُنت تُرْدِي بالْغيوبِ وتَخْتِلُ

تحولت قِرْنا إذ صُرِعْت بعزةٍ كذلك إن الحازمَ المتحـوِّل

ضربتُ به إبْطَ الشمال فلم يزلْ على كلِّ حالٍ خدُّه هو أسفلُ

في أشعار كثيرة كان يقولها.

فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سُوَيد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لُقمان[1] ـــ يعني حكمة لقمان ـــ فقال له رسول الله ﷺ: أعرضها علي، فعرضها عليه، فقال له: إن هذا لكلامٌ حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليَّ، هو هُدى ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعُد منه، وقال: إن هذا لقول حسن،

(١) مجلة لقمان، وهي الصحيفة، وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة، أما الجلالة فمن صفة المخلوق، والجلال من صفة الله تعالى، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال وجلالة وأنشد:

فـلا ذا جـلال هبتـه لجلالـة ولا ذا ضياع هن يتركن للفقـر

ولقمان كان نوبيا من أهل أيلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذي ذُكر في القرآن هو ثأران فيما ذكر الزجاج وغيره، وقد قيل في اسمه غير ذلك، وليس بلقمان بن عاد الحميري. وانظر « من قصص القرآن » لابن كثير ـــ من تحقيقنا.

ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخزرج، فإذا كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قُتل وهو مسلم. وكان قتله قبل يوم بُعاث[1].

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق: وحدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن لبيد، قال: لما قدم أبو الحَيْسَر، أنس ابن رافع، مكة ومعه فِتية من بني عبد الأَشْهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له؟ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليَّ الكتاب. قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن معاذ، وكان غلاما حدثا: أي قوم، وهذا والله خيرٌ مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحَيْسر، أنس بن رافع، حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن مُعاذ، وقال: دَعْنا منك فلَعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكان وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل

---

(١) بعاث: هي حرب بين الأوس والخزرج، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرافهم، وبعاث اسم أرض بها عرفت.

الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكُّون أن قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.

إسلام الأنصار

اجتماعه ﷺ بوفد من الخزرج عند العقبة: قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار[1] فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ، قال لهم: من أنتم؟ قالوا نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود[2]؟ قالوا: نعم؛ قال: أفلا

(١) ولم يكن الأنصار اسما لهم في الجاهلية، حتى سماهم الله به في الإسلام، وهم: بنو الأوس والخزرج، والخزرج: الريح الباردة وقال بعضهم: وهي الجنوب خاصة. والأوس: هي العطية أو العوض، ومثل هذا إذا كان علماً لا يدخله الألف واللام ألا ترى أن كل أوس في العرب غير هذا، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطائي وغيره. وأبوهم حارثة بن ثعلبة وهو أيضاً: والد خزاعة على أحد القولين، وأمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية ويقال هي بنت جفنة واسمه غلبة بن عمرو ابن عامر، وقيل: بنت سيع بن الهون بن خزيمة بن مدركة، قاله الزبير بن أبي بكر في «كتاب أخبار المدينة». والأنصار: جمع لأناصر على غير قياس في جمع فاعل ولكن على تقدير حذف من ناصر، لأنها زائدة، فالاسم على تقدير حذفها: ثلاثي والثلاثي يجمع على أفعال.

(٢) المولى يجمع: الحليف وابن العم والمعتِق والمعتَق.

تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلَى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهلَ كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم[1] ببلادهم. فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوثٌ الآنَ، قد أظل زمانُه، نتبعه فنقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تَعلَّموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقُنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومَنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا.

أسماء من التقوا به ﷺ من الخزرج: قال ابن إسحاق: وهم — فيما ذكر لي —: ستة نفر من الخزرج، منهم من بني النجار — وهو تَيْم الله — ثم من بني مالك بن النجار بن ثعلبة ابن عَمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر: أسعد بن زُرارة ابن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة؛ وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غُنْم بن مالك بن النجار، وهو ابن عفراء.

---

(١) عزوهم: غلبوهم.

قال ابن هشام: وعفراء بنت عُبَيْد بن ثعلبة بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار.

قال ابن إسحاق: ومن بني زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بـن جُشم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق.

قال ابن هشام: ويقال عامر بن الأزرق.

قال ابن إسحاق: ومن بني سَلِمة بن سعد بن علي بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سواد بن غَنْم بن كعب ابن سلمة: قُطْبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد.

قال ابن هشام: عمرو بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له: غَنْم.

قال ابن إسحاق: ومن بني حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلمة: عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام.

ومن بني عُبَيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: جابر بن عبدالله بن رِئاب بن النعمان بن سنان بن عُبَيد.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسولَ الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ.

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقُوه بالعقبة: قال: وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعةِ النساءِ[1]، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب.

رجال البيعة الأولى: منهم من بني النجار، ثم من بني مالك بن النجار: أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة؛ وعوف، ومعاذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهما ابنا عفراء.

ومن بني زُرَيق بن عامر رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن

---

(١) وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن فقال: ﴿ **يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا** ﴾ الآية، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال، وكانت مبايعته للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق، فإذا أقررن بألسنتهن قال: قد بايعتكن، وما مسَّت يده يد امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة، وقد روي أنهن كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثوب، وهو قول عامر والشعبي، ذكره عنه ابن سلام في تفسيره، والأول أصح. وقيل في قوله عز وجل ـــ في الآية السابقة ـــ خبرا عن بيعة النساء. ﴿ **ولا يأتين ببهتان** ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بعلها، وليس منه، وقيل: هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ أنه النوح، وهذا أيضا ليس من شأن الرجال، فدل على ضعف قول من خصه بالنوح، وخص البهتان بإلحاق الولد بالرجل، وليس منه، وقيل. « يفترينه بين أيديهن » يعني: الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم، « وأرجلهن » يعني المشي في معصية، « ولا يعصينك في معروف »، أي: في خير تأمرهن به، والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق، وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب، وهذا معنى يعم الرجال والنساء.

وذكر ابن إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليهن، أن قال ولا تغششن أزواجكن، قالت إحداهن: وما غش أزواجنا؟ فقال: أن تأخذي من ماله فتحابي به غيره.

عامر بن زُرَيْق، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخْلِد بن عامر ابن زُرَيْق.

قال ابن هشام: ذَكْوان، مهاجري أنصاري.

ومن بني عَوْف بن الخزرج، ثم من بني غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهم القواقل: عُبادة بن الصامت بن قَيْس بن أَصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم؛ وأبو عبد الرحمن، وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أَصْرم بن عَمرو بن عَمَّارة، من بني غُصَيْنة، من بَلِيّ حليف لهم.

قال ابن هشام: وإنما قيل لهم القواقل، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له: قوقل به بيثرب حيث شئتَ.

قال ابن هشام: القوقلة: ضرب من المشي.

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: العباس بن عبادة بن نَضَلة بن مالك بن العَجْلان.

ومن بني سَلَمة بن علي بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني حرام بن كعب بن غَنْم بن سلمة: عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة: قُطبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنْم بن سواد.

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عَمرو بن عامر ثم من بني عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: أبو الهيثم بن التَّيِّهان، واسمه مالك.

قال ابن هشام: التيهان: يخفف ويثقل، كقوله ميْت وميِّت.

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس: عُوَيْم بن ساعدة.

نص البيعة: قال ابن اسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مَرْثد بن عبدالله اليَزَني، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصنابحي، عن عُبادة بن الصامت، قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلا، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادَنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف. فإن وفيتم فلكم الجنة. وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء عَذَّب وإن شاء غفر.

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله بن عبدالله الخَوْلاني أبي إدريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادَنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف؛ فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك فأُخذتم بحدِّه في الدنيا، فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب، وإن شاء غفر.

إرسال مصعب بن عمير مع وفد العقبة: قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ

بالمدينة[1]: مصعبٌ. وكان منزَله[2] على أسعد بن زُرارة بن عُدَس، أبي أُمامة.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض.

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حُنَيف، عن أبيه أبي أُمامة، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي: كعبِ بن مالك، حين ذهب بصرُه، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذانَ بها صلى على أبي أُمامة، أسعد بن زرارة. قال: فمكث حينا على ذلك لا يسمع الأذان للجمعة[3] إلا

(١) مصعب بن عمير وهو المقرئ، وهو أول من سمي بهذا أعني « المقرئ » يكنى أبا عبدالله، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشا وأعطرهم، وكانت أمه شديدة الكلف به، وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه، يستيقظ فيأكل، فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله ﷺ ينظر إليه، وعليه فروة قد رفعها، فيبكي لما كان يعرف من نعمته، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها، فكانت تقف في الشمس حتى تسقط مغشيا عليها، وكان بنوها يحشون فاها بشجار، وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت. وكان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسناً وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال.

(٢) منزَل: بفتح الزاي، لأنه أراد المصدر، ولم يرد المكان.

(٣) الجمعة: كانت تسمي العَروبة. كان عن هداية من الله تعالى لهم قبل أن يؤمروا بها، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فاستقر فرضها =

صلى عليه واستغفر له. قال: فقلت في نفسي: والله إن هذا بي لعجز، ألا أساله ما له إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أُمامة أسعد ابن زُرارة؟ قال: فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج، فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له. قال فقلت له: يا أبتِ، ما لك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أُمامة؟ فقال: أي بُنَيَّ، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هَزم النبيت[1]، من حَرَّة بني بَياضة، يقال له: نَقيع الخَضمات[2]، قال: قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلا.

إسلام سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير وبني عبد الأشهل:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقب، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حزم: أن أسعد بن زُرارة خرج بمصْعَب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظَفَر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة، فدخل به حائطا من حوائط بني ظَفَر.

قال ابن هشام: واسم ظفر: كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ــ قالا: على بئر يقال لها: بئر مَرَق فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ، وأُسَيْد بن حُضَيْر، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأُسيد بن

= واستمر حكمها ولذلك قال ﷺ في يوم الجمعة: أضلته اليهود والنصارى، وهداكم الله إليه.

(١) هزم النبيت: جبل على مقربة من المدينة.

(٢) الخضمات: من الخضم، وهو الأكل بالفم كله، والقضم بأطراف الأسنان، ويقال: هو أكل اليابس، والخضم: أكل الرطب، فكأنه جمع خضمة، وهي الماشية التي تخضم.

حُضَير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَنا ليسفها ضعفاءنا، فازجرْهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد ابن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدما.

قال: فأخذ أسيد بن حُضَير حربته ثم أقبل إليهما؛ فلما رآه أسعد ابن زُرارة، قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمْه. قال فوقف عليهما مُتشتِّما، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءَنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أوَتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُف عنك ما تكره؟

قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مُصْعَب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك، ثم تصلي[1].

---

(١) ذكر فيه الاغتسال لهما بأمر مصعب بن عمير، فذلك السنة في كل كافر يسلم، ثم اختلف في نية الكافر إذا أسلم باغتساله، فقال بعضهم ينوي به رفع الجنابة عن نفسه، وقال بعضهم: ينوي التعبد، ولا حكم للجنابة في حقه، لأن معنى الأمر به استباحة الصلاة، والكافر لا يصلي، وإن كان مخاطباً في أصح القولين أي هل الكافر مخاطب بفروع الشريعة أم لا؟ ولكنه أمر مشروط بالإيمان، فإذا لم يكن الإيمان ـــ وهو الشرط الأول ـــ فأجدر بأن يكون الشرط الثاني ـــ وهو الغسل من الجنابة غير مقيد بشيء، فإذا أسلم هدم الإسلام ما كان قبله، فلم يجب عليه إعادة صلاة مضت، وإذا سقطت الصلوات سقطت عنه شروطها، واستأنف الأحكام الشرعية، فتجب عليه الصلوات من حين يسلم بشروط أدائها من وضوء وغسل من جنابة، إذا أجنب بعد إسلامه.

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن مُعاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم؛ فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك[1].

قال: فقام سعد مغضَباً مبادراً، تخوُّفا للذي ذُكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أُسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أُمامة، أما والله، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره ــ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مُصْعب، جاءك والله سيد مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ــ: قال: فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وأن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهُّله، ثم قال لهما: وكيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

---

(١) لينقضوا عهدك.

قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أُسيد بن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعملون أمري فيكم قالوا: سيدُنا وأفضلُنا رأياً، وأيمنُنا نقيبةً قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلماً ومسلمةً، ورجع أسعد ومُصْعَب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخَطْمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأَوْس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسْلَت، وهو صيفي، وكان شاعراً لهم وقائداً يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، وقال فيما رأى من الإسلام، وما اختلف الناس فيه من أمره:

أربَّ الناسِ أشياءٌ ألمَّتْ يُلَفُّ الصعبُ منها بالذَّلولِ
أربَّ الناسِ أما إذ ضللنا فيسِّرْنا لمعروفِ السبيلِ
فلولا ربُّنا كنا يهوداً وما دينُ اليهودِ بذي شُكولِ[1]

(١) الشكول: جمع شكل وشكل الشيء ــ بالفتح ــ هو مثله والشكل بالكسر الدل والحسن فكأنه أراد أن دين اليهود بدع، فليس له شكول أي: ليس له نظير في الحقائق، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول، وقد قال الطائي: =

ولـولا ربُّنـا كنـا نصـارى مع الرهبانِ في جبلِ الجليلِ[1]
ولكنـا خُلقنـا إذ خُلقنـا حنيفاً دينُنا عن كلِّ جيلِ
نسوق الهَدْي تَرسُف مُذْعِناتٍ مُكتَّفة المناكبِ في الجُلولِ[2]

قال ابن هشام: أنشدني قوله: فلولا ربنا، وقوله: لولا ربنا، وقوله: مكشفة المناكب في الجلول، رجل من الأنصار، أو من خزاعة.

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة، من أوسط أيام التشريق، حين أراد من كرامته؛ والنصرِ لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

البراء بن معرور يصلي إلى الكعبة: قال ابن إسحاق: حدثني مَعْبَد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بـن القَيْن، أخو بني سَلَمة، أن أخاه عبدالله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، حدثه أن أباه كعبا حدثه، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها، قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقِهنا،

= وقلت: أخي قالوا: أخ من قرابة فقلت لهم: إن الشكول أقارب
قريبي في رأيي وديني ومذهبي وإن باعدتنا في الخطوب المناسب
انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٢٠٠.

(١) الجليل: جبل معروف في الشام.

(٢) ترسف: تمشي مشي المقيد، والجلول: جمع جل وهو ما تلبسه الدابة لتُصان به.

ومعنا البراء بن معرور، سيدنا وكبيرنا.

فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأيا، فوالله ما أدري، أتوافقونني عليه، أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البَنِيَّة مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أصلي إليها. قال: فقلنا، والله ما بلغنا أن نبيًّنا ﷺ يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه. قال؛ فقال: إني لمصلٍ إليها. قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل.

قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة. قال: وقد كنا عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لي: يابن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، حتى نسألَه عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا؛ قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال: قلنا: نعم — قال: كنا نعرف العباس، وكان لا يزال يقدم علينا تاجراً — قال: فإن دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس.

قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس، ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه. فقال رسول الله ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البَراء بن معرور، سيد قومه، وهذا كعب بن مالك قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: الشاعر؟ قال نعم، قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا

أجعل هذه البَنِيَّة مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: كنت على قبلة لو صبرت[1] عليها. قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال ابن هشام: وقال عَوْن بن أيوب الأنصاري:

ومنا المصلِّي أولَ الناس مُقبلاً   على كعبةِ الرحمنِ بينَ المشاعرِ

يعني البراء بن معرور. وهذا البيت في قصيدة له.

إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام : قال ابن إسحاق : حدثني مَعْبِد بن كعب، أن أخاه عبدالله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق. قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت

---

(١) قول رسول الله ﷺ: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها، فقه قوله: لو صبرت عليها: أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى: لأنه كان متأولا وفي الحديث: دليل على أن رسول الله ﷺ، كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس، وقالت طائفة: ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا، فعلى هذا يكون في القبلة نسخان نسخ سنة بقرآن، وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة، فروي عنه من طرق صحاح أن رسول الله ﷺ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعاً لم يبن توجهه إلى بيت المقدس للناس، حتى خرج من مكة والله أعلم. قال الله تعالى له في الآية الناسخة: ﴿ **ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ أي: من أي جهة جئت إلى الصلاة، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبراً لبيت المقدس، أو لم تكن؛ لأنه كان بمكة يتحرى في استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه، وتدبر قوله تعالى: ﴿ **ومن حيث خرجت فَوَلِّ وجهك** ﴾ وقال لأمته: ﴿ **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾.

الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبدالله بن عَمرو بن حرام أبو جابر، سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غدا، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً.

امرأتان في البيعة: قال: فنمنا تلك الليلة مع قومِنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثُلثُ الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القَطا مُستَخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نُسَيْبة بنت كعب، أم عُمارة[1]، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نَابِي، إحدى نساء بني سَلَمة، وهي أم مَنيع.

العباس يستوثق من الأنصار: قال: فاجتمعنا في الشِّعْب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضُرَ أمر ابن أخيه ويتوثَّقَ له. فلما جلس كان أول مُتكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج ــ قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوْسها ــ: إن محمداً منا حيث قد علمتم

(١) أم عماره: هي نسيبة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وشهدت يوم اليمامة، وباشرت القتال بنفسها، وشاركت ابنها عبدالله في قتل مسيلمة، فقُطعت يدها، وجرحت اثنا عشر جرحا، ثم عاشت بعد ذلك دهراً. ويروى أن أم عمارة قالت لرسول الله ﷺ ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى للنساء شيئا، فأنزل الله تعالى: ﴿**إن المسلمين والمسلمات**﴾ الآية.

وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عِزٍّ من قومه ومَنَعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم تَرَوْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم تَرَوْن أنكم مُسْلِموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدَعَوْه، فإنه في عِزٍّ ومَنَعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت فتكلمْ يا رسول الله، فخذْ لنفسك ولربك ما أحببت.

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار: قال: فتكلم رسولُ الله ﷺ، فتلا القرآنَ، ودعا إلى الله ورغَّب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم. قال: فأخذ البَراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنَعنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا[1] فبايِعْنا يا رسول الله فنحن والله أبناءُ الحروب، وأهل الحلْقة، ورثناها كابراً عن كابر. قال: فاعترض القولَ — والبراء يكلم رسول الله ﷺ — أبو الهيثم بن التَّيِّهان، فقال يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنّا قاطعوها — يعني اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللهُ أن ترجع إلى قومك وتَدَعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم، والهَدْمُ الهَدْم[2]،

---

(١) وذكر قول البراء بن معرور، وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله ﷺ، بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن إسحاق، فقال: نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أزرنا، أراد: نساءنا، والعرب تكني عن المرأة بالإزار وتكني أيضاً بالإزار عن النفس، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه كما قال:

رموها بأثواب خفاف فلا ترى ... لها شبهاً إلا النعام المنفَّرا

أي: بأبدان خفاف، فقوله مما نمنع أزرنا يحتمل الوجهين جميعاً.

(٢) قال ابن قتيبة: كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك وهدمي هدمك، أي: ما هدمت من الدماء هدمته أنا، ويقال أيضا: بل اللدم اللدم والهدم =

أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

قال ابن هشام: ويقال: الهَدَم الهدَم: يعني الحرمة. أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومِهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأَوْس.

أسماء النقباء الاثني عشر

نقباء الخزرج: قال ابن هشام: من الخزرج ــ فيما حدثنا زياد ابن عبدالله البكَّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي ــ أبو أُمامة أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وعبدالله بن رَوَاحة بن

= الهدم وأنشد:

ثم الحقي بهدمي ولدمي

فاللدم: جمع لادم، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات، وهو من لدمت صدره: إذا ضربته. والهدم، قال ابن هشام: الحرمة، وإنما كني عن حرمة الرجل وأهله بالهدم، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحلوا. ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى، ثم قال: هدمي هدمك أي: رحلتي مع رحلتك أي لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب بن السكيت:

تمضي إذا زجرت عن سوأة قدماً كأنها هدم في الجفر منقاض

ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشَم بن الخزرج، والبَرَاء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وعبدالله بن عَمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن سَلَمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج، وعُبادة بن الصامت بن قَيْس بن أَصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عَمرو بن عَوْف بن الخزرج.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وسعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، والمنذر بن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.

قال ابن هشام: ويقال: ابن خُنَيس.

نقباء الأوس: ومن الأَوْس: أُسَيْد بن حُضَير بن سِمَاك بن عَتيك ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وسعد بن خَيثُمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلَم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

شعر كعب بن مالك في النقباء: قال ابن هشام: وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان، ولا يعدون رفاعة، وقال كعب ابن مالك يذكرهم، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

أبلغْ أُبَيًّا أنه فالَ رأيُه ... وحال غداة الشِّعْب والحينُ واقعُ[1]
أبي الله ما منَّتك نفسُك إنه ... بمرصادِ أمرِ الناسِ راءٍ وسامعُ
وأبلغ أبا سفيان أنْ قد بدا لنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدَى اللهِ ساطعُ
فلا ترغبنْ في حشدِ أمرٍ تريدُه ... وألِّبْ وجَمِّعْ كلَّ ما أنت جامعُ
ودونَك فاعلم أن نقضَ عهودِنا ... أباه عليك الرهطُ حين تبايعُوا
أباه البَراء وابن عَمرو كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليك ورافعُ
وسعدٌ أباه الساعديُّ ومُنذِر ... لأنفِك إن حاولتَ ذلك جادعُ
وما ابنُ ربيعٍ إن تناولت عهدَه ... بمسلِمِه لا يطمعنْ ثَمَّ طامعُ
وأيضاً فلا يُعطيكه ابنُ رَواحَة ... وإخفارُه من دونِه السمُّ ناقعُ
وفاءً به والقَوْقلي بن صامتٍ ... بمندوحةٍ عما تحاولُ يافعُ[2]
أبو هَيْثمٍ أيضاً وفيّ بمثلها ... وفاء بما أعطى من العهد خانع[3]
وما ابن حضير إن أردت بمطمع ... فهل أنت عن أحموقة الغي نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه ... ضروح لما حاولت ملأمر مانع[4]
أولاك نجوم لا يغبك منهم ... عليك بنحس في دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم «أبا الهيثم بن التيهان» ولم يذكر «رفاعة».

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر: أن رسول الله

---

(١) فال: بطل.
(٢) اليافع: العالي.
(٣) الخانع: الذليل.
(٤) ضروح: أي المدافع عن نفسه.

ﷺ قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي ــ يعني المسلمين ــ قالوا: نعم.

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري، أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه؛ فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خِزيُ الدنيا والآخرة، وإن كنتم تَرَوْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهكَةِ الأموال[1]، وقتْل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتْل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا. قال: الجنة. قالوا: أبسطْ يدك، فبسط يده فبايعوه.

وأما عاصم بن عُمر بن قتادة فقال: والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم.

وأما عبدالله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبدالله بن أبي ابن سلول، فيكون أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن هشام: سلول: امرأة من خزاعة، وهي أم أُبي بن مالك ابن الحارث.

---

(١) نهكة الأموال: نقصها.

أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية:

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعُمون أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أول من ضرب على يده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التَّيهان.

قال ابن إسحاق: فأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني في حديثه، عن أخيه عبدالله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم.

الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجَباجِب[1] ــ والجباجب المنازل ــ هل لكم في مُذَمَّم والصُّباة معه، قد اجتمعوا على حربكم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: هذا أَزْبُ[2] العقبة، هذا ابن أَزْيب ــ **قال ابن هشام.** ويقال ابن أُزَيْب ــ أتسمع أي عدو الله أما والله لأفرغنَّ لك.

---

(١) يا أهل الجباجب، يعني: منازل منى.

(٢) أزب العقبة: وهو اسم شيطان، ووقع في هذه النسخة في غزوة أحد إِزْب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلا طوله شبران على بردعة رحله فأخذ سوطه فأتاه، فقال: ما أنت فقال أزب قال وما أزب؟ قال: رجل من الجن، فضربه به على رأسه بعود السوط حتى باص، أي هرب، وقال يعقوب بن السكيت في الألفاظ: الأزب: القصير وحديث ابن الزبير ذكره العتبي في الغريب فالله أعلم أي اللفظين أصح؟ وابن أزيب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعيلا من الإزب أيضا والأزيب: البخيل، وأزيب: اسم ريح من الرياح الأربع، والآزيب الفزع أيضا، والأزيب: الرجل المتقارب المشي، وهو على وزن أفعل، قاله صاحب العين. (عن الروض الأنف بتحقيقنا).

الأنصار تستعجل الحرب: قال: ثم قال رسول الله ﷺ: ارفَضُّوا إلي رحالكم. قال: فقال له العباس بن عُبادة بن نَضْلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ على أهلِ منىً غداً بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: لم نُؤمرْ بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم. قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قريش تجادل الأنصار: قال: فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّة قريش، حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم. قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال؛ وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض، قال: ثم قام القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان له جديدان. قال فقلت له كلمة ــ كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ــ: يا أبا جابر، أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا، مثل نعلَيْ هذا الفتى من قريش؟ قال فسمعها الحارث، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليَّ، وقال: والله لتَنْتعَلَنَّهما. قال: يقول: أبو جابر: مَهْ، أحفظتَ والله الفتى، فاردد إليه نعليه، قال: قلت: والله لا أردّهما، فأْلٌ والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلُبَنَّه.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي بكر: أنهم أتوا عبدالله بن أبي ابن سلول، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول، فقال لهم: إن هذا الأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوَّتُوا عليَّ بمثل هذا، وما علمتُه كان، قال: فانصرفوا عنه.

قريش تأسر سعد بن عُبادة: قال: ونفر الناس من مِنىً، فتَنَطَّس القومُ الخبرَ[1]، فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عُبادة بأذَاخر، والمنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة بن كعب ابن الخزرج، وكلاهما كان نقيبا، فأما المنذر فأعجز القومَ؛ وأما سعد فأخذوه، فربطوا يديه إلى عنقه بنِسْعِ[2] رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، ويجذبونه بجُمته، وكان ذا شعر كثير.

خلاص سعد: قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفر من قريش، فيهم رجل وضيء أبيض، شَعْشاع[3]، حلو من الرجال.

قال ابن هشام: الشَّعْشاع الطويل الحسن. قال رؤبة:

يمطوه من شَعْشاعٍ غيرِ مُودن

يعني: عنق البعير غير قصير، يقول: مودن اليد، أي ناقص اليد.

قال: فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خيرٌ، فعند هذا قال: فلما دنا مني رفع يدَه فلكمني لكمةً شديدة قال: فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير قال: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذا أُوي[4] لي رجل ممن كان معهم،فقال: ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوارٌ ولا عهد؟ قال: قلت: بلَى، والله، لقد كنت أجير لجُبير بن مُطْعِم بن عَدِي بن نَوْفل بن

---

(١) أكثروا في البحث عنه. والتنطس، تدقيق النظر.

(٢) النسع: الشراك الذي يشد به الرجل.

(٣) شعشاع: والشعشاع والشعشعاني والشعشعان: الطويل من الرجال، وكذلك السلهب والصقعب والشوقب والشرجن والخبق والشوذب الطويل مع رقة في أسماء كثيرة.

(٤) أوي: رق له، ورحم.

عبد مناف تجارة، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف؛ قال: ويحك! فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينَك وبينهما: قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلا من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ويَهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً؛ قالا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة، قالا: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجارَنا، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده. قال: فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم فانطلق، وكان الذي لكم سعداً سُهَيْل بن عَمرو، أخو بني عامر بن لؤي.

قال ابن هشام: وكان الرجل الذي أوي إليه، أبا البَخْتَري بن هشام.

أول ما قيل في الهجرة من الشعر: قال ابن إسحاق: وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين، قالهما ضرار[1] بن الخطاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فهر:

تداركتَ سعداً عَنوةً فأخذته وكان شفاءً لو تداركتَ مُنذِرَا
لو نِلته طُلَّت هناك جراحُه وكانت حَرِيًّا أن يُهان ويُهدَرَا[2]

قال ابن هشام: ويروى:

وكان حقيقا أن يُهان ويُهدَرا

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال:

---

(١) ضرار: كان شاعر قريش وفارسها، ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزبعرى ابن قيس بن عدي، وكان جده مرداس رئيس بني محارب بن فهر في الجاهلية يسير فيهم بالمرباع، وهو ربع الغنيمة، وكان أبوه أيام الفجار رئيس بني محارب ابن فهر. أسلم ضرار عام الفتح.

(٢) طلت: هدرت.

لستَ إلى سعدٍ ولا المرء مُنذِرٍ ... إذا ما مَطايا القومِ أصبحْن ضُمَّرَا
فلولا أبو وهْبٍ لمرَّت قصائدٌ ... على شرفِ البَرقاءِ يَهْوينَ حُسَّرَا
أتفخُر بالكتانِ لما لبسْتَه ... وقد تلبَس الأنباطُ رِيطا مُقَصَّرَا[1]
فلا تَكُ كالوَسْنانِ يحلمُ أنه ... بقريةِ كِسْرَى أو بقريةِ قَيْصَرَا
ولا تك كالثَّكلَى وكانت بمعْزِلٍ ... عن الثُّكْلِ لو كان الفؤادُ تفكَّرَا
ولا تكَ كالشاةِ التي كان حتفُها ... بحفرِ ذراعَيْها فلم ترضَ مَحْفَرَا[2]
ولا تك كالعاوِي فأقبلَ نحرَه ... ولم يَخْشَه سهماً من النَّبلِ مُضْمَرَا
فإنا ومن يُهدِي القصائدَ نحوَنا ... كمسْتَبضِعٍ تمراً إلى أهلِ خَيْبَرَا

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها، وكان عَمرو بن الجَموح سيداً من سادات بني سَلمة، وشريفاً من أشرافِهم؛ وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب، يقال له: مَناةُ[3]، كما كانت الأشراف

(١) الريط: الملاحف البيض.
(٢) تقول العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا كالباحث عن المدية وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:
وكان يجيز الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغي نفسه من يجيزها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها ... إلى مدية تحت التراب تثيرها
(٣) مناة: وزنه فعلة من منيت الدم وغيره إذا صببته، لأن الدماء كانت تمني عنده تقربا إليه، ومنه سميت الأصنام الدُّمَى، وفي قول: لا والدمى لا أرى بما تقول بأسا، وكذلك مناة الطاغية التي كانوا يهلون إليها بقيد والْحظ من هذا المطلع ما في =

يصنعون، تتخذه إلها تعظِّمه وتطهره، فلما أسلم فتيان بني سَلَمة: معاذُ ابن جبل، وابنه مُعاذ بن عَمْرو بن الجَموح، في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يُدلجون بالليل على صنم عَمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفر بني سلمة، وفيها عِذَرُ[1] الناس، مُنَكَّسا على رأسه، فإذا أصبح عمرو، قال: ويلكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسلَه وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأُخْزِينَّه. فإذا أمسى ونام عَمرو، عَدَوْا عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغْسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه، إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك. فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث أَلْقَوْه يوما، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو، عَدَوْا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل، ثم أَلْقَوْه في بئر من آبار بني سَلَمة، فيها عِذَر من عِذَر الناس، ثم عدا عَمرو بن الجَموح فلم يجده في مكانه الذي كان به.

إسلام عمرو وما قاله من الشعر: فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر مُنَكَّسا مقرونا بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم برحمة الله، وحسُنَ إسلامه، فقال حين أسلم وعرَف من الله ما عرَف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العَمَى والضلالة:

= قوله تعالى: ﴿ **ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ من الفائدة جعلها ثالثة للات والعزى، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه.

(١) فضلات الناس.

والله لو كنتَ إلهاً لم تكنْ أنتَ وكلبٌ وسْطَ بئرٍ في قَرَنْ[1]
أُفٌّ لمَلْقَاك إلهاً مُسْتَدَنْ الآنَ فتشناكَ عَنْ سُوءِ الغَبَنْ[2]
الحمدُ للهِ العليِّ ذي المِنَنْ الواهبِ الرزاقِ دَيانِ الدِّيَنْ[3]
هو الذي أنقذني من أن أكونَ في ظُلمةِ قبرٍ مُرْتَهنْ
بأحمدَ المهديِّ النبيِّ المرتهنْ

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق: وكانت بيعةُ الحرب، حين أذِنَ اللهُ لرسولِه ﷺ في القتال شروطاً سوى شرطِه عليهم في العقبة الأُولى، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِنَ لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحْمر والأسود، أخذ لنفسه واشترطَ على القومِ لربِّه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

قال ابن إسحاق: فحدثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت،

---

(١) القرن: الحبل.

(٢) مستدن: من السدانة، وهي خدمة البيت وتعظيمه، والغبن: الغبن في الرأي يقال غبن رأيه كما يقال سفه نفسه، فنصبوا، لأن المعنى: خسر نفسه، وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا.

(٣) الدين جمع دينة، وهي العادة، ويقال لها دين أيضاً، وقال ابن الطثرية، واسمه يزيد:
أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينة يستدينها
فألقيت سهمي بينهم حين أوخشوا فما صار لي في القسم إلا ثمينها
ويجوز أن يكون أراد بالدين: الأديان أي هو ديان أهل الأديان، ولكن جمعها على الدين، لأنها مِلل ونِحل، كما قالوا في جمع: الحرة: حرائر، لأنهن في معنى الكرائم والعقائل.

عن أبيه الوليد، عن جَدِّه عُبادة بن الصامت، وكان أحد النقباء، قال:

بايعنا رسول الله ﷺ بَيْعة الحرب ــ وكان عُبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء ــ وعلى السمع والطاعة؛ في عُسرنا ويُسرنا ومُنْشَطنا ومُكْرَهنا، وأثْرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه، وأن نقولَ بالحقِّ أينما كنا، لا نخاف في الله لَوْمة لائم.

أسماء من شهد العقبة الأخيرة

عدد من شهدها: قال ابن إسحاق: وهذا تسمية من شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها من الأوْس والخزرج، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين.

من الأوس بن حارثة: شهدها من الأوس بن حارثة بن ثَعلبة بن عَمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأَشْهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن الأوْس: أُسَيْد بن حُضَيْر بن سِمَاك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشْهَل، نقيب لم يشهد بدراً. وأبو الهَيْثم بن التَّيِّهان، واسمه مالك، شهد بدراً. وسَلَمة بن سلامة بن وَقْش بن زِغْبة بن زَعُوراء بن عبد الأشْهل، شهد بدراً، ثلاثة نفر. **قال ابن هشام:** ويقال: ابن زعَوْراء.

من بني حارثة بن الحارث: قال ابن إسحاق: ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عَمرو بن مالك بن الأوْس: ظُهَيْر بن رافع بن عَدي بن زيد بن جُشَم بن حارثة: وأبو بُرْدَة بن نِيَار، واسمه هاني بن نِيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبْيان بن

هُمَيْم بن كاهل بن ذُهْل بن هَنِيّ بن بَلِيّ بن عَمرو بن الْحاف بن قُضاعة، حليف لهم ، شهد بدراً. ونُهَيْر بن الهَيْثم، من بني نابي ابن مجْدعة بن حارثة، بن الحارث بن الخزرج بن عَمرو بن مالك بن الأَوس؛ ثم من آل السَّوَّاف بن قيس بن عامر بن نابي بن مَجْدعة بن حارثة. ثلاثة نفر.

من بني عمرو بن عوف: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس: سعد بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلَم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، نقيب، شهد بدراً، فقُتل به مع رسول الله ﷺ شهيداً.

قال ابن هشام: ونسبه ابن إسحاق في بني عَمرو بن عوف؛ وهو من بني غَنْم بن السَّلَم لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم، ويكون فيهم فيُنسب إليهم.

قال ابن إسحاق: ورفاعة بن عبد المُنْذِر بن زَنْبَر بن زيد بن أُمية بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو، نقيب، شهد بدراً. وعبدالله بن جُبَيْر بن النعمان بن أمية بن البُرَك ـــ واسم البُرَك: امرؤ القيس بن ثَعْلبة بن عَمرو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْس ـــ شهدا بدراً، وقُتل يومَ أُحد شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ على الرُّمَاة؛ ويقال: أُمية بن البَرْك، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ومعْنُ بن عدي بن الجد بن العَجْلان بن حارثة بن ضُبَيْعة، حليف لهم من بَلِيٍّ، شهد بدراً وأُحداً والخندق، ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، قُتل يومَ اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعُوَيْم بن ساعدة، شهد بدرا وأحدا والخندق. خمسة نفر.

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلا.

من الخزرج بن حارثة: وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمرو بن عامر؛ ثم من بني النجار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عَمرو بن الخزرج: أبو أيوب، وهو خالد بن زيد بن كُلَيب بن ثَعلبة بن عبد بن عَوْف بن غَنْم بن مالك بن النجار، شهد بدرا وأُحداً والخندق، والمشاهد كلها؛ مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان. ومُعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار، شهد بدرا وأحداً والخندق، والمشاهد كلها، وهو ابن عفراء، وأخوه عَوْف بن الحارث شهد بدرا وقُتل به شهيدا، وهو لعفراء. وأخوه مُعوِّذ بن الحارث، شهد بدرا وقُتل به شهيدا، وهو الذي قَتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة: وهو لعفراء — ويقال: رفاعة بن الحارث بن سواد — فيما **قال ابن هشام** — وعُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان بن عَمْرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار: شهد بدرا وأُحداً والخندق، والمشاهد كلَّها، قُتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وأسعد بن زرارة ابن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، نقيب، مات قبل بدر ومسجد رسول الله ﷺ يُبنى، وهو أبو أمامة. ستة نفر.

من بني عمرو بن مبذول: ومن بني عمرو بن مبذول — ومبذول: عامر بن مالك بن النجار —: سهل بن عَتيك بن نعمان بن عَمرو ابن عَتيك بن عمرو، شهد بدرا. رجل.

من بني عمرو بن مالك: ومن بني عمرو بن مالك بن النجار، وهم بنو حُدَيْلة — **قال ابن هشام:** حُدَيْلة: بنت مالك بن زيد مَناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج

ــ أوس بن ثابت بـن المنذر بن حرام بن عَمرو بن زيد مَناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، شهد بدراً، وأبو طلحة، وهو زَيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عَمرو بن زيد مَناة بن عَدي بن مالك بن النجار، شهدا بدرا. رجلان.

من بني مازن بن النجار: ومن بني مازن بن النجار، قيس بن أبي صَعْصَعة، واسم أبي صَعْصَعة: عَمرو بن زيد بن عوف بن مَبْذُول بن عَمرو بن غَنْم بن مازن، شهد بدرا، وكان رسول الله ﷺ جعله على السَّاقَة يومئذ. وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خَنْساء بن مبذول بن عمرو بـن غَنْم بن مازن. رجلان. فجميع من شهد العقبة من بني النجار أحد، عشر رجلا.

قال ابن هشام: عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء، هذا الذي ذكره ابن إسحاق، إنما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء.

من بني الحارث بن الخزرج: قال ابن إسحاق: ومن بلحارث بن الخزرج: سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امـرئ القيس بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدرا وقُتل يوم أحد شهيدا. وخارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امـرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، شهد بدراً وقُتل يوم أحد شهيدا. وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امـرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدراً وأحداً والخندق ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، إلا الفتح وما بعده، وقُتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ. وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث أبو النعمان بن بشير، شهد بدراً. وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبدالله بن زيد مَناة بن

الحارث بـن الخزرج، شهد بدرا، وهو الذي أُرِيَ النداءَ للصلاة، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمر به، وخَلاَّد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بـن الخزرج، شهد بدرا وأُحدا والخندق، وقُتل يوم بني قُرَيْظة شهيدا، طُرِحَتْ عليه رحى من أُطَم من أطَامها فشدختهه شدخاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ ـــ فيما يذكرون ـــ إن له لأجر شهيدين. وعُقبة بن عَمرو بن ثعلبة بن أُسَيْرة بن عُسَيْرة بن جِدَارة بن عَوْف بن الحارث بـن الخزرج، وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سِنًّا، مات في أيام معاوية لم يشهد بدراً، سبعة نفر.

من بني بياضة: ومن بني بَيَاضة بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: زياد بـن لَبِيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عَدي بن أُمية بن بَيَاضة، شهد بدراً، وفروة بن عَمرو بن وذْفَة[1] بن عبيد بن عامر بن بياضة، شهد بدرا. قال ابن هشام: ويقال: ودفة.

قال ابن إسحاق: وخالد بن قَيْس بن مالك بن العَجْلان بن عامر ابن بَيَاضة شهد بدرا، ثلاثة نفر.

من بني زريق: ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العجلان بن

(١) الوذفة: الروضة الناعمة سميت بذلك، لأنها تقطر ماء من نعمتها، والأداف الذكر وأصله: وداف سمي بذلك الموضع قطر الماء، ويقال للروضة الناعمة: الدفرى، وعمرو ابن ودفة هذا هو البياضي الذي روى عنه مالك في كتاب الصلاة، ولم يسمه، وفي الأنصار بنو النجار، وهم تيم الله بن ثعلبة، سمي النجار فيما ذكروا لأنه نجر وجه رجل بقدوم وقيل: كان نجاراً، وثعلبة في العرب كثير في الرجال، وقال ما يسمون بثعلب، وإن كان ذلك هو القياس كما يسمون بنمر وسبع وذئب.

عمرو بن عامر بن زُرَيْق، نقيب، وذَكْوان بن عبد قيس بن خلدة ابن مخلَّد بن عامر بن زُرَيق، وكان خرج إلى رسول الله ﷺ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله ﷺ من المدينة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري، شهد بدرا وقُتل يوم أحد شهيدا. وعبَّاد بن قيس بن عامر بن خَلَدة بن مُخلَّد بن عامر بن زُرَيق، شهد بدرا، والحارث بن قيس بن خالد بن مَخْلَد بن عامر بن زُرَيْق، وهو أبو خالد شهد بدرا، أربعة نفر.

من بني سلمة بن سعد: ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سَارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني عبيد ابن عدي بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: البَراء بن معرور بن صخر بن خَنْساء بن سِنان بن عبيد بن عدي بن غَنْم، نقيب، وهو الذي تزعُم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ وشرط له، واشترط عليه، ثم تُوفي قبلَ مقْدَمِ رسول الله ﷺ المدينة. وابنه بشر بن البَراء بن معرور، شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله ﷺ، من الشاة التي سُمَّ فيها — وهو الذي قال له رسول الله ﷺ، حين سأل بني سَلَمة: من سيدكم يا بني سَلَمة؟ فقالوا: الجَدُّ بن قَيْس، على بخله، فقال رسول الله ﷺ: وأي داءٍ أكبر من البُخْل! سيد بني سلَمة الأبيضُ الجَعْدُ بِشْر بن البَراء بن معرور — وسِنان بن صيفي بن صخر بن خنساء بن سِنان ابن عبيد، شهد بدرا، وقتل يوم الخندق شهيدا. والطُّفَيْل بن النعمان ابن خَنْساء بن سنان بن عُبَيْد، شهد بدرا، وقُتل يوم الخندق شهيدا. ومَعْقل بن المنذر بن سَرْح بن خُناس بن سِنان بن عُبَيْد، شهد بدرا، ويزيد بن المنذر، شهد بدرا، ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثَعلبة بن عُبَيْد، شهد

بدرا، ويزيد بن حرام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد، وجُبار بن صَخْر بن أُمية بن خَنْساء بن سِنان بن عُبَيد، شهد بدرا.

قال ابن هشام: ويقال: جَبَّار بن صخر بن أُمية بن خُناس.

قال ابن إسحاق: والطفيل بن مالك بن خنساء بن سِنان بن عُبَيْد، شهد بدراً. أحد عشر رجلا.

من بني سواد بن غنم: ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة، ثم من بني كعب بن سَوَاد: كعب بن مالك بن أبي كعب ابن القَيْن بن كعب، رجل.

من بني غنم بن سواد: ومن بني غَنْم بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: سُلَيم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غَنْم، شهد بدرا، وقُطْبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنْم، شهد بدرا، وأخوه يزيد بن عامر بن حَديدة بن عَمرو بن غَنْم، وهو أبو المنذِر، شهد بدرا، وأبو اليَسَر، واسمه كعب بن عمرو بن عَبَّاد بن عَمرو بن غَنْم، شهد بدرا، وصَيْفيٌّ بن سَوَاد بن عَبَّاد بن عَمرو بن غَنْم، خمسة نفر.

قال ابن هشام: صيفي بن أَسْود بن عَبَّاد بن عمرو بن غنم بن سَوَاد، وليس لسواد ابن يقال له: غَنْم.

من بني نابي: قال ابن إسحاق: ومن بني نابي بن عَمْرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: ثعلبة بن غَنَمَة بن عدي بن نابي، شهد بدراً، وقُتل بالخندق شهيدا، وعمرو بن غَنَمَة بن عَدي بن نَابي، وعَبْس بن عامر بن عدي بن نابي، شهد بدرا. وعبدالله بن أُنَيس، حليف لهم من قُضاعة وخالد بن عَمرو بن عَدِي بن نابي، خمسة نفر.

من بني حرام بن كعب: قال ابن إسحاق: ومن بني حرام ابن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: عبدالله بن عمرو بن حرام ابن ثَعْلبة بن حرام، نقيب، شهد بدرا، وقُتل يوم أحد شهيدا وابنه جابر بن عبدالله. ومُعاذ بن عَمرو بن الجَموح بن يزيد بن حرام، شهد بدرا، وثابت بن الجِذْع ــ والجِذْع: ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ــ شهد بدراً، وقُتل بالطائف شهيدا. وعُمَيْر بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام، شهد بدرا.

قال ابن هشام: عُمير بن الحارث بن لَبْدَة بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وخَدِيج بن سَلاَمة بن أَوْس بن عمرو بن الفُرَافِر، حليف لهم من بَلِيّ. ومُعاذ بن جَبَل بن عَمرو بن أَوْس بن عائذ بن كعب بن عَمرو بن أُدِي بن سعد بن علي بن أسد، ويقال: أسد بن سَارِدة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وكان في بني سَلَمة، شهد بدرا والمشاهد كلَّها ومات بعِمْواس، عام الطاعون بالشام، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما ادعته بنو سَلَمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خَنْساء بن سِنان ابن عبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة. سبعة نفر.

قال ابن هشام: أَوْس: ابن عباد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُذَن بن سعد.

من بني عوف بن الخزرج: قال ابن إسحاق: ومن بني عَوْف بن الخزرج؛ ثم من بني سالم بن عَوْف بن عَمْرو بن عوف بن الخزرج: عُبادة بن الصامت بن قَيْس بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف، نقيب شهد بدرا والمشاهد كلها.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عَوْف، أخو سالم بن عَوْف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: والعباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عوف وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة، فأقام معه بها، فكان يُقال له: مهاجري أنصاري، وقُتل يوم أحد شهيدا، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزَمة بن أصرم بن عَمرو بن عُمَّارة، حليف لهم من بني غصينة من بلي. وعَمْرو بن الحارث بن لَبْدة بن عمرو بن ثَعلبة: أربعة نفر، وهم القَوَاقِل.

من بني سالم بن غنم: ومن بني سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبُلَّى ــ **قال ابن هشام:** الحبلى: سالم بن غنم ابن عوف، وإنما سُمي الحُبُلَّى لعظم بطنه ــ : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم. شهد بدرا؛ وهو أبو الوليد.

قال ابن هشام: ويقال: رفاعة بن مالك، ومالك: ابن الوليد بن عبدالله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم.

قال ابن إسحق: وعقبة بن وهب بن كَلَّدة بن الجَعْد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بُهْثَة بن عبدالله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، حليف لهم، شهد بدراً، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجرا من المدينة إلى مكة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري.

قال ابن هشام: رجلان.

من بني ساعدة بن كعب: قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: سعد بن عُبادة بن حارثة بن أبي خُزَيمة بن ثعلبة بن طَريف بن الخزرج بن سَاعدة نقيب، والمُنذر بن عَمرو بن خنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن جُشم بن الخزرج بن ساعدة. نقيب. شهد بدرا وأحدا. وقُتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله ﷺ، وهو الذي كان يقال له أعنق ليموت. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر بن عمرو بن خنش.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساءَ إنما كان يأخذ عليهنَّ، فإذا أقررن، قال: اذهبْنَ فقد بايعتكنَّ.

من بني مازن بن النجار: ومن بني مازن بن النجار: نُسَيْبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عَمرو بن غَنْم بن مازن، وهي أم عمارة، كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ، وشهدت معها أختها. وزوجها زيد بن عاصم بن كعب. وابناها: حبيب بن زيد، وعبدالله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مُسيلمة الكذاب الحنفي، صاحب اليمامة، فجعل يقول له: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول: نعم فيقول: أفتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده، لا يزيده على ذلك، إذا ذكر له رسول الله ﷺ آمن به وصلى عليه، وإذا ذكر له مُسيلمة قال: لا أسمع ــ فخرجتْ إلى اليمامة مع المسلمين، فباشرت الحربَ بنفسِها، حتى قَتل اللهُ مسيلمةَ ورجعت وبها اثنا عشر جرحا، من بين طعنة وضربة.

قال ابن إسحاق: حدثني هذا الحديث عنها محمدُ بن يحيى بن حِبَّان، عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَة.

من بني سلمة: ومن بني سلمة: أم مَنيع، واسمها: أسماء بنت عَمرو بن عَدي بن نابي بن عمرو بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال

قال: **حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام**، قال: حدثنا زياد ابن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطَّلبي: وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يُؤْذَن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه، ومن بين مُعذَّب في أيديهم، ومن بين هارب في البلاد فرارا منهم، منهم مَن بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه، فلما عتت قريش على الله عز وجل، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه ﷺ، وعذبوا ونَفَوْا من عبَدَه ووحَّده وصدَّق نبيه، واعتصم بدينه، أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم.

---

(١) راجع زيادة في أنساب من ذكروا وأخبارا كثيرة عنهم في الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٢١٤ وما بعدها.

فكانت أولُ آية أُنزلت في إذنه له في الحرب، وإحلاله الدماء والقتال، لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **أُذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا ـ وإن الله على نصرِهم لقديرٌ. الذين أُخرجوا من ديارِهم بغيرِ حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهدِّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ الله كثيرا ولَيَنصُرَنَّ اللهُ من ينصره، إن الله لقوي عزيز. الذين إنْ مكناهم في الأرضِ أقاموا الصلاةَ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروفِ ونَهَوْا عن المنكر، ولله عاقبةُ الأمور** ﴾: أي أني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، إلا أن يعبدوا الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، يعني النبي ﷺ وأصحابَه رضي الله عنهم أجمعين، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿ **وقاتِلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ** ﴾: أي حتى لا يفتَن مؤمن عن دينه ﴿ **ويكونَ الدينُ للهِ** ﴾: أي حتى يُعبد الله، لا يُعبد معه غيره.

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة: قال ابن إسحاق:
فلما أُذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها، فخرجوا أَرْسالاً[1]، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

---

(١) أرسالا: أي جماعة وراء جماعة.

ذكر المهاجرين إلى المدينة

هجرة أبي سلمة وامرأته: فكان أولُ من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مخزوم: أبو سَلَمة بن عبد الأَسَد بن هلال بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، واسمه: عبدالله، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغة إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجرا.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبي: إسحاقُ بن يسار، عن سَلَمة بن عبدالله بن عُمر بن أبي سَلَمة عن جدته أم سلمة، زوج النبي ﷺ، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لي بعيره ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقودُ بعيرَه، فلما رأته رجالُ بني المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتَنا عليها، أرأيتَ صاحبتك هذه؟ علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطامَ البعير من يده، فأخذوني منه قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهْط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بُنَيَّ سَلَمة بينهم حتى خلعوا يدَه وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سَلَمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني.

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأَبْطَح، فما أزال أبكي، حتى أمسي: سنةً أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بنيٍ عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا

لي: الحقي بزوجك إن شئتِ. قالت: ورد بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: أتبلَّغ بمن لَقِيتُ حتى أقْدُمَ على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم[1] لَقِيتُ عثمانَ بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أُمية؟ قالت: فقلت أريد زوجي بالمدينة. قال : أوَما معكِ أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبُنَيَّ هذا. قال: والله ما لك من مَتْرك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني؛ حتى إذا نزلت استأخر ببعيري؛ فحطَّ عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرَّواحُ، قام إلى بعيري فقدمه فرَحله ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذه بخطامِه فقاده، حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عَمْرو بن عَوْف بقُباء، قال: زوجُك في هذه القرية ــ وكان أبو سلمة بها نازلا ــ فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهلَ بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرمَ من عثمان ابن طلحة[2].

---

(١) موضع على فرسخين من مكة.

(٢) وقد كان عثمان يومئذ على كفره، وإنما أسلم عثمان في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، وقُتل يوم أحد إخوته مسافع، وكلاب والحارث، وأبوهم، =

هجرة عامر بن ربيعة وبني جحش: قال ابن إسحاق: ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة، حليف بني عدي بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم ابن عبدالله بن عَوْف بن عُبَيد بن عَدي بن كعب. ثم عبدالله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمُر بن صَبرة بن مُرة بن كثير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جَحْش، وهو أبو أحمد ــ وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر، وكان يطوف مكة، أعلاها وأسفلها، بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفَرْعَة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ــ فغُلِّقت دار بني جَحْش(١)

= وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضا يوم أحد كافراً وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله ﷺ عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة؛ وإلى ابن عمه شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة وهو جد بني شيبة حجبة الكعبة، واسم أبي طلحة جدهم: عبدالله بن عبدالله بن عبد العزى، وقُتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر.

(١) وبنو جحش، هم: عبدالله وأبو أحمد واسمه: عبد، وقد كان أخوهم عبيد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها: ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾ وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف وحمنة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير، وكانت تستحاض أيضا، وقد روي أن زينب استحيضت، أيضاً، ووقع في الموطأ أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف، ولا قاله أحد، والغلط لا يسلم بشر منه، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب، ويقال فيها أم حبيبة، غير أن شيخنا أبا عبدالله محمد بن نجاح، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها: زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم ولا غلط والله أعلم. وكان اسم زينب بنت جحش: برة فسماها رسول الله ﷺ زينب، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام،

هجرةً، فمر بها عُتبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب، وأبو جهل ابن هشام بن المغيرة، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالرَّدْم، وهم مُصعِدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عُتبة بن ربيعة تَخْفِقُ أبوابُها يَباباً[1] ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعَداء، ثم قال:

وكلُّ دارٍ وإن طالت سلامتُها يوماً ستُدركُها النكْباءُ والحُوبُ[1]

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دُؤاد الإيادي في قصيدة له. والحوب: التوجع.

قال ابن إسحاق: ثم قال عتبة بن ربيعة: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها! فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قُلّ ابن قُلّ.

قال ابن هشام: القُلُّ: الواحد، قال لَبيد بن ربيعة:

كلُّ بني حُرَّةٍ مصيرُهُمُ قُلٌّ وإن أكثرتْ من العَددِ

= كان اسمها برة، فسماها زينب كأنه كره أن تزكي المرأة نفسها بهذا الاسم، وكان اسم جحش بن رئاب: برة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لو غيرت اسم أبي، فإن البرة صغيرة، فقيل: إن رسول الله ﷺ قال لها: لو أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكني سميته جحش والجحش أكبر من البرة. وذكر هذا الحديث مسنداً في كتاب « المؤتلف والمختلف » لأبي الحسن الدارقطني. (عن الروض الأنف، للإمام السهيلي. بتحقيقنا).

(١) اليباب: القفر.

(٢) الشعر لأبي دؤاد الإيادي واسمه: حنظلة بن شرقي، وقيل جارية بن الحجاج، ودار بني جحش عند دار أبان بن عثمان بالردم؛ والردم؛ حفر ردم بالقتلى في الجاهلية، فسمي: الردم؛ وذلك في حرب كانت بين بني جمح، وبين بني الحارث ابن فهر، وكانت الدبرة فيها على بني الحارث، ولذلك قَلَّ عددُهم، فهم أقل قريش عدداً. والبيت التالي لهذا البيت هو:

كل امرئ بلقاء الموت مرتهن كأنه غرض للموت منصوب

قال ابن إسحاق: ثم قال: هذا عمل ابن أخي هذا، فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرَنا وقطع بينَنا. فكان منزل أبي سلمة بن عبد الأسد، وعامر ابن ربيعة، وعبدالله بن جحش، وأخيه أبي أحمد بـن جحش، على مبشِّر بن عبد المنذر بن زنبر بقُباء، في بني عمرو بن عوف، ثم قدم المهاجرون أُرْسالاً، وكان بنو غَنْم بن دوادن أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرة رجالهم ونساؤهم: عبدالله ابن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وعُكّاشة بن مِحْصن، وشُجاع، وعقبة، ابنا وهب، وأَرْبَد بن حُمَيِّرَة.

قال ابن هشام: ويقال ابن حُمَيْرَة.

هجرة بعض الرجال ونسائهم: قال ابن إسحاق: ومُنْقذ بن نُباتة، وسعيد بن رُقَيش، ومُحْرِز بن نَضْلة، ويزيد بن رُقَيْش، وقيس ابن جابر، وعَمرو بن مِحْصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثَقْف بن عمرو[1]، وربيعة بن أكْثم، والزبير بن عُبيد، وتمَّام بن عُبيدة، وسَخْبَرة بن عُبَيْدة، ومحمد بن عبدالله بن جَحْش.

ومن نسائهم: زينب بنت جَحش، وأم حَبيب بنت جَحْش، وجُذَامة بنت جَنْدَل[2]، وأم قيس بنت مِحْصن، وأم حبيب بنت ثُمامة[4]، وآمنة بنت رُقَيْش، وسَخْبَرة بنت تميم، وحَمْنة بنت جحش.

---

(١) ثقف بن عمرو: ويقال فيه: ثقاف شهد هو وأخوه مدلاج بدراً وقُتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خيبر قتله أسير اليهودي.

(٢) وذكر في نساء بني جحش: جذامة بنت جندل، وأحسبه أراد جذامة بنت وهب بن محصن، وهي المذكورة في حديث الرضاع في الموطأ، وقال فيها خلف بن هشام البزار: جذامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه الإمام مسلم بن الحجاج والمعروف: جدامة بالدال، وقد يقال فيها جدَّامة بالتشديد، والجدامة قصب الزرع، وأملى علينا أبو بكر الحافظ، وكتبت عنه بخط يدي قال المبارك بن عبد الجبار عن أبي إسحاق =

وقال أبو أحمد بن جَحْش بن رِئاب، وهو يذكر هجرة بني أسد ابن خُزَيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة:

ولو حلفتْ بين الصفا أمُّ أحمد ... ومَرْوتها باللهِ بَرَّتْ يمينُها
لنحنُ الأُلى كنا بها ثم لم نزلْ ... بمكةَ حتى عاد غَثًّا سمينُها
بها خيَّمت غَنْم بنُ دُوادنَ وابتنتْ ... وما إنْ غَدتْ غَنْم وخف قطينُها[1]
إلى الله تغدو بين مَثْنى وواحدٍ ... ودينُ رسولِ الله بالحقِّ دينُها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضاً:

لما رأتني أمُّ أحمدَ غادياً ... بذمةِ من أخشى بغَيْبٍ وأرهبُ
تقول: فإما كنتَ لا بدَّ فاعلا ... فيمِّمْ بنا البلدانَ ولتنأ يثربُ
فقلت لها: بل يثربُ اليومَ وجهُنا ... وما يشاءُ الرحمنُ فالعبدُ يركبُ
إلى اللهِ وجهي والرسول ومن يُقمْ ... إلى اللهِ يوماً وجهُه لا يُخيَّبُ
فكم قد تركنا من حميمٍ مُناصحٍ ... وناصحةٍ تبكي بدمعٍ وتندُبُ
ترى أن وِتراً نأيُنا عن بلادِنا ... ونحنُ نرى أن الرغائبَ تُطْلَبُ
دعوْتُ بني غَنْمٍ لحقْنِ دمائِهم ... وللحقِّ لما لاح للناسِ مَلْحبُ[2]

= البرمكي عن محمد بن زكريا بن حبويه عن أبي عمر الزاهد المطرز قال: الجدَّامة: بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة، وكانت جدامة بنت وهب تحت أنيس ابن قتادة الأنصاري وأما جدامة بنت جندل، فلا تعرف في آل جحش الأسديين، ولا في غيرهم كما وقع في الكتاب، وأنها بنت وهب بن محصن بنت أخي عكاشة ابن محصن، كما قدمنا والله أعلم. (عن الروض الأنف للسهيلي ــ بتحقيقنا).

(١) أم حبيب بنت ثمامة: وهي ما أغفله أبو عمرو في كتابه، وأغفل أيضاً ذكر ثمام ابن عبيدة، وهو ممن ذكره ابن إسحاق في هذه الجملة المذكورين من بني أسد. (عن الروض الأنف للسهيلي ــ بتحقيقنا).

(٢) القطين: القوم المقيمون.

(٣) الملحب: الطريق الواضحة.

أجابوا بحمدِ اللهِ لما دعاهمُ إلى الحقِّ داعٍ والنجاح فأوْعبوا
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهدَى أعانوا علينا بالسلاح وأجْلَبوا
كَفَوْجَيْن: أَمَّا منهما فمُوفَّقٌ على الحقِّ مهديٌّ، وفوجٌ مُعَذَّبُ
طَغَوْا وتمنَّوْا كذبة وأزلَّهم عن الحقِّ إبليسٌ فخابوا وخُيِّبُوا
وَرِعْنا إلى قولِ النبيِّ محمدٍ فطاب وُلاةُ الحقِّ منا وطُيِّبوا[1]
نمتْ بأرحامٍ إليهم قريبةٍ ولا قربَ بالأرحامِ إذ لا نُقَرَّبُ
فأيُّ ابنِ أختٍ بعدَنا يأمنَنَّكم وأيةُ صِهْرٍ بعدَ صِهريَ تُرْقَبُ
ستعلمُ يوماً أينا ـــ إذ تزايلوا وزُيِّل أمرُ الناسِ ـــ للحقِّ أصوبُ

قال ابن هشام: قوله « ولتنأ يثرب »، وقوله « إذ لا نقرب »، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام يريد بقوله: « إذ » إذا، كقول الله عز وجل: ﴿ **إذ الظالمون مَوْقوفون عندَ ربِّهم** ﴾. قال أبو النجم العِجْلي:

ثم جزاه الله عنا إذ جَزَى جنَّات عدنٍ في العَلالي والعُلاَ

هجرة عُمر وقصة عياش وهشام معه

قال ابن إسحاق: ثم خرج عُمر بن الخطاب، وعَيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدما المدينة. فحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: اتعَدْتُّ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعَيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام

(١) رعنا: رجعنا.

ابن العاص بن وائل السَّهْمي التَّناضِبَ[1] من أَضاة بني غفار[2]، فوق سَرِف وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التَّناضِب، وحُبس عنا هشام، وفُتن فافتتن.

أبو جهل يغرر بعياش بن أبي ربيعة: فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عَمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا: إن أمَّك قد نذرت أن لا يَمس رأسَها مُشطٌ حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقَّ لها، فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرْهم، فوالله لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت. قال: فقال: أبرّ قَسَمَ أمي، ولي هنالك مال فآخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما؛ فلمَّا أَبى إلا ذلك؛ قال: قلت له: أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرَها، فإن رابك من القوم ريْب، فانجُ عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا بن أخي، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقِبني على

---

(١) التناضب: بكسر الضاد، كأنه جمع تنضب وهو ضرب من الشجر، تألفه الجرباء. ذكره أبو حنيفة الدينوري في النبات.

(٢) أضاة بني غفار: هي على عشرة أميال من مكة، والأضاة: الغدير، كأنها مقلوب من وضأة على وزن فعلة، واشتقاقه من الوضاءة بالمد وهي النظافة، لأن الماء ينظف، وجمع الأضاءة أضاء.

ناقتك هذه؟ قال: بلَى. قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استَوَوْا بالأرض عدَوَا عليه، فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتُتن.

قال ابن إسحاق: فحدثني به بعضُ آل عَيَّاش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً مُوثَقا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاص: قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، عن عبدالله بن عمر، عن عمر في حديثه، قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتُتن صَرْفاً ولا عَدْلاً ولا تَوْبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسِهم. فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿**قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسِهم لا تَقْنَطوا من رحمةِ الله، إن اللهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً، إنه هو الغفورُ الرحيم. وأنيبوا إلى ربِّكم وأسلموا له من قَبْلِ أن يأتيَكم العذابُ ثم لا تُنْصَرون. واتَّبِعُوا أحسنَ ما أُنزل إليكم من ربّكم من قبلِ أن يأتيَكم العذابُ بغتةً وأنتم لا تشعرون**﴾[1].

قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال : فقال هشام بن العاص : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوَى[2]، أصعد بها فيه وأُصَوِّب ولا أفهمها حتى قلت:

---

(١) نزلت هذه الآيات في المستضعفين بمكة.

(٢) ذو طوى موضع بأسفل مكة، ذكر أن آدم لما هبط إلى الهند، ومشي إلى مكة، وجعل الملائكة، تنتظره بذي طوى، وأنهم قالوا له: يا آدم ما زلنا ننتظرك هاهنا منذ ألفي سنة، وروي أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذي طوى، وأما ذو طواء بالمد، فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري، وأما طوى بضم =

اللهم فَهِّمْنيها. قال: فألقى اللهُ تعالى في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة.

أمر الوليد بن الوليد مع عياش وهشام: قال ابن هشام: فحدثني من أثق به: أن رسول الله ﷺ قال، وهو بالمدينة: من لي بعَيَّاش ابن أبي ربيعة، وهشام بن العاص فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدمها مستخفياً، فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين ــ تعنيهما ــ فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له؛ فلما أمسى تسور عليهما، ثم أخذ مَرْوة[1] فوضعها تحتَ قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه: « ذو المرْوة » لذلك، ثم حملهما على بعيره، وساق بهما، فعثر فدَميت إصبُعه، فقال:

هل أنتِ إلا إصبعٌ دميتِ وفي سبيلِ اللهِ ما لَقيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله ﷺ المدينة.

= الطاء والقصر المذكور في التنزيل، فهو بالشام اسم للوادي المقدس، وقد قيل: ليس باسم له، وإنما هو من صفة التقديس، أي: المقدس مرتين.

(١) المروة: الحجر.

منازل المهاجرين بالمدينة

منزل عمر وأخيه وعمرو وعبدالله ابني سراقة وخنيس بن حذافة وبني البكير: قال ابن إسحاق: ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب؛ وعمرو وعبدالله ابنا سراقة بن المعتَمِر، وخُنَيس بن حُذافة السَّهْمي ــ وكان صهره على ابنته حَفْصة بنت عمر، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده ــ وسعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفَيل، وواقد بن عبدالله التميمي، حليف لهم؛ وخَوْليّ بن أبي خَوْلِيّ؛ ومالك بن أبي خَوْلِيّ، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خولي: من بني عجل بن لُجَيم بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وبنو البُكير أربعتهم: إياس بن البكير، وعاقل ابن البُكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، على رفاعة بن عبد المنذر بن زنْبَر، في بني عَمرو ابن عَوْف بقُباء، وقد كان منزل عَيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة.

منزل طلحة وصهيب: ثم تتابع المهاجرون، فنزل طلحة بن عبيدالله ابن عثمان، وصُهيب بن سنان على خُبَيْب[1] بن إساف أخي بلحارث

---

(١) خبيب: لم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما في قول الواقدي بل تأخر إسلامه، حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، قال خبيب: فخرجت معه أنا ورجل من قومي، وقلنا له: نكره أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم، فقال: أسلمتما؟ فقلنا: لا، فقال: ارجعا؛ فإنا لا نستعين بمشرك.

وخبيب هو الذي خلف على بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق، واسمها: حبيبة، =

ابن الخزرج بالسُّنْح[1]، ويقال: بل نزل طلحة بن عُبيدالله على أسعد ابن زُرارة، أخي بني النجار.

قال ابن هشام: وذُكر لي عن أبي عثمان النَّهْدي أنه قال: بلغني أن صُهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صُعلوكا حقيرا، فكثر مالُك عندنا، وبلغتَ الذي بلغتَ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسِك، والله لا يكون ذلك؛ فقال لهم صُهَيْب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ربح صُهيب؛ ربح صهيب.

منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة:

قال ابن إسحاق: ونزل حمزةُ بنُ عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثَد كَنَّاز بن حِصْن.

قال ابن هشام : ويقال، ابن حُصَيْن ــ وابنه مرثد الغنويـان، حليف حمزة بن عبد المطلب وأَنسة، وأبو كَبْشة[2]، موليا رسول الله

= وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، وهي: بنت خارجة بن أبي زهير، والجارية: أم كلثوم بنت أبي بكر، مات خبيب في خلافة عثمان، وهو جد خبيب بن عبد الرحمن، الذي يروي عنه مالك في موطئه.

(١) السنح: بعوالي المدينة.

(٢) أنسة مولى رسول الله ﷺ، من مولدي السراة ويكنى: أبا مسروح شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات في خلافة أبي بكر، وأبو كبشة اسمه: سُلَيم يقال إنه من فارس، ويقال؛ من مولدي أرض دوس، شهدا بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عروة بن الزبير، وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه، وتقول قال ابن أبي كبشة وفعل ابن أبي كبشة، فقيل فيه أقوال: قيل: إنها كنية أبيه لأمه وهب بن عبد مناف؛ وقيل: كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى، وقيل: إن سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد، وأشهر من هذه الأقوال =

ﷺ، على كُلثوم بن هِدْم، أخي بني عمرو بن عَوْف بقُباء[1] ويقال بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة، أخي بني النجار. كل ذلك يقال.

منزل عبيدة وأخيه والحصين وغيرهم: ونزل عبيدة بن الحارث ابن المطلب، وأخوه الطُّفَيل بن الحارث، والحُصَيْن بن الحارث، ومِسْطَح ابن أُثَاثة بن عَبَّاد بن المطلب، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْملة، أخو بني عبد الدار وطُلَيب بن عُمَير، أخو بني عبد بن قصي، وخَبَّاب، مولي عُتبة بن غزوان، علي عبدالله بن سلمة، أخي بلعجلان بقباء.

منزل عبد الرحمن بن عوف: ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بِلْحَارث بن الخزرج، في دار بِلْحارث بن الخزرج.

منزل الزبير وأبي سبرة: ونزل الزبير بن العوام، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى، على مُنْذِر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحة ابن الجُلاح بالعُصبة، دار بني جحجبي.

منزل مصعب بن عمير: ونزل مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم، أخو بني عبد الدار على سعد بن مُعاذ بن النعمان، أخي بني عبد الأَشْهل، في دار بني عبد الأَشْهل.

= كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه. وذكر الدارقطني اسم أبي كبشة هذا في المؤتلف والمختلف، فقال: اسمه وجز بن غالب، وهو خزاعي، وهو من بني غبشان.

(١) وذكر نزولهم بقباء، وهو مسكن بني عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة، وهو يمد ويقصر ويؤنث ويذكر، ويصرف ولا يصرف.

وقباء: مأخوذ من القبو، وهو الضم والجمع قاله أبو حنيفة الدينوري، وقال: القوابي هن اللواتي يجمعن العصفر واحدتهن: قابية. قال: وأهل العربية يسمون الضمة من الحركات قبواً.

منزل أبي حذيفة: ونزل أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وسالم مولي أبي حذيفة.

قال ابن هشام: سالم مولي أبي حُذَيفة سائبة لثُبَيْتة بنت يَعَار بن زيد بن عُبَيْد بن زيد بـن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأوْس، سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة فتبناه، فقيل: سالم مولى أبي حذيفة، ويقال: كانت ثُبَيْتة بنت يَعار تحت أبي حُذيفة بن عتبة فأعتقت سالماً سائبة. فقيل: سالم مولى أبي حذيفة[1].

منزل عتبة بن غزوان: قال ابن إسحاق: ونزل عتبة بن غزوان ابن جابر على عَبَّاد بن بشر بن وَقْش أخي بني عبد الأشْهل، في دار عبد الأشهل.

منزل عثمان بن عفان: ونزل عثمان بن عفان على أوْس بن ثابت بن المنذِر، أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار، فلذلك كان حسان يحبُّ عثمان ويبكيه حين قُتل.

وكان يقال: نزل الأعزابُ من المهاجرين على سعد بن خَيْثمة، وذلك أنه كان عَزَبا، فالله أعلم أي ذلك كان.

---

(١) سالم مولى أبي حذيفة: الذي كان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله ﷺ زيداً، وكان سائبة أي: لا ولاء عليه لأحد، وذكر المرأة التي أعتقته سائبة، وهي ثبيتة بنت يعار، وقد قيل في اسمها بثينة ذكره أبو عمر بن عبد البر وذكر عن الزهري أنه كان يقول فيها: بنت تعار وقال ابن شيبة في المعارف: اسمها سلمى ويقال في اسمها أيضاً: عمرة، وقد أبطل التسييب في العتق كثير من العلماء.

تم بعون الله. الجزء الثاني: من السيرة النبوية لابن هشام
ويليه ــ إن شاء الله ــ الجزء الثالث وأوله: هجرة الرسول ﷺ
أعان الله على إتمامه.

فهرست سيرة ابن هشام
الجزء الثاني